

المجلد الرابع

الجزء الأول

(١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد





مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الرابع

الجزء الأول

(١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد



أهمية المنطق *

الفكر في الإنسان ، من أعظم النعم التي خصه الله تعالى بها ؛ إذ به أمتاز عن سائر المخلوقات في الأرض ، فهو الآلة المدركة التي يتصل بها الإنسان بكليّات الأشياء وجزئيّاتها ، ويمحّص جواهرها وأعراضها ، مستعيناً بالحواسّ الظاهرة التي هي بمثابة نوافذ ينظر منها الى المادة وأعراضها الظاهرة ، أو بمثابة نواظير يجتلي بها الأشياء ويجلّيها ، بل هو فوق ذلك يمتلي ويسمو الى إدراك ما لاتصل اليه حواسّه الظاهرة المتعددة التي لا تنفذ قواها الى ما هو خارج عن دوائرها الضيقة ، فهو يتقلّب في سماء المعنويات ، يتصورها ، وهي لا تعرفها الحواسّ الخمس الظاهرة ، بل قد يسمو الى ما فوق ذلك ، يسمو الى ما وراء الطبيعة وحدود المادة

فالفكر في الإنسان ، آلة واسعة المجال ، تتصل بما لا يكفي للشعور به ما ركب فيه من الحواس الظاهرة التي لم تتجاوز الخمس على ما هو المعروف ، وإن كان قد نشأ رأي جديد يقرر أنّ للإنسان حاسّةً سادسة ، أستدلالاً من شعوره بكثير مما يجول في خاطر غيره وليس هذا القول بمستغرب ولا بعيد عن الحقيقة ، فقد أثبت الإمام الغزاليّ للنملة حاسّةً لا وجودَ لها في الحيوانات الأخرى ، حتّى الإنسان ، بها تدرك وجود الأشياء الحلوة كالسكر ، في أي موضع كانت ، فتهتدي اليها بهذه الحاسة . ولا يبعد أن تكون في أصناف من الحيوانات الأخرى حواس تدرك بها ما لايدركه سائر الأنواع الأخرى

ثم إن الفكر لا يقف عند حدود التصورات ، بل يعقب ذلك بالحكم الذي يستقر عنده ، وبتعبير آخر إن الفكر يبدأ بالتصورات ، ثم يعقب التصورات بالتصديق ، أي بالربط بين التصورات بعضها ببعض ، وهذا هو ما يسمونه بالنسبة ، فما التصديقات إلّا قضايا تتألف من تصورين ربطها رابطة تسمّى النسبة ، وأحد التصورين يسمى موضوعاً ، والثاني محمولاً ، ويسمى المجموع قضية والحكم الذي يصدره الفكر ، أو قل التصديق الذي يقره الفكر ، قد

* محاضرة ألقاها الرئيس الأستاذ السيد منير القاضي بدار المجمع في ١٩٥٥/١٢/٣٠

يكون صواباً ، وقد يكون خطأ ، وكل فكر يمكنه أن يعرض تصوراته وتصديقاته على أفكار أخرى ، أي تمكنه أن يملي تصوراته وتصديقاته على أفكار غيره ، يعرضها أو يمليها عليها لأغراض تختلف باختلاف المقاصد وهذا الإملاء أو العرض ، يكون إمّا بطريق الإشارة ، وهي أضيق طرق الإملاء ، يشترك في القدرة عليها جميع الناس على اختلاف أوصافهم من خرس وصم وبكم وعمي ، ولكل إشارته المألوفة وإما بالكلام ، وهو خاص بالقادرين على النطق والتكلم .

والكلام تختلف أساليبه وأوزانه وتراكيبه باختلاف اللغات ، فتراه في بعض اللغات سهلاً أداؤه ، ميسوراً بناؤه ، لا تتوقف صحته على استحضار قواعد كثيرة قد تكون معقدة ، وحفظ دساتير مشتتة متعددة ، بل يكفي لذلك حفظ قليل من القواعد والأحكام وتراه في بعض اللغات لا تتوفر صحته إلّا بعد التمكن من ضبط قواعد قد تفوت الحصر ، وبذل جهود في مسايرة أحكام لا يقوى على مسايرتها إلّا القويّ المتين الأمين فهناك قواعد تتعلق بصياغة كلماته ومفرداته ، وقواعد تتصل بتركيب الكلمات وعرضها كلاماً وجملاً ولا شكّ أن الكلام المعبّر عمّا في الذهن من المعاني والمقاصد لا يتّسع لذلك ، ولا يفي بوظيفته ، ولا يقبل في المحاورات والمخاطبات إلّا إذا كان صحيحاً ، أي كلاماً تظافرت على تقويمه أحكام القواعد المتعلقة بمفردات ألفاظه ، وأحكام القواعد المتعلقة ببناء كيانه ومن أبرز اللغات في هذا الباب ، اللغة العربية ، فان صحة الكلام فيها تتوقف على معرفة علمين : أحدهما يخص مفرداتها ، والثاني يخص تراكيب مفرداتها ، ويسمى الأول علم الصرف ، ويسمى الثاني علم النحو ، وتستمد ثروتها في المفردات من علم آخر هو علم اللغة

واللغة العربية غنية في مفرداتها وصرفها ونحوها ، وصحة الكلام فيها تعتمد على هذا الغنى البيّن ، فالعرب قد وضعوا للاحتراز عن الخطأ في كلامهم علمين ، لا يستغني طالب الصحة في كلامه عن مراعاة قواعدهما والسير على مهاجهما القويم ، وإلّا وقع في أخطاء تعيب الكلام وتخرجه من ميزان الصحة ، فيصبح ملحقاً بأصوات العجماوات عند ذوي المعرفة ، فلا تستسيغ سماعه ولا تصغي إليه .

ومما لا شك فيه أنّ الاُحتراز عن الخطأ في الفكر ، واُستبعاد المعاني التي تجول في الفكر عن هوة الأخطاء ، أهمّ بكثير من الاُحتراز عن الخطأ في الكلام ، لذلك ساقت غريزة الاُستقامة الّتي جبلت عليها النفوس العليّة الى اُختراع ميزان تصون به المعاني عن مزالق العوج في الأفكار والخطأ في النظر ، فاذا ورد الكلام متلبساً بمراعاة ما به الاُحتراز عن الخطأ في التفكير وما به الاُحتراز عن الخطأ في الكلام ، جاء أحلى من الشهد على الشارب ، وألذّ من الماء العذب على الصادي ، ووفى بالغاية التي سبق الى تقريرها وفاء منجزاً

وهذا الميزان الحساس الدقيق الذي توزن به آراء الناس وأفكارهم ، هو علم المنطق الّذي أول من فطن اليه ، على ما نعلم ، فلاسـفة اليونان ، فوضعوه للرجوع اليه في وزن الآراء الفلسفيّة ، وتمييز الصحيح منها عن الفاسد ، فهو باب الدخول الى الفلسفة والاُبحاث العلمية والاُدبية الموزونة فإنّ من نصب نفسه للاُبحاث العلمية أوالأدبية ، لايصيب الهدف الصحيح الذي يرمي اليه في تصوّراته وتصديقاته إلا اذا وزنها بهذا الميزان المُـتْرَص الدقيق الحساس ، وعرضها على هذه المرآة الجليّة الواضحة المصقولة

وفي الواقع أن الباحث لايصل الى الحقيقة في تعريفه الاُشياء المادية أو المعنوية بالحدّ أو الرسم ، أو في تصديقه القضايا ، وإقامة الدليل على دعواه فيها بالبرهان وما يتبعه من الاُدلّة المقبولة ، إلّا اذا سار على الخطّة المرسومة في هذا العلم ، فهو في ذلك أشبه شيء بالرياضيات في توقّف الفيزياء والكيمياء على قواعدها ودساتيرها المقررة

إن هذا العلم (علم المنطق) ، هو الباب الذي يدخل منه الى الفلسفة باُعتدال وثبات ، إذْ به توزن الحقائق الفلسفية ، وبه تحاكم الآراء المتضاربة وهو لايقف عند هذا ، إذْ هو معيار لصحة التعاريف ووثاقة الاُدلة في سائر العلوم ومن هنا أخذ الإمام الغزاليّ اُسماً لكتابه في علم المنطق ، فسماه (معيار العلوم)

والمنطق مصدر يطلق على النطق الخارجي أي اللفظ ، وعلى مصدر هذا الفعل وهو اللسان ، وعلى النطق الداخلي أي إدراك الكليات ، وعلى مظهر هذا الاُنفعال (أي الإدراك) وهو النفس

الناطقة والمقصود في علم المنطق هو المعنى الثالث

وعلم المنطق الذي يعصم الذهن عن الخطأ في الفكر ، هو الذي تبنى على أسسه وقواعده المناظرةُ الصحيحة التي تستجلي الحقيقة ، وعليه يرتكز علم المناظرة المنظّم للمناقشات الصحيحة والمناظرات والمحاورات الأدبية السالمة المؤدية الى إظهار الحق المختلف فيه بين المتناظرين ، تلك الطريقة التي يسلكها العلماء في تباحثهم وتناظرهم ومحاورهم ، فيقفون في ذلك عند الحدود التي رسمها هذا العلم ، أعني علم المناظرة ، وهو مرتكز على ما أسسه علم المنطق من القضايا والدليل والأشكال والنتيجة وما يتصل بها

يتضح مما أسلفت إيراده أنّ المنطق يخدم الفكر ، كما أن النحو يخدم اللسان ، فالأول يقوّم حركة الفكر ، ويولّيها شطر الاستقامة ، ويهدي الذهن في تصرّفاته الى الصواب ، كما أن الثاني يقوّم اللسان ، ويهدي الى البيان فمن الغرابة أن يهمل الأول ، ويبالغ في العناية بالثاني الى حد الإغراق ولم أجد في قواعده ما يتعارض مع الدين ، أو يتناقض مع قواعد الأخلاق فأنا في حيرة من تهجم فحول من العلماء على هذا العلم ، وقولهم بتحريم تعلّمه ، اللّهمّ إلّا أن يكون باعثهم على ذلك مقتهم فلسفة اليونان ، وهو بابها

والعلم نوعان : علم مجرّد لا يثمر عملاً ، وبتعبير آخر علم لا يؤدي الى عمل يخدم المجتمع ، فهو لا يعدو عن أن يزيد في ثقافة متعلمه وتوسيع دائرة أطّلاعه ومعارفه ، فهو لا يحفز الى عمل مثمر ، ولا يستفز الى حركة مباركة وعلم يثمر عملاً ، ويخدم مجتمعاً ، ويوصل الى حقائق ذات بال تؤسس عليها أمور مادّية أو فكرية كالرياضيات والمنطق ، مما أحرى بالمنطق أن يكون في طليعة مناهج الدراسة ، وحقيق به أن يؤسس له كرسي في الجامعات فهو من العلوم الأصيلة التي رصّن الأسس في بناء كثير من العلوم ، وأخصّها الفلسفة التي قد أصبح لها شأن عظيم

لقد كان للمنطق شأن كبير في الدراسات القديمة ، وضعت فيه مؤلفات مهمة ، روعي فيها الدقّة في التعبير والتفكير ، حتى أصبح بعضها صعب الفهم على طلاب العلم ، لا يقوى على

تدريسها إلّا أفذاذ يشار اليهم بالبنان

وهذه الطريقة غير المحمودة في إنشاء كثير من الكتب القديمة ، هي من أهمّ عيوب التأليف فيها ، وهي التي تبغض بعض العلوم لكثير من الناس وحظّ المنطق من هذا حظّ كبير ، فكثير من الكتب المؤلفة فيه ، جاءت على هذه الطريقة البغيضة ، فبغضته لكثير من طلاب العلم ، فتجافوا عنه غير آسفين ، ولو أن المؤلفين فيه جروا على طريقة التبسيط والإنشاء السهل ، لكان حظّ المنطق كحظ العلوم الأخرى المتداولة في قاعات التدريس

وهذا العلم يرمي الى غرضين خطيرين ، هما في الطليعة في كمال الأبحاث العلمية ، بل هما أصلان تحتاجهما جلّ العلوم إن لم أقل كلّها ، وإن كان واضعه لم يقصد بهما خدمة تلك العلوم ، وإنما عني بهما للتوصل الى ضبط مفاهيم الموضوعات الفلسفية ، وتوثيق الأدلة التي تقوم عليها الفلسفة وهذان الأصلان المهمان في العلوم ، هما التعريف بالحد أو الرسم ، والدليل بالبرهان وما يتبعه من الأدلّة ، كلّ في محله فالفلسفة المقصود منها الوقوف على حقائق الأشياء ، في حاجة أصيلة الى هذين الأصلين المطلوبين من علم المنطق ، إذ بالاستعانة بهما تتّضح المفاهيم ، وتتقرر القواعد ، وتطمئنّ نفوس الباحثين بما يتوصلون اليه من الحقائق ، ولهذا ألحقوا بهذا العلم علماً آخرَ أسموه (علم المناظرة) وقد نوهنا به ، وليس هنا موضوع بحثه فان فوائد المنطق ، تتجلى واضحة في المناظرات بين أرباب البحث من المحققين الذين يراعون الخطة المرسومة في هذا العلم عند مناظراتهم ، للوصول الى الصواب من الآراء ، ويتمسكون بالآداب المفصلة فيه ، تخلصاً من الجدل الذي لايوصل الى نتيجة ، ومن الثرثرة والمكابرة اللتين يستر بهما المناظر جهله بالحقائق العلمية

فعلم المنطق ، يحتاج اليه كل من يحتاج الى تعريف الأشياء التي يبحثها ، وكلّ من يحتاج الى اقامة الدليل على شيء ، وإن لم يكن واضعه قد قصد هذا التعميم شأنه في هذا الحال ، شأن علم أصول الفقه ، فإن واضعه قصد منه تأصيل قواعد يتوصل بها الى فهم نصوص الكتاب والسنة على وجه يمكن به تأسيس الأحكام الشرعية في المعاملات بَيْدَ أنّه أصبح ، في

الواقع والحقيقة ، يتوصل بقواعده الى فهم سائر النصوص من قانونية وخطابية

ولتأسيس الغرضين المهمين : التعريف ويسميه المنطق « القول الشارح » ، والدليل ويسميه « القياس » ، استعرض المنطق المعلومات والمفاهيم ، فاستظهر أنّ منها ما له وجودان : وجود خارجي ووجود ذهني ، ومنها ما له وجود خارجي فقط وهو ما لم تنتبه أو تلتفت اليه الأذهان من الأمور الخارجية ، ومنها ما له وجود ذهني فقط وهو ما تتخيله الأفكار وتفترضه . وأعني بالوجود الذهني الصور التي ترتسم في الذهن من توجه الذهن اليها وهي في الخارج ، أو من تخيل مثال لها فيه

وخرج علم المنطق من هذا الاستعراض الى أنّ المعلومات والمفاهيم ، منها ما هو بدهي لا يحتاج الى تعمّل وحركات في الذهن ، بل يدركه الفكر ويتصوّره لأول وهلة ، وبتعبير آخر بمجرّد التوجه اليه ، ومنها ما هو كسبي لا يحصل الّا بإعمال الفكر وحركاته وتنقّلاته من معلوم الى معلوم ، أي بسبره الصور المتجمّعة فيخزانته ؛ فإنّ المجهولات إنّما تصبح معلومات بواسطة المعلومات السابقة لديه ، أي أن معلوميّتها إنما تكتسب من عمل الفكر وتنقلاته في معلوماته ، وربط بعضها ببعض ، وتبيّن العلاقات بينها

وهكذا ينمو العلم ، ويستفيض في العالم ، ويزداد آناً بعد آن

إن تنقّل الأذهان بين المعلومات المتحصّلة في مخازنها يكتشف معلومات جديدة ، ويدخل المجهولات في حيّز المعلومات ، ويكسب علوماً جديدة ومعلومات جديدة ثم تكون هذه العلوم والمعلومات الجديدة التي كانت مجهولة وسيلة لمعلومية مجهولات أخرى وهكذا ينمو العلم ويتضخم ويتنوع ويتشعب وتكتشف المجهولات التي لم يكن الفكر يفطن اليها ، وهكذا يستمرّ العلم في تقدمه ما دام الكون قائماً ، والإنسان يتبوّأ الأرض ويستعمرها (عَلَّمَ الإنسان ما لَمْ يَعْلَمْ) .

أقول : بعدَ أن استعرض المنطق المعلومات والمفاهيم ، وخرج من استعراضه بهذه النتيجة ، كرّ راجعاً الى غرضه الذي حدا به الى هذا الاستعراض ، ذلك الغرض الذي قصد أن يخدم به

الفلسفة وغيرها من العلوم ، فأخذ يصنّف المفاهيم ، فوجد أنّ المفهوم إمّا أن يكون جزئيّاً ، وإمّا أن يكون كليّاً ؛ لأنّه إن أمتنع عند العقل فرض صدقه على كثيرين فهو جزئيّ ، وإلا فهو كلّيّ ، فالكلّيّة هي إمكان فرض الأشتراك في المفهوم ، والجزئيّة هي أستحالة هذا الأفتراض

ثم وجد أنّ كلّ كلّي اذا قورن مع كلّي آخر ، فإمّا أن يتفارقا كلّيّاً ، فلا يتصادقان على واحد ، كالماء والنار والسواد والبياض والنقطة والخطّ وإمّا أن يتصادقا تصادقاً كلّيّاً من الجانبين ، كالإنسان والناطق (أي المدرك) والضوء والشعاع ، فإنّ كل ما يصدق عليه أنّه إنسان يصدق عليه أنّه ناطق ، وكل ما يصدق عليه أنّه ناطق يصدق عليه أنّه إنسان . وإمّا أن يتصادقا كلّياً من جانب واحد فقط ، كالإنسان والحيوان والنار والحرارة والبخار والماء ، فكلّ ما يصدق عليه أنّه إنسان يصدق عليه أنّه حيوان ، ولا عكس . وإمّا أن يتصادقا في البعض دون الكلّ ، كالإنسان والأبيض ، فيجتمعان في الإنسان الأبيض ، ويفترق الإنسان عن الأبيض في الإنسان الملوّن ، ويفترق الأبيض عن الإنسان في الثلج مثلاً

فلا تخرج الكلّيات عند مقارنتها بعضها ببعض عن هذه الحالات الأربع ، وقد أسموها النسب الأربع

ثم وجدوا المفاهيم إمّا ذاتيات ، وإمّا عرضيات ؛ لأنّها إن كانت مستقلة في وجودها ومفهوميتها فهي ذاتيات ، كالجسم . وإن لم يكن لها أستقلال في وجودها ومفهوميتها ، فهي عرضيات ، كالسطوح والخطوط والنقط الهندسيّة

ثم وجدوا أن الكلّيّات إمّا أجنـــاس ، والجنس هو ما يصدق على مختلفي الحقائق والماهيات ، فهو مشترك في ماهيات مختلفة ، كالحيوان الذي يصدق على الإنسان والبقر والخيل والإبل ، وهي مختلفة في ماهيّاتها وإمّا أنواع ، والنوع ما يصدق على متّفقي الحقائق ، فهو مشترك في ماهيّات متّفقة ، كالإنسان ؛ فانّه يطلق على زيد وخالد وبكر ، وكلّهم متفقون في الماهيّة والحقيقة . وإمّا فصول ، والفصل كلّيّ يدخل في الماهيّة ، فيميزها عن غيرها من

الماهيات ، أو يقسمها ، فهو علّة لحصة النوع من الجنس ، كالناطق ؛ فانه اذا ضمّ الى الحيوان كوّن ماهيّة خاصّة ، واُستقطع نوعاً من الجنس ، فكان الإنسان ، فهو حيوان ناطق . وكل من الجنس والنوع والفصل ، كلّيّ ذاتي وإما عرضيّات ، والعرض ضد الذاتي ، وهو إمّا عامّ ويسمى العرض العام ، وإما خاصّ ويسمى الخاصّة كالضاحك والكاتب للإنسان .

واُستخلصوا من كل ذلك قواعد ثابتة يرجع اليها في تعريف الأشياء تعريفاً صحيحاً دقيقاً ، يصيب الواقع ، ويصوّر المعرّف بصورته التي يتميز بها عن غيره تميزاً جامعاً مانعاً ، بحيث ينفرد عن غيره في التصور ، ويجمع حقيقته وماهيّته ، كما يصور الرسام الشيء بحيث يتميز وينفرد عن غيره بالرؤية والمشاهدة

وهذا الوصف الخطير للتعريف ، إنّما هو بالنسبة للأشياء الطبيعية ، أي التي تدخل تحت سقف الطبيعة من الموجودات ، وما يتخيله الإنسان في ذهنه على غرار مواليد الطبيعة .

أمّا ما وراء الطبيعة ، فلا شأن للمنطق به ؛ لأنّه لم يبن قواعد التعريف إلّا على الموجودات الطبيعية ، وما ألحق بها من المخيلات . وقد يستعان بهذه القواعد على تعريف الموضوعات الاُسميّة التي لاظلّ لها في الطبيعة ، كتعريف الفاعل في النحو ، والصفة المشبهة في الصرف ، وهكذا سائر المصطلحات في العلوم الاُخرى . ويسميها المنطق التعاريف الاُسمية .

وأمّا الشطر الثاني من الغرضين المهمين والاُصلين الخطيرين اللذين بحثهما المنطق ، فهو الدليل وما أعظم موقع الدليل في العلوم كافةً ! إذ به تقرّر الحقائق ، وعليه تؤسس القواعد ، وعلى ضوئه تسير قوافل المسائل ، وبه يستقيم المعوجّ ، وعليه تبنى النتائج . (وفي الأرضِ آياتٌ للمُوقنين وفي أنفُسِكم أفلا تَعْقِلُونَ ؟)

والمنطق ، هو العلم الوحيد الذي فصل مفاهيم الأدلّة ، وبسط أبحاث أنواعها ، وأحكم قواعدها ، وبيّن تفاوتها من حيث القوة والمكانة . وقد أحاط بذلك بياناً وتفصيلاً ، وأحصاه عدّاً

نظر الى الأدلّة من حيث التحليل ، فوجد أن الدليل لايخلو من أن يكون مؤلفاً من قضايا ،

أي أقوال ، متى سلّم بها تولّد عنها لذاتها حتماً قولٌ آخر ، أي قضية جديدة يسلّم بها ، تسمى (النتيجة) ، وهي المطلوب من الدليل ، وقد كانت قبل الدليل دعوى مجردة وما الدعاوى الهندسية ودلائل إثباتها إلّا من هذا القبيل وكذلك كلّ دعوى من أحد إذا أقام الدليل على إثباتها فمن أدّعى أن العالم حادث ، فأورد قضية مسلّماً بها وهي (العالم متغيّر) ، ثم أورد قضية أخرى مسلّماً بها وهي (كل متغيّر حادث) ، ثم رتّب القضيّتين على شكل من الأشكال التي أثبتها المنطق ، فإنه يتولد منها حتماً قضيـــة أخرى يسلّم بها ، هي النتيجة ، وهي (العالم حادث) ومثل هذا الدليل يسميه المنطق (القياس)

وإمّا أن يكون أُستقراءً والأُستقراء هوتتبع الجزئيّات ، وتصفحها ، لإثبات حكم كلّيّ . ومن أمثلة ذلك أنّ علماء الحيوان أستقروا ضروب الحيوانات ، فوجدوها تحرّك فكها الأسفل عند المضغ ، فقرروا حكماً كلّيّاً هو « كلّ حيوان ، يحرك فكّه الأسفل عند المضغ » وما دليلهم في هذا الحكم إلّا الأُستقراء ، والأُستقراء يستبطن قياساً منطقياً في الذهن وكذلك قول النحاة « كلّ فاعل في كلام العرب مرفوع » ، فإنهم بنوا حكمهم هذا على الأُستقراء .

وإمّا أن يكون الدليل تمثيلاً ، أي حمل الشيء في الحكم على حكم ضريبه ، وبتعبير آخر حمل النظير على النظير في الحكم وهو ما يسمّيه الأُصوليون (القياس) ، فقد حكموا بالحجر على السفيه ، حملاً له في هذا الحكم على من لم يبلغ الحلم من الناس ، لاشتراكهما في العلة ، وهي ضعف العقل والتمييز . والتّمثيل ، كالأُستقراء ، يستبطن قياساً منطقيّاً في الذهن .

فالدليلُ إمّا قياس ، أو أُستقراء ، أو تمثيل وأهمّها القياس

وبعد أن رتّب هذه الأدلّة الثلاثة ، وأوضح مفاهيمها ، رجع إلى أقواها عنصراً ، وأوسعها مجالاً ، وأهمّها مقاماً وهو القياس ، فنظر اليه نظرة قاصد ، وبحثه بحث فاحص من ناحيتيه : ناحية شكله وصورته ، وناحية مادته وجوهره ، فصوره على أربع صور ، أو أربعة أشكال ، أعلاها الشكل الأُول وأدناها الشكل الرابع ، راسماً شروطها وما تتمخض عنه من النتائج اللزمة . وهي أشكال تكاد تكون رياضيّة عامّة مضبوطة ، لايشذ عنها من أفرادها شيءٌ

وإنّي أضرب مثلاً صغيراً سهلاً على أحد هذه الأشكال الأربعة للتوضيح :

اذا أردت أن أثبت لمناظري أن السطوح لا تخرج عن كونها مستقيمة أو منحنية أو منكسرة ، أستخلص منه أولاً تسليمه لي بأن السطوح مؤلّفة من الخطوط ، ثم أحصل منه تسليمه لي بأن الخطوط لا يخلو أن تكون مستقيمة أو منحنية أو منكسرة ، وأن العناد بين هذه الأقسام الثلاثة حقيقي ، ثم أرتّب الشكل بحسب قواعد المنطق على الوجه الآتي :

كل السطوح مركّبة من الخطوط ، وكل الخطوط لا تخلو من أن تكون مستقيمة ، أو منحنية ، أو منكسرة وتسمى القضية الأولى « الصغرى » ، وتسمى الثانية « الكبرى » . ثم أحذف المكرّر في الصغرى والكبرى ، فتنتج قضية جديدة ، يسلّم بها حتماً ؛ لأنها ناتجة من قضايا مسلّم بها . وهذه القضية هي : كلّ السطوح إما مستقيمة ، أومنحنية ، أو متكسرة ، وتسمى النتيجة . وقد كانت دعوى مجردة قبل ترتيب الشكل .

وكذلك اذا قلنا : العالم متغير ولا شيء من التغير بقديم ، وهما قضيتان مسلّم بهما ، تكون النتيجة لا شيء من العالم بقديم . وليس هنا موضع تفصيل هذا البحث وشرحه ، فيطلب ذلك من مطوّلات كتب المنطق ومن قاعات البحث والتدريس

والقياس ، أي الدليل بالنظر الى مادته التي يبنى منها ، خمسة أنواع : البرهان ، والجدل والخطابة ، والمغالطة ، والشعر وعمادها في العلوم وتفصيل الحقائق ، البرهانُ . (قُلْ : هاتوا بُرْهانَكم إنْ كُنْتُمْ صادِقينَ) (ومَنْ يَدْعُ معَ اللهِ إلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لهُ بهِ) .

والبرهان ، هو ما يتألّف من الأمور اليقينية وهي ست :

أ — الأمور الأوّليّة الثابتة بالبداهة يحكم بها العقل بمجرّد تصوّر المبتدأ والخبر ، أو ما يسمى الموضوع والمحمول ، ولا يتوقف على واسطة ، كقولنا : الواحد نصف الاثنين ، والكل أعظم من الجزء

ب — المحسوسات ، وهي ما تدرك بمجرّد الحسّ بها ، كقولنا النار محرقة ، والقمر مضيء ، والورد طيب الرائحة .

ج — والتجربيات ، وهي التي يحتاج العقل في الجزم بها الى تكرّر المشاهدة ، ولم تؤسس المختبرات في الجامعات وغيرها إلاّ لهذا الغرض

د — الحدسيات ، وهي التي ينتقل الذهن بها من المبـــدأ الى المطلوب أنتقالاً بأقصى حدود السرعة متصفحاً معلوماته المخزونة بسرعة البرق ، أي بطاقة إيحائية سريعة جداً . وهذا الإيحاء السريع ، هو الفارق بين الفكر أي النظر ، وبين الحدس ففي الفكر يتدرج الذهن في تحصيل المبادىء في المعلومات المخزونة لديه بعد تصوّر الدعوى فيحصل على قضايا ، ثم يأخذ منها ما يناسبه فيرتبها تدريجاً ، فتحصل النتيجة المطلوبة بعد هذا الترتيب ، وفي الحدس ينتقل الذهن من المبدأ الى المطلوب دفعة ماراً في هـــذا الانتقال بمعلوماته المخزونة لديه بأسرع من الضوء ، كالحكم بأنّ نور القمر مستفاد من نور الشمس ، فان الذهن بمجرد إدراكه تشكّلات القمر المختلفة وتنقله في معلوماته بالسرعة المذكورة ، ينتقل الى هذا الحكم دفعة

هـ — المتواترات ، وهي التي يحكم العقل فيها بواسـطة السماع عن جمع كثير لا يجوّز العقل تواطؤهم على الـكذب

و — النظريّات ، وهي المجهودات المـكتسبة بواسـطة المعلومات بطريق إعمـال الفكر والنظر

فالقياس المبنيّ على أحد موادّ هذه الأمور الستة ، هو برهان

والبرهان ، يحقّق اليقين الذي تجزم به العقول السـليمة والنفوس المطمئنة الزكية ، وهما ميزان الحقائق في الـكون . (إنّ في ذلك لآياتٍ لأولي الألباب . يا أيّتها النفسُ المطمئنّـة أرْجعي الى ربّك راضيـةً مرضيةً ونفس وما سوّاها فألْـهمَـها فُجُورَها وتقواهـا ، قد أفلح من زكاها ووضع الميزانَ ألاّ تطغوا في الميزان . وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) .

أمّا العقول المريضة والنفوس الأمّارة ، فلا يعوّل عليها في أستخلاص الحقائق ودفع الشبهات ؛ فإنّها كالأجسـام المريضة ، لا يعوّل عليها في مواطن الجدّ والدفاع . والأمراض

كما تعرو الأجسام تعرو العقول والنفوس ، بل إن داءها عضال أشدّ أثراً وأعمق تأصلاً من أمراض الأجسام

وأما الجدل ، فهو القياس ، أي الدليل ، الذي تبنى مادته من أمور مشهورة عند الناس ، أو مسلّمة عند الخصم ، ومن دون نظر الى الواقع والحقيقة ، أي الى كونها صادقة أو كاذبة ، فهو دليل ، يقصد به مجرد إلزام الخصم من دون التفات الى استظهار حقيقة ، أو إثبات حق (ولا تجادلوا أهلَ الكتاب إلاّ بالتي هي أحسن) .

والخطابة ، دليل يتألّف من أمور مقبولة لمجرد كونها صادرة ممن يعتقد فيهم الصدق ، أو في أمور مظنونة . وهذا الدليل ، هو الوسيلة السهلة المؤثرة في السواد الأعظم من الناس في نشر المبادىء والآراء والعقائد والمذاهب وقلب الخطوط الاجتماعية ، وهو عماد الخطباء والوعاظ .

وأما الدليل الشعري ، فهو ما يتألّف من المخيّلات ، أي من قضايا مخيلة ، توقع النفس في الخيال لتتأثر أنبساطاً أو أنقباضاً ، وتصير مبدأ فعل أو ترك ، ورضا أو سخط ، وبتعبير آخر لتثور فيها الرغبة الى فعل شيء أو تركه ، وأستحسان أمر أو أستقباحه . وقد تكون هذه الرغبة جامحة بحسب تأثير التخييل ورسم الصورة المخيلة في الذهن

قالوا : ولهذا تفيد الأشعار في الحروب ، وعند الاستماحة والاستعطاف ، فلا يفيد غيرها ، فان النفس أطوع الى التخييل منها الى التصديق ؛ لأنه أغرب منه لديها ، فتلذّ به ، فان الغرابة في الشيء تؤثر في النفس تأثيراً عميقا قد يؤدي الى البكاء المر ، أو القهقهة في الضحك ، أو الوجوم المغلق ، أو الانطلاق الفاضح ، ونحو ذلك من المعاني النفسيّة التي لا تحصى

والوزن ، ليس بشرط في الشعر المنطقيّ ، بل كلّ ما يحدث في النفس أنبساطاً أو أنقباضاً ، أو نقول : كلّ ما يكيف النفس ، فهو شعر . وكذلك النغم والإيقاع والصوت ، فليس شيء من ذلك يدخل في عناصر الشعر . ولكنها تزيد في تأثير الشعر في النفس ، فالنفس كالبحر الساجي : يحركه النسيم ، ويضطرب كلّما تحركت الرياح عليه رُخاءً أو زعزعاً ، ويثور إذا جرت عليه العواصف فالشعر الموزون يحرك النفس

وإذا اُقترن الوزن بالنغم ، اُشتدت حركة النفس ، وهاجت كوامنها وإذا صقلته الأصوات ، ثارت به النفوس ثورة عنيفة قد تُودي بصاحبها

وفي قصص العُبّاد العاشقين والعشّاق الهائمين ، أمثلة كثيرة على ذلك قال الشيخ عبد الغنيّ النابلسيّ :

لا تلمني ، إنّ السماع يقيت	وهـو يحيي بطيبه ويُميت

وإذا اُشتبكت الأصوات برنين الأوتار ، فهنالك ثورة النفس الكبرى الجامحة . قال بعض الأدباء : « من لم يتأثر برقيق الأشعار ، تتلى بلسان الأوتار ، على شطوط الأنهار ، في ظلال الأشجار ، فهو جلف حمار »

ويختلف الشعر تأثيراً باُختلاف ما يرسمه الشاعر في مخيلة السامعين . وهو لا يقل في ذلك عما يرسمه الفنان بريشته على ألواحه .

وأنا أختم كلمتي بمثالين من ذلك ، أحدهما لشاعر مبدع عظيم هو السيد الرضي ، والثاني لاُمرأة من عامة الشعب عبث الحزن المبرّح بروحها ، وعضت آلامه قلبها المتأكل

قال الرضي :

ولقد مررتُ على ديارهم	وطلولُها بيدِ البِلى نهبُ
فوقفت حتى عجّ من سَغَبٍ	نضوي ، ولجّ بعَذْلِيَ الرَّكْبُ
وتلفتت عيني ، ومذ خفيت	عني الطُلول تلفَّتَ القلبُ

وقالت بنت الشعب الحزينة بلغتها الدارجة :

شِنْ هل طَحِنْ بلا صوت	بس ايديخ اديّر
أطحن بكاي الروح	ما أطحن شعير

فمن تمعن في هاتين الصورتين الخياليتين اللتين رسم أولاها إمام الشعراء ، ورسمت أخراها بنت الشعب ، يدرك مدى أثر الشعر في النفوس وما يخلفه في القلب من جروح ، أو اُنفتاح واُنطلاق في الروح ؟

منير القاضي

كاتب الدولتين النورية والصلاحية (١)

سير النبهاء من أهل كل علم أو فن أو صناعة — وتدخل فيها أفكارهم وأعمالهم ومذاهبهم في الحياة — أمثلة حية خالدة ، تفنى صورهم وأشباحهم بالموت وهي باقية ببقاء الأكوان .

تجد مواكب الإنسانية فيها سر انتظام معايشها فتجد في طلبه ، فاذا أدركته وتمثلته في أعمالها عاشت به

وفي سيرة كل نابه أو عظيم ، سر من أسرار الخلود تحيا به ، كسر الحياة في النواة

فكما أن النواة اذا غرست وتعهدها غارسها بالسقي والتربيب تعود شجرة وتعطي ثمرة ، فكذلك السر الكامن في سير النبهاء اذا بحث وكشف عنه ودل عليه ، استطال ممثله في الأذهان ، وأشرقت صورته في الألباب ، وعاد الى عالم الأحياء قوة محركة ، وروحاً موجهاً ، وعملاً دائباً في صور مختلفة وأشكال شتى

وهي ، مهما تطاول عليها الزمن ، صالحة للبحث والإثارة والنظر في كل زمن ؛ لأن عناصرها جواهر وليست بأعراض ، ولأن أصولها إنسانية خالصة ، وأعيانها قائمة بمعانيها الجميلة . ولولا ذلك ، لماتت بموت أصحابها كما يموت كل إنسان اعتيادي لاخطر له في الحياة ، كهؤلاء الذين عناهم شاعر العصر أحمد شوقي حين قال :

وقد يموت كثير لا تحسهم   كأنهم من هوان الخطب ما وجدوا

والعظمة مراتب ودرجات مختلفة ، لاشك في هذا ، ولها مظاهر متعددة بتعدد المجالي التي تبرز فيها في شكل من الأشكال وعلى صورة من الصور . وهي ليست قرينة أرباب القوة والسلطان دون غيرهم كما يتخيل معظم الناس ، بل لعلها في منأى بعيد عن معظم أرباب القوة والسلطان في جميع العصور ، وتبدو للمتأمل المدرك قوية واضحة في أشباح المغمورين (١) (عند

---

(١) محاضرة ألقاها الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب الرئيس الأول بدار المجمع في ٣١/١١/١٩٥٦ م

العامّة وأشباه الخاصّة) : من أرباب البلاغات والفنون والعلوم ، ومَنْ إليهم من الرجال الموهوبين الذين هم — في حقيقة الأمر — عصب المجتمع ، وقوام كيانه واستمراره .

إن مقياس العظمة الحق عند المفكرين ، هو الإنتاج النافع ذو الأثر البليغ في ناحيةٍ ما من نواحي الفكر والعمل والحياة ؛ لأنه هو الباقي الخالد بعد الموت واختفاء الأشباح والصور ، وما عداه فلا قيمة له ؛ لأنه بهرج خدّاع زائل ، مثله كمثل السراب في الأرض اليباب ، أو الفُقاعات التي تظهر فوق متون الشراب فلا تلبث أن تتلاشى

وفي سيرة كل نابه سرٌّ من أسرار القوة والحياة ، تجده بادياً في تراثه العقلي أو العملي ، وفيما أفاد به الإنسانية من خير باقٍ ممدود الظل وريف

إنّ التأريخ هو صنع النبهاء الموهوبين من الناس ، وتأريخنا حافل بِن سير النبهاء الموهوبين بروائع ما كان ليكون تأريخاً حيّاً جيلاً لولا وجودها في مضطربه الواسع البديد ، فهي موجدته حقّاً ، وهي المؤثرة في سيره واتجاهاته

في تأريخنا نوابغ لاعداد لهم في جميع شؤون الفكر والحضارة ، غير أنّنا نجهل حقائقهم ؛ لأنّنا مشغولون عنهم ، ولأنّ ما كتب عنهم في القديم لايجلو صورهم الحقيقية ، فمعظمه نُبَذٌ قصار متفرقة متفككة ، وكتُب التراجم العامّةُ التي تترجم لهم هي كالفهارس التي تصنع للكتب ، تدلّ على الفصول ولا تشرح الحقائق . ولست أذكر أنني وقعت فيها على اسم نابه ، إلّا وجدته في استقراء آثاره أكبرَ مما تذكر من أمره أضعافاً مضاعفة .

فاذا زعمت أن تأريخنا عامّةً ، وتراجمَ الرجال منه خاصّةً ، لم يكتب بعد ، لم أبعد . وإلّا ، فأين الكتب الممتازة التي تجلو عبقريات الآلاف وآلاف من رجال الفكر والأدب والعلم والفن من العرب والمسلمين في مدى أربعة عشر قرناً ؟ وأين السير الخوالد التي توحي إلى قرائها المعاني النبيلة ، وتحدوهم على الفضائل ، وتطبعهم على عشق العلم والعمل والإنتاج ؟

ليست كتب التأريخ والسير كتبَ تسلية وإيناس ، ولكنها كتب عظات وعبر تُساق فيها الأخبار لانتزاع القدوة والأمم الضعيفة المتيقظة التي تفتقد القدوة في الأحياء

فلا تجدها ، لامناص لها من التماسها في سير صاغة التأريخ .

وليس يَعني أمثالَنا من مراجعة التاريخ أو كتابته أمر أجل من هذه الوجهة النفسية ، وكلّ ماعداها من الجمع والرواية والنقل ، فنوافل وزوائد وإضاعة للعمر : عمر الكاتب وعمر القاريء معاً ، وويحٌ للتأليف من ثرثرة الجمّاعين ! وقرقرة الفارغين !

* * *

وسيرةُ عماد الدين القُرَشِيّ الأصبهانيّ الكاتبِ — كاتب الدولتين النوريّة والصلاحيّة في القرن السادس الهجريّ — من السير الموحية ، فهي خليقة بأن تدرس وأن يثار الكلام عليها من الناحية التي يجب أن يصاغ عليها تأريخ الرجال دون غيرها .

وهي في كتب التراجم العامّة ، ولست أغمط فضلَ هذه الكتب ، كأمثالها من سير مَنْ هم أكبر شأناً وأعظم قدراً من عماد الدين ، باردةٌ لاحرارةَ فيها ، وجامدةٌ ليس بها روح يتحرك .

قيل : إن العماد كانت به فترة اذا نُظِر اليه ، وجود في النظر والكلام ، فاذا أخذ القلم جاء بالعجائب نثراً وشعراً ، إذْ كان كالزناد ظاهره بارد وباطنه فيه نار كما وصفه صفيّه القاضي الفاضل وزير الدولة الصلاحية وأديب عصره المظيم

وأقول : وددت لو أن كتب التراجم العامة هذه جانبت في رجمتها له ولنبره ، ما بها من مثل فترته وجوده الظاهر ، وقبست من باطنه قبساً يشيع الحرارة في النفوس ، ويذيع النور في العيون .

* * *

تعجبني في « شخصيّة » العماد الكاتب مظاهر أربعة : نشاطه الذهني ودؤوبه العلمي العجيب طلباً للكمال ، ثمّ بُعد همّته وإكثاره من الأسفار بين البلاد في شبابه وكهولته وشيخوخته ابتغاءً لحظوظه من الدين والدنيا ، ثمّ مشاركته القويّة للدولة في الحرب الهجومية الدفاعية العظمى بين الغرب والشرق ، ثمّ إنتاجه وحرصه الشديد على تقييد خواطره وأفكاره

شعراً ونثراً وتخليدِهِ التأريخ السياسيّ والحربيّ والثقافيّ لعصره في الأسفار الروائع الضخام ، وهي كلها عناصر موحية وموجّهة ، لو أراد كاتب روائي من كتّاب العصر أن يتخيّل صورة حية قويّة جامعة للفضائل ، ليتّخذ منها قراؤه قدوة صالحة لحياتهم ، لما اتّسع خيـاله لصورة أجمل من هذه الصورة الجامعة لأنبل الخصال والفضائل ، ولما جال قلمه في مطالبَ أمثلَ من هذه المطالب العالية التي تتمثل قويّة جميلة في سيرة العماد

ولقد أعانت العماد على تكوين « شخصيته » هذه ثلاثة عوامل :

أ) نفسه ،

ب) أسرته ،

ج) دولته

وعنـدي أن العامل الأوّل هو مكوّن « الشخصية » الفعليُّ لكل نابه أو عظيم ، وقديماً قال بعضُ العرب :

نفسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصاما   وعلّمتهُ الكَرَّ والإقـداما

أمّا العاملان الآخران ، فهما عاملان مساعدان على شيء من زيادة الظهور أحياناً ، ويهونُ الخطب اذا عُدِما مع وجود الأول .

أ) وكانت نفس العماد نفسـاً عِصاميّة ، لا تتعلق بعظاميّة الآباء ، وكلُّ نفوسِ العصاميّين هي كذلك ؛ لأنها تملك قوة الاعتداد عواهبها ، فتستشعر الغنى عن الاستعانة على الظهور بقوة غيرها وإن كانوا آباءهـا ، ولا يَعنيها ما يفوتها من سناد البيت أو الدولة كما يَعني ذلك الفقراء من المواهب الذين يلتمسون بناء « الشخصية » بالاتّكاء على رميم الأموات ، أو بالاعتماد على بهارج السلطان .

يحسّ العصاميّون لوجودهم « شخصيّة » مستقلّة ، ويَشْعُرون شعوراً حاداً أنهم ـ بما يملكون من قوّة النفس والسليقة والعَزيمة ـ غنيّونَ عن طلب البهرج الكاذب ، من جاه الأموات أو جاه المناصب ، فيرتفعون بأقدارهم عن الصَّغار ، ويمتزّون في بناء « الشخصية »

عما يحسنون إبداعه وتخليده من جميل الأفكار وجليل الأعمال .

وأولئك يشمرهم « مركّب النقص » فقرَ أنفسهم ، فيلصقهم بالرّغام ، وإذا هم يطلبون غناها ممن جاه الأموات أو جاه السلطان وقد يظفرون بالكثير من جاه السلطان حين تزيف الأوضاع وتزيغ الطباع ، ولكنهم لا يرون أكبر مما هم في حقيقة أنفسهم ، ولا يجديهم ما حصّلوه من الشارات والرتب في إثبات « الشخصية » بين الموجودات .

ويعجبني من العماد ، وهو من أبناء الأسر الرفيعة ، أنه تناسى ما حفّه من علوّ النسب والحسب وجاهِ البيت والثروة ، وسمت همته الى خَلْق المجد لنفسه بنفسه على قدر ما تهيّأ له منه في مزدحم الحياة

هذه النفس العصاميّة القويّة ، هي أعظم ما أحببته وأكبرته وعظمته منه ، وهي مفتاح « شخصيته » ، بل هي وحدها موجدة « شخصيته » ومكوّنتها على ما سنرى من ملامح سيرته .

ب) وأسرة العماد ، من الأسر العريقة بأصبهان في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، تميّزت بالرئاسة والسؤدد والفضل والكتابة . وظاهرُ الحال أنّها أسرة فارسية ، وقد كنت إخال ذلك حقيقة مسلّماً بها ، إذ كان جميع من ترجموا لرجالها من المؤرّخين قد أضافوهم الى أصبهان ولم يتعرضوا لغيرها من صلاتها ، فكأنهم وجدوا في هذه النسبة الى هذه المدينة الفارسيّة العريقة ما يدل على الأصل الذي تنتمي اليه ، فاكتفوا بالتلميح عن التصريح .

بَيْدَ أنّي وجدت مؤرّخاً واحداً ممّن وقفت على آثارهم من المؤرخين ، وهو ابن الفُوطي ، قد شذّ عن هؤلاء جميعاً ، فنصّ في ترجمته للعماد — في كتابه مجمع الآداب — على تعيين أصله ، فنسبه الى قريش ثم الى أصبهان . وابن الفوطيّ من أوثق المؤرخين وأكثرهم علماً بأحوال فارس ، لطول مُقامه فيها ، فاذا صح ما ذكره ، ولا إخاله إلا صحيحاً ، كانت هذه الأسرة في الصميم من النسب العربي .

ولست أجد في هذا غرابةً ، فان هجرة القبائل العربية بعد الفتوحات الإسلامية في الشرق

قد أمتدت الى الصين، وتوطن كثير من الأسر العربية العريقة بلاد فارس وغيرها، ما قرب منها وما بعد، وأصهروا الى الأقوام التي دانت بالإسلام، وكانت لأجيالهم من بعدهم خؤولة في الأمم المفتوحة

ومن النوابغ الكبار في هذه الأجيال العربية الفارسية : أبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني، والأبيوردي الشاعر المشهور صاحب النجديات والعراقيات، وهما أمويان في الصميم من أمية بن عبد شمس؛ وبديع الزمان الهمذاني الكاتب البليغ وخؤولته في مضر، والأرجاني الشاعر وسلفه القديم من الأنصار، وغيرهم كثير جداً .

فليس ما ذكره ابن الفوطي من نسب أسرة العماد في قريش ببعيد عن الصدق، وإن انفرد بروايته بين المؤرخين

وقد ظهرت هذه الأسرة في العهد السلجوقي وكانت وثيقة الصلة بالدولة، فتقلب رجالها في الإدارة والسياسة، وكان من خصائص رجالها التثقف بالثقافتين العربية والفارسية ويظهر من استقراء أحوالهم أن العناية بالآداب العربية ورواية الشعر العربي وقرضه أيضاً، كانت عزيزة عند قدماء رجالها .

فقد وجدت جد العماد أبا الرجاء حامد[1] بن محمد يحفظ على ما ذكر سبط ابن الجوزي شعرَ البحتري ودواوينَ العرب وحفظُ شعر البحتريّ ودواوين العرب ممتنع عقلاً، فكأن السبط بهذه المبالغة أراد أن يذكر مبالغة أبي الرجاء في التوفر على الشعر العربي مبالغة استوفى بها حظه من البلاغة العربية والذوق الشعري، حتى تسنى له أن يقرض الشعر الجيّد . ومما رُوي له قوله، وقد ظرف في البيت الثاني منه :

تولّى الجهلُ وانقطع العتابُ ... ولاح الشيبُ وافتضح الشبابُ

لقد أبغضت نفسي في مشيبي ... فكيف تحبّني الخود الكعابُ ؟

كذلك وجدت عمه أبا نصرٍ المستوفي المعروفَ بالعزيز شاعراً فصيحاً، وكان الى ذلك

---

(1) في مرآة الزمان هو عم العماد، والصحيح جده

جواداً ممدَّحاً ، ووزيراً خطيراً ، أختص بالسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، ودبّر قوانين الوزارة ، وأرتفع شأنه في الدولة ، ثم عملت الوشايات عملها في إسقاطه ، فقبض عليه السلطان محمود بهمذان ، وصادره على أمواله ، وأعتقله ، ثم أعاده الى سابق حاله ، ثم قبض عليه بالعراق فحبسه في قلعة تكريت وكان الأمير نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وأخوه الأمير أسد الدين شيركوه ، متولّيَيْ أمر القلعة ، فدافعا عنه ، فما أجدى دفاعهما ، فخُنق في الحبس ، وقيل سُمَّ ، وقيل قتل

وقد كان العهد السلجوقي الذي نبغت هذه الأسرة في ظلّه من عهود الأضطراب ، وفي عهود الاضطراب قلّما يعلو شأن أسرة أو فرد ويسلم من المحنة والبلاء ، ولذلك رأيت رجالاً آخرين من رجال هذا البيت يصادرون على أموالهم ، ويعتقلون أيضاً ، ومن هؤلاء : صفي الدين والد العماد ، وضياء الدين عمه

ويذكر العماد أن الخليفة الراشد بالله قد أستدعى أباه ليوليه الوزارة ، فتعلل عليه ، قال « وكانت الخيرة فيه » ، وذلك لهوان أمر الوزارة ولما كان يتعرض له الوزراء من سوء البلاء . ولكنه مع رفضه للوزارة حاق به الشر من حيث فرَّ منه ، فصودر وأعتقل . فلّما أطلق ، خاف من مُقامه بأصبهان ، فخرج بأهله الى العراق طلباً للأمن والسلامة ببغداد

لا جرم أن العماد قد ورث من آبائه صفاتهِ النفسيّة وكثيراً من خصالهم ، وأن عصاميّته قد جذبته الى أنتهاج مسلك أسرته في الرئاسة والسؤدد والكتابة ، فأفادته ما أستمتع به من بعدُ من حظوظ الدنيا في أكناف الدول التي عاصرها في العراق والشام ومصر .

ج) وهو قد خدم ثلاث دول من الدول الإسلامية في القرن السادس : دولة الخلافة العباسيّة ببغداد ، ثم الدولة النوريّة بدمشق ، ثم الدولة الصلاحيّة التي أستخلفت الفاطميين على مصر والدولة النوريةَ على بلاد الشام وأمتدَّ ملكها من ديار بكر الى اليمن فكانت صفته الرسميّة فيها عاملاً مساعداً في بروز « شخصيته » من غير شكّ ، ولكنني أرى أنه أفاد هذه الدول أكثر مما أفادته ، إنها أعطته المناصب والثراء وهي متع زائلة لا دوام لها ولا بقاء ،

وأعطاها هو بيانه الذي سجل مآثرها في الدواوين ، وخلّد رجالها بشعره ونثره ، ولهذا أستغلّته وعطفت عليه وأكرمته بالمناصب والثراء ، لتكسب بقلم مثله وجودَها التأريخي . وهكذا تتصرّف الدول الحكيمة مع الرجال الموهوبين ، بل هكذا يتصرف الأفراد الحكماء في كلّ زمان ، كالذي كان من صنيع هَرِم بن سنان المُرِّيّ مع زُهَيْر بن أبي سُلْمَى مثلاً وقد رُوي أن عمر بن الخطاب رأى أحد أولاد زهير فسأله : ما فعلت الحُلَلُ التي كساها هرِمٌ أباك ؟ قال : قد أبلاها الدهر ، قال عمر : ولكنّ الحلل التي كساها أبوك هَرِماً لم يُبلها الدهر - يعني قصائده التي مدحه بها

وأفاض سيف الدولة على المتنبي ما أفاض من أموال وهدايا حتى أنعل أفراسه بنعاه عسجداً ، ففني كل ما أعطاه إيّاه ، وبقيت قصائد المتنبي في مدحه وأوصاف حروبه مع الروم البيزنطيين دفاعاً عن الوطن العربي خالدةً سائرة على كل لسان منذ ألف عام ، وستبقى آلافاً من الأعوام ما بقي العرب والعربيّة على وجه الزمان

وقد أبلى الدهر كل ما كسبه العماد من العباسيّين ومن الدولتين النورية والصلاحية ، ودرست هذه الدول وجاءت بعدها دول وأمم ، ولم يُبلِ ما كساها به من حلل الخلود بكتبه وشعره ونثره .

* * *

تقوم « شخصيّة » العماد الكاتب على أربعة عناصر تميّزت بها حياته ، وبحسب المرء أن يتوفر عنده مثلها ليطمئنّ الى خلود أسمه في سجلّ الخالدين

١) أول هذه العناصر ، نشاطه الذهنيّ ودؤوبه على الطلب والتحصيل من لدن نشأته الى وفاته ، وهو قد عُمِّرَ ثمانية وسبعين عاماً وبلغ ما بلغ من المنزلة في العلم ورتب الدولة ولم يَرَ نفسه إلّا طالباً من الطلاب

وقد ولد في منتصف سنة ٥١٩ هـ بمدينة أصبهان ، وكان فيها منشؤه ومرباه الأول في صباه . وكانت أصبهان من أهمّ مراكز العلم في المملكة الاسلاميّة العظمى ، ثم أجتاحها في العصور

الوسط على موجة الفساد والخراب ، من دعاة الدعوة الباطنية القرمطية ، فرأى العماد أشياء من مقدماته وصوراً منكرة للفساد السياسي الذي تعرض رجال بيته لشره ، كما أدرك فيها أعقاب النشاط العلمي الحاد الذي تفردت به هذه المدينة الفارسية ، أو كادت . وقد وجد فيما سمعه من أخبار أعيان العلماء والأدباء وأئمة العربية الذين أخرجهم مدينته ، وفيما رآه من سيرة أهل بيته في السراوة والرئاسة والفضل والكتابة ، ما حبب اليه المثال الذي احتذوه في الحياة

وكان من سنة أهل بيته التبكير في تعليم أطفالهم وأخذهم بالسيرة العالية في العلم والأدب ، فدفعوه الى التعلم صبياً ، وأقرؤوه القرآن والحديث وهما يشربان قلب غلامهما حب التوحيد والوحدة ويجنبان المرء مزالق العصبيات المذهبية . وقد سمع العماد الحديث وهو في السادسة من عمره أو دونها ، سمع من الفراوي النيسابوري وابن الحصين وأجازا له ، وقد يلوح هذا شيئاً غريباً في زماننا ، ولكن إسماع الصغار كان مألوفاً في العصور القديمة تخريجاً للناشيء بآداب النبوة وتقصيراً للسند ، فقد سمع الحافظ ابن عساكر الدمشقي وابن الجوزي البغدادي وهما في مثل سن العماد ، وسمع الحميدي من كبار تلامذة ابن حزم الأندلسي وهو في الخامسة ، بل سمع أبو بكر بن شيرويه مسند خراسان وهو في الرابعة ، وهكذا غيرهم قبلهم وبعدهم .

كذلك أخذ العماد في صباه بتعلم الفارسية والعربية وهو في تعلم العربية مدين لبغداد أولاً وآخراً ؛ لأنه تلقاها أول ما تلقاها على أديب بغدادي كبير هو ابن الأخوة الشيباني ، أقام بأصبهان أربعين عاماً ، وكان العماد يشيد كثيراً بفضله وبأدبه وشعره .

ولما ورد بغداد مع أبيه ، وهو في السنة الخامسة عشرة من عمره ، انتظم في سلك طلاب المدرسة النظامية ، فثقف النحو واللغة والأدب ، وسمع الحديث ، ووعى الفقه على مذهب الإمام الشافعي لأنه مذهب أهل بيته ، وأتقن الخلاف والأصول ، ودرس العلم الرياضي ، واشتغل بحل أقليدس وأقام كذلك ثلاث سنين للتفقه في المدرسة الثقتية ، وحرص على اكتساب ثقافات عصره في جميع فروعها ، فلم يقف عند حدود ما يتلقاه في المدرسة النظامية والثقتية من شيوخه مع جلال أقدارهم ، بل كان يتعدى ذلك الى غيرهم من العلماء الفحول ،

والى حلقات المناظرات ومجالس الوعظ المتازة ، فيتتبّعها ويترصّد أوقاتها ، ليشهدها ، ويفيد منها العلم والرأي ومناهج الجدل بين العلماء ، هذا الجدل الذي بلغ الغاية من القوة والبراعة في عصره ، ويملّق ما يسمعه من الفوائد والغرائب في هذه الحلقات والمجالس

ثم هو بعد أن أنفق زمناً في التحصيل ببغداد ، عاد الى أصبهان مع أبيه في سنة ٥٤٣ ه في زيّ طلبة العلم ، واذا هو يواصل الدرس والتحصيل ، فيتفقّه بها على الخجندي والوركاني ولبث في أصبهان الى سنة ٥٥١ ه ثم قدم مع أبيه ثانية الى بغداد بنيّة توطّنها ، واذا هو يمضي في سيرته من الدرس والتحصيل ، وإذا هو في هذه المرّة ينصرف انصرافاً تامّاً الى الأدب ، ويتتلمذ لمثل الإمام ابن الخشّاب ناقد مقامات الحريري ، ويعاني الشعر والنثر فيبرع فيهما ، ثمّ يدأب على تجويدهما طوال حياته

ولم يأنف بعد علو سنّه وارتفاع مكانته من الاستفادة من كلّ إنسان يَشيمُ عنده بارقة فضل وأدب . فقد رأيته وهونائب الوزير بالبصرة سنة ٥٥٦ ه يقرأ كتاب المجمل في اللغة لابن فارس على أديب بصري يقال له ابن الأحمر التميمي ، ويسمع مقامات الحريريّ على ابن الحكيم عن الحريري ، كما يسمعها على ابن الحريري عن أبيه أيضاً ؛ لأنه وجده متقناً لمقامات أبيه متناً وشرحاً .

ورأيته قد قرأ دواوين كاملة على أصحابها أو غيرهم ممن يتقنها ، فقرأ على الشاعر الأمير أبي الفوارس المشهور بحيص بيص ديوانه ، وسمع جميع شعر القاضي الأرّجاني على ابنه ، عنه ، كما سمع على الأديب النابه النطنزي أكثر شعر أبي المظفّر الأُمَويّ الأبيوَرْدي بل رأيته ، وقد تقدمت سنّه وعلا شأنه في الدولتين وتصدر للإفادة والتدريس في مدرسة السلطان نور الدين الشهيد بدمشق وأقبل الناس على سماع الحديث عنه وتلقّي الفقه وغيره عليه ، يثابر على خطّته هذه من لقاء كبار الشيوخ للأخذ عنه والسماع منهم ففي دمشق سمع على الحافظ ابن عساكر بعض تأريخه الكبير وهو في ثمانين مجلدة ، وشيئاً من مؤلّفاته وفي مصر سمع بالإسكندرية ، وهو في حدود السبعين ، الحديثَ على الحافظ أبي طاهر السِلَفي ، وسمع الموطّأ للإمام مالك على ابن عوف الزهري المالكي ، سمعه عليه مع السلطان صلاح الدين الأيّوبي

وهذا دأب المطبوعين على حبّ المعرفة وأستكمال أسبابها ، يرون أنفسهم أبداً ناقصين فيسمون في تكميلها وتجميلها بحلية الفضل ، لا يأنفون من الأخذ عن كل ذي زادٍ من معرفة ، ولا تقعد بهم السنّ ولا سموّ المراتب ولا جلال الأقدار عن متابعة التحصيل وقد دلّت سيرة العماد في هذا الشأن على رجل مثالي في أقتباس أزواد المعرفة ، قليل النظراء في أعتكافه على الدرس والتحصيل

ب) وثاني عناصر شخصيّة العماد ، بُعْدُ همّتِهِ ، وإكثارُهُ من الأسفار بين البلاد في شبابه وكهولته وشيخوختِهِ ، طلباً للكمال ، وأبتغاء لحظوظه من الدين والدنيا ونحن إنما نكبر ذلك ، لأن السفر كان في عهده والى عهد قريب منّا قطعةً من سقر كما وصفه القدماء بسبب وعورة الطرق وبطءِ وسائل النقل البدائية ؛ والإكثارُ منه مع مشاقّه وأخطاره ، دليلُ علوّ الهمّة وسموّ المطمح وكانت مجالات أسفار العماد ما بين أصبهان ومصر ، ثم جنوباً الى الحجاز ، وشمالاً الى بادية الشام والموصل وسنجار وحلب وقد بدأها وهو أبن خمسة عشر عاماً ، وختمها قبيل وفاته بأيّام قليلة وهو أبن ثمانية وستّين عاماً .

وفي معنى تنقّله يقول :

يوماً بجَيّ ، ويوماً في دمشقَ ، وبالـ ... فُسطاطِ يوماً ، ويوماً بالعِراقَيْنِ
كأنّ جسمي وقلبي الصبّ ما خُلِقا ... إلا ليقتسما بالشوقِ والبَيْنِ

ولقد أفادته هذه الأسفار علماً بأحوال الممالك الإسلامية وسياسة دولها ، ووصلته بالملوك والأمراء والوزراء ، وكوّنت له علاقاتٍ أدبيّةً وعلميّة ممتازة

وكان من أسفاره ما أفاد به النجاة من الشرّ ، وهو سفره الأوّل مع أبيه من أصبهان الى بغداد طلباً للأمن والسلامة فيها ، مذ كان أبن خمسة عشر عاماً ، فأقام فيها عشرة أعوام أفاد بها علمه في المدرسة النظاميّة والمدرسة الثقتيّة وفي لقاء العلماء والشعراء ، الى أن رجع الى أصبهان في سنة ٥٤٣ هـ .

ومنها ما أدّى به فرضاً وشهد به منافع له ، وهو سفره في سنة ٥٤٧ هـ من أصبهان الى

الحجاز حيث حجّ بيتَ اللهِ الحرامَ بمكّة المكرّمة ، ثم عاد الى أصبهـان .

ومنها ما أفاد به علماً وغنى وجاهاً ومناصب ، وهي أسفاره في الأقطار العربية الكبرى : العراق والشام ومصر وذلك بعد عودته الثانية الى بغـداد في سنة ٥٥١ هـ مع أبيه بنيّة توطّنها . فانصرف في هـذه المرة الى التخصّص بالأدب العربي ، ومعاناة الشعر والنثر ، إذ كان يبتغي بالسيرة الأدبية الظفر بمناصب الدولة ، وكانت الدولة العباسيّة ببغـداد يومئذ لا تزال على ما سنّه لها الخلفـاء الأوائل من رعاية الأدباء المتازين ومن إسناد مناصبها الى البلغاء والكُفاة من أرباب المواهب العالية ، فاستقلّ بعلم الأدب ومعاناة صناعة الكتابة والشعر ، ليتّخذ ذلك وسـيلته الى تسنّم المناصب فبدأ صلته بالتقرب الى الخليفة المقتفي لأمر الله ، فمدحه بقصيدة رفعها اليه عقيب انكشاف كربة حصار بغداد برحيل السـلطان محمد بن محمود بن ملكشاه السلجوقي عنها ، وذلك ليَدُلّه على نبوغه وكفايته ، فولّاه الأعمال الجليلة ثم اختص بالوزير الخطير العلّامة المحدّث الفقيه عون الدين بن هُبَيْرَةَ الحنبلي ، فولّاه نيابته عنه في واسط وفي البصرة ولما توفّي ابن هبيرة مسموماً في سـنة ٥٦٠ هـ ، نكب العماد بالاعتقال في الديوان ببغداد مع من اعتقل من أنصاره عدّة أشهر . فلما عفي عنه ، لم تطب له الإقامة ببغداد .

فهجر العراق الى الشـام ليعيش في كنف الدولة النورية ، وسـلطانها يومئذ الملك العادل نور الدين محمود بن أتابك زنكي ، وكان من أجلّ ملوك الاسلام عقلاً وعدلاً وتدبيراً وجهاداً في سبيل الله فلقيه مدبّر دولته قاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري بالترحاب ، وأنزله بالمدرسة النوريّة الشافعيّة وكان هناك الأمير نجم الدين أيوب والد السـلطان صلاح الدين ، يعرف أسرته ، فلما سمع بمقدمه خفّ لزيارته ، فاهتزّ العماد لهذه الحفاوة ، فمدحه بقصيدة طويلة أولها :

يومُ النوى ليس من عمري بمحسوب ولا الفراق الى عيشـي بمنسوب

وكان أخوه أسد الدين شيركوه وابنه صلاح الدين يوسـف بن أيوب بمصر ، فبشّره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية ، وتمّ ملك صلاح الدين مصر بعد سنتين ، فكأنّ العماد نظم ما في الغيب تقديره فشكره الأمير ، وأحسن اليه وأكرمه ، وقدمه على الأعيان وميّزه ،

ووالاه العماد ، ووالى فيه وفي أخيه أسد الدين وابنه صلاح الدين أناشيده العذبة . وأفادته هذه العلاقة من بعدُ في مؤتنف أيامه ، إذ وصلته بالدولة الصلاحيّة ، وجعلته ثاني رجل فيهــا يتصرّف بسياسة البلاد ، وأوّلها الوزير المشهور بالقاضي الفاضل

أمّا السلطان نور الدين ، فقد ألقى سمعه الى ما حدّثه به وزيره الشهرزوريّ من فضائل العماد التي خبرها في مذاكراته له ، ومنها فقهه وبراعته في مسائل الخلاف والفروع ، وقدرته البالغة في الكتابة العربيّة والفارسيّة ، كما أصغى الى ما أنشده إيّاه من شعره في مدحه ووصف جهاده للفرنج ، فأعجب به ، ورتّبه في ديوانه منشئاً (لاستقبال سنة ثلاث وستّين وخمس مئة في مكان كاتبه شاكر بن عبد الله المعرّي الذي استعفى من الخدمة في كتابة الإنشاء وقعد في بيته) ثم علت منزلته عنـده ، فاعتمد عليه في خاصّ أسـراره ، وسيّره الى بغداد رسـولاً في أيام المستنجد بالله ثم فوّض اليـه تدريس المدرسـة النوريّة الشافعيّة ، فكان يتزاحم الفضلاء في حضور دروسه ، ثم ولّاه الإشراف على ديوان الإنشاء مضافاً الى كتابة الإنشاء .

وهكذا وجد على الأيّام منه الإعزاز والتمكين ، وبلغ منزلة رفيعة لديه . وقد ذكر أنه حضر رسل الخليفة المستضيء بأمر الله عنده ، وقد نصّوا على من يحضر في مجلسه ، وأغفلوا ذكر العماد ، فطلبه نور الدين ، وقام لقيام الرسل له لمّا حضر ، وقصد أن يعرفهم منزلته

ذلك ما ظفر به العماد في سفره الى دمشق فلما توفّي نور الدين رحمه الله واتّجهت حاشية خليفته ــ ابنه الصبي الملك الصالح اسماعيل ــ الى نسخ ظلّ العهد السابق ، وإبعاد رجاله بالإخافة والمضايقة ، ترك جميع ما هو فيه ، ولجأ الى السفر أيضاً .

فارتحل الى العراق خائفاً يترقّب ، مخلّفاً بلاد الشام وراءه نهبةً للمطامع : تتقسّم الأمراء نواحيها ، وتطمع الفرنج في غزوها وانتزاعها من أيدي أهلها

فما بلغ الموصـل ، حتّى مرض بها مرضاً شديداً ، فأقام ينتظر الشفاء ، ليستأنف السير الى بغداد ، أملاً في استعادة مجده الذاهب في ظلال الخلافة العبّاسـيّة فبلغه ، وهو في عقابيل الداء ، خروج السلطان صلاح الدين من مصر الى البلاد الشاميّة ، ليحفظها من الفرنج الذين كانوا

يتأهبون لغزوها فهاجه الطرب لقصده ، لسابق معرفته وقديم ودّه ، طامعاً في العودة الى مركزه القديم في هذا العهد الصلاحي الجديد فسار الى دمشق سالكاً اليها طريق الصحراء ، وأدرك السلطان في حمص وقد فتح قلعها ، فحضر بين يديه ، وأنشده مدحه وأطال فيه وأجاد ، ولزم السلطان يرحل برحيله وينزل بنزوله ، الى أن تم له ما أراده بمسعى القاضي الفاضل وزير السلطان وترشيحه وقد أُستند في هذا الترشيح الى كفاية العماد العالية في الأدبين العربي والفارسي ، وحاجة الدولة الى كاتب ورجان من طرازه وأفاء السلطان عليه من رعايته ، وركن اليه بأسراره ، فتقدّم الأعيان ، وضاهى الوزراء ، وأصبح الكاتب الثاني في الدولة الصلاحيّة ثم عاش ما عاش في خدمته مصاحباً له في حضره وسفره ، فكانت أسفاره معه ومع نور الدين الشهيد قبله لا تدخل تحت الحصر .

وأكبر ما يدلّ على أنعقاد قلبه على تعشق الأسفار ، تعلّقه بها وهو شيخ في عشرة الثمانين . وإذا أُستثنيت سفره ، وهو في هذه السن بعد وفاة السلطان ، من دمشق الى مصر ، فراراً بنفسه من عُدْوان ضياء الدين أبن الأثير الجزري وزير الملك الأفضل ، لأنه سفر أضطراري ألجأه اليه الخوف من الظلم والعدوان ، فلن أنسى خاتمة أسفاره من دمشق الى مصر أيضاً ، وبالعكس . وكان باعثه عليه في ذهابه الطرب والشوق ، وفي إيابه الفرار بالنفس من الموت بالوباء أو الجوع وهو قد سافر الى مصر بصحبة الملك الكامل محمد بن الملك العادل ، بعد أن أستأذنه بهذه الصحبة ، ليشهد حفلات إعراسه عؤنسة خاتون أبنة السلطان صلاح الدين ، وولايةَ أبيه الملك العادل على عرش مصر مكان الملك المنصور بن الملك العزيز بن السلطان صلاح الدين . فأقام فيها عدّة أشهر أجفل بعدها من الوباء والجوع اللذين حلّا بمصر فيمن أجفل من الخلائق حذرَ الموت الى المغرب والحجاز والشام واليمن ، وعاد الى دمشق في طريق مخوف جدّاً وهو ينوء بالسنين الثماني والسبعين ، وما كاد ينجو من الموت في مصر ثم من خطف الفرنج الذين وقفوا على ساحل البحر في فلسطين بطريق المجفلين المنكوبين ، ويبلغ دمشق منهوكاً مهدود القوّة ، حتى روّعته الزلزلة العظيمة الهائلة التي أُمتدّت في ساعة واحدة من صعيد مصر الى

أذربيجان ، فلم يلبث بعدها إلا أياماً ، وأدركته منيته في غرة شهر رمضان سنة ٥٩٧ هـ .

ج) وثالث عناصر مكونات « شخصية » العماد — مشاركته القوية للدولة والشعب في الحرب الهجومية الدفاعية التي ألهب أوارها على صعيد الشرق الأدنى بين الشرق والغرب مدى مئتي عام وهو قد عاش في ظلال الدولتين المجاهدتين : الدولة النورية والدولة الصلاحية ، اللتين نهضتا بوجه هذا العدوان البربري ، ربع قرن قضاه في تثبيتهما بلسانه وسنانه معاً ، إذ كان كاتباً للدولتين يصرف شؤونها الإدارية والسياسية ببراعته ، وجندياً مجاهداً مناضلاً من الطراز الأول يدفع عن الوطن موجات العدوان والبغي فيمن يدفع عنه من أبطال الكفاح المؤمنين .

شهد مع نور الدين حروبه مع الفرنج ، وشاركه في فتوحاته ، وطرب لانتصاراته فتغنى بها وببطولته ، ناظماً أوصافه الجليلة بأحسن لفظ وأرقه ، حتى قال أبو شامة المقدسي : « لم يبق بعد موت القيسراني وابن منير فحل من الشعراء يصف مناقب نور الدين كما ينبغي ، إلا ابن أسعد الموصلي ، الى أن قدم العماد الكاتب الشام في سنة اثنتين وستين وخمس مئة ، فتسلم هذا الأمر ، وعبر عن أوصاف نور الدين وغزواته بأحسن العبارات وأتمها نظماً ونثراً » وسبب ذلك أنه كان في هذه الحروب مشاركاً وشاهد عيان ، وبين الثكلى والنائحة المأجورة فرق عظيم !

وكذلك عاش ما عاش في خدمة صلاح الدين من بعدُ ، وكانت خدمته له أطول أياماً ، وهو مصاحب له في حروبه مع الفرنج ، وقد شهد معه جميع معاركه وغزواته ، إلا غزوة تخلف عنها ، وشارك بنفسه مع جيوشه في قهر الجيوش الباغية في أعظم وقائع التأريخ الفاصلة في القرون الوسطى بالأردن وفلسطين ولبنان ، ومنها معارك صيداء وبيروت وجبيل واللاذقية والكرك وصفد وعسقلان وعكاء والناصرة وقيسارية ونابلس والفولة وتبنين وحطين وصهيون والقدس وكان فتح القدس أعظم ما أطلق بلاغة العماد في وصف مناقب صلاح الدين ، وغناء مسراته في تباشير الفتح المبين ، والأيامُ دولٌ والدنيا لمن غلب

إنّ هذا الجانب وحدَهُ من حياة العماد الكاتب الشاعر المجاهد ، ليؤلف أجمل صورة له ،

وهو خليق بالدرس ، ولعلّه حين تُجْمَعُ مادّته يتكوّن منه سِفْرٌ مستقلٌّ يحفل بأروع معاني القوّة والحرّيّة والجلال ، وما أحرى هذه الجوانب من تأريخنا بأن تُثارَ لأهل هذا العصر المفتونين الغافلين !

د) ورابع عناصر « شخصيّته » ، إنتاجه الأدبي والتأريخي والأخلاقي وكان مفطوراً على التأليف ، بدأه بتقييد الفوائد وتعليق النكت الغريبة مذ كان فتى ناشئاً يطلب العلم ببغداد ، من ذلك عنايتُهُ بمناظرات أبي الوفاء علي بن عقيل الإمام الحنبلي الكبير والكيا الهراسي الفقيه الشافعي وتعليقُه منها فوائدَها الكثيرة ونكتَها الغريبة ؛ لأنه وجد فيها كلاماً جزلاً ، وأسلوباً بديعاً رائقاً ، ومنهاجاً قويماً واضحاً . وأدلّ من ذلك على تعلّقه بالتأليف وهو طالب شابٌّ ، ترصُّدُهُ مجالس الأمير العالم الواعظ البليغ المشهور المظفّر بن أردشير العبادي ، وكتابتُهُ هذه المجالسَ من لفظه ، ليتملّى بدائعه وروائعَهُ وقد قدم هذا الأمير بغداد رسولاً من السلطان سنجر الى الخليفة سنة ٥٤١ هـ ، فأقام فيها مدةً طويلةً ، وجلس للوعظ بجامع القصر وبدار السلطان ، وحضر الخليفة مجالسه ، ففتنه وفتن الجماهير البغدادية بما يبديه من سحره ويبدعه ، ولكنهم جميعاً وقفوا من إعجابهم بمواعظه البليغة الشائقة عند حدود سماعها ، ولم يكن فيهم من يُعنَى بتدوينها ويكتبها من لفظه غير هذا الفتى الناشئ ثم عاش العماد ما عاش والتأليفُ هجّيراه وديدنه ، ولعلّه قضى وهو ينظم قصيدة أو ينشئ رسالة أو يؤلّف كتاباً .

وتنقسم كتب العماد وآثاره الى أربعة أقسام :

أ — تعليقات

ب — كتب مترجمة .

ج — كتب تأريخية

د — شعر ونثر

أ) أمّا التعليقات ، فهي أوّل ما تعلّق به حين بدأ الاشتغال بالتأليف ، وقد بيّنت

ما عرفته منها

ب) وأمّا الكتب المترجمة ، فالذي عرفته منها كتابان نقلها من الفارسية الى العربية ، وهما : ترجمة كتاب في تأريخ الدولة السلجوقيّة من تأليف الوزير أنوشروان بن خالد من أوسط عهد نظام الملك الى آخر عهد طغرل بن محمد بن ملكشاه ، وترجمة كتاب في الأخلاق لأبي حامد الغزالي أسمه « كيمياء السعادة » في مجلّدين وهو مرتب على أربعة عنوانات وأربعة أركان للعوام الملتمسين طريق المعرفة ، وهي : معرفة النفس ، ومعرفة الربّ ، ومعرفة الدنيا ، ومعرفة العقبى وترجمته لهذا الكتاب لا يعرف مؤرّخوه شيئاً من أمرها ، وإنّما ذكرها هو نفسه في بعض كتبه مشيراً الى أنه ترجمه بأمر القاضي الفاضل في سنة ٥٧٦ هـ ولعلّ له في الترجمة من الفارسيّة الى العربيّة آثاراً أخرى جهلها أيضاً مترجموه ، فلم يعرضوا لها بشيء.

ج) وأمّا كتبه التأريخيّة ، فقد أحتفل فيها بثقافة عصره وتأريخه السياسيّ والحربيّ والأجتماعيّ ، وقلّما تعرّض فيما كتبه لغير عصره ، فدوّن في « خريدة القصر وجريدة العصر » وتذييلها المسمّى بـ« السيل » أدبَ القرن السادس ما بين بلاد فارس والأندلس ، روايةً ومشافهةً ونقلاً من موارد صافية ، وبات ما كتبه وجمعه في هذا الباب وقد بلغ أكثر من عشرة أجلاد مرجع الباحثين ، ولولا كتاباه هذان لكان تأريخُ الثقافة الأدبيّة في هذا القرن مجهولاً عند المؤرّخين

كذلك كَتَبَ تأريخَ عصرهِ السياسيَّ وأحداثَه الحربيّةَ والأجتماعيّةَ كتابةَ شاهد عيان في الغالب ، لابَسَ السياسة وكتب عن السلطان ، وحضر معه الوقائع والحروب ، وعالج برأيه وقلمه مشكلات الدول وهو قد عاش في كنف الدولة العباسيّة ببغداد وواسط والبصرة ، وخدم الدولتين النوريّة والصلاحيّة في الشام ومصر ، ورأى آخرة سلاجقة العراق وكردستان ، وشهد مصرع الدولة الفاطميّة وخلافة الدولة الأيوبيّة لها في مصر والشام ، وشارك في أعظم ما عرف في التأريخ القديم من حروب الشرق والغرب على ثرى الوطن المقدس ، وذاق لذّة الأنتصارات ، ثم فرغ لهذا وغيره فكتب فيه الكتب الضخام التي باتت كذلك

مرجع المؤرّخين في أحـــداث القرن السادس الهجري مدى الأيام ؛ لأنها تميّزت بالرواية الصادقة ، وطول النفس ، لولا ما ثقّلها به من أثقال السجع والجناس والترادف والإطناب

وأيّ مؤرّخ يبحث في تأريخ الدولة السلجوقيّة ، يستغني عن كتابه « نصرة الفترة وعصرة القطرة » ؟ هـذا الـكتاب الذي ترجم بعضه من كتاب الوزير أنوشروان ، فهذّبه وأعتمد فيه الصدق والصواب ، وجرّده من روح التشفي والانتقام ، ثمّ زاد عليه بداية الدولة السلجوقيّة ، وذيّله بما عاينه في عصره من حديث الأعيان وحادث الزمان .

وأيّ كاتب أو باحث يكتب في تأريخ الأحـداث السياسيّة والحربيّة العظيمة في القرن السادس الهجري ـ في مصر والشام ـ لا يرجع الى « الفتح القدسي » الذي أرّخ فـيه العماد فتوحات السـلطان صلاح الدين الأيّوبي ، والى « البرق الشامي » الذي دوّن فيه حروب بطلي الإنقاذ العظيمين نور الدين وصلاح الدين مع الفرنج وهو في ســـبعة مجلدات ، والى « عتبى الزمان » و « نحلة الرحلة » و « خطفة البارق » وهي كتب متممة للبرق الشامي ؟

د) وأمّا الشعر ، فله فيه ديوان يدخل في أربعة مجلّدات كبار ، وهو مفقود ، وقد نظمتُ ما تناثر في الكتب من شعره في جزء لطيف ، ولعلّي أوفّق لطبعه وله أيضاً ديوان آخر صغير جميعه دوبيت

وأمّا النثر ، فله فـيه ديوان رسائل ديوانيّة وسياسيّة في مجـلدات ، وهو مفقود أيضاً ، ولـكن في خزانة كتب نور عثمانية في استنبول نسخة من إنشاء أحد الـكتاب في حدود سنة ٥٩٧ هـ كتب على ظهر الورقة الأولى إنها ترسّلات العماد الـكاتب وقـد كتبت النسخة في القرن السادس بخطّ نفيس في ٩٩ ورقة من الحجم المتوسـط ، ولها صورة شمسيّة في الإدارة الثقافيّة بجامعة الدول العربية

والـكلام على شعر العماد ونثره ، يستغرق محاضرات

* * *

هـكذا أنفق العماد الـكاتب عمره جداً وسعياً وتحصيلاً وجهاداً وإنتاجاً ، فكان عَـلَماً في

العلم ، وزعيماً في الكتابة الفنّيّة ، وقائداً في الشعر ، وحجّة في التأريخ ، وإماماً في التأليف نفع بمواهبه المتعدّدة أمّته حيّاً وميّتاً ، صادقاً مخلصاً ، ولم يبخل عليها بفضله ، وكانت سيرته العلميّة العمليّة من حجج الإثبات لنبوغ الشرقي وكفاياته البارعة في مختلف مطالب الحياة على اختلاف العصور

* * *

وبعد ، فقد كان عصر نور الدين وصلاح الدين من أزهى عصور القوّة والبطولة والكفاح في تأريخنا المجيد ، وكان هذان المنقذان العظيمان عنوانين لذلك العصر في العلم والتقوى والسياسة العادلة وتدبير الملك والجهاد في سبيل الله والسعي في تحرير الوطن من المغيرين ، ومن كان مثلهما في سموّ الذات وجلال الصفات ، كان خليقاً بأن يختارَ رجاله من طراز العماد في الكفايات ، ومقياسُ عقولِ الرجال والدول اختيارُها أعوانَها ، وقد قيل :

قد عرفناك باختيارك إذْ كا ن دليلاً على اللبيب اختيارُهْ

وبحسب المرء في معرفة أيّ عصر كان أن يتعرف سيرَ رجاله وكفاياتهم وأخلاقهم ، ليتبيّن منها تلك الحقيقة ، ويضع دوله في المنزلة التي وضعتْ نفسها فيها ؟

محمد بهجة الأثري

رسالتان لابن حبيب :

١) كتاب ما جاء اسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسميا به

٢) كتاب الأمثال

إنّ محمد بن حبيب البغدادي الهاشمي من كبار القدماء المسلمين لا نعرف تأريخ ولادته ، أما وفاته فكانت في الثالث والعشرين من ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومئتين بسُرّ مَنْ رأى في خلافة المتوكّل العبّاسي ومن شيوخه : ابن الأعرابي السندي ، وقُطْرُب ، وأبو عبيدة ، وأبو اليقظان ، وابن الكلبي قال ابن النديم في الفهرست : « قال محمد بن إسحاق : وكان من علماء بغداد بالأنساب واللغة والشعر والقبائل وعمل قطعة من أشعار العرب ... وكان مؤدّباً وكتبه صحيحة »

ومما يؤسف عليه حقاً أنه لم يصل الينا إلا الشيء اليسير من تآليفه ، مع أنه كان قد ألّف أكثر من أربعين كتاباً ، ذكرتُها في « كلمة الختام » في كتابه الشهير بـ « المُحَبَّر » (طبع دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن سنة ١٣٦١ هـ) وسوى هذا قد طُبع له كتاب « المؤتلف والمختلف » في النسب ، في أوربة منذ زمان وكذلك « نقائض جرير والفرزدق » طبع في أوربة ونشر السيد حسين علي محفوظ ، في سلسلة « نوادر المخطوطات العربية في إيران » رسالته الصغيرة « أمّهات النبي » ، صلى الله عليه وسلّم ، في بغداد سنة ١٣٧٢ هـ . وسمعت أنّ أحد الأفاضل نشر في مصر كتاب « مَنْ نُسِبَ مِن الشعراء إلى أمّهاتهم » ولعلّ كتابه في « المغتالين من الأشراف في الجاهليّة والإسلام » ، وكتابه « أسماء من قتل من الشعراء » قد نشرا أيضاً ، وهما طائفة من الرسائل الموجزة

ومن المعروف أن مكتبة برلين تحتوي على كتابه « خلق الإنسان » (ومخطوطات برلين أصبحت الآن في مدينة تيوبنكن ، في غربي ألمانيا) ولكتابه « المنمّق » نسخة لا تزال

موجودة في بلدة لكنهو ، في الهند أما نَقْلُ هذه النسخة ، ففي دائرة المعارف في حيدر آباد (كما أن عندي نقلاً آخر من هذه النسخة)

لما كنتُ في استنبول ، سنة ١٣٧٤ هـ ، ذكر لي الدكتور فؤاد سزكين ، وهو من أفاضل أساتذة الجامعة هناك ، أنه وجد رسالتين لأبن حبيب في احدى المجموعات في خزانة كتب طوب قبو سراي وذلك في قسم قوغوشلر رقم ١٠٩٦ ، في هذه المكتبة العظيمة ونحن ننشر هاتين الرسالتين في الأوراق الآتية •

في الورقة ٨١/ ألف من المخطوطة بجد « من كتب الأمثال » والظاهر أنه ليس إلاّ أقتباساً ، كما يدل عليه كلمة « من» ؛ وأيضاً ليس فيه البسملة ولا ما يكون عادة في فاتحة كل كتاب

إنّ أبن النديم في « فهرسته » ذكر له « كتاب الأمثال على أفعل » ؛ وفي كشف الظنون « أفعل أمِنْ في الأمثال » وياقوت ، في « إرشاد الأريب » ، يوافق ما قال أبن النديم ، ثم يقول : « ويسمّى النمّق » وليس بصحيح ؛ لأن النمّق معروف لدينا ، وموجود بين أيدينا وليس فيه شيء عن الأمثال فالظاهر أنه سهو من ناشر « إرشاد الأريب » ، أو من ناسخ المخطوطة التي أعتمد عليها ناشرها .

أمّا الرسالة الثانية ، فلم يذكرها أحد : لا أبن النديم ولا غيره فيما أعرف ، إلّا أن تكون التي ذكرها أبن النديم تحت أسم « كتاب السمات »

والمخطوطة التي وجدتُ فيها هاتين الرسالتين (في مكتبة قوغوشلر ، في طوب قبو سراي) كتاب ضخم ، ناقص الأول ، قد يتكرم الأستاذ الفاضل فؤاد سزكين بوصفها في مقال خاص ، فهو أولى بذلك وأحق ، غير أني وجدتها عند مطالعتي إياها في حالة رديئة جداً أ كلتها الأرضة والديدان ، خلافاً لما عليه حال المخطوطات عامة في مكاتب تركية ، في استنبول أو غيرها من المدن والقرى ، وقد زرتُ عشرات منها وفي آخر عدّة من الرسائل التي في هذه المجموعة كتبَ الناسخُ أسمه ، وهو محمد بن أحمد بن ابراهيم بن حيدرة القرشي ؛ وزاد أحياناً

كلة « الشافعي » وذكر أيضاً تأريخ الكتابة وهو من شهور سنة ثمان وسبع مئة

إنّ في آثار الأقدمين لفوائد جليّ جديرة بأن تصان من عبث الأيام ، خاصة ما كتبه العلماء الأعلام وإنّما لننشر هاتين الرسالتين كما وجدناها ، ونتحف بها العلماء الذين يقدرونها حق قدرها والعصمة لله

محمد حميد الله

(١)

(٢٢٢/ الف) بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ربّ زدني علما

كتاب ما جاء اسماه أحدهما أشهر من صاحبه فسميا به

تأليف أبي جعفر محمد بن حبيب

أخبرنا أبو عبد الله اليزيدي ، عن أبي جعفر محمد بن حبيب ، قال : ذكر ما جاء فيه اسمان أحدهما أشهر من صاحبه فسمّيا به من شأن العرب إذا اجتمع اسمان : مذكر ومؤنث ، أو كنية واسم ، أن يغلّبوا الاسم على الكنية ، والمذكر على المؤنث ؛ وإذا اجتمع اسمان أحدهما أشهر من صاحبه ، غلّبوا المشهور منهما

من ذلك قيل للشمس والقمر « القمران » [1] قال الفرزدق :

أخذنا بآفاق السماء عليهم لنا قراها والنجوم الطوالعُ

(١) راجع نقائض جرير والفرزدق ، قصيدة ٦٦ ، بيت ٢٢ وفيه : « عليكم » ، بدل « عليهم » . وقال : « وقوله : قراها ، أراد الشمس والقمر ، فغلب المذكر مع حاجته الى اقامة البيت وذلك كما قيل الأبوان للأب والأم »

وقالوا « العُمَران » [1] لأبي بكر وعُمَر .

ومن هذه الأسماء « الحَنتَفان » [2] ، وهما الحَنْتَف والحارث أبنا أوس بن سَيْف بن حِمْيريّ بن رِياح . قال جرير :

مَن مثلُ فارس ذي الخمار وقَعنَبٍ والحَنتفينِ لليلةِ البَلبالِ ؟

ومنها « الأقرعان » [3] ، وهما الأقرع وفراس أبنا حابس بين عِقال

ومنها « المُصعَبان » [4] ، وهما مصعب بن الزبير وعيسى بن مصعب بن الزبير . قال الأخطل :

هُمُ فتكوا بالمصعبين كليهما وهُمْ سيّروا غَيلانَ كل مسيَّرِ

ومنها « الزهدمان » [5] ، وهما زَهدَم وقيس أبنا حزن بن وهب بن رَواحة بن عَبْس .

وقال قيس بن زُهير :

جزاني الزَّهدمانِ جزاءَ سَوءٍ وكنت المرء يُجزَى بالكرامه

(١) قال ابن منظور (لسان ، مادة عصر) : « والعصران ، الليل والنهار ... ويقال العصران ، الغداة والعشي ... وفي الحديث : حافظ على العصرين ؛ يريد صلاة الفجر وصلاة العصر ، سماهما العصرين لأنهما يقطعان في طرفي العصرين ، وهما الليل والنهار والأشبه أنه غلب أحد الاسمين على الآخر كالعمرين ، لأبي بكر وعمر ، والقمرين ، للشمس والقمر »

(٢) راجع نقائض جرير والفرزدق ، ق ٤٨ ، ١٨ ، حيث قال : « قوله : فارس ذي الخمار ، يعني مالك بن نويرة بن جمرة ... وذو الخمار اسم فرسه وسمى الفرس ذا الخمار لأن الغرة أخذت رأسه ووجهه . وقعنب بن عمرو بن عتاب بن هرمي بن رياح بن يربوع والبلبال ، الاختلاط للفزع » . وقال ابن منظور (لسان ، مادة حنتف) : « الجوهري : الحنتفان ، الحنتف وأخوه سيف ابنا أوس بن حميري بن رياح ابن يربوع » .

(٣) « والأقرعان ، الأقرع بن حابس وأخوه مرثد . قال الفرزدق ، الخ » (لسان ، مادة قرع) .

(٤) « والمصعبان ، مصعب بن الزبير وابنه عيسى بن مصعب وقيل مصعب بن الزبير وأخوه عبدالله » (لسان ، مادة صعب)

(٥) « والزهدمان أخوان من بني عبس قال ابن الكلبي : هما زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب بن عوير بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض وهما اللذان أدركا حاجب بن زرارة يوم جبلة ليأسراه ، فغلبهما عليه مالك ذو الرقيبة القشيري وفيهما يقول قيس بن زهير : جزاني ، الخ قال أبو عبيدة : هما زهدم وكردم قال ابن بري في الزهدمان : قال أبو عبيد : ابنا جزء ، وقال علي ابن حمزة : ابنا حزن » . (لسان ، مادة زهدم) .

ومنها « الشمتان » ، وهما شَمْتَم وشعيب أبنا معاوية بن ذُهْل قال مُهَلْهِل :

بيوم الشعثمين لَقَرَّ عيناً … وكيف لقاء مَن تحت القبور ؟

ومنها « البَحيران » ، وهما بَحير وفارس أبنا عبد الله بن عامر بن سلمة بن قُشير . قال جرير :

وقد أثكلت أمّ البحيرين خيلنا … بورد إذا ما أستعلن الروع سوّما

ومنها « البُريكان » [1] ، وهما قُرْط وعامر أبنا سلمة بن قُشير كان يقال لأحدهما بُريك ، والآخر بارك

ومنها « الذهلان » [2] ، وهما ذُهل بن ثعلبة بن عُكابة وشَيبان بن ثعلبة . قال جرير :

وأرضى [3] بحكم الحي بَكر بن وائل … إذا كان في الذهلين أو في اللَّهازِمِ

ومنها [*] « الأضجمان » ، وهما يَشكُر بن وائل وضُبيعة بن ربيعة بن نِزار .

ومنها « العتبتان » ، وهما عُتبة وعِتبان من بني زُهير بن جُشَم .

ومنها « العبدان » [4] ، وهما عبد بن جشم بن بكر بن مالك ومالك بن حَبيب

ومنها « الحِيرتان » ، وهما الحيرة والكوفة وأنشد :

نحن صبّحنا أمّكم مقرباً … يوم صبحنا الحِيرتينِ المنونْ

---

(١) راجع أيضاً اللسان ، مادة برك

(٢) « هما ذهلان ، كلاهما من ربيعة ، أحدهما ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة ، والآخر ذهل بن ثعلبة بن عكابة » (لسان ، مادة ذهل)

(٣) راجع نقائض جرير والفرزدق لمؤلفنا ، ق ٧٠ ، ب ٤١ ، حيث « وراض » بدل « وأرضى » . وقال : « الذهلان ، شيبان بن ثعلبة وذهل بن ثعلبة قال : واليهم تحلفت الذهلان قال : وبهم سموا وهم شيبان ، وذهل ، ويشكر ، وضبيعة من ربيعة هذه الأربع قبائل الذهلان واللهازم بنو قيس ، وتيم اللات ابن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنترة بن أسد بن ربيعة بن نزار وبيت شيبان في بني مرة بن ذهل »

(٤) « والعبدان في بني قشير : عبد الله بن قشير وهو الأعور وهو ابن لبنى ، وعبد الله بن سلمة بن قشير وهو سلمة الخير والعبيدتان : عبيدة بن معاوية بن قشير ، وعبيدة بن عمرو بن معاوية » (لسان ، مادة عبد)

(*) المجلة : هكذا ورد النص عند الناشر الفاضل ـ بضمير الاثنين ـ هنا وفي مواضع أخرى من الرسالة

ومنها « المكّتان » [1] ، وهما مكّة والمدينة

ومنها « المروتان » ، وهما الصفا والمروة

ومنها (٢٢٢ ب) « السلهبان » ، وهما سَلهَب وأبو سَلهَب من بني عِجل بن لُجيم .

وفي الحديث : [2] « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » . يريد الأذان والإقامة .

وفي الحديث : [3] « البيّعان بالخيار ما لم يفترقا » يريد البيّع والمشتري .

وفي الحديث أيضاً : « أحيوا ما بين العشاءين » يريد المغرب والعشاء .

والنافعان ، نافع ونفيع ، أخوا زياد بن أبيه

والحيدتان ، حَيدة ووَداع أبنا مالك بن خَفاجة بن عُقيل

والشنّتان ، شَنّة بن خالد بن عبد بن تَميم بن عامر بن معاوية بن إنسان ، والآخر الصُدَيّ بن عَزْرة بن بِشر بن إذخِرة وفيهما يقول الفرزدق :

يا ليتني والشنّتين نلتقي ... ببلد ليس به من نتّقي

ثم يحاط حولنا بخندق ... ثم يقال : يا فرزدق أصْدُقِ

والعَقامان ، العَقام والعُقيم أبنا جُنيدِب بن أُحَيمِر بن غِفار بن مُليك بن كِنانة .

ومنها « الأصرمان » ، وهما الذئب والغراب

ومنها « الأعميان » ؛ ويقال لهما « الأيهان » ، وهما السيل والجمل الهائج .

ومنها « الناظران » ، وهما عِرقان يكتنفان الأنف

ومنها الوريدان [4] : عرقان وهما في الحلق

(١) والأرجح هما مكة والطائف ، فقد أنشد ابن هشام في سيرته (ص ٥١٩) قصيدة للحارث بن هشام ابن المغيرة في غزوة بدر ، قال فيه :

وقولوا لأهل المكتين : تحاشدوا ... وسيروا الى آطام يثرب ذي النخل

ولا محل لمكة والمدينة ويؤيده أيضاً القرآن (سورة ٤٣ ، آية ٣٠) : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم »

(٢) راجع للحديث سنن أبي داوود ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة قبل المغرب

(٣) راجع للحديث صحيح البخاري ، كتاب ٢٤ ، باب ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤

(٤) « والوريدان ، النبض والنفس » (لسان ، مادة ودج) .

ومنها الأخدعان : عرقان ، وهما في القفا

ومنها الصُّرَدان [١] ، وهما تحت اللسان

ومنها الأكحلان : عرقان ، وهما في اليدين

ومنها الأبهران ، وهما عرقان في الصلب .

والنَّسَيان في الفخذين

ومنها « الودجان » ، و « الصافنان » : عرقان في الساقين . وهذه العروق كلها أصلها عرق واحد

ومنها « الأجهلان » ، وهما معاوية وربيعة أبنا قُشير

ومنها « الجُفنان » ، وهما بكر بن وائل وتميم .

ومنها « الكرشان » ، وهما الأزد وعبد القيس .

ومنها « الصمتان » ، وهما معاوية ومالك أبنا الحارث بن بكر بن علقمة ، أحد بني جُشَم بن معاوية

ومنها « الأخشبان » ، وهما جبلا مكة

ومنها « الرافدان » ، وهما الفُرات ودِجلة .

ومنها « الأجربان » ، وهما عبس وذبيان

ومنها « ابنا دُخان » ، وهما غنيّ وباهلة

ومنها « الطَّرَفان » ، و « الغاران » ، واحد ؛ وهما اللسان والفرج . و « المَلوان » [٢] ، و « العَطران » [٣] ، و « الجديدان »

تمّ الكتاب

---

(١) فيه أقوال مختلفة ، فراجع لسان العرب تحت مادة صرد

(٢) « والملوان ، الليل والنهار ... وقيل طرفا النهار » (لسان ، مادة ملا ، مع الشواهد لها)

(٣) راجع الحاشية ٢ ، فوق في أول الرسالة .

ولله الحمد على يد محمد بن أحمد بن ابراهيم القرشي [الشافعي] ، عامله الله تعالى بلطفه في ثامن عشرين شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعمائة اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد والحمد لله ربّ العالمين حسبنا ونعم الوكيل

* * *

ومما يستدرك على ابن حبيب ، فيما فاته : « الأسودان » وهما الماء والتمر ؛ وكذلك الحيّة والعقرب و « الأحمران » ، اللحم والخمر ؛ و « النقدان » ، الذهب والفضة ؛ و « الثقلان » ، الإنس والجن وأيضاً ما ورد في الحديث النبوي : « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » . وهذا سوى ما أثبتناه في الحواشي

ولكن لا يقال إنّ هذه قاعدة كلية لا استثناء فيها فقد ذكر السهيلي في (الروض الأُنُف ، ١/١٢٥ ـ ١٢٦) ما يأتي :

وفي شعر ورقة :

بيطن المكّتين على رجائي حديثك أن أرى منه خروجا

ثنّى مكّة وهي واحدة ، لأنّ لها بطاحاً وظواهر — وقد ذكرنا مَنْ أهل البطاح ومَنْ أهل الظواهر مِنْ قبلُ — على أن للعرب مذهباً في أشعارها في تثنية البقعة الواحدة وجمعها ، نحو قوله :

وميتٌ بغَزّاتِ

يريد بِغَزّة وبَغادين ، في بغدان وأما التثنية فكثيرة في هذا الباب نحو قوله :

بالرقتين له أجر واعراس[1] والحمتين سقاك الله من دار

وقول زهير :

ودار لها بالرقتين

وقول ورقة من هذا . « ببطن المكتين » ، لامعنى لإدخال الظواهر تحت هذا اللفظ ،

(١) المجلة : (؟)

وقد أضاف إليها البطن كما أضاف المبرق حين قال :

بيطن مكة مقهور ومفتون

وإنما مقصد العرب في هذا الإشارة إلى جانبي كلّ بلدة ، أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها ، فيجعلوها اثنين على هذا المغزى وقد قالوا : « صدنا بقنوين » ، وهو قنا : اسم جبل

وقال عنترة :

شربت بماء الدُّحْرُضَيْن

هو من هذا الباب في أصحّ القولين وقال عنترة أيضاً :

بِعُنَيْزَتَيْنِ وأهلُنا بالعَيْلَمِ

وعنيزة : اسم موضع وقال الفرزدق :

عشية سال المربدانِ كلاهما

وإنما هو مربد البصرة . وقولهم :

تسألني برامتين سلجما

وإنما هو رامة . وهذا كثير وأحسن ما تكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنّة وبُستان ، فتكون تسميتها جنتين في فصيح الكلام ، إشعاراً بأنّ لها وجهين ، وانك إذا دخلتها ونظرتَ إليها يميناً وشمالاً ، رأيتَ من كلتا الناحيتين ما علأ عينيك قرّة وصدرك مسرة ، وفي التنزيل : « عن يمين وشمال » إلى قوله سبحانه « وبدّلناهم بجنتيهم جنتين » . وفيه : « جعلنا لأحدهما جنتين » الآية ؛ وفي آخرها : « ودَخلَ جنّته » ، فأفرد بعد ما ثنّى ، وهي هي وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه : « ولمن خاف مقام ربّه جنّتان » والقول في هذه الآية يتسع ويطول . والله المستعان

(٢)

(٨١ الف) من كتاب الأمثال عن محمد بن حبيب اللغوي

أبرد من عضرس وهو الماء الجامد

وأبرد من عبقُر ؛ وبالحاء المهملة أيضاً وهو البَرَد قال :

كأنّ فاهـا عبقُرٌ باردٌ أو ريحُ روضٍ (١) مسّه تنضاحٌ رِكٌّ

والتنضاح ، الرشاش والرِكّ ، المطر الضعيف

أخسر صفقة من أبي غبشان . كانت خُزاعة نَملة ، فمرض لهم موت ورعاف ، فنزلوا الظهران ، فزال عنهم ذلك . ومنهم حُليل من حُبشيّة ، وكان بيده حجابة الكعبة فأوصى بها إلى ابنه المحترش وكان غائباً مع بقية بنيه ، وسلّم المفتاح إلى ابنته حُبّى امرأة قُصيّ بن كلاب ، ومات فطلب إليها زوجها قصيّ أن يجعل الحجابة في ابنها : عبد الدار بن قصيّ ؛ واغتنم غيبة بني حُليل فاعتذرت أن أبا غبشان شاهد بالوصية إلى أخيها . فأرضاه قصيّ بأبعرة وثياب . فسكت وكتم الوصية .

وأحمق من عِجل . وهو عِجل بن لُجيم بن صعب ، من بكر بن وائل اشترى بعيراً ، فقيل له : بمَ سمّيتَ بعيرك ؟ (فـ) فقأ عين بعيره ، وقال : سميته الأعور . قال جرثومة العنزي :

رمتني بنـو عجل بداء أبيهم وأي فتى في الناس أحمق من عجل ؟

أليس أبوهم عارَ عينَ بعـيره فصارت به الأمثال تضرَب في الجهل ؟

الهجرس (٢) ، الثعلب ويسمّى به القرد أيضاً

أنكح من ابن ألغز . وهو عروة بن أشيَم الإيادي . كان يستلقي على قفـاه ، ثم ينعظ

---

(١) لسان العرب ، ج ١ ، ص ٢٠٨ ، حيث : « ريح ومسك » وفيه أيضاً ، « ويروى كأن فاها عبقري بارد »

(٢) كذا في الأصل والظاهر أن هناك سقطة لعله أراد أن يقول : « الأم من هجرس ، وقد يوصف به اللئيم ، كما في لسان العرب ، في مادة هجرس .

فيحتكّ الفصيل بذَكَره ، يظنّه الجِذْل ، وهو عود يُنصب في العَطن تحتك به الإبل الجربى وهو القائل :

ألا ربما أنعظتُ حتى إخاله سينقد للإنعاظ أو يتمزّقُ
فأعمله حتى إذا قلتُ قد ونَى أبَى وتمطّى جامحاً يتمطّق

أبرّ من فَلحِس [1] رجل من بني شيبان خرف أبوه ، وكبر سنّه ، فجمله [*] على عاتقه إلى مكة وأحجّه

أجود من حاتم . قال ابن أخي ماوية ، زوجة حاتم ، قلتُ لعمّتي : أخبريني بأعجب ما رأيتِ من حاتم فقالت : كل أمره عجيب ولقد أصابتنا سنة شديدة فأخذ عديّاً ، وأخذتُ سفّانة ، نعلّلها عن الجوع حتى ناما وجلس هو معي يحادثني ويعلّلني ، حتى رققت له لما به من الجهد ، فسكتّ فناداني مراراً ، فلم أجبه فسكت ثم نظر من خلل البيت ، فرأى سواداً ، فنظر فاذا أمرأة فقال : ما هذا ؟ فقالت : يا أبا سفانة ، جئتك من عند صبية قتلهم الجهد . فقال : أحضريهم ، فلأشبعنّهم ... [2] وقلتُ له : قد رأيتَ صبيتنا كيف ناموا فقال : لأشبعنّ صبيانك وصبيانها ثم نهض ، فذبح فرسه ، ثم أجج ناراً فقال : اشتوي وكلوا ثم قال : والله إنّ هذا لَلؤم أن نشبع وأهل الصِرْم بهم مثل ما بنا ثم جعل يأتي بيتاً بيتاً ، ويقول : إنهضوا إلى النار ثم جلّل الفرس لهم فقاموا ولم يبق منه قليل ولا كثير و ال ...... [3] وجلس بناحية ينظر إليهم وإنه لأشدّ جوعاً منهم ، وما ذاقه هذا معنى الجود والله أعلم

---

(1) كذا في الأصل مشكل بكسر الحاء وقال ابن منظور (لسان ، مادة فلحس) : فلحس (آخر) ، رجل من شيبان وفيه المثل : أسأل من فلحس وذكر القصة بطولها

(*) المجلة : لعله تصحيف « حمله »

(٢ ، ٣) مطموس في الأصل

خالد بن الوليد في العراق (١)

جولة في سهول الحيرة : قمنا أنا ومعالي الدكتور ناجي الأصيل مدير الآثار القديمة العام وموظفون في المديرية ، في شتاء سنة ١٩٥٣ م ، بزيارة خاطفة لسهل الحيرة وأطلال ضَيْزَن آباد والخَوَرْنَق والعُذَيْب (الرّحبة) والقادسيّة فأيّدت لنا هذه الزيارة لسهل الحيرة ما ذكرناه سابقاً ، في بحثنا لجغرافية العراق ، عن العراق قبل الفتح العربيّ

والسهل ، كما بيّنّا ، واقع بين الفرات ومنخفَض بحر النجف وهو مرتفع يشرف على البادية من الغرب ، وعلى الفرات من الشرق ولم يبق فيه من آثار المدينة العربيّة القديمة إلّا أطلال ضيزن آباد الواقعة الى الجنوب الغربيّ من حدود المدينة وبقايا بناء يُظَنّ أنه دير وقد أجرى فيه باحث بريطاني ، قبل بضع سنين ، بعض الحفريات

أما قصور المدينة التي ورد ذكرها في كتب التأريخ ، فلم يبق منها إلّا تلولٌ واطئة انتشرت هنا وهناك ، هي كلّ ما بقي من قصور الحيرة ، وما يزال أثر تخطيط هذه القصور ظاهراً ، وأكثر ما يبدو اذا نزلت الأمطار ، فتظهر أسس البناء ؛ لأن لونها بعد المطر يختلف عن لون التربة المحيطة بها

وقد شاهدنا جنوبيّ بقايا الدير تلّاً هو طلل قصر قديم ، وكان أثر سوره ظاهراً . وفي هذا السور ، كما يُرَى ، أبراج يبعد بعضها عن بعض زهاء عشرين متراً ، وفي وسط الضلع المتجه الى الجنوب برجان كبيران متقاربان ، يدلان على أنهما قد أقيما لحماية باب القصر .

والى جنوب غربي هذا التل وعلى بُعْد زهاء كيلومترين بقايا بناء شيّد على الحافّة الشرقيّة للسفح الحجري الذي يسيطر على بحر النجف من الشرق ، وما بقي من هذا البناء بقايا

---

(١) أنظر المجلد الثالث من هذه المجلة

إيوان ، على جانبيه غرفة والإيوان يشرف على بحر النجف والبادية ، وثَمَّةَ أثر يدل على درج للهبوط من البناء الى الأسفل وقد أطلق الأهلون على هذا البناء اسم (طميرزاد) ، وهو تحريف (ضيزن آباد) اسم قصر ورد ذكره في كتب التأريخ والجغرافية وآثار السور الذي شاهدناه ، تؤيد ما كتبناه عن الحيرة[1] من أن قصور الحيرة كانت تُحافَظُ بسورين : سور داخلي ، وسور خارجي فيه أبراج للدفاع والمراقبة

فتح الحيرة : ذكرنا قبلاً أن خالد بن الوليد بعد أصطدام جنده بجند أبن أزاذبه في فم فرات بادقلى ، وفرارِ أزاذبه ، جَمَعَ قوته ، وسار قاصداً الحيرة فنزل أولاً في الخورنق ، ثم عسكر في المحل الذي كان جند أزاذبه فيه قبل هربه وهذا المحل يقع بين الخورنق والحيرة ، والمسافة بينهما تبلغ زهاء ستة كيلو مترات والحيرة ، كما بيّنا قبلاً ، كانت الهدف الثاني في حركات خالد بن الوليد .

وليس من شك في أن أهل الحيرة كانوا على علم تامّ بحركات خالد في العراق ، ولا بدّ من أنهم تعقبوا حركاته ، وعلموا أن أزاذبه قتل ، وأن أباه حاكم الحيرة قد هرب ؛ ولا نشك أنهم بثوا العيون لمراقبة خالد

ولمّا أتاهم الخبر أن خالداً نزل (بين الغَرِيَّيْن والنجفة) جنوبي الحيرة وقريباً منها ، جمعوا الدوابّ ، وأدخلوها في قصورهم ، وتحصنوا بها وكانت مزارع الحيرة وبساتينها ، كما أشرنا سابقاً ، بين القصور هكذا تحصّن أهل الحيرة بالقصور ، ورابط الرجال في الأبراج وعلى السور : يراقبون تقدم خالد بن الوليد

وتدل الروايات على أن أهل الحيرة لم يبدوا مقاومة تذكر ، ولم يكن في وسعهم منازلة جيش خالد بعد أن خسر الفرس المعارك في كل المواقع ، ولم تكن لديهم قوة كافية يدافعون بها عن العيالات والذراري . وفي رواية أن رجال الحيرة كانوا ستة آلاف ، وهم الذين كُلِفوا دفع الجزية .

---

(١) أنظر (ص ٧٨) من الجزء الأول للمجلد الثالث من المجلة .

ولما رأى خالد أن الناس تحصّنوا في قصورهم ، طلب الى قادته محاصرة القصور ، وبث رجاله في المزارع والبساتين ويبدو أن أول قصر واجه المسلمين في تقدمهم تلقاء الحيرة ، هو القصر الأبيض . واذا كان خالد قد عسكر في المحل الذي عسكر فيه أبن أزاذبه ، فأن جنده في مسيرهم الى الشمال يواجهون القصر الأبيض ؛ لأن قائد الفرس كان قد عسكر بين الغريين والقصر الأبيض كما رواه الطبري ، وهذا القصر ملك إياس بن قبيصة الطائي وكان إياس عامل كسرى أبرويز على الحيرة بعد النعمان بن المنذر[1] وهو ، بالشكل الذي بينا ، محاط بسورين ، وللسور باب ، ولعله كان متجهاً نحو الجنوب ، كالباب الذي شاهدنا آثاره شمال شرقي ضيزن آباد .

وتدل روايات سيف بن عمر على أن رجال خالد حاصروا القصور ، القصر الأبيض وفيه إياس ، وقصر العدسيين وفيه عدي بن عدي ، وقصر أبن بقيلة وفيه عمرو بن عبد المسيح . وتشير الرواية الى أن ضرار بن الأزور حاصر القصر الأول ، وحاصر ضرار بن الخطاب قصر العدسيين ، وحاصر ضرار بن مقرن المزني قصر أبن بقيلة ، ودعا خالد أهل القصور الى الاستسلام

وتذكر الرواية أن قتالاً وقع بين رجال ضرار بن الأزور والمتحصنين بالقصر ؛ لأن هؤلاء فضلوا المنابذة على الاستسلام ، فرموا المسلمين بالخزازيف ، ورشقهم المسلمون بالنبل ويفهم من الرواية أن القادة الآخرين أيضاً جابهوا المقاومة نفسها ، فرموا أهل القصور ، وكان من الطبيعي أن لا يؤثر النبل في الأسوار وليس للمسلمين آلات الحصار

وجاء فيما كتبه الطبري أن المسلمين أكثروا من القتل ، مما جعل القسيسين والرهبان من أهل الأديرة يتذمرون من أهل القصور ، ويقولون لهم : « ما يقتلنا غيركم » . واُضطر أهل الحيرة أخيراً الى الاستسلام ، لأن المسلمين هددوهم بقطع نخيلهم المنبثة بين القصور ؛ وذكر الطبري أن المسلمين بثوا الغارات فيمن يليهم ، الى أن افتتحوا الدور والديرات .

---

(١) البلاذري (ص ٢٤٤) .

وفي رواية ذكرها البلاذري نقلاً عن يزيد بن نبيشة العامري أن أهل الحيرة تحصنوا في القصور ، فأجال المسلمون الخيل في عرصات الحيرة ، وقال العامري : « ثم أتينا الحيرة وقد تحصن أهلها في القصر الأبيض وقصر أبن بقيلة وقصر العدسيين ، فأجلنا الخيل في عرصاتهم ، ثم صالحونا [١] »

ولا يبعد أن المسلمين وسطوا أهل الأديرة ، مما جعل القسيسين والرهبان ينادون أهل القصور بالاستسلام .

يتبين مما ذكرناه أن مدينة الحيرة أستسلمت من غير مقاومة تذكر ، وجرى الصلح بين المسلمين وأهل الحيرة بالشروط التي ورد ذكرها في كتب التأريخ وكان ممثل أهل الحيرة أبن بقيلة عمرو بن عبد المسيح

وذكر المستشرق الإيطالي « كيتاني » أن خالداً باغت مدينة الحيرة قادماً من الشمال الشرقي . وقد أنتقدنا من قبل رأيه هذا [٢] . والحيرة بقصورها وأبراجها وعيون رجالها ، لايعقل أنها تباغت من قبل المسلمين من أية جهة قدموا ولم يكن المسلمون من القلة بحيث يستطيعون أن يخفوا حركاتهم ويباغتوا المدينة وللحيرة ، كما ذكرنا في البحث الجغرافي ، مسالح في الجنوب ، وفي الغرب مسلحة العُذَيْب والقادسيّة والخَوَرْنق ، ولا يتصور أن يمر المسلمون بهذه الأماكن من غير أن يكون لأهل الحيرة علم بذلك

ومما شرطه خالد في كتاب الصلح « أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافراً على مسلم من العرب ولا من العجم ، ولا يدلوهم على عورات المسلمين [٣] » وبفتح الحيرة وصل خالد الى هدف الحركات الثاني . واذا صح تأريخ الكتاب الذي ثبت شروط الصلح بين المسلمين وأهل الحيرة ، يكون الفتح قد تم في شهر ربيع الأول سنة ١٢ للهجرة ، أي النصف الثاني لشهر أيار أو النصف الأول لشهر حزيران سنة ٦٣٣ م .

(١) البلاذري (ص ٢٤٥)
(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي (١٨/٣/١)
(٣) كتاب الخراج (ص ١٧٢)

فتح بانقيا وباروسما : وتقع قريتــا بانقيا وباروسما في شمال الحيرة ، الأولى على الضفــة اليمنى ، والثانية على الضفة اليسرى شمال الـكفل والأخبار عن فتح بانقيا متناقضــة ، ذكرت بعض الروايات أنها فتحت صلحاً ، وروايات أخرى أنها فتحت حرباً ، حتى أن البلاذري أورد بيتاً نسبه لضرار بن الأزور أشار فيه الى شدة الوقعة بقوله :

أَرِقْتُ ببانقيا ، ومن يَلْقَ مِثْلَما لَقِيتُ ببانقيـا من الُجرْح يأْرَقِ

والأبيات تثبت ذكريات حوادث وقعت في الفتوح ولـكن أصحيح أن ضراراً أشترك مع خالد في فتوح العراق ؟ والبلاذري نفســه بعد أن ذكر ذلك البيت ، قــال : « ويقول الواقدي : إن المجمع عليه عند أصحابنا أن ضراراً قُتل باليمامة »

ونحن نستبعد وقوع قتال في بانقيا بعد الانتصارات الباهرة التي نالهـا خالد ، ولا بد أن أخبار تلك الانتصارات قد بلغت أهل بانقيا وما جاورهـا . لقد صالح أهل الحيرة المسـلمين ولم يقاتلوا ، ومع ذلك يجوز أن أحد القادة الفرس غرّر بأهل بانقيا وحملهم على مقاتلة المسلمين ، ولا سيما اذا كانت القوة التي بعثها خالد نحوهم لم تكن كبيرة ، وفى الروايات ما يشـير الى ذلك . وجاء فيها أن خالداً أقام في الحيرة ، وبعث جنوده الى الأطراف ، وكلفهم شنّ الغارات ؛ لأنه لم يتوقع أن يلاقي جنوده مقاومة عنيفة وقـد أخبرته عيونه بذلك وكان من جملة شروطه في صلح الحيرة أن يكون أهلها عيوناً على أهل فارس .

وتختلف الروايات فيمن قاد الجند الذي بعثه خالد الى بانقيا ذكـر البـلاذري : أن قائد الجند كان سعد بن بشير الأنصاري ، وأضاف بعـد ذلك قائلاً إن خالداً بعث جرير بن عبد الله البَـجَـلِيّ الى أهل بانقيا ، ولـكنــه يزيد على قوله أن قوماً ينكرون أن يكون جرير قـدم العراق إلا في خِلافة عُمَـرَ بن الخطّاب

والحقيقة أن جرير بن عبد الله أوفد لنجدة العراق بعد وقعة الجسر

وروى البلاذري خبر قتال وقع بين بشير بن سعد الأنصاري وقائد خيل الفرس فرخنبداد ، وأن بشيراً أصابه جراح في هذا القتال أنتفض به وهو بـ « عين التمر » ومات منه ولعل القائد

الفارسي كان يراقب حركات جيش خالد ليخبر المدائن بأعماله ، وكانت بانقيا قريبة من الطريق الذي يربط الحيرة بالمدائن ويجوز أنه رك جسر الفرات الذي يمر به الطريق وراءه ، وظلّ يترصّد حركات المسلمين بعد وصولهم الى الحيرة ولما رأى جند بشير قادمين ، اعتزم مقاتلتهم ؛ لأنه أستضعفهم ، فلقي حتفه في هذا القتال .

وبعد هذا الحادث خرج صاحب بانقيا ، وأعتذر للمسلمين ، وعرض عليهم الصلح . ويدعى هذا الصاحب صلوبا ، وهو نَبَطيّ من دهاقين البلاد ، يملك مقاطعات بانقيا وباروسما وقسياثا أي قسّ الناطف الواقعة شمال بانقيا وعلى الضفة اليسرى ، والجسرُ كان يمتد بجانبها

وفي رواية لسيف بن عمر ذكرها الطبري أن الدهاقين أصحاب المقاطعات كانوا يتربصون بخالد ، وينظرون ما يصنع أهل الحيرة ، فلما أستقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد ، أتته عارضةً الصلح [1] .

وتشير الروايات الى ارسال خالد عماله الى الأطراف ، وتزعم أن رجاله انتشروا بين الفرات ودجلة ، ونزل بعضهم على السيب ، وهذا الموقع يقع على ضفة دجلة اليسرى شمال العزيزية ، وبذلك أستقام له ما بين الفلاليج الى أسفل السواد

والفلاليج هي الأماكن الواقعة على ضفتي الفرات شمالي قسياثا ، وقد ثبتت الروايات أسماء العمال الذين قادوا الجند في هذه الاغارات .

تمهيد لفتح الأنبار : الأنبار ، كما بيّنّا في البحث الجغرافي ، مدينة حصينة على الضفة اليسرى من الفرات شمال غربي الفلوجة ، على بعد زهاء ثمانية كيلو مترات ، ما تزال أطلالها شاخصة وكانت مسورة ، وفيها حصن على مرتفع يسيطر على المدينة وقد شيدها الفرس ، وسموها فيروز سابور ، وكانت من القلاع الأمامية تسد طريق الشام بوجه القادمين من الشمال أو الشمال الغربي ، وكان لها جسر يربط الضفتين وتقطعه القافلات القادمة من الشام في طريقها الى المدائن ، ويجوز أن يكون للجسر في الضفة اليمنى ضاحية أو حصن يستره ويكون بمثابة

(١) الطبري (٢/٥٧٠).

رأس جسر كما يعبرّ عنها في المصطلحات العسكرية وكان الفرس يدّخرون فيهـــا الأرزاق والتجهيزات ، يموّنون بها جندهم ويجهزونهم بها . ولمّا كانت ثاني قلعة من قلاع الفرس معرضة لهجوم البيزنطيين الذين كانوا في حروب مســتمرة مع الفرس ، كان لا بدّ من أدّخار الأرزاق فيها للاستفادة منها وقت الحصار والقلعة الأولى كانت الفُـراض على الفرات في جوار الصالحية على طريق عانة — دير الزور وكانت الأنبار تموّن الجيش الفارسي في أسفاره الى الشمال والشمال الغربي في فتوحاته في بلاد الشام وبلاد الأناضول وقد أشار جغرافيو العرب الى أنّها كانت مدينة الأهراء ، وذكر ياقوت أنها سُمّيت أنباراً لأنه كان يجمع فيها أنابير الحنطـة والشعير والقتّ والتبن ، وكانت الأكاسرة ترزق أصحابها منها

وكان خالد يعلم أن للفرس حاميـــةً في الأنبـار ، كما أن لهم حاميـاتٍ في عين التمر وفي الفُـراض وفي رواية للشعبي أنه « كان بالعين (عين التمر) عسـكر لفارس ، وبالأنبار آخر ، وبالفراض آخر [1] » .

وصل خالد الى الحيرة قبل عِياض بن غُنْم ، وبذلك أصبح قائد جيوش المسلمين في العراق بلا منازع ، وصار في الوقت نفسه الأمير على عيـاض عملاً بأوامر الخليفـة التي تنص على أنه « أيهما سبق الى الحيرة فهو الأمير على صاحبه [2] » ودرس خالد الموقف العسكري ، ورأى أنه ما تزال أمامه أعمال أخرى لإكمال الفتح ، فمدينة الأنبار ليست بعيدة عنه ، ثم هي مدينة خطيرة تهدد خلفه إذا أراد فتح عين التمر ، والعين هذه يجب أن تفتح لأن جماعة من بني تغلب وقوة من الفرس ترابط بها ، ولا يصح عسكرياً أن يذهب خالد الى نجدة عياض بن غنم الذي شجي بدومة الجندل قبل فتح عين التمر ، إذن ينبغي أن يبدأ بفتح الأنبار أولاً ، ثم يفتح عين التمر هكذا أعتزم خالد فتح الأنبار بعد أن أستقام له الأمر في الحيرة . وتبعد الأنبار من الحيرة زهاء ثمانين ومئة كيلو متر .

وإذا راعينا الأسلوب الذي بموجبه يجري (درس الموقف) من قبل القادة العسكريين في

(١) الطبري (٢/٥٧٣) (٢) الطبري (ص ٥٧٤) .

وضعهم الخطط الحربية قبل تنفيذها ، جاز لنا أن نتصور كيف درس خالد الموقف الحربي وقدّره بعد فتح الحيرة

إن أمر الخليفة صريح ، وهو يقضي بأن يصبح خالد الأمير على عياض بسبقه إيّاه في فتح الحيرة ، أي بتولية خالد فعلاً قيادة عياض بن غنم الذي ما يزال يحاول الوصول الى العراق من شماله ، وقد قامت بوجهه دومة الجندل وحصنها مارد . ولم يستطع فتحها وقصبة دومة الجندل ، أي الجوف ، واقعة على ملتقى طرق خطيرة في وسط القسم الشمالي لجزيرة العرب ولا يجوز أن تبقى القوة التي يقودها عياض بن غنم عاطلة بعيدة عن ساحتي الحركات : الساحة الشرقيّة في العراق ، والساحة الغربية في بلاد الشام حيث تحارب جيوش الإسلام جيوش الروم وإن بقاء دومة الجندل بيد أعداء المسلمين الذين سدوا الطريق بوجه عياض ، يشجع الفرس والروم على الاستناد اليها في حروبهم ضد المسلمين في الشرق والغرب ، والقصبة هذه مركز مهم تجتمع حوله القبائل العربية المعادية للإسلام ، وهي على اتصال مستمر بالفرس بواسطة قبائل تغلب ، وبالروم بواسطة قبائل كلب ومن حالفهم إذن لا بد من الحركة الى دومة الجندل ، لنجدة عياض بن غنم والاستيلاء على ذلك المركز المهم ، وبدون ذلك لا يصبح المسلمون بالعراق وبالشام في مأمن من تشبثات الفرس والروم التي تهدد المسلمين من الخلف وإذا كان الموقف الحربي يتطلب فتح دومة الجندل ، فينبغي التمهيد له ، وذلك بتصفية ما بقي من مراكز المقاومة الفارسية في العراق : أي الأنبار على ضفة الفرات اليسرى ، وعين التمر الواقعة الى غربي الفرات والتي دلت المعلومات على أن جماعات من تغلب تجمعت فيها لمعاونة الفرس ، ولا يجوز التقدم نحو عين التمر وبالأنبار قوة فارسية تسيطر على معبر النهر وتساعد على العبور منه وفي إمكان هذه القوة الفارسية تهديد خط مواصلات خالد حين مسيره الى عين التمر ، فضلاً عن أن تكون الأنبار مركز مقاومة للتآمر مع القبائل العربية المعادية للمسلمين وعلى رأسها بنو تغلب

لقد جالت في ذهن خالد بن الوليد هذه الخواطر أو ما شابها ، فقرر البدء بفتح الأنبار .

أشار الأخباريون بعد فتح بانقيا وباروسما وقسياثا الى حوادث وقعت في الأنبار ، ويتبين من الروايات أن الاضطرابات التي حدثت في بلاد فارس في زمن الفتح العربي أدت الى إهمال أمر الأنبار ، فلم رابط فيها إلّا حامية ضعيفة ، ولعلها كانت قوية قبيل الحركات في العراق . ولكن ضعف القوات الفارسية التي اضطرت الى الاشتباك مع قوات المسلمين في جنوب العراق ، جعل قيادة الفرس تسحب بعض جنود الحامية ، وتبعثهم الى الجنوب . وفي رواية لسيف بن عمر أوردها الطبري [1] : « أن أهل فارس كانوا بموت أردشير مختلفين في الملك ، مجتمعين على قتال خالد متساندين وكان بذلك سنه (؟) والمسلمون يمخرون ما دون دجلة ، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر ، وليس لأحد منهم ذمة ، إلا الذين كاتبوه واكتتبوا منه ، وسائر أهل السواد جلاء ومتحصنون ومحاربون »

ولا نعلم المدة التي قضاها خالد في الحيرة ، ويغلب على الظن أنه افتتحها يوم وصول جنده إليها ولا بد أنه قضى فيها بعض الوقت ، لتنفيذ شروط الصلح ، ولإشرافه على أعمال العمال الذين بعثهم الى الأطراف وفي رواية أن خالداً قضى خمسين ليلة في الحيرة بعد فتحها ، ولا ريب في أن الأخبار التي وردت من عيونه عن الأنبار شجعته على فتحها .

الإغارة على سوق بغداد وسوق الخنافس : أشارت الروايات حين ذكرها فتح الأنبار الى إغارات على سوق بغداد ، ولم يفهم منها بجلاء هل وقعت قبل فتح الأنبار أو بعده . وبينما ذكر البلاذري خبرها ، لم يذكرها سيف بن عمر الذي اعتاد أن يسهب في أخبار الفتوح ، ولكنه أسهب في إيراد خبر الإغارات على سوق بغداد وسوق الخنافس في حوادث سنة ١٣ ﻫ في خلافة عمر ، وكأنها وقعت بعد انتصار المسلمين على الفرس في وقعة البُوَيب . فهل أخطأ سيف ابن عمر في التأريخ وذكر الواقعة المذكورة في حوادث سنة ١٣ ﻫ بدلاً من سنة ١٢ ﻫ ؟ أو أن الوقعة تكررت فوقعت أولاً حينما كان خالد يقود الحركات في العراق ، ووقعت مرةً أخرى في سنة ١٣ ﻫ قبل تولية سعد بن أبي وقّاص القيادة في العراق ، أي بعد أن انتقم المسلمون من

(١) الطبري (٢/٥٧٢)

الفرس عن هزيمة الجسر بانتصارهم عليهم في معركة البُوَيْب ؟ وقد أدمج سيف في روايته خبر الإغارة على سوق الخنافس في خبر الإغارة على سوق بغـداد ، وزعم أن المسلمين قدموا الى الخنافس من الأنبار

وذكر الطبري خبر الإغارة على سوق بغداد نقلاً عن المدائني ، وسجلها في حوادث سنة ١٢ هـ ويبدو لنا أن سيف بن عمر أدخل الإغارة على سوق بغداد خطأ في حوادث سنة ١٣ هـ ، ولم يذكر البلاذري والمدائني خبراً عن سوق الخنافس ، مع أن سيف بن عمر ذكر الخبر مفصلاً ونذكر فيما يأتي الروايات الباحثة عن تلك الإغارات :

ذكر البلاذري : « أن خالداً أتى الفلاليج مُنْصَرَفَهُ من بانقيا وبها جمع للعجم ، فتفرقوا ، ولم يلق كيداً فرجع الى الحيرة ، فبلغه أن (جابان) في جمع عظيم بلستر ، فوجه اليه المثنى بن حارثة الشيباني وحنظلة بن ربيع بن رياح الأسيدي من بني تميم فلما انتهيا إليه هرب ، وسار خالد الى الأنبار ، فتحصن أهلها ، ثم أتاه من دله على سوق بغداد وهي السوق العتيقة عند قرن الصَّراة فبعث خالد المثنى بن حارثة ، فأغار عليه ، فملأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء وما خف حمله من المتاع ، ثم باتوا بالسليحين ، وأتوا الأنبار وخالد بها ، فحصروا أهلها ، وحرقوا في نواحيها ... فلما رأى أهل الأنبار ما نزل بهم ، صالحوا خالداً على شيء رضي به ، فأقرهم . ويقال إن خالداً قدّم المثنى الى سوق بغداد ، ثم سار بعده فتولى الغارة ، ثم رجع الى الأنبار » وأضاف البلاذري قائلاً : « وليس ذلك بثبت [1] »

أما الطبري فذكر رواية المدائني ، وقد جاء فيها : « أن خالد بن الوليد أتى الأنبار ، فصالحوه على الجلاء ، ثم أعطوه شيئاً رضي به ، فأقرهم ، وأنه أغار على سوق بغداد من رستاق العال ، وأنه وجه المثنى فأغار على سوق ، فيها جمع لقضاعة وبكر ، فأصاب ما في السوق ، ثم سار الى عين التمر [2] »

أما سيف بن عمر الذي أدخل وقعة سوق بغـداد في حوادث سـنة ١٣ هـ ، فذكر ما يلي :

(١) البلاذري (ص ٢٤٧) (٢) الطبري (٢/٥٨٢)

« أتى رجلان المثنى : أحدهما أنباري ، والآخر حيري ، يدله كل منهما على سوق . فأما الأنباري فدله على الخنافس ، وأما الحيري فدله على بغداد [1] »

أما ياقوت فذكر « أن المثنى أتى الأنبار ، فتحصن أهلها فيها ، فأرسل الى مرزبانها ليسير اليه فيكلمه . فعبر المرزبان ، وقال له المثنى : إنه يريد الإغارة على سوق بغداد ، ويريد أن يبعث معه أدلاء ، ويعقد له الجسر . ففعل المرزبان ، وقد كان قطع الجسر قبلاً ، لئلا تعبر العرب عليه » .

ويفهم من خبر البلاذري أن خالداً بعث المثنى الى سوق بغداد قبل محاصرته للأنبار . أما المدائني، فروى أن خالد بن الوليد وجه المثنى الى السوق بعد صلح الأنبار . وأما رواية سيف بن عمر ، فلا يعلم منها هل أن الرجلين دلاه على السوقين قبل فتح الأنبار أو بعده ؟

ويستنبط مما ذكره ياقوت أن الإغارة على سوق بغداد شنت بعد فتح الأنبار ، ويفهم منها أيضاً أن المثنى أتى الأنبار من ضفة الفرات اليمنى . وفيما قاله ياقوت إشارة صريحة الى وجود جسر بالأنبار قطعه المرزبان لئلا يعبر العرب عليه .

***

ويتبين من تفصيل ما تقدم أن خالد بن الوليد بعد فتحه لبانقيا وباروسما وقسياثا أعتزم فتح الأنبار ، ولكنه قبل أن يقدم على ذلك بث رجاله في الأطراف بين الفرات ودجلة ، وأغار رجاله على الطسوج الواقعة بين النهرين . وكان عماله في هذه الغزوات : عبد الله بن وثيمة النصري، نزل بالفلاليج على المنعة ، وقبض الجزية . وبشير بن الخصاصية على النهرين ، وسويد بن مقرن المزني على لستر ، وأط بن أبي أط من بني سعد بن زيد مناة على روذمستان .

والطسوج التي ورد ذكرها في الروايات : طسوج كورة بهقباذ الأسفل ومنها لستر وروذمستان ، ومن طسوج كورة بهقباذ الأوسط بانقيا وباروسما . أما النهرين والفلاليج ، فمن طسوج بهقباذ الأعلى . والكورات هذه تمتد شمالاً من طسوج عين التمر ، وهي من كورة

---

(1) الطبري (٢/١٥٥) .

بهقباذ الأعلى الى لستر وروذمستان الواقعتين شرقي الفرات ، والسليحين في الضفة الغربية منه ، ومن مواقعه الخورنق وضيزن آباد أما الفلاليج ، فليست هي الفلوجة الحاضرة التي تقع في كورة فيروز سابور ومن طسوجها الأنبار ، بل هي أسم علم لقرى عديدة واقعة على ضفتي الفرات من جنوبي الأنبار إلى شمالي النخيلة ، وهي الفلاليج العليا في الشمال ، والفلاليج السفلى في الجنوب وكان في العراق موقعان يدعيان بالخنافس : موقع بين الأنبار وسوق بغداد على الطريق ، وموقع آخر غربي الفرات على طريق البادية الذي يربط الحيرة بالفراض ويمر بعين التمر ؛ وكذلك نهران أو جدولان يدعيان بالسيلحين : الأول يأخذ الماء من الفرات من فم مجمع الأنهار قريباً من الجمّارة ، والثاني يأخذ الماء من جدول الصراة ويسقي المزارع بين الأنبار وسوق بغداد

وكان غرض خالد من تلك الإغارات قبض الخراج ، وضمان الأرزاق لجنوده ، ونشر فتوحاته إلى ضفاف دجلة ما أمكنه ذلك لهذا لايستبعد أنه بعث المثنى الى سوق بغداد قبيل فتحه للأنبار .

ذكر البلاذري أن السوق واقعة في قرن الصّراة قريباً من المكان الذي يصب نهر الصّراة ماءه في دجلة ، وهو من الأنهار التي تستقي الماء من الفرات وتجري الى الجنوب الشرقي نحو دجلة ، ولعل مكان السوق يقع جنوبي الشالجية . وذكر ياقوت أن أهل الحيرة قالوا للمثنى : إن بالقرب منّا قريةً تقوم فيها سوق عظيمة كل شهر مرة ، فيأتيها تجار فارس والأهواز وسائر البلاد ، يقال لها إذ ذاك (بغداد) .

ونحن نميل الى أن الإغارة وقعت قبل فتح الأنبار ، والإغارة بحد ذاتها تتمة للإغارات التي شنها رجال خالد بين دجلة والفرات بعد فتح الحيرة وهي عمل متصل بتلك الأعمال ومن الروايات ما يجعل خالداً قد قام بنفسه بالإغارة ولكننا نستبعد ذلك ؛ لأنها لا تستدعي سوق قوة كبيرة بحيث يقودها خالد بنفسه ، والإغارة تتطلب سرعة الحركة والمباغتة ، ولا يتم ذلك إلا بقوة صغيرة سريعة الحركة ، لهذا نؤيد القول إن المثنى كان على رأس المغيرين وسواءٌ أكانت الإغارة على السوق قبيل الفتح أو بعده ، فان رجلاً ، ولعله من أهل الحيرة ، قد دلّ خالداً على سوق بغداد . فبعث خالد المثنى ، فأغار عليها .

لقد ذهب « موسل » الى ما ذهبنا اليه ، وعدّ رواية سيف بن عمر في هـذا الصدد تخص حوادث وقعت سـنة ١٢ هـ وكان « كيتـاني » برغم أعتماده على الراويين المدنـيين الواقدي وأبن اسحاق ، قد أنـكر رواية المدائني عن إغارة المثنى على سوق بغداد ، وعدّ كل ما قيل عن حركات جرت في الضفـة اليسرى للفرات غير صحيحـة ، حتى انه أنـكر فتح خالد للأنبار . وحجته في ذلك كما بينـا قبـــلاً أن خالداً لم يأت العراق فاتحاً ، إنما أتى مغيراً ولـكن « موسل » سـفّه رأي « كيتاني » في عدة مناسبات ، وعد ما بينه سيف بن عمر توضيحاً لما ذكره البلاذري ورواه المدائني صحيحاً ؛ لأن الواقع التي ذكرها في الإغارة على سوق الخنافس وسوق بغداد تدل على معرفة راويها لجغرافيا البلاد

وتبدأ رواية سيف بن عمر عن الخنافس التي جاء خبرها في حوادث سنة ١٣ هـ بنزول المثنى في « أُلَّـيْـس » ، قرية من قرى الأنبار ، وإخبار الرجلين أياه بسوق الخنافس وسوق بغداد ولما سألهما : أيهما أعجل ؟ أجابا : سوق الخنافس وهي سوق يتوافى اليها الناس وتجتمع فيها ربيعـة وقضاعة والخبر هذا يتفق مع ما رواه المدائني عن سوق بغداد . فبدأ المثنى بسوق الخنـافس وأنتسفه ، وسلب الخفراء ثم عاد يطرق دهاقين الأنبار ، فقدموا له العلف والأرزاق ، وأتوه بالأدلاء على سوق بغداد ولم يشر البلاذري ولا المدائني الى سوق الخنافس في حوادث سنة ١٢ هـ ترى هل وقعت وقعة الخنافس في ســـنة ١٣ هـ بعد أنتصار المسلمين على الفرس في معركة البُـوَيْـب ، فخلط سيف أخبارها بأخبار سوق بغداد ؟ إن سياق الخبر يوحي بأن الوقعة جرت بعـد فتح الأنبار بمدة طويلة ، حينما كان المسلمون يصولون ويجولون في أطراف الأنبار ، ويطلبون الى الدهاقين والمرازبة تقـديم الأرزاق والعلف ومساعدتهم على توجيه الإغارات ، حتى إن المثنى يطلب من مرزبان الأنبار نصب الجسر ، ممـا يدل على أن المثنى كان في الضفـة اليمنى ، وأراد العبور الى الضفة اليسرى في الأنبار ، ليبدأ بإغارتـه . وقد حقّـق « موسل » مواقع الإغارة على السوقين في كتابه الفرات الأوسط [1] ، وذكر أن سيف بن عمر في روايته

(١) الفرات الأوسط : هامش (ص. ١٣٤) .

عن « مُحفِّر » عرّف المنطقة التي جرت فيهـا الحركات إن المنطقة بين الأنبار وسوق بغداد تقطعها أنهر تأخذ الماء من الفرات وتصبه في اتجاه دجلة

ويظهر من نص الرواية أن المثنى أهم كثيراً بكتمان خبر الإغارة ، وجعل حركته ليلاً ، ولم يأمن أهل القرى التي مرّ بها ، إما حبسهم لـكيلا يسبقوا الأخبار وقد نجحت إغارته على السوق ؛ لأنه باغت أهلها .

ونذكر فيما يأتي رواية سيف بهذا الصدد ، نقلها عن عبد الله بن محفِّر قال محفِّر : « قال رجل من أهل الحيرة للمثنى : ألا نَدُلُّك على قرية يأتيها تجار مدائن كسرى والسواد ، ويجتمع بها في كل سنة مرة ، ومعهم فيها الأموال كبيت المال ، وهذه أيام سوقهم ، فان أنت قدرت أن تُغير عليهم وهم لا يشعرون أصبت فيها مالاً يكون غناء للمسلمين ، وقووا به على عدوهم دهرهم ؟ قال : كم بين مدائن كسرى وبينها ؟ قال : بعض يوم ، أو عامّة يوم قال : فكيف لي بها ؟ قالوا : نأمرك ــ إن أردها ــ أن تأخذ طريق البر حتى تنتهي الى الخنافس ، فإنّ أهل الأنبار سيضربون اليهـا ، ويخبرون عنك ، فيأمنون ثم تعرج على أهل الأنبار ، فتأخذ الدهاقين بالأدلاء ، فتسير سواد ليلتك من الأنبار ، حتى تأتيهم صبحاً فتصبحهم غارةً فخرج المثنى من ألّـيس حتى أتى الخنافس ، ثم عاج حتى رجع الى الأنبـار فلما أحس صاحبه ، تحصّن وهو لا يدري من هو ، وذلك ليلاً فلما عرفه ، نزل اليه ، فأطعمـه المثنى ، واستكتمه ، وقال : إني أريد أن أغير ، فأبعث معي الأدلاء الى بغـداد ، حتى أغير منها الى المدائن قال : أنـا أجيء معك قال : لا أريد أن تجيء معي ، ولـكن أبعث معي من هو أدلّ منك فزوّدهم الأطعمةَ والأعلاف ، وبعث معهم الأدلاء ، فساروا ، حتى اذا كانوا بالنصف ، قال لهم المثنى : كم بيني وبين هذه القرية ؟ قالوا : أربعة أو خمسة فراسخ فقال لأصحابه : من ينتدب للحرس ؟ فانتدب له قوم قال : أذكوا حرسـكم ، ونزل وقال : أيها النـاس ! أقيموا واطعموا ، وتوضؤوا ، وهيّـؤوا وبعث الطلائع ، فحبسوا الناس ، ليسـبقوا الأخبار فلما فرغوا ، أسرى اليهم آخر الليل ، فعبر اليهم في أسواقهم ، فوضع فيهم السيف ، فقتل ، وأخذوا ما شاؤوا ، وقال

المثنى : لا تأخذوا إلاّ الذهب والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع الا ما يقدر الرجل على حمله على دابّته وهرب أهل الأسواق ، وملأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء . ثم خرج كارّاً حتى نزل بنهر السيلحين بالأنبار » وأخيراً قال الراوي : « وأقبل بهم ، ومعهم أدلاؤهم يقطعون بهم الصحاري والأنهار ، حتى أنتهى بهم الى الأنبار [1] »

وقد يظهر من فحوى الرواية أن الإغارة على سوق الخنافس وسوق بغداد بدأت من الأنبار مما يدل على أنها وقعت بعد فتح الأنبار . وينبغي أن لا يُفهم أن دهاقين الأنبار كانوا يسكنون الأنبار . والدهقان هو صاحب المقاطعة من أهل البلاد ، يسكن القرى الواقعة في طسوج الأنبار فلا يستبعد أن خالداً حينما أقدم على فتح الأنبار ، بعث المثنى للإغارة على قرى الأنبار . فقام المثنى بإغارته مصحوباً بالأدلاء الذين هيأهم له الدهاقين

بين « موسل » في كتابه « العراق الأوسط » أن رواية سيف توصلنا الى معرفة موقع الخنافس ، وقال : إن ثمة طريقاً يربط الأنبار بالخنافس ، وإن نصف المسافة بين الأنبار والخنافس يبلغ أربعة فراسخ أو خمسة ، ويمتد الطريق بمحاذاة جدول السيلحين ، ويجتاز نهراً آخر قبل أن يصل الى الخنافس ووجود السوق في الخنافس ، يدل على أن الموقع هذا كان محطة القوافل التجارية ، وأنه قريب من موقع بغداد القديمة .. ويظهر مما ذكره سيف وياقوت أن الخنافس من طسوج البردان يمكن تثبيته في غربي قصبة « الكاظمية » الحاضرة التي تبعد عن الأنبار زهاء خمسة وخمسين كيلو متراً ، أي زهاء عشرة فراسخ أما النهر الذي قطعه المثنى فلعله نهر دُجَيْل القديم وأما السيلحون ، فذكر « موسل » أنه موقع الصالحيين الحديث الواقع غربي بساتين « الكاظمية » على بعد عشرين كيلو متراً على طريق الأنبار

بقي أن نعرف متى بعث خالد المثنى للإغارة ، وأي طريق سلك في إغارته ؟ ذكر الطبري أن كتاب صلح الحيرة كتب في شهر ربيع الأول سنة ١٢ هـ ، وأن كتاب صلح بانقيا وباروسما كتب في صفر للسنة نفسها ولكننا نعلم أن الطبري جعل فتحها بعد الحيرة . ولعلّ الطبري

(١) الطبري (٢/٦٥٥-٦٥٦) .

في اشارته الى هذا التأريخ جارى راويي الدينة الواقدي وأبن اسحاق اللذين قدّما فتح بانقيا وباروسما على فتح الحيرة ، لهـذا نجزم بأن كتاب صلح بانقيا كتب في شهر ربيع الأول أيضاً ، ويوافق أول شهر ربيع الأول ١٥ أيار سنة ٦٣٣ م وفي رواية لسيف بن عمر أن خالداً جبى الخراج في خمسين ليلة[1] واذا صح الرواية يكون خالدٌ قـد قضى في الحيرة أكثر من شهر ونصف شهر ، لتوطيد الحكم في البلاد التي فتحها وقبض الخراج من أهلها ، لهـذا يجوز أن الإغارة وقعت على سوق بغـــداد بعد فتح الحيرة بنحوٍ من شهر وأكثر ، أي في نهاية شهر ربيع الآخر . ويصادف هذا التأريخ منتصف تموز

ومما يدل على أن خالداً بعث المثنى الى سوق بغـــداد قبل فتح الأنبار ، سكوت أكثر الروايات عن أشتراك المثنى في فتح الأنبار ولعل الرواية التي أشارت الى أن المثنى قبل إغارته على سـوق الخنافس طلب من مرزبان الأنبار مساعدته ، رواية تشير الى حوادث وقعت سنة ١٣ هـ ، أي بعد موقعة البُـوَيْب ، إذ فسح للمسـلمين أن يجوبوا في البلاد وعلى رأسهم المثنى وإذا كان حقاً أن أحد الحيريين دل خالداً على سوق بغداد ، فلا نستبعد أن الإغارة وقعت حينما كانت بعوث خالد يشنون الإغارات في الأطراف بين الفرات ودجلة ، ويقبضون الخراج وادا صح ظننا هـذا ، يكون المثنى قد عبر الفرات في جوار قسياثا ، وسـلك الطريق المحاذي للضفة اليسرى للفرات ، ثم عرج على السوق

فتح الأنبار : لقـد لاح لنا من تقدير الموقف الحربي أنه لا يجوز لخالد أن يمرض خلفه للخطر ، ويقدم على فتح عين التمر ما دامت الأنبار بيد الفرس واذا صدقت الرواية التي تزعم أن خالداً قضى خمسين ليلة في الحيرة ، فان حركته الى الأنبار تصادف أوائل جمادى الأولى ، ولـكن هناك رواية تشير الى أن فتح عين التمر تم في شهر ربيع الآخر ، ومعنى ذلك أن حركات خالد في العراق من أطراف البصرة الى عين التمر حشدت في شهرين ؛ لأنه بلغ أطراف البصرة في أوائل صفر سنة ١٢ هـ ، لهذا لا نحسب أن التأريخ الذي ورد في فتح عين التمر صحيح

(١) الطبري (٥٧٢/٢)

ليس في روايات فتح الأنبار إشارة الى أن خالداً عبر جسراً ، هل كان الجسر معقوداً في زمن الفتح ، أو أن قائد الحامية في الأنبار أمر بإغلاقه بعد أن تواردت الأخبار عن انتصارات المسلمين وفتحهم للحيرة ؟ ومن المعقول أن يُغلق الجسر بسحب « الجسّاريات » الى الضفة اليسرى ، لأن الفيضان في الفرات يبدأ في شهر نيسان ، ويبلغ ذروته في أيّار ، وتبقى مياهه مرتفعة في شهري حزيران وتموز وفي هذا الشهر ، أي نيسان ، يصعب عبور الفرات خوضاً ، لهذا لا نرى أن المخاضات وقتئذٍ كانت مساعدة على الخوض .

وكان سيف بن عمر الراويَ الوحيد الذي فصل بعض التفصيل فتح الأنبار ، ويبدو أن المؤرخين الذين كتبوا بعد الطبري أستندوا الى رواية سيف بن عمر في تسجيلهم أخبار الفتح . روى سيف أن خالداً خرج من الحيرة الى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس ، وأستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو والطريق بين الحيرة والأنبار يمتد غربي الفرات بعيداً عن ضفة النهر ، ويمر بكربلاء وفي الرواية إشارة الى أن خالد بن الوليد سلك الفلوجة ، ونزل بكربلاء . والفلوجة هذه ليست « الفَلوُّجة » الحاضرة ، انما هي احدى قرى الفلاليج الأعلى وذكرت الرواية أن شيرزاد كان قائد الحامية الفارسية ، وكانت قليلة القوة كما بيّنّا ، مرابطة في حصن المدينة وأوضحت الرواية أن أهل الأنبار لمّا شاهدوا جند خالد ، تحصنوا وخندقوا عليهم ، وتصايحوا من أعلى السور ويفهم من الخبر أن المقدمة بقيادة الأقرع بلغت الأنبار أولاً ، ثم جاء خالد فأطاف بالخندق وأنشب القتال ووصفت الرواية خالداً أنه كان قليل الصبر عن القتال ، وذكرت أنه أوصى رجاله أن يرموا عيون الأعداء ، ولا يتوخوا غيرها فلما رمى جنوده رشقاً واحداً ، ثم تابعوا ففُقئت ألف عين يومئذٍ ، فسميت تلك الوقعة « ذات العيون » . ولما تصايح عرب الأنبار قائلين ذهبت عيون الأنبار ، راسل شيرزاد خالداً في الصلح على أمرٍ لم يرضه خالد ، فرد رسله . ثم أتى أضيق مكان في الخندق برَذَايا [1] الجيش ، فنحرها ، ثم رمى بها فأفعمه ثم فتح الخندق والرذايا جسور ، فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق ، وأرز القوم

(١) الرذايا : ضعاف الإبل ينحرونها للأكل

الى حصهم ، ودعا شيرزاد ، وراسل خالداً في الصلح على ما أراد ، فقبل منه على أن يخليه ويلحقه بمأمنه في جريدة ليس معهم من المتاع والأموال شيء هذه هي رواية سيف بن عمر عن فتح الأنبار [1] أما ابن خلدون ، فيظهر أنه اختصر رواية سيف بقوله : « ثم سار خالد (من الحيرة) على تعبئته الى الأنبار ، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس ، فكان بالأنبار شيرزاد صاحب ساباط ، فحاصروهم ، ورشقوهم بالنبال » الى أن قال : « ثم نحر ضعاف الإبل ، وألقاها في الخندق ، حتى ردمه بها ، وجازه هو وأصحابه فوقها ، فاجتمع الكفار والمسلمون في الخندق ، وصالح شيرزاد على أن يلحقوه بمأمنه ، ويخلي له عن البلد وما فيها [2] » .

وذكر البلاذري فتح الأنبار باقتضاب ، واكتفى بالقول « إن خالداً أتى الى الفلاليج مُنصَرَفَهُ من بانقيا ، وسار الى الأنبار ، فتحصّن أهلها ، فحاصرهم خالد الى أن عاد المثنى من إغارته على سوق بغداد ، فاشتد الحصار ، وأحرق المسلمون النواحي فلما رأى أهل الأنبار ما نزل بهم ، صالحوا خالداً على شيء رضي به ، فأقرهم » ولكنه بعد أن ذكر ذلك ، عاد وذكر : « أن مشايخ أهل الأنبار حدثوه أنهم صالحوا في خلافة عمر على طسوجهم ، وتولى الصلح جرير بن عبد الله البَجَلي [3] » وذكر المدائني أن « خالد بن الوليد أتى الأنبار ، فصالحوه على الجلاء ، ثم أعطوا شيئاً رضي به ، فأقرهم [4] »

هذه كل الأخبار عن فتح الأنبار ويُفهم من رواية سيف بن عمر أن رجال خالد باغتوا أهل الأنبار ويتبين من الروايات أن الحامية الفارسية كانت قليلة العدد ، وأن خالداً رضي أن تترك المدينة ، وتسير الى مأمنها بحراسة جريدة من الخيل ويتبادر من هذا الى الذهن هذا السؤال : أي طريق سلكت مقدمة خالد ، ومن أي محل عبر خالد الفرات ؟ وهل الأخبار تخص محاصرة المدينة أو محاصرة الضاحية المقابلة للمدينة والواقعة في الضفة اليمنى ؟ هذه أسئلة من العسير الاجابة عنها ، وقد بيّنا سابقاً أن مياه الفرات كانت ما تزال يومئذٍ مرتفعة ، فاذا

---

(1) الطبري (٢/٥٧٥) (2) ابن خلدون (٣/٨١)
(3) البلاذري (ص ٢٤٧) (4) الطبري (٢/٥٨٤)

ساعدت على خوض الخيل بعض المخاضات ، فانها لا تساعد على عبور الإبل واذا كان خالد عبر الفرات على جسر ، فأي جسر هذا ؟ وهل كان يوجد شمالي النخيلة جسر ثانٍ ؟ فنحن نعلم أن الجسر الذي يربط الحيرة بالمدائن كان في أطراف قسياثا ولم نعثر في جميع الروايات على خبر يشير الى أن خالد بن الوليد عبر الفرات قبل وقوفه أمام خندق الأنبار ، هل عبر الفرات على جسر قسياثا وسار على الضفة اليسرى الى الأنبار ؟ وهذا مسير يتعرض فيه للخطر من الجانب الأيمن ، أو أن رواية نحر ضعاف الإبل وإلقائها في الخندق لتكون جسراً تشير الى وقائع جرت في الضاحية المقابلة للأنبار ؟ وهل كانت هنالك ضاحية ؟

الواضح من الروايات أن مدينة الأنبار ، أو ضاحيتها ، أستسلمت لخالد من غير مقاومة تذكر ؛ لأن القتال لم يتعدَّ الرشق من على الأسوار بالنبال ، وأصطدامَ المسلمين والمشركين في الخندق ويبدو مما أورده البلاذري أن الذي أضطر أهل الأنبار الى الأستسلام بعد أن خندقت الحامية في الحصن ، هو بث المسلمين رجالهم في الأطراف وحرقهم النواحي . ومن الطبيعي أن تكون للأنبار مزارع وبساتين ، مما يدل على أن المسلمين هددوا أهل الأنبار بقطع النخيل وحرق الأطراف ، لذلك لم يصبر الأهلون على المقاومة ، ولا سيما أن الحامية كانت لا تستطيع طرد المسلمين ، فأجبروا قائد الفرس شيرزاد على قبول ما رضي به خالد ، وكان قبل ذلك عرض شروطاً لم يرضها

وسمح خالد للحامية أن تغادر ، وعقد الصلح مع أهل الأنبار بالشروط التي أملاها عليهم ، وأرفق الحامية بحرسٍ من رجاله لئلا يصيبها مكروه في طريقها الى المكان الذي تأمن فيه . وجاء في رواية سيف : أن شيرزاد قدم على بهمن جاذويه ، وأخبره بما جرى ، فلامه على تصرفاته . أين كان بهمن جاذويه ؟ هل كان في المدائن أو في ساباط أو بهرسير ، والموقعان من ضواحي المدائن على الضفة اليمنى من دجلة ؟

لقد أنكر « كيتاني » على عادته وقعة الأنبار بالرغم من أعتماده على رواة المدينة ، مع أن المدائنيّ الذي ذكر الفتح منهم ، ورأى أستحالة عبور خالد النهر ومحاصرته للأنبار . وفي رأي

« كيتاني » أنه ما دام الواقدي وأبن اسحاق لم يذكرا خبر الإغارة على سوق بغداد ، ولم يشيرا الى فتح الأنبار ، فلا الإغارة وقعت ، ولا الفتح وقع بحسب أجهاده

ومن الأسباب التي أوردها في إنكار الفتح أن خالداً لا يستطيع عبور النهر من غير مساعدة الأهلين ، وأنه لم يذهب الى العراق للفتح ، فهو لهذا لايضيع وقته بمحاصرة المدن ، ولا سيما أنه لا يملك آلات الحصار

صحيح أنه لا يمكنه العبور من غير مساعدة الأهلين ، ولكن الروايات دلت على أن الأهلين لم يكونوا قلباً وقالباً مع الفرس فقد أبدينا فيما سبق مخالفتنا لرأي « كيتاني » في مهمة خالد ؛ لأن جميع الحوادث تدل بصورة لا تقبل الجدل أن خالد بن الوليد أتى العراق لفتح ما يستطيع فتحه وفي الحق أنه لو لم تقم العراقيل بوجه عياض بن غنم ، ولو أنه أتى العراق بعد فتح خالد للحيرة ، لكان هذا القائد الهمام قد أقدم على فتح المدائن كما تمنى ذلك وتحسر عليه ذكر الطبري أن خالداً بعد فتح الحيرة ، قال للمسلمين : « لو لا ما عهد اليّ الخليفة ، لم أتنقذ عياضاً ، وكان شجى وأشجى بدومة ، وما كان دون فتح فارس شيء » وأضافت الرواية أنه كان قد « عهد اليه أن لا يقحم عليهم (الفرس) وخلفه نظام لهم ، وكان بالعين عسكر لفارس ، وبالأنبار آخر ، وبالفراض آخر [1] » ونقول : إنه لو لم يقصد خالد الفتح ، لما فتح الحيرة وأستقرّ بها ردحاً من الزمن ، ولما بثّ العمال في الأطراف لجباية الخراج ، ولما فتح عين التمر واستخلف الأمراء على إدارة البلاد التي فتحها

عين التمر : لقد ثبتنا في بحثنا لجغرافيا العراق موقع عين التمر في زمن الفتح العربي [2] ، وذكرنا أنها تقع في أطراف قرية « شفاثا » أو « شثاثة » كما يلفظها الأهلون وهي على بعد أثنى عشر كيلو متراً شمالي القرية ، وذكرها ياقوت في معجمه وقال عنها : إنه يجلب منها القسب والتمر الى سائر البلاد وهو بها كثير جداً ، وهي على طرف البرية ، وهي قديمة أفتتحها المسلمون أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ هـ ، وكان فتحها عنوة وذكر

(١) الطبري (٢/٥٧٣) (٢) الجزء الأول من المجلد الثالث من مجلة المجمع العلمي العراقي

الطبري أنها فتحت على يد خالد قبل سفره الى الشام في السنة ذاتها

أما البلاذري ، فبينما أشار الى أن فتحها تم قبل أخذ خالد كتاب أبي بكر بالذهاب الى الشام ، ذكر في محل آخر عند كلامه على شخوص خالد الى الشام وما فتح في طريقه : أن خالداً سار في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ، فأتى عين التمر ففتحها عنوة ، ثم أضاف قائلاً : ويقال إن كتاب أبي بكر وافاه وهو بعين التمر وقد فتحها ، فسار خالد من عين التمر الى صندوداء [1] . وأشار اليعقوبي أيضاً الى أن خالداً فتح عين التمر بعد أخذه كتاب أبي بكر بالسفر الى الشام .

لقد ثبتنا في مقالنا عن سفر خالد بن الوليد الى الشام [2] : أن خالداً أخذ كتاب أبي بكر بالسفر بعد عودته من حجته الى الحيرة ، أي في نهاية سنة ١٢ هـ ، وأشرنا الى خلط الرواة وتقديمهم بعض حركات خالد على غيرها . وما تزال عين التمر على طرف البادية بعيدة عن القسم المعمور من أرض السواد ، وفي أطرافها عيون كثيرة غرست عليها أشجار النخيل بكثرة ، وساعدت مياهها على نمو النخيل للوحها وكانت عين التمر والأنبار والفراض من المراكز التجارية المهمة ، وكان الذي يملكها ويسيطر على دومة الجندل في وادي السر يصبح حاكماً على البادية الشمالية من جزيرة العرب وكانت العين ملتقى طرق عديدة : طريق الحيرة الى الجنوب الذي يمر بالقطقطانة والرهيمة ، وطريق كربلاء شرقاً الذي يمر بدير قرة وينتهي بالنخيلة حيث يلتقي بطريق الحيرة — الأنبار ، وطريق صندوداء شمالاً ، وطريق آخر يمتد الى الشمال الغربي ويمر بالجناب والخنافس وينتهي بالفراض الواقع على ضفة الفرات اليمنى ، وكانت على ملتقى الحدود الفارسية البيزنطية .

وكانت عين التمر محصنة ، وعلى شرقيها يقع « قصر مقاتل » الذي ورد ذكره في حوادث القرن الأول الهجري وأقام الفرس بها حامية يسندها بنو تغلب الذين كانوا حلفاء الفرس ، وكانت العين في ديارهم ولعل وقوف قبائل بني بكر بجانب المسلمين والانتصارات التي نالها

(١) البلاذري (ص ١١٨)

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد نشر المقال في أجزائها ، وطبع مستقلا أيضاً

المسلمون بمعونة هذه القبائل ، قد غاضت بني تغلب ، وجعلتهم يتحزبون للفرس أكثر فأكثر .

لقد فتح خالد الأنبار ، وبذلك أكمل فتح جميع البلاد التي على ضفة الفرات الغربية من الأُبُلَّة الى الأنبار ولم يكتف بذلك ، بل بسط نفوذه على البلاد التي بين الفرات ودجلة ، وانتشر رجاله فيها غازين ، حتى أوصلت الروايات سراياه الى السِيب بجوار العزيزية لهذا رأى خالد بعد هذا النجاح الذي ناله في مدة قصيرة أن يلتفت الى العمل الذي أمره به أبو بكر حين وجهه الى العراق بأن يستبق هو وعياض بن غُنم الى الحيرة ، وأن يكون السَّبّاق ردءاً للآخر . فكان خالد السبّاق ، فليكن رِدْءاً لعياض الذي ظل متردداً أمام دومة الجندل التي قالت الرواية إنها أشجت عياضاً وشجت . ولكن كيف يذهب الى نجدة عياض وحصنُ عين التمر ما يزال بيد الفرس ، وهو حصن حصين تجمعت به تغلب ؟ ولا بدّ أن خالداً استخبر أن الفرس يحرّضون بني تغلب عليه ، ويعدونهم بالمال ، ليمرقلوا فتوحاته ، وبذلك يتسنّى للفرس اهتبال الفرص لاسترداد ما أضاعوه من ممتلكات في العراق ، لهذا ما إن أتمّ خالد فتح الأنبار ، أو ازالة خطره على الأقل ، إلّا نراه يتوجه الى عين التمر واختلفت الروايات في زمن فتح عين التمر كما بينا ، حتى إن بعض الروايات جعلت فتح الأنبار أيضاً تمّ بعد أخذ خالد كتاب الخليفة بالسفر الى الشام وقد فندنا هذه الروايات في مقالنا المذكور ، واستبعدنا قيام خالد بأعمال تؤخر سفره الى الشام ، وقد أمر أن يسرع الى نجدة مَنْ بالشام ، وبينا بوضوح أن خالداً أخذ كتاب الخليفة بعد أن أكمل فتوحات العراق وعودته من الحج في نهاية سنة ١٢ هـ وأشارت بعض الروايات الى أن خالداً مرّ في طريقه الى الشام بعين التمر وفتحها . وقد أثبتنا في مقالنا سفر خالد بن الوليد الى الشام أنه ذهب من الحيرة ، ومرّ بدومة الجندل ، ومنها عرج على المفازة بين قراقر وسوى ، فقطع المفازة ووصل الى الشام لهذا نرى أنه ذهب من الأنبار ماراً بصندوداء في طريقه الى عين التمر لفتحها ، وهذا هو الطريق الأقصر . وتقع قرية صندوداء ، كما ذكرنا قبلاً ، على الضفة اليمنى من الفُرات شمال غربي الأنبار وجنوب شرقي الرمادي على بعد زهاء عشرين كيلو متراً ، ويطلق على موقعها اسم « المشهد » أو « المُشَيهد » حيث تقام

جواره سدة لتحول دون تسرب مياه بحيرة الحبانية عملاً بمشروع توسيع البحيرة . وفي الأخبار ما يشير الى أن صندوداء فتحت بعد الأنبار ، وأن خالداً ولى أحد رجاله عليها .

فتح عين التمر : روى سيف بن عمر عن فتح عين التمر ، قال : « لمّا فرغ خالد من الأنبار ، واُستحكمت له ، اُستخلف على الأنبار الزبرقان بن بدر ، وتصدى لعين التمر وبها يومئذ مهران بن بهرام جوبين في جمع عظيم من العجم وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وإياد ومن لفّ لفّهم فلما سمعوا بخالد ، قال عقة لمهران : إن العربُ أعلم بقتال العرب ، فدعنا وخالداً قال : صدقت ، لَعَمْري لأَنتم أعلم بقتال العرب ، وإنكم لمثلنا في قتال العجم فخدعه واُتّقى به ، وقال : دونكوهم . وإن اُحتجم الينا أعنّاكم [1] » ويُفهم من هذه الرواية أن قوة الفرس في عين التمر كانت قليلة ، وهذا ينطبق على الموقف العام ولما لم يستطع الفرس حشد قوات كافية للدفاع عن أرض السواد ، لم يستطيعوا إقامة حامية كافية في عين التمر ويفهم أيضاً أن قائد الفرس مهران شجع عقة على مقاتلة خالد ، وخدعه ومما يؤيد ذلك ما ورد في رواية سيف بن عمر حين أشار الى أن الفرس اُستقبحوا عمل قائدهم ، فسألوه : ما الذي حمله على ما قاله لعقة ؟ فقال لهم : « دعوني ، فإني لم أرد إلّا ما هو خير لكم ، شرّ لهم فان كانت لهم على خالد فهي لكم ، وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يَهِنُوا فنقاتلهم ، ونحن أقوياء وهم مضعفون » وذكر البلاذري أن عين التمر كانت مَسْلَحة للأعاجم عظيمة ، وسمى الرئيس العربي فيها هلال بن عقة بن قيس بن بشر النَّمَريّ ، وقال الكلبي : إنه كان يومئذ على عين التمر يومئذ عقة بن قيس بن البشر ويبدو أن مهران كان يرمي من تشجيع عقة على مقاتلة خالد أن ينشب القتال بين المسلمين والعرب من النمر ، وبذلك تشتد الخصومة بين تغلب والمسلمين ، كما ظهر أثرها في الحركات التي جرت في بلاد تغلب بعد عودة خالد من دُومة الجندل

لم ينتظر عقة قدوم خالد الى عين التمر ، إنما اُعتزم مقابلته على الطريق وجاء في رواية

(١) الطبري (٢/٥٧٦)

سيف : « نزل عقـة لخالد على الطريق ، وعلى ميمنته بجير بن عبيد ، وعلى ميسـرته الهذيل بن عمران ، وبين عقة ومهران رَوْحةٌ أو غدوة ، ومهران في الحصن في رابطة فارس ، وعقة على طريق الـكرخ كالخفير[1] » ويتبين من ذلك أن عقـة أقام نفسه قوة أماميّة كما يعبر عنه في التعبئة العسكرية ، مهمها مراقبة تقدم العدوّ ومقاومته ما أمكن ذلك ، حتى يتيسر للقوات الخلفية الاستعداد للدفاع ، مما يدل على أن القائد الفارسي بعثه ليناوش المسلمين من أمام ولقد لفت نظرَ « موسل » ذكرُ سيف بن عمر « الروحة » و « الغدوة » فقال : إن البدو ما زالون يستعملون هذين التعبيرين في أسفـارهم ، وهمـا يبيّـنان المسافة التي قطعها عقة من عين التمر في مسيره الى الشمال الشرقي والروحةُ مسيرُ يوم ينتهي قبل المساء ، أما الغدوة فالسير الى ما بعد المساء أو إلى طلوع الشمس والمسافة بين عين التمر والأنبار على صنـــدوداء زهاء عشرين كيلو متراً ومئة . واذا سار المسافر الى الانبار من دون أن يمر بصندوداء ، فالمسافة زهاء تسعين كيلو متراً ويمر الطريق الأول بمنخفَض الحبّانية ، أما الطريق الثاني فيجتاز هور أبي دبس . والطريقان لابد أن يمرا بمستنقعات الحبانية وهور أبي دبس ، والفيضان يؤدي إلى أن تغمر مياه الفيضان الأطراف وتجعلها بحيرة . واستند « موسل » الى هـذا الحادث ، وقال : إن الـكرخ ربما كان قبلاً أسماً لبحيرة الحبانية واذا سار عقة مسافة روحةٍ ، يكون قد انتظر ورود خالد في مكان بعيد عن عين التمر زهاء ستين كيلو متراً والطريق في هذا المكان يمر بالمستنقعـات التي تضطر المسـافر أن لا يحيد عن الطريق ، ومعنى ذلك أن عقة اختار موقعاً يستطيع بـه أن يعرقل هجوم خالد ولكن هذا الموقع لم يُجْدِهِ نفعاً ؛ لأن سيفاً ذكر في روايته « أن خالد ابن الوليد قدم على عقـة ، وهو معبئٌ جنده ، وقال لمجنّبته : اكفونا ما عنده ، فإني حامل . ووكل بنفسه حوامي ، ثم حمل وعقة يقيم صفوفه ، فاحتضنه ، فأخذه أسيراً ، وانهزم صفه من غير قتال ، فأكثر المسلمون فيهم الأسر ، وهرب بجير والهذيل ، واتّبعهم المسلمون » . واذا صحّت هذه الرواية ، يكون خالد قد باغت عقة ، ووصل الى مكانه وهو على تعبئته ، فلم يمهل

(١) الطبري (٢/٥٧٧)

عقة أن يقيم صفوفه ، بل طلب الى الميمنة والميسرة أن تُناوشا مَنْ يازلهما ، وحمل هو بالقلب ، وحمى جانبيه بالجوامي ، وهزم جند عقة بعد أن أسره ولم تذكر كتب التأريخ الأخرى هذا الاصطدام خارج عين التمر ، وتكاد تشير جميعها الى أن القتال جرى في عين التمر ، فذكر البلاذري أن خالداً بعد فتحه الأنبار أتى عين التمر فألصق بحصنها ، وأشار الى قتال وقع بين خالد وعقة ، وقال : إن هلال بن عقة بن قيس بن البشر النَّمَيري ، على النَّمير بن قاسط ، كان بعين التمر مجمعاً لخالد ، وقاتله ، فظفر به خالد ، إذن لم يجد عقة الموقع الذي اختاره . وبينما كان يتوقع أن يجبر المسلمين على قتاله فى مكان غير مناسب ، باغته خالد ، ولعله سلك طريقاً لم يتوقع عقة أن يسلكه

أما مهران قائد حامية عين التمر الذي تحصن بحصنها ، فانه لما جاءه الخبر بهزيمة جند عقة ، ترك الحصن ، وهرب بحاميته ولعله توجه الى الشمال ليحتمي ببني تغلب . وذكر سيف أن فلال عقة من العرب والعجم انتهت الى الحصن فاقتحموه واعتصموا به ، وأن خالداً أقبل برجاله ونزل على الحصن ، ومعه عقةُ أسير . وكان خالد يتمكن من اقتحام الحصن مع المنهزمين لو لم يكن التعب قد نهك رجاله ؛ لأنهم قطعوا نصف الطريق بين الأنبار وعين التمر ، وقاتلوا عقة ، وكان لابد لهم أن يستريحوا قليلاً قبل استئنافهم المسير لمطاردة العدو

لقد ظن الذين اعتصموا بالحصن أن يكون خالد كمن كان يغير من العرب يمر بالحصن ويغتنم ما يستطيع أن يغتنم ، ويذهب تاركاً الحصن لأهله . ولكنهم رأوا أنه يريد فتح الحصن ، لهذا لم يروا بداً من أن يسألوه الأمان ، ولم يكن في امكانهم المقاومة بعد هزيمة عقة وهرب مهران برجاله أما خالد ، وقد نقم عليهم لمساعدتهم الفرس والتصدي لمقاتلته وهم من العرب ، فأبى إلا أن ينزلوا على حكمه ، فاضطروا الى فتح باب الحصن ، واستسلموا له وذكر سيف أن خالداً « أمر بعقة ، وكان خفير القوم ، وضربت عنقه ، ليوئس الأسرى من الحياة » . وهكذا ضرب أعناقهم جميعاً ، وبذلك تم لمهران ما أراد من توسيع الشقة بين المسلمين وتغلب ، وسنرى آثار ذلك فيما بعد

وروى أبو يوسف في كتاب الخراج فتح عين التمر ، وخبر الفتح هذا لا يختلف في روايته عن وصفه لفتوحات خالد الأخرى قال أبو يوسف : « انتهى خالد من أهل الحيرة حتى أنتهى الى عين التمر فنزل بها ، وبها رابطة لكسرى في حصن ، وأستنزلهم ، فقتلهم ، وسبى نساءهم وذراريهم ، وأخذ ما كان في الحصن من المتاع والسلاح والدواب ، وأحرق الحصن ، وخرب ، وقتل دهقان عين التمر ، وكان رجلا من العرب (يقصد عقة) ، وسبى نساءه وذراريه وأهل بيته ».

دومة الجندل : انتهى خالد من فتوحاته في العراق بفتحه « عين التمر » . وكانت عين التمر ، كما ذكرنا ، آخر ما يربط الفرس بالبلاد الواقعة الى غربي الفرات ؛ وكانت رابطة « الفراض » بشمالي العراق واقعة على الحدود الفارسية البيزنطيه : القسم الشرقي الواقع على الضفة اليسرى بيد الفرس ، والقسم الغربي الواقع على الضفة اليمنى بيد البيزنطيين وبفتح « عين التمر » أنجز خالد أهدافه العسكرية ، ونفذ أمر الخليفة الذي ناط به فتح العراق .

ويظهر من رواية لسيف بن عمر [1] أن خالداً ، وهو ذلك القائد المقدام ، كان يطمح الى فتح العراق كله بأقتحام المدائن ، عاصمة الفرس الشتوية و (مستقر عزّ أهل فارس) كما وصفها أبو بكر ، وقد جاء في تلك الرواية قول خالد المسلمين : « لولا ما عهد إليّ الخليفة ، لم أتنقّذ عياضاً ، وكان شجى وأشجى بـ « دومة الجندل » ، وما كان دون فتح فارس شيء ، إنها لسنة كأنها سنة نساء » .

لقد ذكر الطبري هذه الرواية قبل بحثه في فتح الأنبار وفتح عين التمر . ولكنّ سياق الكلام يدلّ على أن خالداً قال هذا القول بعد فتحه للأنبار ولعين التمر ، ونجدته عياضاً بدومة الجندل ، وأقتحامه حصنها ؛ كذلك يفهم من تلك الرواية أن نفس خالد كانت تتوق لفتح العراق بأقتحامه عاصمته « المدائن »

أما أمر الخليفة ، فكان واضحاً ، يطلب اليه ألا يقتحم « المدائن » اذا لم يفض مسالح فارس ،

---

(١) الطبري (٢/٥٧٣) .

ويأمن أن يؤتى من خلفه ، ويكون عياض رداءاً له بالحيرة لهذا ما إنْ تسلّم كتاب عياض غِبَّ فتح « عين التمر » إلّا وأسرع الى نجدته

وذكر سيف بن عمر أن أبا بكر أرسل الوليد بن عقبة مدداً لعياض بن غنم ، وكان خالد بن الوليد قد بعث مع الوليد الأخماس الى « المدينة » ويظهر أن الخليفة لما علم أن عياضاً لم يستطع فتح دومة الجندل ، ويشق طريقه الى العراق ، اضطر أن يرسل اليه المدد وفي الرواية أن أهل الرأي أشاروا على عياض أن يبعث الى خالد ، ويستمده فعمل برأيهم فقدم رسوله على خالد غِبَّ وقعة عين التمر مستغيثاً ، فعجل الى عياض بكتاب قال فيه : « إيّاك أُريد » ويتبيّن من الأخبار أن عياض بن غنم ظلّ متردداً في طلب النجدة من خالد ، ولعلّ الوليد بن عقبة هو الذي ألح عليه أن يستنجد بخالد

وكانت « دومة الجندل » على ملتقى طرق مهمة ، وهي : طريق دمشق ، وطريق المدينة ، وطريق الحيرة ، وطريق مصر وكانت القوافل التجارية بين بلاد الشام وبلاد الحجاز وبين العراق والشام تمرّ بها وهي واقعة في بطن وادي السر (وادي السرحان) الذي يقطعه طريق « دمشق — المدينة » ؛ وفي بطن الوادي مياه غزيرة كونت واحة ، فيها قرى أخرى وورد ذكر دومة في سِفْر أشعيا في الأصحاح الحادي والعشرين ، وهو قوله : « وقر دومة يصرخ اليّ من سعير » وجاء خبرها في الكتابات الآشورية عن حروب ملك آشور سناحريب وأسرحدون بأسم « أدومو ـ أدومات » وذكرها بلينوس باسم « دوماثا » ، وبطلميوس باسم « دوميثا » ، وجلوكوس باسم « دوماثا » . وسماها جغرافيو العرب « دُومة » و « دَوْمَة » و « دُومة الجندل » كناية عن الحجارة التي بُني بها حصنها ، وبينوا المراحل بينها وبين دمشق والمدينة والكوفة وتَيْماء وذكرها ياقوت في معجم البلدان ، وثبت قول أبي عبيد السكوني فيها : إنها حصن وقرى بين الشام والمدينة قرب جبلَيْ طيء « أَجَأ وسَلْمَى » ، كانت به بنو كنانة من كلب ، وقال : دومة من القريات ، من وادي القرى الى تيماء أربع ليال . والقريات : « دومة ، وسكاكة ، وذو القارة » فأما دومة ، فعليها سور

يتحصن به ، وفي داخل السور حصن منيع يقال له « مارد » ، وهو حصن أُكَيْدِر الملك ابن عبد الملك من كندة . وأضاف ياقوت أن أبا سعد قال إنها سميت دومة الجندل ، لأن حصنها مبني بالجندل

وكانت الواحة خاضعة لأمراء آل غسان ؛ لأنها داخلة في ساحة نفوذهم وهي من ديار قبائل كلب التي سكنت وسط بادية الشام ، وتمتد منازلها من جنوبي دومة الجندل الى شمالي قراقر ويتبين من أخبار الفتوح أن أحد الكنديين قد تملكها حينما كانت تمتد اليها سيطرة ملوك كندة ، وكان الأكيدر أميراً عليها في زمن الفتوح

وغزيت دومة الجندل لأول مرة سنة خمس للهجرة ، ثم غزاها عبد الرحمان بن عوف ، وغزاها للمرة الثالثة خالد بن الوليد سنة تسع للهجرة

وأفرد « موسل » في كتابه « البادية العربية [1] » فصلاً قيماً ذكر فيه أن قصبة دومة ما تزال تحوي عدة مجموعات من الدور تظللها بساتين النخيل ، وتحدها من الشمال والغرب والجنوب سفوح حجرية وتسمى مجموعات الدور بالقصور وأشار موسل الى أن الحصن أعيد بناؤه ، وكان من منعته أن قبائل « الرُّوَلَة » لم تستطع فتحه سنة (١٩٠٩ م) إلاّ بعد حصار دام عشرة أشهر

حوادث فتح دومة الجندل : ذكر ياقوت في معجم البلدان أن خالد بن الوليد فتح دومة الجندل في طريقه الى الشام ، وذكرت مثل ذلك بعض المصادر المدنية والكوفية أيضاً ولكن سيف بن عمر والمدائني ذكرا أن خالداً ذهب من عين التمر الى دومة الجندل مدداً لعياض ، وبعد أن فتحها كرّ راجعاً وقال المدائني : إنه أقام بالحيرة ، الى أن وافاه كتاب أبي بكر بالسفر الى الشام

وقد ثبتنا في مقالنا « سفر خالد بن الوليد من العراق الى الشام » بصورة لا تقبل الشك أن خالداً فتح دومة الجندل قبل سفره الى الشام ، وفي الحق إنه لو لم يفتح دومة الجندل قبل سفره

(١) Arabia deserta (ص ٥٤٩) .

هذا لكان صعب عليه كثيراً الإسراع الى الشام لنجدة المسلمين فيها كما أمره الخليفة ؛ لأن وقائع الفتح دلّت على أن خالداً لقي في حرب دومة الجندل مقاومة عنيفة ، فضلاً عن أنه ما كان خالد ليستطيع أن يشق طريقه الى المفازة بين قراقر وسوى قبل أن يقضي على كل مقاومة في واحة دومة الجندل

روى سيف بن عمر : « أن خالداً لمّا فرغ من عين التمر ، خلّف فيها عُويم بن الكاهل الأسلميّ ، وخرج في تعبئته التي دخل فيها العين ولما بلغ أهل دومة مسير خالد اليهم ، بعثوا الى أحزابهم من بَهْراء وكلب وغسّان وتَنُوخ والضجاعم ؛ وقبل ما قد أتاهم وديعة في كلب وبهراء ومساندة ابن وبرة بن رومانس ، وأتاهم ابن الحدرجان في الضجاعم ، وابن الأيهم في طوائف من غسّان وتَنُوخ ، فأشجوا عياضاً وشجوا به [1] » . ويفهم من الرواية أن جماعات من بهراء وكلب والضجاعم ، وهي من القبائل المجاورة لدومة الجندل ، كانت قد أتت قبلاً لنجدة أكيدر بن عبد الملك في قتاله لعياض بن غنم ، لأنها هي التي أشجت عياضاً . أما طوائف غسّان وتَنُوخ التي أشارت الرواية الى أنها كانت برئاسة ابن الأيهم ، فلعلّها كانت مرابطة في دومة الجندل ، لإشراف رئيسها على أمور الواحة وللدفاع عنها عند الحاجة . ولا نعتقد أن ابن الأيهم نفسه كان رأسها ، هذا إذا كان ابن الأيهم هو جبلة أمير الغسانيين الذي حارب المسلمين في الشام كما فصلت خبره الروايات ؛ لأن رواية سيف ذكرت أن الجموع في دومة الجندل كانت على رئيسين : أكيدر بن عبد الملك أمير الواحة ، والجُودي بن ربيعة قائد الحامية من غسان وتنوخ وكانت الواحة خاضعة لأمراء آل غسان الذين حالفوا الروم في قتالهم النافذة قبلاً ، وقاتلوا المسلمين في حروب الشام ، وكان نفوذهم يمتد من مرج راهط في شرقي دمشق الى دومة الجندل ، وكانت الحامية الغسانية دليلاً على سيطرتهم على الواحة ومعنى ذلك أن أكيدر كان أمير الواحة ، ولكنه كان في الوقت نفسه خاضعاً لآل غسان ويجوز أن الحامية كانت قبلاً قليلة العدد ، ولكن حينما علم أكيدر وقائد الحامية أن عياض بن غنم توجه الى دومة الجندل ، طلبا مدداً من آل غسان ، فأنجدوهما ، واستنجدوا في الوقت نفسه بالقبائل

(1) الطبري (٢/٥٧٨) .

المجاورة : بهراء ، وكلب ، والضجاعم

وقد ذكر « موسل » الذي زار الواحـة ووصفها في كتابه « البادية العربية » أن أهل الواحة من عادتهم أن يدفعوا الضريبـة « الخوة » الى القبائل البـدوية التي تنزل في جوارهم وكان رؤساء كثيرون لهذه القبـائل يملكون بسـاتين النخيل في الواحة ، إما بالشراء ، وإما بالاغتصاب ولما كانت القبائل المذكورة تقبض الضريبـة ، لاحظوا أن من منفعتهم أن يحموا الواحة ، ويسرعوا الى نجدتها إذا علموا أن أهلها ضعفاء لا يستطيعون الدفاع عنها وحدهم . وقال أيضاً : إن القبائل التي ذكرهـا سيف في روايتـه كانت لها منازل في شمالي الواحة وغربيها على أمتداد الطريق التجاري الذي يمر بوادي السرحان ، أي بطن السر ، ويتوجـه الى دمشق والى عمان والى مصر ، لهذا كان التجار يدفعون اليهم الضريبة وكان من منفعة القبائل أن يسارعوا للدفاع عن الواحة ؛ لأن المسلمين بقيادة عياض قد يجندون الجند من القبائل النـازلة الى جنوبي الواحة والى شرقيها ، أو يشتتون شملها وإذا أضطر أهل الواحة الى الاستسـلام ، فلا تكون حينئذٍ حاجة الى نجدة القبائل ودفع الضريبة لها ، وفي ذلك خسارة كبيرة للقبـائل وذكرت الرواية أن القبائل المنجدة كانت على رئيسين : أكيدر وهو رئيس الواحة الوراثي ، والجودي وهو قائد الحامية كما أستنتجنا . وذكر « موسل » أن وجود رئيسين في دومة الجندل يمكن إيضاحه بأن كل واحة واسعة وكل قبيلة كبيرة تعين رئيسـين في الشـدائد ، أحدهما الوراثي أو الأمير ، والآخر الذي يترأس القبيلة في وقت الخطر ، بيد أنه في الحالات التي يظهر فيها الرئيس الوراثي أنه يفوق رجال القبيلة في الشجاعة ، لا تفتش القبيـلة عن قائد آخر ، أي الرئيس الحربي أو (عقيد الحرب) ؛ لهذا يجوز لنا أن نفترض أن أكيدر بن عبد الملك كان الرئيس الوراثي ، أي أمير الواحة ، وأن الجودي كان القائد العسكري عينـه الغسانيون .

ترى كم كانت قوة الحامية الغسانية ؟ وما عدد رجـال أكيـدر أمير الواحة ؟ وما القوة التي أستنجد بها من بهراء وكلب والضجاعم ؟ لم تشر الرواية الى ذلك ولـكن سـير الحركات في دومة الجندل دلّ على أن عياضاً لم يستطع التغلب على الحامية ورجال أكيدر والقبـائل التي

سارعى لنجدة الواحة ، فاُضطر آخر الأمر الى الاستغاثة بخالد . واذا كان عياض لم يتغلب على المدافعين عن الواحة ، فانهم أيضاً لم يستطيعوا أن يهزموا عياضاً ، إنما سدوا بوجهه طريق العراق فقط

أما قوة عياض ، فلا نعلم عنها شيئاً ، ولم تشر الروايات الى مقدار قوات الفريقين . ويتبين من رواية سيف بن عمر عن الشعبي : « أن أبا بكر كتب الى عياض بن غنم ، وهو بين النباج والحجاز ، أن : سِرْ حتى تأتي المصيخ ، فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، وعارق حتى تلقى خالداً ، فأذن لمن شاء بالرجوع ، ولا تستفتح بمكاره » والنباج التي ورد ذكرها هنا هو نباج بني عامر على طريق مكة ــ البصرة وذكر « موسـل » أن النباج هو النبجية الحاضرة ، وهو على طريق البصرة ولما كانت حدود الحجاز الشرقية تمتد من تيماء الى الجنوب الغربي ، فالمنطقة التي كان عياض يعمل فيها تكون بين النباج وتيماء إذن كان عياض حين تسلمه كتاب أبي بكر بين النباج والحجاز

لماذا كان في هذا المحل ، وما كانت مهمته ولم يرد اسمه بين أسماء الأمراء الذين أوفدهم أبو بكر سنة إحدى عشرة للهجرة لمقاتلة المرتدين ؟ وقد جاء في الرواية أن أبا بكر عقد أحد عشر لواء ، ولم يرد في كتاب الخليفة اسم دومة الجندل ، ولا بدَّ أن أبا بكر كان يعلم أن طريق عياض من النباج الى المصيخ يمر بدومة الجندل ألأنه كان آمناً أن عياض بن غنم لا يلاقي مقاومة فيها ، لأن صاحبها كان قد قطع عهداً بمسالمة المسلمين في زمن الرسول ؟

وجاء في الطبري في حوادث السنة التاسعة للهجرة : « أن الرسول دعا خالد بن الوليد الى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك رجل من كنده كان ملكاً عليها وكان نصرانياً ، فقال الرسول لخالد : إنك ستجده يصيد البقر فخرج خالد ، حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيت مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا ، والله ، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لا أحد ، فنزل ، فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له

يقال له حسان ، فركب ، وخرجوا معـه بمطاردهم فلما خرجوا ، تلقـّتهم خيـل رسول الله ، فأخذته ، وقتلوا أخاه حسان ، وقد كان عليه قباء له من ديباج مُخوّص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله قبل قدومه عليه [1] » . وفي رواية عن ابن إسحاق : « أن خالداً قدم بأكيدر على رســول الله ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلّى سبيله ، فرجع إلى قريته » . والمصيخ الذي ورد ذكره في كتاب أبي بكر ، والمقع في ديار بني تغلب في البادية التي تفصل العراق عن بلاد الشام ولعل عياض بن غنم قد أوفد إلى المكان الذي رابط فيه لغرض عسكري ، ليكون على استعداد للحركة الى العراق أو الى الشام حين الحاجة ، وليراقب سـير الأحوال وما يجري في واحات وادي السر وكان أبو بـكر قد أوفد خالد بن سـعيد أيضاً للغرض نفسه ، حين أوفد الجيوش إلى الشام بقيادة يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حَسَنة وعمرو بن العاص [2] ، أوفده إلى تيماء لمراقبـة العرب المتنصّـرة وكان الهدف الذي عينـه أبو بكر في أمره لعياض يضطره الى اقتحام دومة الجندل ؛ لأن الطريق بين مكان عياض والمصيخ لابُدَّ أن يمر بوادي السر ، لهذا كان ينبغي لعياض أن يطلب معونة المسلمين من قضاعة في طريقه الى الواحة

وذكر « كيتاني » أن الروايات المدنيّة لم تشر إلى عيـاض في حوادث سنة ١٢ للهجرة ، واستنتج من ذلك أنه لم يشترك في أحداث تلك السنة ، وقال : إن سكوت الراويين المدنيـين يبرهن على أن اشتراكه في الحركات العسكرية سنة ١٢ للهجرة أمر خيالي ولـكن « موسل » انتقد قول كيتاني هذا ، وقال إنه لا يتفق مع كيتاني في هذا الاستنتاج ، وفي سبيل الرد عليه ذكر أنه على الرغم من أن الراويين المدنيين لم يشـيرا الى المثنى بن حارثة ، فان كيتاني اعترف بأن المثنى كان شخصية تاريخية ذات شأن وذات شهرة كبيرة في فتوحات فارس . وقال موسل : صحيح أن عياضاً ، كما روى أبو مِخْنَـف ، لم يشترك في فتوحات العراق في سفر خالد ، وأنـه

---

(١) الطبري (٢/٣٧٢ — ٣٧٣)

(٢) أشرنا إلى ذلك في مقالنا (معركة أجنادين) في المجلد الثاني من مجلة المجمع العلمي العراقي

لم يُذْكَر في حوادث العراق سنة ١٢ للهجرة ، ولـكنه ليس هنالك من سبب للظن أنــه لم يشترك في محاصرة دومة الجندل . وتقدم خالد في العراق من الجنوب الى الشـمال حتى فتح عين التمر ، وتسلّم فيها كتاب عياض يستغيث بــه ، وكان يومئـذ ما يزال في واحة دومة الجندل ، وأمتنع في أول الأمر من طلب النجدة لـكن الوليد بن عقبـة الذي كان على رأس نجدة أوفدها الخليفة قد أقنعه في الأخير بأن بالموقف حاجةً كبيرة الى النجدة واستطرد موسل إلى أن دومة الجنـدل ما لم تسقط بيد المسلمين فان القبائل القاطنة في شمالي جزيرة العرب كانت تستطيع أن تقطع خطوط الاتصال بين العراق والشام ، وتتمكن من القيام بهجوم خلفي على المسلمين الذين كانوا يحاربون في جبهتين : العراق ، والشام وانتقد موسل قول كيتاني إنه كان بوسع أبي بكر أن يرسل خالداً من النباج رأساً الى دومة الجندل بدلاً من إرساله من عين التمر ، لأن كيتاني رأى أن سـفر خالد من العراق الى دومـة الجندل يعرّض جنـده لخطر هجوم فارسي يأتيه من خلفه وفي معرض الردّ قال موسـل : إن المسافة بين النباج ودومـة الجندل سبع مئة كيلومتر ، والطريق يمر بمنطقة النفود ، وموارد المياه فيها تبعد في بعض محلاتها زهاء مئتي كيلو مترٍ ، بينما المسافة بين عين التمر ودومـة الجندل هي زهاء خمس مئة كيلو متر ، وكانت القوافل تقطع الطريق بينهما ويستطرد موسل قائلا : يبدو أن كيتاني جهل أن خالداً لو ذهب رأسـاً من النباج الى دومة الجندل لـكان لابد له أن يذهب اليها من عين التمر ومن أنتقادات كيتاني لحركة خالد ، قوله : إن نظرة بسـيطة على الخارطة ، تظهر أنه ليس ثَمَّةَ غرض ما من سوق الجيش يحمل خالداً على تركه حدود فارس ، وتوغله في بادية السماوة لفتح دومـة ؛ لأنه في توغله في البادية يصادف عدواً قوياً من جهة ، ويعرّض خطوط رجعته لهجمات الفرس من جهة أخرى ويجيب موسل على هــذه الانتقادات أن ثَمَّةَ أسباباً جغرافية وعسكرية حملت خالداً على فتح واحة دومة الجندل ؛ لأنها تسيطر على طرق المواصلات في شمالي جزيرة العرب ، فضلاً عن أنها معقل قوي يتملكه أعداء المسلمين ، ومن هذه الواحة يتيسر قطع طرق القوافل التجارية بين دمشق والمدينة وبين الحيرة والمدينة ؛ لهذا كان للحملة الموجهة الى دومة الجندل أهمية بالغة

من الناحية السياسية والعسكرية والتجاريه ، ولو أخفق خالد في فتح دومة ، لتعسر عليه أن ينجز مسيره الى الشام حين طلب اليه الخليفة ذلك ؛ لأنه في سفره من العراق الى الشام كان مُعَنّى بهزيمة لا من جانب الفرس والروم وحدهم ، بل من جانب القبائل الساكنة في شمال جزيرة العرب ، ويؤازرهم في ذلك أهل واحة دومة الجندل ؛ ولهذه الأسباب أحسن خالد عملاً بتلبيته لاستغاثة عياض وبإسراعه في السير نحوه (١)

قلنا آنفاً : إننا نجهل قوة عياض بن غنم ، وحسبنا أنه رابط في مكانه بين النباج والحجاز لمراقبة الأحوال . يقيناً إن أبا بكر أرسله على رأس قوة ضعيفة ، لأنه كان قد بعث أكثر قواته الى الشام بقيادة الأمراء الثلاثة ، كما بعث قوة غير قليلة الى العراق بقيادة خالد بن الوليد . ويتبين من مطالعة الخارطة أن عياضاً في سفره الى دومة الجندل مرّ بديار طيء ، وجعل تيماء على يساره ، ولعله استمد رجالاً من طيء ومن قضاعة ولا بد أن أهل الواحة علموا بسفره نحوهم ، فاستنجدوا بالقبائل المجاورة

حركة خالد بن الوليد الى دومة الجندل : تسلم خالد كتاب عياض ، وأسرع لنجدته ، ونسبت الرواية اليه رجزاً كتبه في حاشية كتابه الموجز الذي أجاب به عياضاً ، وهو :

لَبِّثْ قليلاً تأتك الحلائبُ   يحملن آساداً عليها القاشب
كتائب تتبعها كتائب

وقد يفهم من هذا الرجز أن خالداً سار على رأس قوة كبيرة ، ولكنه لا الموقف العسكري ولا الموسم كان يساعد أن يسير خالد في قوة كبيرة ؛ لأنه ترك المثنى وجنده من بكر في العراق ، واضطر الى إقامة بعض الجند في الأماكن التي فتحها ، فضلاً عن ضرورة إقامة حامية في كل من الحيرة وعين التمر

وكانت القوة التي ترأسها ، في أغلب أحمال ، خيالة أو هجانة ، وكان الموسم وقتئذ صيف سنة ١٢ للهجرة ، والتاريخ نهاية شهر ربيع الآخر أو أوائل جمادى الأولى وهذا يصادف

(١) وردت هذه الملاحظات في كتاب موسل (البادية العربية) (ص ٥٤٩) من الملحق

شهر تموز سنة ٦٣٣ م . وفي هذا الشهر تكون مياه الأمطار المتراكمة في البرك والخبرات (جمع خبرة) قد قلّت ، لذلك لا نظن أن خالداً سار على الطريق الأقصر الذي يربط عين التمر بدومة الجندل ، ويتعسر على قوة خيالة أن تقطعه في الصيف لندرة الماء فيه والروايات التي ذكرت أن خالد بن الوليد فتح دومة الجندل في طريقه إلى الشام ، جعلت بدء حركته من الحيرة ؛ لهذا نجزم أنه سار على طريق الحيرة — دومة الجندل ، أي أنه عاد من عين التمر الى الحيرة ، ومنها أخذ طريق القوافل : « القادسية — القرعاء — وقصة — حبكة — سكاكة — دومة الجندل » فان المسافة بين عين التمر والحيرة ودومة الجندل ، تبلغ زهاء خمسين كيلو متراً وثمان مئة ، وتقطع في أثني عشر يوماً للمسافر المجدّ ، ولقوة غير قليلة العدد أكثر من ذلك . إن الماء في هذا الطريق متوفر ، ولا بد أن خالداً قضى بعض الوقت بالاستعداد للسفر ، وقد ذكرت الرواية أنه لما بلغ أهلَ دومة مسيرُ خالدٍ اليهم ، بعثوا الى أحزابهم من بهراء وكلب وغسّان وتَنُوخ

ومما أورده موسل في كتابه « البادية العربية » أن أهل دومة الجندل كانوا على أتصال مستمر بواحة عين التمر ، ولا بد أنهم كان لهم فيها جواسيس يترقبون حركات خالد في العراق . وقال : إن ساعياً ممتطياً هجيناً سريع السير ، يستطيع أن يقطع الطريق بين عين التمر ودومة الجندل في أربعة أيام ، بينما كان خالد يحتاج الى أسبوعين على الأقل لإكمال أستعداداته للسير . ويتبين من قوله هذا أن الزمن كان بجانب أهل دومة ، لهذا أنجدهم الأحزاب قبل وصول خالد .

وتشير الروايـة الى أختلاف حدث بين أكيدر والجودي الأول لا يريد الحرب ، والثاني يريدها وكان الأكيدر قد خبر خالد بن الوليد قبلاً ، وقد أسره وبعث به الى الرسول كما ذكرنا ، ومما قاله أكيدر لمن أراد الحرب : « أنا أعلم الناس بخالد ، لا أحد أيمن طائراً منه ، ولا أحد في حرب ، ولا يرى وجه خالد قوم أبداً قلّوا أو كثُروا الّا أنهزموا منه ،

أطيعوني وصالحوا القوم فأبوا عليه فقال : لن أمالئكم على حرب خالد ، فشأنكم [1] »
وكان الأكيدر على حق في تفضيله الصلح على الحرب ، وإذا كان الأكيدر والجودي ومن التف حولهما لم يستطيعوا قهر عياض ، فما أحراهم أن يخسروا المعركة أمام خالد وعياض بالرغم من نجدة الأحزاب لهم ! وكان الخلاف بين الأمير الوراثي صاحب الواحة والقائد العسكري الذي يمثل نفوذ الغسانيين ولما رأى الأكيدر أنهم لم يطيعوه ، خرج لطيته ، وترك الواحة ، فأصبح الجودي الحاكم الوحيد فيها . هكذا تغلب الحزب الحربي ، ولقي حتفه بيده وذكرت الرواية أن خالداً علم بخروج الأكيدر من دومة ، فبعث عاصم بن عمرو معارضاً له ، وادعى الأكيدر أنه خرج ليلاقي خالداً ، ولكن استصحبه عاصم ، وأتى به خالداً ، فأمر به فضربت عنقه ، وأخذ ما كان معه من شيء ، ومضى خالد حتى نزل على أهل دومة .

ويفهم من الرواية أن الأكيدر فضّل ملاقاة خالد على الهرب ؛ لأن الطريق الوحيد الذي يسلكه بأمان هو الطريق الذي يذهب الى الشام ماراً ببصرى ، وكان حينئذ ما يزال بيد الروم ، فضلاً عن أن البلاد كانت تحت نفوذ آل غسان . لهذا كان بامكانه أن يلتجيء اليهم ، ولكن إلقاء عاصم القبض عليه دل على أنه سلك طريقاً آخر ، لهذا لا نستبعد أنه أراد « الدخالة » على خالد ، ولكن خالداً لم يقبل دخالته ، انما حكم فيه السيف ؛ لأنه نكث العهد الذي عاهد به الرسول .

فتح دومة الجندل : وصل خالد الى واحة دومة الجندل من الشرق ، وحاصرها من هذه الجهة ، وكان عياض بن غنم وجنده في غربي القصبة هكذا أصبحت القصبة محاصرة من الجهتين وذكر موسل الذي زار الواحة ، وشاهدها عن كثب ، ووصفها : أن القوات المنجدة نزلت في أطراف الحصن ؛ لأن الساحة كانت ضيقة لا تؤوي الجميع وجاء في الرواية ما يأتي :
« ومضى خالد حتى نزل على أهل دومة ، وعليهم الجودي بن ربيعة ووديعة الكلبي وأبن رومانس الكلبي وأبن الأيهم وابن الحدرجان ، فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض ،

(١) الطبري (٢/٥٧٨).

وكان النصارى الذين أمدوا أهلَ دومة من العرب محيطين بحصن دومة ، لم يحملهم الحصن » .
وكان الموقف العسكري قد جعل المسلمين في الخطوط الخارجة ، والأعداء في الخطوط الداخلة : المسلمون يسدون الطريق على الأعداء من الشرق والغرب ، والأعـداء بين الخطين الخارجين يتحفزون للهجوم

ودلت الرواية على أن الجودي ووديعة ، أي حاميــة الغســانيين ومن أنجدها من تنوخ والنجدات الكلبية ، واقفين بوجه خالد أما أبن الحدرجان وأبن الأيهم ، فوقفا بوجه عياض .

ولما كانت الساحة لا تستوعب الجميع ، وكان الحصن لا يستوعبهم ، كان لزاماً على القوات المحصورة أن تشن الهجوم لطرد المحاصرين وهذا ما وقع ، هاجم الجودي ووديعة خالداً ، وهاجم أبن الحدرجان وزميله عياضاً وذكرت الرواية : « أن الفريقين أقتتلا ، فهزم الله الجودي ووديعة على يد خالد ، وهزم عياضٌ من يليه ، وركبهم المسلمون فأما خالد ، فانه أخـذ الجودي أخذاً ، وأخذ الأقرع بن حابس وديعة ، وأرز الناس الى الحصن ، فلم يحملهم . فلما امتلأ الحصن ، أغلق من في الحصن الحصنَ دون أصحابهم ، فبقوا حوله حرداء[1] » ، فوجب على خالد مقاتلة الحرداء أولاً ، ثم أقتحام الحصن . ويبدو أن القتال في أطراف الحصن كان عنيفاً بين رجال خالد الذين كانوا يريدون أن يتخلصوا من الحرداء ، للتفرغ للحصن ، وبين الحرداء من كلب وبهراء والضجاعم الذين يقاتلون قتال المستميت . أما الغســـانيون فالظاهر أنهم التجؤوا الى الحصن ، وكانوا رابطته وفي هذا الموقف العصيب فعلت الحمية الجاهلية فعلها ، فأراد عاصم بن عمرو التميمي أن يجير حلفـــاءه في الجاهلية بني كلب ، فنادى : « يا بني تميم ، حلفاؤكم كلب أسروهم وأجيروهم ، فانكم لا تقدرون لهم على مثلهـا » وكان بنو تميم حلفاء بني كلب قبـل الإسلام ، فأراد رئيس التميميين عاصم أن ينقذ الكلبيين من القتل ، فلبى التميميون نداء رئيسهم ، وكان نداؤه سبباً لنجاة بني كلب .

ثم أقبل خالد على من التف حول الحصن ، وذكرت الرواية : « أنه قتلهم حتى سدّ بهم

(١) الطبري (٢/٥٧٩)

باب الحصن ، ودعا الجودي فضرب عنقه ، ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم ، الا أسارى كلب ، فان عاصماً والأقرع وبني تميم قالوا : قد أمناهم فأطلقهم خالد ..... ثم أطاف خالد بالباب ، فلم يَزُل عنه حتى اُقتلعه ، واُقتحموا عليهم ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الشّرخ » .

وبفتح خالد لدومـة الجندل سيطر على أهم طريق في شمالي جزيرة العرب ، ومكث بعد ذلك مدة قصيرة في دومة ، وفي أثناء عودته في الطريق ، بعث الأقرع الى الأنبار ، وسار على رأس باقي قوته الى الحيرة ، فاُستقبل فيهـا استقبال الفاتحين ؟

طه الهاشمي

جاوان القبيلة الكردية المنسية

ومشاهير الجاوانيين *

جاوان قبيلة كردية قديمة من أشهر القبائل في التأريخ ، وأعظمها مقاماً ، وأبعدها صيتاً ، وأجلّها فعلاً في الحروب والسياسة بالعراق ، ومن أحسن القبائل أثراً في الأدب العربي ، ولا سيما الشعر لإقبالها عليه والدعوة اليه ولكنها لم تحظ من الباحثين في تأريخ الأكراد بدراسة ولا بتحقيق ، ولم تفز من المؤرخين المعاصرين لنا ولا الذين عاشوا قبلهم بعناية ولا رعاية ، حتى لقد أصبحت منسيّة ، أو مذهولاً عنها في التواريخ العراقية ، فضلاً عن غيرها من التواريخ ، وهذا هو الذي بعثني على أن أصفها بالمنسيّة ، ولم أقل « المجهولة » ، فقد جرت العادة أن يوصف الخامل المرذول بالمجهول

قامت قبيلة جاوان بأدوار خطيرة في التأريخ العراقي الإسلاميّ ، فيها من العظمة والفخامة والكرامة ما يؤهلها بعضه لأن تذكر وتدرس في تأريخ العراق ، ولا سيما التأريخ الكردي منه ، لأنّ إهمالها يعدُّ نقصاناً وحرماناً وكفراناً : نقصاناً في حقيقة التأريخ ، وحرماناً في العلم الذي غايته الكشف عن الحقائق ، وكفراناً لفضلها وآثارها التي يجب أن يُعتَرف لها بها ، وتُذكر بها بالإجلال والتعظيم ، فلم يذكرها شرف خان البتليسي في شرفنامته مع أنّها تأريخ الأكراد ، ولا ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار

وذكرها المرحوم الأستاذ محمد أمين زكي في كتابه « مختصر تأريخ الكرد وكردستان » مرّة واحدة ، مصحّفة إلى « جَواني » ومَعَ إشارته — رحمه الله — الى أنه نقل اسمها مع عدة من قبائل الأكراد ، من مروج الذهب للمسعودي[1] المؤرخ الكبير ، فقد ظهر لي

---

* محاضرة للدكتور مصطفى جواد ، ألقاها بدار المجمع

(١) مختصر تأريخ الكرد وكردستان : الترجمة العربية (ص ٣٧٥) .

أنه نقل ذلك من دائرة المعارف الاسلامية ، لأن الطبعة الأوربية للمروج تذكرها بصورة « جاوان » ، ولا تُصحّفُ الى « جَواني » إلا بالنقل الى العربيّة ، اذا كان الناقل متصرّفاً أو متكلفاً .

وقد ذكرت القبيلة في أكثر طبعات المروج مصحفةً الى « حاوان » بحاء مهملة ، على أن صاحب القاموس المجد الفيروزأبادي ذكرها في باب « الجيم والواو والنون » من قاموسه فلم يترك شكاً ، وان كان تاج الدين السبكي ذكرها قبله بغير ضبط في طبقاته الكبرى[1] .

قال المسعودي في المروج : « وما قلنا في الأكراد ، فالأشهر عند الناس والأصح في أنسابهم أنّهم من ولد ربيعة بن نزار فأما نوع من الأكراد وهم الشاهجان ببلاد ماه الكوفة والبصرة ، وهي أرض الدينور وهمذان ، فلا تناكر بينهم أنّهم من ولد ربيعة بن نزار بن معدّ ، والماجوران وهم من الكيكان ببلاد أذربيجان ، والهذبانيّة والسّراة ، وما حوت بلاد الجبال من الشاذنجان واللريّة ، والباردلكان ، والباريغجان والباريسبان ، والخالية والجبانارقية والجاوانية »[2]

ولا شكّ في أن الحاق الكرد بالأنساب العربية ، قد أصبح باطلاً عند أهل التحقيق والتدقيق ، وكان السبب فيه على ما أرى إثبات الأخوّة في النسب تبعاً للأخوّة في الدين ، وكثرة اختلاط الكرد بالعرب بحيث يعز على الكرد أن لا يكونوا من أصل عربيّ قديم ، فاخترع النسابون تلك النسبة

والذي يهمنا كثيراً ذكر « الجاوانية » من الأكراد ، ففي النص المنقول من مروج الذهب دليل على أن قبيلة « جاوان » كانت في أواسط القرن الرابع من الهجرة من أشهر القبائل الكرديّة ، كما ذكرنا آنفاً في أول المحاضرة

وقد ذكر هذه القبيلة في القرن السادس للهجرة العماد الأصفهاني في سيرة بعض أمرائها

(١) طبقات الشافعية الكبرى « ٨٨/٤ »

(٢) المروج « طبعة أوربة (٢٥٤/٣) وطبعة عبد الرحمن بن محمد (٣ ٨/١) وطبعة المكتبة العصرية (٤٤/٢) »

قال : « الأمير أبو شجاع عاصم بن أبي النجم الكردي من أعيان الأكراد الجاوانية »[1] .

وقال الفيروزأبادي : « وجاوان قبيلة من الأكراد سكنوا الحلّة المزيدية بالعراق ، منهم الفقيه محمد بن علي الجاواني » وزاد السيّد محمد مرتضى الزبيدي في شرح القاموس جملة : « الحليّ الشافعي » ، فصار « الكردي الجاواني الحلي الشافعي » وقد ذكر هذا الفقيه السبكي في طبقاته ، قال : « محمد بن علي بن عبد الله أبو سعيد الجاواني الحلي العراقي ، وجاوان قبيلة من الأكراد سكنوا الحلة » وذكر أن مولده سنة ٤٦٨ هـ نقلا عن تأريخ ابن النجار[2] ، وهو الأصل في ذكر هذه القبيلة في سكان الحلة

وإذ ذكر الفيروزأبادي أنهم سكنوا الحلة ، ينبغي لنا أن نذكر تأريخهم قبل سكناهم إياها وبعدها ، ونشير الى المحلة التي سكنوها فيها ، تلك المحلة التي لا تزال تعرف الى اليوم بمحلة الأكراد ، ولا يعرف أكثر الناس السبب في هذه التسمية ، حتى لقد ادّعى بعض الناس أنّ الأكراد يُراد بهم الكرّادة ، لأنّ لهم كِروداً على شط الحلّة ، وهو تكلّف بارد ودعوى سخيفة ، فالفرق عظيم بين « الأكراد » و « الكرادة » ، والتأريخ يثبت إثباتاً لا شبهة فيه أنّ محلة الأكراد بالحلّة نسبت اليهم منذ تأسيسها الى أيامنا هذه ، فلا داعي الى التمحّل والتكلّف والتغاضي عن حقيقة تأريخية واضحة

وكانت الحلّة قد شيّدت في أواخر القرن الخامس للهجرة ، شيّدها سيف الدولة صدقة ابن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأسدي المزيدي ، وكانت منازل آبائه في بعض أصقاع نهر النيل ، في إقليم بابل أيضاً . فلما قوي أمره واشتد أزره ، وكثرت أمواله ورجاله ، انتقل الى الجامعين موضع في غربي عمود الفرات ، ليبعد عن الطالب اذا هرب . وكان ذلك في المحرم من سنة « ٤٩٥ هـ » على عهد السلطان بركيارق بن ملكشاه السلجوقي وفي خلافة المستظهر بالله العباسي ، وكانت أجمة تأوي اليها السباع ، فنزل فيها بأهله وعساكره وحلفائه ،

---

(١) خريدة القصر : نسخة باريس ٣٣٢٧ الورقة (١٥٢–٣) .
(٢) طبقات السبكي (٨٨/٤)

وبنى بها مساكن جليلة ودوراً فاخرة ، وتأنق أصحابه في ذلك ، وقصدها التجار ، فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها [1] وأنا لا أشكُّ أن صدقة ومَن معه انتفعُوا بآجر بابل وغيره من الحضرة [2] العتيقة ، لقرب بابل من الحلّة

وسيأتي في البحث أن قبيلة جاوان الكردية كانت حليفة لقبيلة بني أسد ، فلذلك يعدُّ الجاوانيّون من مؤسسي الحلّة وسُكّانها منذ أواخر القرن الخامس للهجرة ، ومحلّتهم محلّة الأكراد كانت معروفة بهم منسوبة اليهم منذ القديم

قال ابن بطوطة في وصف الحلّة : « وأهل هذه المدينة كلّها إماميّة اثنا عشرية ، وهم طائفتان : إحداهما تعرف بالأكراد ، والأخرى تعرف بأهل الجامعين ، والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبداً » [3] وكان مرور ابن بطوطة بالحلة سنة « ٧٢٧ هـ » وفي قوله شيء من المبالغة فيما يختص بالمذهب وبالفتن ، فانّ الغرباء عن الحلة كانوا في الغالب يُحدثون الفتن فيهـــا .

وقد ورد ذكر محلة الأكراد بالحلّة في أخبار أحد السادة القادمين للعراق في أواخر أيام الدولة الايلخانية ، وهو شهاب الدين أبو سليمان أحمد بن رميثة بن نجم الدين أبي نمي محمد العلوي الحسني المكي . وقد توجه أيام إمارة أبيه بمكة الى العراق ، وقصد الى السلطان أبي سعيد بهادر خان بن أولجايتو بن أرغون بن أباقا بن هولاكو المغولي ، فأكرمه وأحسن لقاءه ، وجعل اليه إمارة الحاج من العراق وسائر أقطار الدولة الايلخانية ، فقدّم المحمل العراقي على المحمل المصري بعرفات ، وألزم الناس بمكة أن يتعاملوا بدراهم السلطان أبي سعيد ثم عاد مع قافلة الحجاج ، فأعظمه السلطان أبو سعيد ، وأحله محلاً كريمـاً ، وفوّض إليه أمر الأعراب بالعراق ، فأكثر فيهم الغارة والقتل ، وعرُض جاهُه ، وكثر أتباعه ، وأقام بالحلة نافذ الأمر عريض الجاه كثير الأعوان ، الى أن توفي السلطان أبو سعيد المذكور سنة « ٧٣٦ هـ » ، فطرد الحاكم الذي كان بالحلة من قبل أبي سعيد ، وهو السيد علي بن طالب الحسيني الأفطسي

(١) معجم البلدان « الحلة » (٢) الحضرة : هي مواد البناء

(٣) رحلة ابن بطوطة (١٣٨/١) من طبعة مطبعة التقدم بالقاهرة

الدلقندي ، وتغلب على الحلة وأعمالها ونواحيها ، وجبى الأموال ، وكثر في أيامه الظلم والاستصفاء ، الى أن تمكن الشيخ حسن الكبير بن حسن آقبوغا المعروف في التواريخ الفارسية بحسن بزرك مؤسس الدولة الجلايرية بالعراق ، فوجه عليه الجنود مراراً ، فأعجزه لمراوغته مرةً ومقاومته أخرى ثم إنه توجه اليه بنفسه في جيش ضخم ، وعبر الفرات أولاً من الأنبار ، ثم أحاط بالحلة ، فتحصن أحمد بن رميثة فيها ، فغدر به من أهل الحلة الذين اعتمد عليهم ، وخذلته الأعراب الذين جاءَ بهم مدداً ، وتفرق الناس عنه ، حتى بقي وحده ، فقاتل عند باب داره في الميدان قتالاً شديداً ، وقتل دونه أحمد بن فليتة الحسني وأبوه فليتة

قال أبن عنبة النسابة : « ولما ضاق به الأمر توجه الى محلة الأكراد ، وكان قد سهبها مراراً ، وقتل جماعة من رجالها ، إلا أن الأكراد لما رأوه قد خُذل أظهروا له الوفاء ، ووعدوه النصر ، وتمهّدوا له أن يحاربوا دونه في مضايق دروب الحلة ، حتى يدخل الليل ، ثم يتوجه حيث يشاء وكان الحزم فيما أشاروا به ، ولكنه خالفهم وذهب الى دار النقيب قوام الدين ابن طاووس الحسيني ، وهو يومئذ نقيب نقباء الأشراف فلما سمع الشيخ حسن الكبير بذلك ، أرسل إليه شيخ الاسلام بدرالدين الشيباني المعروف بابن شيخ المشايخ ، وكان مصاهراً للنقيب قوام الدين ابن طاووس ، فأمّن الشريف أحمد ، وحلف له ، وأعطاه خاتم الأمان ، وأرسل به الى الشيخ حسن الكبير وهو نازل خارج الحلة ، فانتزعوا سيفه منه في بعض الطريق ، فقال لشيخ الاسلام : ما هذا ؟ فقال : لا أدري ، إنما كنت رسولاً وفعلتُ ما أمرت ولما أدخل على الشيخ حسن الجلايري ، واصل الاعتذار ، فأظهر له الشيخ حسن القبول ، وطالبه بأموال الأعمال الحلية التي جباها في المدة التي حكم فيها ، وهي قريب من ثماني سنوات أو أكثر فأجابه بأنه أنفقها ، فأمر بتعذيبه فعذّب ، حتى لقد كانوا يملؤون الطسْت من الجمر ويضعونه على صدره ، فلم يظهر لهم شيء من ماله وأغراه به جماعة من الأعيان والسادة ، فقتله أبو بكر بن كنجاية بَواءً بأبيه ، لأن أحمد بن رميثة كان قد قتله ، قيل : إن أبا بكر بن كنجاية ضربه سبع ضربات بالسيف على عنقه حتى قتله ، وصلى عليه الشيخ حسن وأمراؤه ،

ودفن بداره بالحلة ، ثم نقل الى مشهد الغري بالنجف [١]

أنجلي بسكنت قبيلة جاوان الكردية بالحلة في أواخر القرن الخامس من الهجرة ، وانتشرت الى نحو واسط والبطائح ، كما أنا ذاكره عما قريب ولكن أين كانت قبل ذلك ، وقد ذكرها المسعودي في الثلث الأول من القرن الرابع من الهجرة ؟ لا شك أنها كانت كسائر قبائل الأكراد من سكان الجبال والهضاب الباردة وإذا تتبعنا إسهالها ، أي نزولها من الجبل إلى السهل ، وجدناه من جهة طريق خراسان المعروف اليوم بلواء ديالى ، وألفينا اسم « ورام » من أشهر أعلامها [٢] . وبعد استعرابها ومخالطتها العرب ، كثرت فيها الأسماء العربية مثل « مهلهل وتغلب وعنتر » .

وفي سنة « ٣٩٧ هـ » كان أحد الأمراء الجاوانيين ، وهو ورام بن محمد مع أصحابه وجماعة من الأمراء الأكراد والأمير أبي الحسن علي بن مزيد العربي الأسدي المزيدي ، يحاولون حصار بغداد ، بأمر أمير كردي كبير هو بدر بن حسنويه البرزيكاني ، منابذةً لعميد الجيوش أبي علي الحسن بن أبي جعفر الديلمي [٣] صاحب بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي

وهذه أول مرة يقف فيها الجاوانيون الى جانب بني أسد متعاضدين متضافرين على ما علمت

وفي سنة « ٤٢٠ هـ » سالت سيول الترك بقيادة السلجوقيين على إيران وغيرها من بلاد الاسلام ، فاجتمعت العرب والأكراد لصدهم ، فالعرب كانوا بقيادة قرواش بن المقلد العقيلي أمير الموصل وما إليها من الجنوب ، ودبيس بن مزيد الأسدي أمير العرب في الفرات الأوسط ،

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب (ص ١٢٦ — ٨)

(٢) وقد ذكر ابن بطوطة خبر شهاب الدين أحمد بن رميثة المقدم ذكره ، ذكراً مختصراً ، ولم يشر الى محلة الأكراد . قال : « وقد كان غلب على مدينة الحلة بعد موت السلطان أبي سعيد الأمير أحمد بن رميثة بن أبي نمي أمير مكة ، وحكمها أعواماً وكان حسن السيرة ، يحمده أهل العراق ، الى أن غلب عليه الشيخ حسن سلطان العراق ، فعذبه وقتله ، وأخذ الأموال والذخائر التي كانت عنده » (رحلة ابن بطوطة ٢٣٩/١)
وقد اختلف القولان في الرجل

(٣) كامل ابن الأثير في حوادث سنة (٣٩٧ هـ)

والأكراد بقيادة الأمير أبي الفتح بن ورام الجاواني وحسام الدولة أبي الشوك بن محمد بن عناز الكردي الشاذنجاني ، ونشب القتال بينهم شمال الموصل ، فدحروا الترك وأمراءهم السلجوقيين ، وملكوا خيمهم وأموالهم وتبعهم قرواش الى نصيبين [١] .

وفي سنة « ٤٣١ هـ » استعان جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي بأبي الفتح بن ورام وأبي الفوارس بن سعدي ، ودبيس بن علي المزيدي عند شغب جنده الأتراك عليه وأضطراب الأمن ببغداد [٢]

وفي سنة « ٤٣٢ هـ » حالف سرخاب بن محمد بن عناز الكردي الشاذنجاني أبا الفتح بن ورام الجاواني ، وأغار على عدة مواضع من إمارة أخيه حسام الدولة أبي الشوك في البندنيجين أي مندلي ، وحلوان ، في أثناء ما كان حسام الدولة محتلاً دقوقا أي طاووق ، منتزعاً لها من أخيه أبي الماجد المهلهل بن محمد بن عناز . فلما بلغه ذلك، عاد إلى البندنيجين وحلوان خوفاً عليهما من الجاوانية والشاذنجانية المناوئين له ، واستنجد بجلال الدولة بن بهاء الدولة البويهي ، فسيّر اليه نجدة من الجنود استطاع بهم أن يردّ أعداءه عن إمارته [٣]

ويظهر من الحوادث المتقطعة التي ذكرتها للجاوانيين أنهم كانوا يحالفون محالفة الأتباع ، لا محالفة الرؤساء ، فقديماً حالفوا الأكراد البرزيكانية ، والعرب ؛ ثم حالفوا الأكراد الشاذنجانية والعرب . ومما يؤيد ذلك أنه في سنة « ٤٣٨ هـ » أنضمّ سعدي بن أبي الشوك المذكور الى ابراهيم ينّال أخي السلطان طغرلبك من أمّه ، وأخذ جيشاً من أكراد الشاذنجان ومن الأتراك الغزّ ، وأستولى على مدن وقرى بين إيران والعراق ، ثم جمل البندنيجين إقطاعاً لأبي الفتح بن ورام الجاواني ، على أن يوافقه في محاربة عمه سرخاب بن محمد بن عنّاز ، فجرت بينهم وقعة أسر فيها أبو الفتح بن ورام وسعدي ، وتفرق كثير من الأكراد والغز ممن كان معهما [٤] . ودلّت

(١) الكامل في حوادث سنة (٤٢٠ هـ)
(٢) المنتظم (٨/١٠٤) ، والنجوم الزاهرة (٥/٣١) .
(٣) الكامل في حوادث سنة (٤٣٢ هـ) .
(٤) الكامل في حوادث سنة (٤٣٨ هـ) والمنتظم (٨/١٣٠) .

الحوادث على أنه أطلق من الأسر بعد ذلك .

ويغيب من الحوادث اسم الأمير أبي الفتح بن ورام ، بعض الشيء ، وفي سنة « ٤٣٩ هـ » أي بعد أسره بسنة يظهر اسم « أبي دلف القاسم بن محمد الجاواني » ، ويذكره التاريخ معه . وذلك أنّ ابراهيم ينّال أرسل في تلك السنة جيشاً من الغز ، لأخذ قلاع سرخاب المقدم ذكرُه فسارت طائفة منهم الى أبي الفتح بن ورام الجاواني ، فانصرف عنهم خوفاً منهم ، وترك حِلَّه أي منازله بحالها ، ليشتغلوا بنهبها فينقض عليهم ، فلم ينهبوا شيئاً ، بل تبعوه ، ولشدة خوفه من أن يظفروا به ويأخذوه ، قاتلهم مقاتلة المستميت ، فأوقع بهم ، وقتل جماعة منهم ، وأسر جماعةً ، وغنم ما كان معهم ، ورجع الباقون هاربين ، وأرسل الى بغداد يستنجد بني بويه خشية أن يعود الغزُّ إليه ، فلم ينجدوه ، لانحلال الأمر واختلاله في دولتهم ، فاضطر هو وبنو ورام الجاوانيون إلى عبور دجلة ، إلى الجانب الغربيّ ليكون بمنجى منهم وسارت طائفة منهم الى بَراز الرُوز أي بلدروز ، وتقدموا الى نهر السليل . فهناك قاتلهم أبو دلف القاسم بن محمد الجاواني قتالاً شديداً ، فظفر بهم ، وهزمهم ، وغنم ما معهم [1]

فهذا هو الأمير الجاواني الثاني الذي أراد أن يثبت أقدام الجاوانيين في طريق خراسان ، ولكنّ غيره من الأكراد الطامحين الطامعين لم يُمهلوه ، فقد انضمّ سعدي بن أبي الشوك الشاذنجاني الى السلطان طغرلبك ، وسار في خيل من الغز سنة « ٤٤٤ هـ » على أبي دلف المذكور ، ونهب أمواله ، وأفلت هو بحشاشة نفسه [2] .

والظاهر أن الاختلاف في المذاهب السياسية حمل الجاوانيين على إجابة الدعوة الفاطمية ، والخطبة للمستنصر بالله الفاطميّ في إماراتهم ، وترك الخطبة لخلفاء بني العباس وكذلك فعل بنو مزيد الأسديّون ، والعقيليون والخفاجيون وغيرهم ، ولا شك أن خوفهم من السلجوقية على إماراتهم وإقطاعهم ، كان أقوى الأسباب في ذلك .

وقد أرسل الخليفة العلوي المذكور من مصر بخلعة لكل من الأمير نور الدولة دبيس بن

(١) الكامل في حوادث (٤٣٩ هـ) (٢) الكامل في حوادث (٤٤٨ هـ)

مزيد الأسدي ، والأمير أبي الفتح بن ورام الكردي الجاواني ، وقريش بن بدران العقيلي ، ومقبل بن بدران العقيلي ، وأبي الحسن بن عبد الرحيم الوزير ، ومحمود بن الأخرم الخفاجي[1] المتحصن يومئذ بحصن عين التمر أي الأخيضر الحالي واتصل الأمير أرسلان البساسيري بالدولة الفاطمية أيضاً وصار من قوادها المحاربين باسمها ، وإن كان تركي الأصل ومن مماليك بني بويه.

كان هؤلاء كلهم إلباً واحداً على الغز وأمرائهم السلجوقيين ، فسار إليهم طغرلبك سنة « ٤٤٩هـ » ، وناجزهم القتال في شمالي العراق ، فهزمهم ، وأتبعهم أسراً وقتلاً ، وأحضر منهم جماعة فألقاهم تحت أرجل الفيلة ، فهلكوا إلا غلاماً لم يبلغ مبلغ الرجال ، فان الفيل امتنع من دوسه ، فعفا عنه السلطان . وكان في قواد السلطان الأمير هزارسب بن بنكير بن عياض الكردي ، فأقطعه الموصل ، ولكن جنود بني سلجوق نهبوها وأخربوها ، وحمى هزارسب النساء والرجال ، وفرّق فيهم مالاً ، وأعادهم الى الموصل ، وكانوا قد هربوا ، وسعى في اجتذاب أبي الفتح الجاواني والجاوانيين ونور الدولة دبيس وبني أسد وقريش بن بدران العقيلي والعقيليين الى جانب طغرلبك ، وإعادة الخطبة لبني العباس ، فجعلوا أبا الفتح بن ورام الجاواني سفيراً لهم ، ونجحت سفارته ، وخلع عليه السلطان خلعة سنية[2] . وانفصل عنهم أرسلان البساسيري وقال لهم : « لست لما يبذل لكم طغرلبك متحققاً ، وما غرضه إلا تبديد جمعنا ، وإنها حيلة علينا وسخرّية بنا وبعد ، فأنا صاحب سلطان مصر ، وهو بعيد عني ، ولست مالكاً لأمري ، ولا بُدّ من مطالعتي إياه ، واستدعاء إذنه فيما أفعل » ، وأغلظ لهم[3] ، وأصبح العراق مهدداً من الشمال بجيش الفاطميين الذي يقودُهُ أرسلان البساسيري المذكور .

وفي نصف شوال من سنة « ٤٤٩ هـ » قدم بغداد أبو الفتح بن ورام الجاواني وبدران بن

(١) الكامل في حوادث (٤٤٨ هـ) ، و (٤٤٩ هـ) ، ومرآة الزمان « نسخة باريس » .
(٢) مرآة الزمان « نسخة باريس ١٥٠٦ الورقة ٢٣ — ٢٦ » .
(٣) المرجع المذكور في الموضع المشار اليه

نور الدولة المزيديّ ، فتلقاها عميد العراق من قبل طغرلبك ، وأكرم مثولها ، واستدعاها من الغد رئيس الرؤساء الوزير أبو القاسم علي بن المسلمة ، وعتب على أبي الفتح بن ورام ، لميله الى أرسلان البساسيري ، فقال له أبو الفتح : « أنتم أحوجتمونا إلى ذلك ، فان السلطان طغرلبك لما ورد هذه البلاد ، أبعدتم للناس كلّهم ، بهب عساكره الأموال والأولاد والأهل ، فلم يبق لنا مكان نأويه ، فأصعدنا خوفاً على حريمنا وأموالنا » فخاطبه الوزير بالجميل ، ووعده عن الخليفة القائم بأمر الله كل خير[٨] . وكلام أبي الفتح بن ورام يدل على أنّ منهم من أستعربوا وأخذوا يتكلمون بالعربية المألوفة في عصرهم .

وفي سنة « ٤٥٠ هـ » في يوم الأحد ثاني ذي القعدة منها احتلّ أبو الحارث أرسلان البساسيريّ الجانب الغربي من بغداد باسم الخليفة المستنصر بالله الفاطميّ ، وخطب في جامع المنصور له ، وألبس الخطيب والمؤذنون الثياب البيض شعار الفاطميين ، وزيد في الأذان « حيّ على خير العمل »[٢] . والظاهر أنه استمال أبا الفتح بن ورام الجاواني والجاوانيين ونور الدولة دبيساً المزيديّ ، وأدخلهم في حزب الفاطميين أما بنو مزيد الأسديون فهم شيعة إماميّة . وأما الأكراد الجاوانيون فانهم كسائر الأكراد شافعيون وبعد أن أتم البساسيري فتح بغداد ، انحدر الى واسط ، وكان انحداره يوم الاثنين لتسع بقين من جمادى الأولى سنة « ٤٥١ هـ » وكان يريد الأهواز ، وابتدأ بالبصرة فرتب أصحابه فيها . وكان معه أبو الفتح بن ورام ونور الدولة دبيس وأخوه صدقة ، واجتمع إليه جماعة كثيرة من العرب والأكراد والأتراك والديلم . ولما علم بأن السلطان طغرلبك عاد الى العراق ، رجع هو إلى واسط ، وأقام فيها يجمع الجنود للحرب والمقاتلة فتركه حلفاؤه ، وهم أبو الفتح بن ورام ودبيس بن منصور وغيرهما ، على أن دبيساً كان يخشى من السلطان ، فالتجأ إليه البساسيري وطرح نفسه عليه واستجار به ، واجتمعت العرب عند دبيس وهو بين الحلة وواسط على الفرات ، ومعه حليفه أبو الفتح بن ورام الجاواني والجاوانيون ، ورأى الجميع أنفسهم مضطرين إلى مقاومة طغرلبك ، ففاجأهم أحد قواده وهم

(١) المرجع المذكور (الورقة ٣٠) (٢) المرجع المذكور (الورقة ٤٩)

راحلون ، فثبت البساسيريّ وقاتل حتى قُتِل ، وانهزم دبيس بن منصور ، وأسر أبو الفتح بن ورام ، فأطلقه القائد واصطنعه ، وبلغ ذلك السلطان طغرلبك فامتعض منه . وأسر معه بدران ومنصور وحماد المزيديون ، فأعادهم السلطان الى دبيس تألفاً له [1] .

إنّ مناصرة أبي الفتح بن ورام الأمير الكردي الجاواني ، ومعه بنو جاوان ، للأمير نور الدولة دبيس بن منصور في مقاومة السلجوقيّين هذه المرّة ، وثقت الأواصر بينها ، ووحدت بين مستقبلها ، وبعثها على التساكن والتآلف والتحالف المستدام ، ولذلك نرى الجاوانيين وبني أسد يثوبون معاً الى طاعة طغرلبك ، قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة « ٤٥٢ هـ » من تأريخه : « وفي يوم الخميس سابع عشر صفر ، دخل السلطان طغرلبك بغداد مصعداً من واسط ، وفي خدمته أبو الفتح بن ورام وأبو الأغر دبيس بن منصور المزيدي وصدقة بن منصور بن المزيدي وأبو كاليجار بن هزارسب بن بنكير بن عياض الكردي ، وعمل الخليفة القائم بأمر الله سماطاً عظيماً ، وحضره السلطان طغرلبك والأمراء الذين ذكرناهم ، واستحلفوا على طاعة السلطان والخليفة وخلع عليهم خلع [2] »

وأصبح بنو جاوان ، وفي إمارتهم بنو ورام أعوان الدولة العباسيّة ، ورغبوا في إصلاح البلاد ، فسدُّوا في السنة المذكورة أي سنة « ٤٥٢ هـ » شق النهروانات [3] ومن البديهي أنهم لم يفعلوا ذلك إلا للازدراع والاعتراس ، ومن ذلك يعلم أنهم كانوا يسكنون كلهم أو كثير منهم الجانب الشرقي من دجلة إذ ذاك ، حيال طريق خراسان وقد ذكرنا أنه كان منهم ببراز الروز أي بلد روز أبو دلف القاسم بن محمد الجاواني الذي أوقع بطائفة من جند السلاجقة هناك سنة « ٤٣٩ هـ » ، والظاهر أنّهم امتدوا في السكنى على النهروان من شرقي بغداد الى جرجرايا [4] التي كانت قرب أرض الكوت ، وسنذكر من الحوادث ما يثبت ذلك .

---

(١) المرجع المذكور (الورقة ٥٨-٩-٦٤) ، والمنتظم (٨/٢٠٨-٢١٠) ، والكامل في حوادث سنة (٤٥٠ هـ) لأنه أدمج حوادث السنتين بعضها في بعض

(٢) مرآة الزمان المقدم ذكره (الورقة ٦٨)

(٣) الكامل في حوادث السنة المذكورة .

(٤) الكامل في حوادث سنة (٤٥٥ هـ)

وفي سنة « ٤٥٥ هـ » توفي السلطان طغرلبك بالري ، وكثرت غارات العرب على ما حول بغداد ، حتى أخذُوا ثياب الناس من أبواب بغداد فكاتب الخليفة القائم بأمر الله أصحاب الأطراف الأمير أبا الفتح بن ورام وأبا النجم بن ورام أخاه وأبا كاليجار هزارسب وبدر بن مهلهل وهم من أمراء الأكراد كما قدمنا ، ومسلم بن قريش العقيلي ودبيس بن علي المزيدي وهما من أمراء العرب ، كاتبهم بما حدث من موت طغرلبك والأحداث التي حدثت ، واستدعاهم الى بغداد ليتشاوروا في تدبير الأمر . فأما الأميران أبو الفتح وأبو النجم ابنا ورام ، فقد قدما بغداد في عُدَّة قوية ، ونزلا ظاهر حريم دار الخلافة[1] في الجانب الشرقي ، أي مايشقه اليوم سوق الشورجة أيام كان هذا الجانب كثير البساتين والسَّواقي والمياه ، وتوقف دبيس المزيدي عن الحضور ، وأرجف في بغداد بأن مسلم بن قريش العقيلي عازم على دخول بغداد محتلاً ، وأنه سيسكن في دار المملكة البويهية في المخرم أي الصرافية الشرقية الحالية في الجسر الجديد ، وسيحاصر دار الخلافة وكانت بشارع المستنصر الحالي ، كما دلتنا عليه الخطط ، وينهبُها فانزعج الناس ، واستعدُّوا هم والجاوانيون والجنود لصدِّه عن بغداد ، ولكنه كتب الى الخليفة كتاباً ينفي عن نفسه تلك التهمة ، فلم يلتفتوا الى قوله[2] ثم توفي ببغداد الأمير أبو الفتح بن ورام الكردي الجاواني ، وحملت جنازته الى جرجرايا قرب أرض الكوت الحالية ، فدفن هناك[3] وانقطعت بموته سيرة أمير كردي عظيم ، كان له في السياسة والحروب جولات موفقة ، وصولات ظافرة ، واليه يعود الفضل في اخراج قبيلة جاوان من مكانها الضيّق الى هذه الفسحة من الحوادث والتأريخ المفعم بالحياة والحركات . وقد صارت أسرته تعرف بالورامية نسبة إلى والده على عادة المؤرخين ، وإنما هو الذي أنالهم ذلك المقام السامي ، والملك المترامي الأطراف من العراق .

ويظهر لي أن إمارة الجاوانيين بعد وفاة أبي الفتح بن ورام أسندت إلى أخيه أبي النجم ، على أني لم أجد نصاً على ذلك في التاريخ وفي سنة « ٤٨٨ هـ » أرسل الملك تاج الدولة تتش بن

---

(١) مرآة الزمان المقدم ذكره (الورقة ٩١ـ٢) (٢) المرجع المذكور (الورقة ٩١ـ٢)
(٣) الكامل في حوادث سنة (٤٥٥ هـ)

ألب أرسلان السلجوقي ملك الشام والجزيرة ، أحد أمرائه واسمه « يوسف بن أبق » ، وكان من التركمان ، إلى بغداد ، لاقامة الدعوة والدعاء له بالسلطنة السلجوقية المظمى على عهد الخليفة المستظهر بالله بن المقتدي بأمر الله ، وكان ينازعه في ذلك ابن أخيه السلطان بركيارق بن ملكشاه ، فأُخرج لتلقيه حاجب من حجاب ديوان الخلافة . فلما لقيه يوسف ، ضربه ، وأراد خروج الوزير عميد الدولة أبي منصور ابن جهير التغلبي ، وكان متكبّراً متفاصحاً ، ودخل الأمير يوسف بن أبق بغداد مراغماً ، وأراد نهبها والإيقاع بأهلها ، فنعه من ذلك أمير كان معه وصح ذلك فقصداً ستدعى الوزير عميد الدولة ابن جهير الأكراد الجاوانية وأميرهم يومئذ ورام بن أبي فراس الجاواني للدفاع عن بغداد ، فحضروا فقال الوزير لحاجبه متفاصحاً : « قل للورّامية : استلئموا بسدفة » أي ألبسوا سلاحكم في ظلمة الليل . فلم يفهم الحاجب ، وقال لهم : « يقول لكم مولانا : ناموا في الصُفَّة » ، فقال ورام بن أبي فراس مستعجباً : « فكأنّا برحنا الصفة حتى يقول لنا الوزير هذا القول » فعاد الحاجب الى الوزير فقال له : ما الذي قلت لهم ؟ فأخبره . فضحك الوزير ، وقال : « شر المصائب ما يضحك » وكان خليقاً أن يضحك من نفسه لتفاصحه . ثم جاء الخبر بقتل تاج الدولة تتش ، وانفرجت الأزمة [1]

وبهذا الخبر نعلم أنّ إمارة بني جاوان صارت الى الأمير ورام بن أبي فراس ، ولم أجد في التاريخ حتى اليوم كيف صارت الإمارة اليه . وفي أيام هذا الأمير انتقل الجاوانيون أو أكثرهم الى أرض الجامعين قرب بابل ، ليؤسّسوا الحلة مع أمير بني أسد صدقة بن منصور بن دبيس المزيدي الذي قدمنا شيئاً من أخباره ، وليسكنوها في المحلة المعروفة بعد ذلك بمحلة الأكراد على النحو الذي ذكرت وبحسب الأخبار التي نقلت . وإذ كان الجاوانيون قد قرَنوا مستقبلهم بمستقبل بني أسد وهم من الشيعة ، لم يكن لهم بُد من التأثر بمذهب ذوي الأكثرية وإن كانوا من الشافعية ، كما أومأنا اليه سابقاً [2] . وليس من الصواب في شيء أن يحكم المؤرخ في مذهب

(١) المنتظم (٩٠/٨٤ ـ ٥) ، والكامل « حوادث سنة ٤٨٨ »

(٢) وقد وجد بخط الأمير فخر الدين أبي محمد عنتر بن أبي العسكر الجاواني دعوات قد استفادها ...

رجبٍ اعتماداً على أيام صباه. ولما كثر الاختلاف بين ملوك السلاجقة، أخذت سلطة أمراء الأطراف تتضح، وأقطاعاتهم تنتظم، وكانوا يؤدون عن المدينة أو القطر خراجاً سنوياً الى السلطان السلجوقي، وكانوا يلاطّونه أحياناً. وقد اتسع ملك الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور المذكور وفي صفر من سنة « ٥٠٠ هـ » استولى على تكريت، وكانت بيدي كيقباذ بن هزارسب الديلمي، وذلك أن السلطان محمد بن ملكشاه لما استقرّ في السلطنة السلجوقية بعد موت أخيه بركيارق أقطع قسيم الدولة آقسنقر التركي البرسقي بلدة تكريت، فلم يسلمها إليه كيقباذ الديلمي المذكور، وراسل الأمير صدقة بن منصور، فجاء في جيشه، وفيهم الأكراد الجاوانيون، وتسلمها من كيقباذ، وجعل فيها الأمير ورام بن أبي فراس بن ورام الجاواني نائباً عنه [1]

وقد اعتمد سيف الدولة صدقة وأهله على جماعة من الأمراء الجاوانيين، وأقطعهم بلاداً في الأعمال الواسطيّة وغيرها، منهم الأمير أبو النجم الكردي الجاواني مؤسس قرية أبي النجم المنسوبة إليه، وكانت عند قرية الفاروث الكبيرة [2] التي كانت على شاطىء دجلة بين واسط والمذار، فهل هو أبو النجم أبن ورام الذي قدمنا ذكره مع أخيه أبي الفتح آنفاً؟ ومنهم الأمير أنوشجان عاصم بن أبي النجم المذكور، وكان متمكناً متحكماً في أسفل واسط على دجلة، حيث يأخذ منها نهر برجدا ونهر الصينية وإليه تنسب قرية « العاصمية » من أمهات قرى نهر برجدا، وكان بطلاً من الأبطال، وكان من عادته أن يقصد الأسد في عرينه ويطعنه بحربة،

= من الأدباء الشيعة في صباه، وكتبها في مجموعه، من ذلك:

بختام الرسالات هداتي من بني هاشم	بمن صام بمن صلى بمن صدق بالخاتم
بحق البضعة الزهراء حواء النسا فاطم	وبالمسموم والمقتول ظلماً لعن الظالم
وبالسجاد والباقر والصادق والكاظم	وبالمدفون في طوس علي ولد العالم

بحق العسكريين وبالمنتظر القائم

تلخيص معجم الألقاب (٤/٢٤٤)، والمناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (نسخة المتحفة البريطانية ٢٣٩٦٦ الورقة ٢٣٥).

(١) الكامل في حوادث سنة (٥٠٠ هـ)، والمناقب المزيدية في أخبار الملوك الأسدية (النسخة المقدم ذكرها الورقة ١٤٤).

(٢) خريدة القصر (نسخة باريس رقم ٣٣٢٧ الورقة ١٥٢)

ولعله قتل في عمره خمسين أسداً على النحو الذي ذكرت ، لم يشاركه في قتلها أحد . وكان أديباً أريباً ، ومسمَّرَ حرب وكان له مرة خصم ينازعه في بعض الأملاك ، وكان قد حلف زوراً بالقرآن الكريم ، فكتب الى سيف الدولة صدقة بن منصور المذكور يشكو منه أبياتاً ومقطعات ، فنها قوله :

مولاي خصمي فاسق ، ومن أدَّعى — زوراً ولم يخشَ العواقب يَحْلِفِ
ولأخذُ مالِ المسلمين وغصبُهُ — بالزُّور أعظمُ من يَمينِ المُصحفِ

وقولـــه :

وخصمي ذو مالٍ ، ومن أجل ماله — أهانُ وما يُلوى عليَّ ويُكرمُ
ولو حلَّ ذو مال بأكناف فارس — ونادى أجابته قريش وجُرهُمُ (١)

وله أبيات يترثى فيها لما صار إليه بنو أسد بعد قتل الأمير سيف الدولة صدقة ، سنذكرها في موضعها

ومنهم الأمير سيف الدولة أبو النجم بدر بن ورام الكردي الجاواني ، كان يسكن « طسفونج » قريةً كبيرة كانت في شرقي دجلة مقابل النعمانية بين بغداد وواسط ، وقد توفي سيف الدولة هذا في شهر ربيع الأول من سنة « ٤٧٢ » (٢)

والظاهر أن له أخاً أسمه « شـــرف الدولة محمد بن ورام » ، وكان شرف الدولة قد أنشأ مدرسة للشافعية بواسط وممن درّس فيها فقه الإمام الشافعي ، أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله الواسطي الشافعي ، قال تاج الدين السبكي : « درس بواسط بمدرسة ابن ورام ، وبها مات أي بواسط في حادي عشر المحرّم سنة ست وسبعين وخمسمئة » (٣) ووجدت في تاريخ واسط لأسلم بن سهل الرزاز المعروف ببحشل أنَّ أبا طالب محمد بن علي بن أحمد الكتاني الشافعي المحتسب سُمِعَ عليه هذا التاريخ سنة ثلاث وسبعين وخمسمئة بواسط في مدرسة شرف الدولة

---

(١) المرجع المذكور في الموضع المشار اليه (٢) الكامل في حوادث سنة (٤٧٢ هـ) .
(٣) طبقات السبكي (٤/١٠٩) .

محمد بن ورام. قال الكاتب في الدعاء لمؤسسها: «نور الله ضريحه[1]»، فدلّنا ذلك على كونه من الأموات إذذاك

وفي سنة «٥٠١ هـ» سخط السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي على أبي دلف سرخاب ابن كيخسرو صاحب آوة وساوة بين الري وهمذان، فهرب الى العراق، واُستجار بسيف الدولة صدقة بن منصور الأسدي المزيدي المذكور فأجاره، وأرسل السلطان اليه في تسليمه الى نوابه بالعراق فأبى صدقة وأجابه يقول: «إنه استجار بي، وإنني لا أمكن منه، بل أحامي عنه، وأقول ما قاله أبو طالب لقريش لما طلبوا منه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ :

كذبتم وبيت الله نُبْزي محمداً ولما نطاعنْ دونه ونقاتلِ»

[وقبل هذا البيت:

ونسلمهُ حتى نصرَّعَ حوله ونَذْهَل عن أبنائنا والحلائل]

فقدم السلطان محمد العراق، وحشد الجنود لقتال صدقة بن منصور وبعد مراسلات ومفاوضات كادت تؤدي الى الاصطلاح، التحم الجيشان في أرض قوسان. وهي منطقة نهر الغراف الحالي، وكان في ميمنة جيش صدقة حلفاؤه الأكراد الذين لم يكونوا إلا من بني جاوان فأظهروا من الشجاعة في القتال ما حمل صدقة أن يَعِدَهم الوعودَ السنيّة: من الحكم والأقطاع والمال، وحمل هو على الأتراك، فضربه مملوك منهم على وجهه فشوّهه، وجعل يُقاتل ويقول: «أنا تاج الملوك أنا ملك العرب أنا صدقة» فأصابه سهم في ظهره، وأدركه مملوك تركي آخر اسمه بزغش، كان أشلّ اليد، فتعلّق به وجذبه عن فرسه، فسقطا إلى الأرض معاً، وعرفه صدقة فقال له «يابزغش أرفق»، فضربه بزغش بالسيف، فقتله وأخذ رأسه، وهزم جيش صدقة وحلفاؤه الجاوانيون، وأسر ابنه دبيس، ومُجارُهُ سُرخاب بن كيخسرو الديلمي، وصاحب جيشه[2]. وهرب ابنه بدران الى حلب، ثم الى مصر فتوفي فيها سنة ٥٣٠ هـ. وكانت تلك الوقعة

(١) تاريخ واسط لبحشل: نسخة المتحف العراقي (ص ٢٥٤ ـ ٥)

(٢) الكامل في حوادث سنة (٥٠١ هـ)، والمنتظم (٩/١٥٦، ٢٣٦)

فاتحة عهد مشؤوم على بني أسد وبني جاوان ، ويظهر أنّ السلطان محمداً أراد ضرب الأكراد بأكراد آخرين منهم جرياً على المذهب السياسي ، وذلك بأن أقطعهم أكثر البلاد التي كان يحكمها سيف الدولة صدقة وحلفاؤه الجاوانيون ، ومن أولئك الأكراد رجل اسمه « سياكيل » ، وفي ذلك يقول الأديب الأمير أبو شجاع عاصم بن أبي النجم الجاواني من أبيات :

فقلت لها : كفّي ، جُعلت لكِ الفدا ... ألم تعلمي أنّ الزمان قد انقلب ؟

قُرى النيل قد أضحى سياكيل آمراً ... بها ، و نُفي بدرانُ منها إلى حلب (١)

وفي ذلك يقول صارم الدولة مرجى الليثي البطائحي الشاعر :

وقد كثر الاقطاع حتى أظنّهُ ... سيُقطع كلبٌ في الجزيرة أو هرُّ

ثلاثون ألفاً للبشيري وحده ... فدعْ عنك من لا يجوز له ذِكرُ

وعشرين ألفاً أقطعت زجسيّة ... كثيرٌ لها ألفٌ ولو أنها عُشرُ

وما كان اسباكيل يركب خلفه ... جياداً ، البراذين البشيرية الحُمر

ويركب سلّار أخوه بأهبة ... ومن خلفه فهدٌ وقدامهُ صقرُ (٢)

قال العماد الكاتب الأصفهاني في « البشيري والزجسية » : إن « البشيرية والزجسية بطنان من الأكراد بحلّة ابن مزيد ، وقد أقطعوا أكثر مما يستحقونه » (٣) . وهذا يعني أنهما بطنان من قبيلة جاوان ، قدّمها السلطان السلجوقي على بني جاوان الآخرين ، على النحو السياسي الذي أشرت اليه من ضرب الأكراد بآخرين منهم .

وقد جاء في سيرة الشيخ أبي الوفاء محمد الزاهد ، الملقب بتاج العارفين المتوفى في أول القرن السادس ، المعروفة تربته حتى اليوم في مقابل أرض الكوت من غربي دجلة ، أنه « كان زجسي الأصل ، وأنّ زجس قبيلة من الأكراد ، وأنه قال : « أمسيت عجمياً وأصبحت عربياً » (٤) .

(١) خريدة القصر « النسخة المذكورة » ، الورقة ١٥٣ .

(٢) الخريدة المذكورة في (الورقة ١٧٠/١) ونصرة الفترة وعصرة الفطرة : نسخة دار الكتب الوطنية بباريس (٢١٤٥ الورقة ١٠) .

(٣) نصرة الفترة في الموضع المذكور (٤) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار « ص ١٤٣ » .

وذكر الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد المنعم الواسطي الأصل أن والد الشيخ أبي الوفاء كان علوي الأصل ، حسني الفرع ، أقام بين بني رجس (بالنون وقيـــل بالباء والأول أشهر) وهي قبيلة من الأكراد ، وتزوّج بنت كبير منهم ، وأن أبا الوفاء أُشهر بتاج العارفين الكردي نسبة الى أخواله وقَوْم أمّه [1] ، وأنا أظن أن نسـب الشيخ أبي الوفاء أُنتحل بعد وفاته ، وبعد زوال الدولة العباسـية أزمانَ تضاءلت الرقابة على الأنساب الشريفة ، واستبق صادة الدنيا إلى ربط أنساب العُبّاد الزهاد بالنسب العلويّ ، كما أُستبقوا في أُختراع المناقب والكرامات .

وأعود إلى إمارة المزيديين وحُلفائهم الجاوانيين ، فان السلطان محمـــداً السلجوقيّ وإنْ قَلَّصَ اقطاعاتهم فهو لم يُزل إمارتهم بالحـلّة ، بل أطلق من الأســـر دبيس بن صدقة واستحلفه أن لا يسعى بفساد [2] وهـذا يعني نصب دبيس بن صدقـة مكان أبيـه في إمارة الحلّة ، وبالتعبير الرسمي يومئذ في أقطاعها ، وقد بقي أكثر الأكراد الجاوانيين بالحلة وفي البلاد التي سكنوها من أواسط البلاد الفراتية ، محالفين له ومن حزبه

وتوفي السلطان محمد السلجوقي سنة « ٥١١ هـ » ، وتولى السلطنة بعده أبنه محمود ، وتوفي الخليفة المستظهر العباسي سنة « ٥١٢ هـ » ، وبويع بالخلافة أبنه الخليفة الهمام المسترشد بالله أول شهيد لأستقلال الدولة العباسية في القرن السادس من الهجرة

وكان الأمير دبيس شديد الطمع في الملك والطِماح الى توسيعه ، فآوى الأمير أبا الحسـن ابن المستظهر بالله أخا الخليفة المسترشد . وكان قد هرب من رقابة أخيه المسترشد في دار الخلافة ، فنشب خلاف بين الخليفة وبينه [3] ، كانت نتيجته هلاكها ، وتعظيم التاريخ المسترشد وتحقيره لدبيس على مرّ الدهور وأوّل ما كايد به المسترشد دبيسـاً أن أضاف دار أبيـه صدقة بدرب فيروز من شرقي بغداد ، أضافها الى جامع القصر المعروفة بقاياه اليوم بجامع سوق الغزل ، بحجة

(١) تذكرة المقتفين آثار أولي الصفا وتبصرة المقتدين بطريق السيد أبي الوفا : (نسخة باريس ٢٠٦٣ الورقة ٧ـ٨) ، وغاية الاختصار في البيوتات العلوية المحفوظة من الغبار (ص ٧٠)

(٢) الكامل في حوادث سنة « ٥٠١ هـ »

(٣) الكامل في حوادث سنة (٥١٢ هـ) ، والمنتظم (١٩٨/٩)

أنه مُصلّى الجمعة في جميع بغداد الشرقية ، وأنه يضيق بالمصلين يومَها ، فكتب دبيس فتوى مضمونها : « ما يقول السادة الفقهاء في رجل أشترى داراً ، فغصبها منه رجل جعلها مسجداً ، هل يجوز ذلك للغاصب أم يُلزَمُ بردّها الى مالكها ؟ » فكتب قاضي القضاة أبو الحسن علي بن محمد الدامغاني الحنفي ، وهو من أجلّ فقهاء الاسلام وأعظمهم ، والقضاة والفقهاء : « لايجوز ذلك ، وَيجب على الغاصب ردُّها ، ولايصح وقفها » فرفع ذلك دبيس الى الخليفة المسترشد ، وأظهر كتاباً أي سنداً بأن أباه صدقة أُشترى الدار المذكورة من وكيل الخليفة المستظهر بالله بخمسة عشر ألف دينار ، وأنفق عليها ثمانية عشر آلاف دينار فلم يردُّها إليه المسترشد [1] ، بل صالحه عليها بمال .

وأخبار هذه الدار عجيبة ، فانها كانت في حياة صدقة أشبه بدور المندوبين السامين في عصرنا ، يلجأ إليها الطريد والشريد والمطلوب والخائف ، فيكون في أمان ، وان كان صاحب الدار بعيداً عنها قال أبن الأثير في حوادث سنة « ٥٠١ هـ » : « في هذه السنة في صفر عُزل الوزير أبو القاسم علي بن جهير وزير الخليفة المستظهر بالله ، فقصد دار سيف الدولة صدقة ببغداد ملتجئاً إليها ، وكانت ملجأ لكل ملهوف ، فأرسل اليه صدقة من أخذه من الدار الى الحلّة ... وأمر الخليفة بنقض داره التي بباب العامة » [2] . فالخليفة وغيره من أرباب الدولة وأتباع السلطنة ، لم يستطيعوا أذاه في بدنه ، ولولا دار صدقة ما سلم بدنه . وللدار أخبار أخرى لا محلّ لذكرها الآن .

وبدا العداء العملي إن صح التعبير بين المسترشد ودبيس ، بأن برز آقسنقر البرسقي نائب السلطان محمود السلجوقي ببغداد في جيش الى الرقة : رقة ابن دحروج ، وهي محلة الكريمات والشواكة الحالية ، فنزل بأسفلها ، وأعلن أنه قاصد بجيشه الحلة لاجلاء دبيس بن صدقة منها ،

---

(١) المنتظم (٩/١٩٨-٩) ، والمرآة (٨/٧١) ، والكامل في حوادث سنة (٥١٢ هـ) .

(٢) الكامل في حوادث سنة (٥٠١ هـ)

فجمع دبيس جموعاً كثيرة من العرب والأكراد الجاوانيين ، ووزع فيهم سلاحاً وأموالاً كثيرة ، وأستعد للحرب ، ثم أنضم الى آقسنقر البرسقي الأمير آي آبه جيوش بك أتابك الملك مسعود السلجوقي ، وأبو الهيجاء الكردي أمير إربل أي أربيل ، والأمير كرباوي بن خراسان التركماني أمير البوازيج ، فخافهم دبيس لكثرتهم ، وحاجزهم ولاطفهم . ثم قدم العراق أمير أسمه عماد الدين منكبرس ، فأستماله دبيس واستحلفه واتفقا على التعاضد والتناصر ، والتقيا قرب النعمانية وكثر الفساد بالعراق بسبب أختلاف الأمراء ، ونهب المتخاصمون السواد نهباً فاحشاً ، فمن ذلك قرى نهر الملك ونهر عيسى ونهر صرصر وبعض معاملة دجيل وقد ذكر أبن الأثير أنهم أستباحوا النساء . ثم أمر الخليفة المسترشد بالموادعة والمصالحة ، وترك الفساد وحقن الدماء ، وآل الأمر الى أن أستقر منكبرس شحنة أي حاكماً عسكرياً ببغداد ، وكان قد تزوّج سُرّية السلطان محمد السلجوقي أم الملك مسعود سرجهان قبل انقضاء عدتها ، فأوغر صدور السلجوقيين ، وودعه الأمير دبيس وعاد الى الحلة وبقي منكبرس يظلم ويعسف الرعية ويصادر الناس [1] .

وفي سنة « ٥١٦ هـ » التقى عسكر آقسنقر البرسقي وعسكر دبيس ، وفيهم الجاوانيون الأكراد ، عند نهر بشير من نهر الملك شرقي الفرات ، وهو غير نهر بشير من فروع دجيل ، فدُحر جيش البرسقي ثم إن دبيساً أمر جماعة من أصحابه بالمسير الى أقطاعهم بواسط ، فساروا إليها، فنعهم أتراك واسط ، فجهّزَ إليهم دبيس عسكراً ، وجعل قيادته الى الأمير ضياء الدين مهلهل أبن أبي العسكر الكردي الجاواني ، وأرسل إلى المظفر بن أبي الجبر الليثي أمير البطائح في أن يتفق مع مهلهل ، ويساعده على الواسطيين ، وعجل مهلهل ، ولم ينتظر المظفر ظناً منه أنه يستطيع دحرهم ، فهزموه ، ودحروا جنده من الأكراد وغيرهم من بني أسد ، وأدركوه وجاعة من أعيان الجند فأسروهم ، وقتل من الجيش نحو من ألف قتيل [2]

---

(١) الكامل في حوادث سنة (٥١٢ هـ)

(٢) الكامل في حوادث (٥١٦ هـ) ، والمنتظم (٩/٢٣٧) .

وفي سنة « ٥١٧ هـ » سار البرسقي وهو في معية الخليفة المسترشد إلى دبيس ، وكان البرسقي قد اعتز بجيش من المتطوّعين للجهاد ، والمستنفرين من العرب ومنهم سليمان بن مهارش العقيلي وقرواش بن مسلم العقيلي ، وغيرهما من الجنود المأجورين . ولما علم دبيس بالأمر ، كتب الى الخليفة المسترشد ، يستعطفه ، فلم يعطف عليه ، وتقدم الخليفة في الجيش إلى منطقة النيل من شرقي الفرات الأوسط ، ونزل الجيش قرية المباركة ، وعُبّيء الجيشان جيش دبيس وجيش الخليفة المسترشد والبرسقي ، وكان في جيش دبيس الأمير فخر الدين أبو محمد عنتر بن أبي العسكر الجاواني وهو أخو الأمير مهلهل الذي قدمنا ذكره ، فحمل عنتر في طائفة من الأكراد الجاوانيين والعرب على ميمنة جيش البرسقي ووراءها الخليفة المسترشد ووزيره والأعيان ، فردّها على أعقابها ، ثم كرّ عنتر على الميمنة نفسها وحطمها حطماً ثم اختلفت الأقوال فأبو الفرج أبن الجوزي يذكر أن عنتراً الجاواني خان وغدر واستأسر لجيش البرسقي رغبة منه في طاعة الخليفة وأن لا يكون خارجاً عليه ، بحيث إنّ جماعة من عسكر دبيس لما رأوا الخليفة المسترشد ووزيره يصمدان بعد حملة عنتر ، على ضفة نهر عتيق ، قالوا : إنّ عنتراً غدر فلم يصدق القتال . وأبن الأثير يعدّ عنتراً صادقاً للقتال ، إلا أنّ عماد الدين زنكي بن آقسنقر حمل في عسكر واسط على عنتر وفرقته وأتوهم من ظهورهم ، فبقي عنتر في الوسط ، وأسروه مع أصحابه [1] وهرب دبيس وكثير من جيشه ، وأسر منهم آلاف ، وقتل كثير

وقد أراد أبن الأثير أن يظهر شجاعة عماد الدين زنكي بتغاضيه عن مخامرة عنتر ، وكان يكثر من مدح زنكي بالشجاعة وكان قد قال في حوادث سنة « ٥١٢ » : إن الملك مسعوداً سار الى العراق ومعه وزيره فخر الملك بن عمار وزنكي بن آقسنقر جدّ ملوكنا الآن بالموصل ، وكان من الشجاعة في الغاية » [2] فلو لم يكن عنتر مخامراً مستأسراً لأمر الخليفة المسترشد بقتله ، لما أمر بقتل الأسرى في تلك الوقعة ، باعتدادهم خوارج خرجوا على إمام الأمة ، قال أبن الأثير :

---

(١) المنتظم (٩/٢٤٢ـ٣) والكامل (١٠/٢١٥ـ٦)

(٢) الكامل في حوادث سنة (٥١٢ هـ)

« وحملت الأسرى إلى بين يدي الخليفة المسترشد ، فأمر أن تضرب أعناقهم صبراً » [1] .

وقال أبو الفرج ابن الجوزي : « وأسر خلق كثير من عسكر دبيس . وكان الواحد منهم إذا قدم ليقتل ، قال : « فداك يا دبيس » [2] وذكر سبط ابن الجوزي : أن الأسرى كانوا ثلاثة آلاف أسير [3] ، وكان بينهم جماعات من الأكراد الجاوانيين وفي فخر الدين عنتر بن أبي العسكر الجاواني يقول سعد بن محمد بن صيفي حيص بيص الشاعر :

إذا فلّقت بيض السيوف ظباءة سقاها فروّاها من الهام عنتر

ولم أرد العبسي لكن سميّه ومَنْ هو أولى بالثناء وأجدرُ

فانْ فخرت عبسٌ بفارس رعْبها فانّ بني الجاوان أعلى وأفخرُ

فتىً هو للعافي من الجُود مَورد وللخائف الجاني من الخوف مصدرُ

وفيه يقول أيضاً :

وإنّي وإن أمسيتُ سيّدَ دارم أناضلُ عن أحسابهم وأقارعُ

لَمُثْنٍ على الجاوان من أجلِ عنترٍ ثناءً إذا كتّمتُهُ فهو ذائعُ

فتى الحيِّ أمّا عُذرُهُ فهو ضيّق لعافٍ وأمّا جُودُهُ فهو واسعُ

مَرير القُوى نيطت حمائل سيفه إلى باسل تُثني عليه الوقائعُ [4]

وفي سنة « ٥٢٩ هـ » أمر السلطان مسعود بن ملكشاه ، الذي ذكرناه سابقاً موصوفاً بالملكية ، بقتل الأمير دبيس بن صدقة المزيدي ، وجعلت الإمارة في الحلّة لابنه صدقة الصغير أي صدقة الثاني بالاصطلاح العصريّ ثم حدث في سنة « ٥٣٠ » أن اجتمع أصحاب الأطراف على حرب السلطان مسعود ، لسوء سيرته وتخوفهم منه ، فقدم جماعة منهم بغداد ، ومنهم الأمير صدقة بن دبيس صاحب الحلة ، ومعه الأمير عنتر بن أبي العسكر الجاواني يدبّر أمره ويتمّ نقص صباه [5] ، فكان بمثابة أتابك له على اصطلاحهم وفي أوائل سنة « ٥٣٢ هـ » جرت

(١) الكامل في حوادث سنة (٥١٧ هـ) (٢) المنتظم (٢٤٣/٩)

(٣) المرآة (١١٠/٨)

(٤) نصرة الفترة وعصرة الفطرة النسخة المقدم ذكرها (الورقة ٢١١)

(٥) الكامل في حوادث سنة (٥٣ هـ)

حرب بين السلطان مسعود وابن أخيه داوود بن محمود ، ومعه الأميران بوزابه صاحب خوزستان ومنكبرس صاحب فارس . وكان مع السلطان مسعود جماعة من الأمراء ، منهم صدقة بن دبيس المذكور ، وأتابكه عنتر بن أبي العسكر الجاواني ، والتقى الجيشان في بعض بلاد إيران الشمالي ، فهزمهم مسعود ، وأسر منكبرس فقتل بين يديه صبراً ، وقبض الأمير بوزابه على جماعة من الأمراء منهم صدقة بن دبيس وأستاذه عنتر بن أبي العسكر فلما بلغه قتل صاحبه منكبرس ، قتلهم أجمعين . وهكذا كانت نهاية البطل عنتر الكردي الجاواني وبعد قتل صدقة بن دبيس ، جعل السلطان مسعود إمارة الحلة إلى أخيه محمد بن دبيس ، وجعل الأمير ضياء الدين مهلهل بن أبي العسكر أخا عنتر المقتول مدبّراً لأموره (1) ، وبذلك انضمّ مهلهل إلى بني سلجوق ، واعتمد عليه السلطان مسعود في مهمات الأمور ففي سنة « ٥٤٠ هـ » سار الأمير بوزابه صاحب خوزستان في جنده الى قاشان مبايناً للسلطان مسعود ، ومعه الملك محمد بن السلطان محمود ، ووصل إليهما الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد ، واجتمع بوزابه والأمير عباس صاحب الريّ واتفقا على الخروج عن طاعة مسعود ، واستوليا على كثير من بلاده وبلغه الخبر وهو ببغداد على عهد الخليفة المقتفي لأمر الله ، فخرج عنها لحربهما ، وترك فيها الأمير مهلهلاً والأمير نظراً المسترشدي وجماعةً من غلمان مجاهد الدين بهروز وقبل رحيله ـ أي رحيل السلطان ـ أشار عليه مهلهل أن يحبس علي بن دبيس بقلعة تكريت ، فعلم عليّ وهرب في جماعة يسيرة الى الأرز ، المعروفة اليوم بطميرزات غربي النجف كما أعتقد ، وجمع بني أسد وغيرهم ، وسار فيهم الى الحلة فاستولى عليها مستقلاً بعد قتاله أخاه محمداً وهزيمته إياه . واستهان السلطان مسعود بأمره ، فاستفحل ، وضم إلى نفسه جمعاً من مماليكه ومماليك أبيه وأهل بيته وجندهم ، وكثر جمعهم ، فسار اليه مهلهل فيمن كان معه في بغداد من الجند ومنهم الأمير نظر المسترشدي ، فقاتلهم عليّ ودحرهم ، وعادوا منهزمين الى بغداد مسلوباً ما كان معهم ، وكان البغادة يتعصبون

(1) الكامل في حوادث سنة (٥٣٠ هـ) وسنة (٥٣٢ هـ) ، وأخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني (ص ١١٠)

لعلي بن دبيس ، فكانوا يصيحون إذا رأوا مهلهلاً وبعض أصحابه : « ياعلي كُله » . وكثر ذلك منهم حتى أُمتنع مهلهل من الركوب ، ومدّ عليّ يده إلى اقطاع الأمراء في الحلة ، وتصرف فيه ، وصار شحنة ببغداد ومن فيهـا على وَجَـل منه ، وجمع الخليفة المقتفي جماعـة وجعلهم على السور لحفظه [1] .

ومن هذا العصر بدأ التنافس بين أسد والجاوانيين حلفائهم ، لأن الجاوانيين رأوا بعـد التجارب أن صلاح أمرهم في الانضمام الى الخلافة العباسية ، وترك مخالفتها والخروج عليهـا ، ولأن بني أسد ورطتهم سياستهم في أن يشاقوا بني العباس ، ويتحدوا مع السلجوقيين عليهم ، وبذلك فقدُوا كلّ أمل في الرجوع الى الحلة ، وهذه عاقبة من يخون بني جنسه ، فهم عرب والخليفة عربيّ ، ولـكنّ الطمع يَرين على العقول .

وفي سنة « ٥٤٧ هـ » توفي السلطان السفاك مسعود ، وأُستقل الخليفة الهمام المقتفي لأمر الله بالعراق ، وتولى السـلطنة السلجوقية بايران محمد بن محمود بن محمـد بن ملـكشاه ، وبقي بنو جاوان الى جانب بني العباس . وكان أتباع السلجوقيين من قواد وأمراء قد رأوا في أُستقلال الخلافة ضربة قاضيةً على سلطتهم بالعراق ، وذهاباً لاقطاعاتهم ومنافعهم ، وقطعاً لأعناتهم فيه ، فحرّضوا السلطان السلجوقي على قصد العراق ، وتقدموا أمامه في جيش مختلط من المماليك والتركمان ، يقوده أحد الأمراء واسمه مسعود البلالي ، فخرج اليهم الوزير الـكبير عون الدين يحيى بن هبيرة ، فهزمهم . ثم جمع مسعود البلالي جمعاً آخر وقصد الحلة ، فخرج اليه الوزير المذكور ثانية ، ودحر جيشه ، وأُنتهت بهم الهزيمة إلى لحف جبل حمرين . فأقام مسعود البلالي هناك مدة يستجيش ويستمدّ ، فأمدّه السلطان محمد بالأمير سلارجور ابن الزهير الـكردي وكان من كبار الأمراء السلطانيين ، واتفقا وقصدا الحلة واجتمع لهما عسكر جرّار . ثم غدر مسعود البلالي بسلارجور الـكردي ، وأغرقه في الفرات . ثم حدث اختلاف بينه وبين السـلطان ، فمضى إلى تكريت ، وأخذ معها الأمير الشاب أرسـلان شاه ابن

(١) الـكامل في حوادث سنة (٥٤٠ هـ) .

السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه ليجعله سلطاناً بالعراق ، ويعيد أُحتلاله كما يقول أهل عصرنا ، وقصد لحف الجبل ، وانضمَّ إليه هناك آلبقُش كون خر أحد أمراء السلاطين ، ومعه عسكر لجب ، واجتمع إليه سائر التركمان ، وصاروا في جنود تموج بهم الأرض ويستر غبارهم وجه السماء ووصل خبرهم الى الخليفة الهمام المقتفي لأمر الله ، وكان قد جمع عساكر عظيمة منهم الأكراد الجاوانية جميعهم ، وقائدهم يومئذ ضياء الدين مهلهل بن أبي العسكر الجاواني القدم ذكره ، فأقطعه المقتفي الحلّةَ وما حولها ، وخرج المقتفي بنفسه في ذلك الجيش من بغداد ، وعسكر ببراز الروز أي بلد روز الحالية ، والتقى الجيشان عند قرية « بجمزى » ، وتسمّى أيضاً « بكمزى » وبينها وبين بعقوبا فرسخان ، وكان ذلك سنة « ٥٤٩ هـ » ، وحملت ميسرة آلبقُش وفيها مسعود البلالي على ميمنة المقتفي لأمر الله ، وفيهم الأمير مهلهل الكردي ، فهُزم ، ووصلت هزيمته الى بغداد ، وقتل الخازن أبن الفقيه ، ونهب الخزائن ، وذلك لأن بني عوف من العرب والأميرهندي الكردي الجاواني وهم من عسكر المقتفي غدروا والتحقوا بجيش السلجوقيين ، فحمل الخليفة بنفسه هو وولي عهده يوسف الذي صار بعد ذلك خليفة ولقب المستنجد بالله ، وصاح الخليفة : « يا آل هاشم ، وقيل : يا آل مُضر ، كذب الشيطان وفرّ » ، وقرأ : (وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً) ، وحمل باقي الجيش معه فهزمُوا الجيش السلجوقي ، وظفر الخليفة بهم وغنم جنده جميع ما معهم ، ولا سيما ما كان مع التركمان[1] . لقد ظفر الخليفة في وقعة بَجمزى ، وذلك يعني أن الحلّة أصبحت اقطاعاً للأمير مهلهل بن أبي العسكر الجاواني ، وأنّ الجاوانيين رأسوا في الحلّة على بني أسد . أمّا الأمير هندي الجاواني الذي خاس على الخليفة المقتفي ، فهو الذي مدحه أبن المعلّم الشاعر الهُرثي بقصيدته الداليّة التي يقول في نسيبها :

تنبّهي يا عذبات الرَّنْدِ كم ذا الكرى ؟ هبَّ نسيمُ نجد !

(١) أخبار الدولة السلجوقية للحسيني (١٢٩-١٣٣) ، وزبدة النصرة (٢١٦-٨) من طبعة مصر ، والكامل في حوادث سنة (٥٤٩ هـ)

مَرَّ على الروض وجاء سحراً	يسحب بُردي أرج ورَد
حتى إذا عانقت منه نفحةً	عاد سَمُوماً والغرامُ يُعدي
واعجبا منيَ أستشفي الصَّبا	وما تزيد النار غيرَ وقدِ
أعلّل القلب ببان رامةٍ	وما ينوبُ غصُن عن قدٍّ
وأسأل الربع ، ومَن لي لو وعى	رجع كلام أو سخا بردٍّ ؟
أأقتضي النوح حمامات اللّوى ؟	هيهاتَ ما عند اللوى ما عندي !
كم بين خالٍ وجوٍ وساهرٍ	وراقدٍ وكاتمٍ ومُبدي
ما ضَرَّ من لم يسمحُوا بزورةٍ	لو سمحتْ طيوفهم بوَعد
بانوا فلا دار العقيق بعدهم	دار ، ولا عهد الحمى بعهد
آهِ من البعد ! ولو رفقتم	ما ضَرَّني تأوُّهي للبعد
عشقي لا ما عشقته عذرة	قبلي وبي يستنُّ لي من بعدي
تعلّة وقوفنا بطلل	وضلّة تسآلنا لصلد
إن نكب الغيث الحمى وضن أن	ينير في عراصها ويُسدي
سقته عيني ورمته أضلعي	بوابل وبارق ورعد
طرف تجف المزن وهو واكف	كأنما جفناه كف (هندي[1])

وفي سنة « ٥٥٢ هـ » حاصر السلطان محمد بن محمود السلجوقي القدم ذكرُهُ بغداد ، وفيها الخليفة المقتفي لأمر الله ، وقد استمد كل لخصمه بالجيوش والآلات الحربية ، وكانت الوقيعة من الوقائع الفاصلة في التاريخ ، كانت نتيجها إنقاذ الدولة العباسية من كابوس السلطنة السلجوقية الذي جثم على صدرها زهاء نصف قرن ، واستقلال العراق بعد ذلك الحكم الجائر والوصاية العاسفة وكان انضمام الأكراد الجاوانيين الى بني العباس من أسباب ظفرهم في هذه الحرب ، فقد جاء في التأريخ أن ضياء الدين مهلهل بن أبي العسكر كان مع المقتفي على

(١) الخريدة المقدم ذكرها (الورقة ١٥٥ ـ ٦)

السلجوقيين وعلى بني عوف الذين غدروا بالخليفة في وقعة بجمزى وعلى بني أسد وحلفائهم، ومقدمهم يومئذ الأمير علي بن دبيس ومعه من أبناء عمه الأمير حسن المضطرب، فأسر المقتفي لأمر الله حسناً المذكور وأخاه ماضياً وعدة وافرة من أعيان بني أسد، وصلب حسناً على دقل سفينة مقابل عسكر السلطان، إرهاباً لجنده ومن معه

وذهب الأمير مهلهل الى الحلة للدفاع عنها ومَنْع جنود السلطان من دخولها، فوجد بني عوف قد أحتلوها [1] هذا قول أبي الفرج ابن الجوزي. وذكر ابن الأثير في كامله أنه ذهب الى الحلة فأخذها، ولعلّ فيه نقصاناً. وسكت التاريخ الأول عما فعل الأمير مهلهل، فلم يذكر أنه حارب بني عوف ولا أنه رجع الى الخليفة المقتفي ببغداد للدفاع معه، وأنا أسترجح الأمر الثاني لأنه هو الحال الظاهرة المستنبطة من ذلك السكوت وأيّاً كان فلقد خلصت إمارة الحلّة للأمير مهلهل الجاواني على حسب ما وعده به الخليفة المقتفي، وحُلّيء بنو أسد عن إمارتها، وطردوا من أكناف أرض الخلافة العباسية، جزاءً لهم بما فعلوا وما ارتكبوا: من تأييد الدولة السلجوقية على دولة بني العباس العربية بالسيف والرأي، وكان خيراً لهم كما قلت أن يعاضدوا خلافة العرب وهي خلافة جنسهم، وأضمن من غيرها لمستقبلهم، ولم يكن الخليفة المقتفي متعصباً على مذهبهم، ولا مؤذياً لهم في عقيدتهم، فيؤلبوا عليه ذلك التأليب، ولكن حُبّ الحكم كما أسلفت يرين على القلوب فلا تميز الخير من الشرّ. وهكذا دالت دولة بني أسد على يد بني العباس وحلفائهم الأكراد الجاوانيين، وقد تشفّع الخلفاء العباسيون قبل ذلك فكانوا هم والجاوانيون على مذهب واحد

وفي أيام ولاية الأمير مهلهل بن أبي العساكر الجاواني على الحلّة، توجّه حيص بيص الشاعر المقدم ذكر مدحه لأخيه عنتر إلى الحلة لاستخلاص حوالة بها، وكانت على ضامن الحلة أي ضامن ضرائبها. فسيّر الشاعر غلامه الى الضامن يستأديه الحوالة، فلم يلتفت الى الغلام، وشتم أستاذه، فشكا حيص بيص الى الأمير مهلهل، فسيّر معه مهلهل بعض مماليك الباب

(١) تاريخ الدولة السلجوقية للحسيني (١٣٤ — ١٤١)، والمنتظم (١/١٦٨ — ١٧٦)، وزبدة النصرة (٢٢٦ — ٢٣٣)، والكامل في حوادث سنة (٥٥١ هـ)

ليساعده ، فلم يقنع منه الشاعر بذلك ، وكتب إليه رسالة يعاتبه فيها ، وكانت بينهما مودة قديمة ، وقال في رسالته : « وما كنت أظنّ أن صحبة السنين ومودتها ، يكون مقدارها في النفوس هذا المقدار ، بل كنت أظن أن الخميس الجحفل ، لو زنّ لي عِرْضاً لقـام بنصري من آل أبي العسكر حماة غلب الرقاب ، فكيف بعامل سويقة ، وضامن حُليلة وحليقة ؟ ويكون جوابي في شكواي أن ينفذ اليه مستخدم يعاتبه ، ويأخذ ما قبله من الحق ، لا والله :

إن الأسـود أسـود الغاب همتُـهـا   يوم الـكريهة في المسلوب لا السلبُ

وبالله أقسم وبنبيه وآل بيته ، لئن لم تقم لي حُرمة تتحدث بها نساء الحلة في أعراسهنّ ومناحاتهنّ ، لا أقام وليّـك بحلتك هذه ولو أمسى بالجسر والقناطر ، هبني خسرت حُمر النَّعَم أفأخسر تميميَّتي ؟ واذلّاه واذلّاه ! ! والسلام [1] »

ولم أقف الى اليوم على تاريخ وفاة الأمير مهلهل مع حفول سيرته بالأمور الجسـام في السياسة والحرب ، وهذا مثل من مثل النقصان في تواريخنا ، ولا شـك في أنه توفي بعد سنة « ٥٥٣ هـ » ، لأن حصار بغداد كان سنة « ٥٥٢ هـ » . وقد أضفنا اليها سنة على اعتبار أنه حكم فيها بالحلة ، وقصده فيها حيص بيص الشاعر .

ومن الأمراء الجاوانيين الذين نبغوا في ذلك العهد بالحلة ، الأمير أبو الهيج عبـد الله بن الحارث بن ورام ، وفيه أيامَ شبابه يقول جمال الدين شرف الكتاب ابن جيـا الحلي الكاتب الشاعر وقد توفي هـذا الشاعر سنة « ٥٧٩ هـ » وقد نشرنا هذه القصيدة في ملحق الجزء الأول من تاريخ بغداد الموسوم بالمختصر المحتاج إليه من تاريخ بغداد سنة (١٩٥١ هـ) ، وقلنـا في الحاشية : « أبو الهيج عبـد الله هو من الأمراء الوراميين الأكراد المسـتعربين النازلين في الحلة مع بني أسد ، وهي من الشعر العربيّ الأصيل وإن كانت صناعية الغزل مألوفة المعاني في أكثر بيوتها ، تثبتُ أن الحلة حافظت على ديباجة الشعر العربيّ إذ ذاك :

(١) الوفيات (١/٢١٩) من طبعة بلاد العجم

سرى موهناً طيفُ الخيال المؤرِّقِ — فهاجَ الهوى من مُغرم القلب شيّقِ
تخطّى إلينا من بعيدٍ ، وبيننا — مهامه موماةٍ من الأرض سَمْلَقِ
يجوبُ خُدارِيّاً كأنّ نجومَهُ — ذُبالٌ يذكّى في زجاج مُعلَّقِ
أتى مضجعي والركبُ دوني كأنهم — سُكارى تساقَوا من سُلافٍ معتّقِ
تخيّل لي طيفُ البخيلة أنّها — ألمّتْ برحلي في الظلام المؤرّقِ
فأرّقني إلمامُها بي ، ولم يكن — سوى حُلُم من هائم القلب مُوثق
أسير صبابات تمرَّقنَ لحمَهُ — وأمسكن من أنفاسه بالمخنّق
إذا ما شكا العشاق وجداً مبرّحاً — فكلُّ الذي يشكونهُ بعضُ ما لقي
على أنه لولا الرجاء لأوبةٍ — تُقرِّبهُ من وَصْل سُعدى لما بقي
نظرتُ ولي إنسانُ عَيْن غزيرةٍ — متى يَمْرِها بَرحُ الصَبابةِ يَغْرَق
إلى عَلم من دار سُعْدى ، فشاقني — ومَنْ يَرَ آثار المحبّة يشتق
فظلْت كأنّي واقفاً عند رسمها — طعين بمذروب الشباة مذلّق
وقد كنت من قبل التفرُّق باكياً — لعلمي بما لاقيتُ بعد التفرق
وهل نافعي والبعدُ بيني وبينها — إجالةُ دَمْع المقلةِ الترقرق
وأشعثَ مثل السيف قد مَنّه السرى — وقطعُ الفيافي مُهرقاً بعد مُهرق
من القوم مَعلوم تميلُ برأسه — شفافات أعجازِ النعاس المرنّق
طردتُ الكرى عنه بمدح أخي العلا — أبي الهيج ذي المجد التليد المعرّق
حُسام الجيوش عزِّ دولة هاشم — حليف السَّماح والندى المتدفق
فتى بجدة ينمي به خيرُ والدٍ — إلى شرف فوق السماء مُحلّق
على وجههِ نور الهدى وبكفّه — مفاتيح باب المبهم المتغلّق
إذا أُنفرجت أبوابه خلت أنها — تفرَّجُ عن وجهٍ من البدر مشرقِ
وإن ضاق أمر بالرجال توجهتْ — عزائمه فاستوسَعت كلَّ ضيق

ترى مالَه نهب العفاة وعِرضَهُ ... يُطاعِنُ عنه بالقنا كلَّ فيلق
جَموعٌ لأشتات المحامد كاسبٌ ... لها أبداً من شمل مالٍ مفرّق
سما وهو في حدّ الحداثة جَدُّهُ ... له في مساعي جِدِّه سعيُ مُشفِق
تلوح على أعطافه سمة العُلا ... كبَرْق الحيا في عارضٍ متألّق
من النفر الغرّ الأُلى عَمَّت الورى ... صنائعهم في كل غرب ومشرق
إذا فَخَروا لم يفخروا بأُشابةٍ ... ولا نَسب في صالح القوم ملصق
هم الغاية العلياء من يجر غيرَهم ... الى غايةٍ من حلبة المجد يُسبَق
إذا ما هضاب المجد سدّت طلوعها ... ولم يرقها من سائر الناس مرتق
توقّلَ عبد الله فيها ، ولم يكن ... يزاحمه فيها امرؤٌ غيرُ أحمق
صفا لك يا ابن الحارث القيل في الفلا ... مشارب وردٍ صفوها لم يرنّق
متى رمتُ في استغراق وصفك حدّه ... أبى العجز إلا أن يقول لي : أرفق
فلست وإنْ أسهبتُ في القول بالغاً ... مداه بنعتٍ أو بتحرير منطق
ألا إن أثواب المكارم فيكم ... بواقٍ على أجسامكم لم تخرّق
يُجدِّدُها إيمانُكم ، ويزيدها ... مَضاكم على تجديدها فضلَ رونق
لك الخلق المحمود من غير كلفةٍ ... وما خُلُق الإنسان مثلَ التخلُّق
إذا ما نداك الغَمرُ ناب عن الحيا ... غَنينا به عن ساكب الغيث مُغدِق
فما مدحكم مما أُعاب بقوله ... إذا أفسد الأقوال بعض التملُّق
ولكن بقول الحق أُغريت فيكم ... ومَن يَتَوخَّ الحقَّ بالحق يَنطِق
فإنْ نلتُ ما أمّلتُه من ولائكم ... ومدحكمُ يا أُس الكرام فأَخلِق
وما دون ما أبغي حجاب يصدُّني ... بردٍّ ولا بابٍ عن الخير مغلق
إذا أنا أحرزت المودّة منكُمُ ... فحسبي بها إذ كنت عين الوفق (١)

(١) الخريدة القدم ذكرها (الورقة ١١٣ـ ٤) ، والمختصر المحتاج اليه من تأريخ بغداد (ج ١/١٥ـ٧) من المستدرك

وفي هذا العصر ظهر اسم أمير كبير من بني جاوان هو قسيم الدولة — وما أعظمه لقباً ! — تغلب الجاواني ، قال ابن الفوطيّ : « قرأت في ثبت الوزير مؤيد الدين أبي طالب محمد بن أحمد ابن العلقمي ، عن هبة الله بن نما ، عن السيد التقي شمس الدين أبي طالب بن أسامة العلويّ : أنه قرأ عليه في دار الأمير قسيم الدولة تغلب الجاواني[1] ... » والذي فهمته من هذا أنّ هبة الله ابن نما الحلّي الراوي المشهور روى عن السيد شمس الدين أبي طالب ابن أسامة شيئاً من المرويّات (وقد ذهب اسمها لسوء تصوير مخطوطة الكتاب) في دار الأمير قسيم الدولة تغلب الجاواني . وأبو طالب ابن أسامة هذا ، هو محمد بن عبد الحميد بن عبد الله بن أسامة العلوي من أهل الكوفة ، وكان أديباً فاضلاً وله معرفة بالأنساب ، قال ابن النجار : قدم بغداد ، وروى بها شيئاً من شعره وذكر أن مولده كان في سنة « ٥٥٩ هـ[2] » ولم يذكر وفاته ، فهو من أهل القرن السادس للهجرة ولا شك في أن دار الأمير تغلب كانت في الحلة

وقد اشتهر بالزهد من الجاوانيين الوراميين أبو الحسين ورام بن أبي فراس عيسى بن أبي النجم ، قال صاحب الروضات : هو « الأمير الزاهد أبو الحسين ورام بن أبي فراس من أولاد مالك الأشتر النخعي صاحب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب – ع – [وهو] عالم فقيه ، فاضل جليل القدر جدّ السيد رضي الدين علي بن طاووس لأمه له كتاب تنبيه الخواطر ونزهة النواظر ، حسن إلا أن فيه الغث والسمين » ، ونقل من صحيفة الصفاء قول مؤلفها فيه : « ورام بن أبي فراس عيسى بن أبي النجم بن الحسين النخعي الأشتري الحلّي » ، ثم قال : « وأبو النجم المذكور ابن حمدان بن خولان بن ابراهيم بن مالك الأشتر ... وكتاب مجموعه المذكور ، كتاب في الزهد والنصيحة ، لطيف مشهور ، ومشتمل على أحاديث جمّة وردت في مراتب الموعظة الحسنة والحكمة عن أهل البيت والمعرفة والعصمة ، إلا أنها في الأغلب من المرفوعات والمراسيل ، ومن جملة كلمات من ليس عليهم التعويل[3] » أراد أنها من رواة مختلفين ، لا من الشيعة حَسْبُ .

(١) تلخيص معجم الألقاب (٤/٥ ٣) (٢) الوافي بالوفيات (٣/٢١٩) .
(٣) الروضات (٢/٢٢٨) .

وقال أبن الساعي في وفيات سنة « ٦٠٥ هـ » : « أبوالحسن ورام بن أبي فراس الحلّي ، شيخ زاهد متعبد كان أولا جنديًا على طريقة غير سويّة ، فهداه الله تعالى الى التوبة والإنابة ، فترك جميع ما كان فيه ، ولزم باب الله عز وجل ، وأنعكف على الخير والعبادة وقراءة القرآن المجيد ومداومة الصوم وكثرة الصلاة نافلةً ، فعظم في أعين الناس ، وصار تقصده الأكابر للتبرك توفي يوم الجمعة ثاني المحرم [من السنة] ، وحُمل الى الكوفة فدفن بمشهد علي عليه السلام [1] » .

وقال منتجب الدين علي بن عبيدالله بن بابويه في فهرست رجاله : « الأمير الزاهد أبو الحسن ورام بن أبي فراس بالحلّة ، من أولاد مالك بن الحارث الأشتر النخعي صاحب أمير المؤمنين علي أبن أبي طالب ، فقيه صالح شاهدته بالحلّة ، ووافق الخُبْرُ الخَبَر قرأ على شيخنا الإمام سديد الدين محمود الحمّصي بالحلة وراءاه [2] » وقال أبن الأثير في حوادث سنة « ٦٠٥ هـ » : في هذه السنة في ثاني المحرم توفي أبو الحسن ورام بن أبي فراس الزاهد بالحلّة السيفيّة ، وهو منها ،وكان صالحاً [3] » ، ولم يذكر كتابه في كشف الظنون ، بل ذكره مؤلف « المصباح المكنون في الذيل على كشف الظنون » اسماعيل باشا البابانى ، قال : « تنبيه الخواطر ونزهة النواظر [4] » تأليف ورام بن أبي الفراس (كذا) عيسى بن مالك الأشتري الحلي الشيعي (كذا) المتوفى في حدود سنة ٦٠٠ [5] » (كذا) .

وفي الحق أن الأمير ورام أو وراماً ، إن جعلناه عربي الأسم لم يكن شيعياً كما قال اسماعيل باشا ، بل شافعياً على مذهب الأكراد الجاوانيين مع حب شديد لآل البيت بحكم المربى والبيأة والمنشأ ، والذي زاده أحتراماً في كتب الشيعة كونه خالَ السادة الطاووسيّين الحلّيّين كرضي الدين وغيره ، ألا ترى أن من علماء الشيعة من ذكر أن في كتابه الغث والسمين ، وأن

(١) الجامع المختصر (٩/٢٧١–٧) .
(٢) بحار الأنوار (٢٥/١٣) ، والروضات (٢/٢٢٨)
(٣) الكامل في حوادث سنة (٦٠٥ هـ) (٤) المصباح المكنون (٣٢٤) .
(٥) طبع الكتاب أي تنبيه الخواطر بطهران سنة (١٣٠٣ هـ) باسم مجموعة الشيخ ورام

فيه أقوالاً لمن ليس عليهم تعويل في مذهب الشيعة الإمامية ؟ ولعل اسماعيل باشا استدل على نسبة التشيع اليه بأن منتجب الدين بن بابويه الإمامي المقدم ذكره قد ذكره في كتابه في الرجال ، وليس في ذلك دليل ، فان منتجب الدين ذكر الفخر الرازي مثلاً وهو من أعلام الشافعية وكبار أئمتهم

وفي ترجمة ورام الزاهد شيء جديد في تأريخ الأكراد الجاوانيين الوراميين ، هو تركهم نسب « الكردي » ، ورفعهم النسب الى « إبراهيم بن مالك الأشتر » ، والاستعاضة عن الكردي بالمالكي كما جاء في الروضات . وإنما اختاروا لنسبهم الجديد « إبراهيم » ؛ لأنه كان هو وأبوه من شيعة آل أبي طالب ، فارتفعوا بأنسابهم إلى من يودون الاتصال به من أشراف العرب وأعيانهم ، كما فعل غيرهم من الأكراد في الانتساب الى الخليفة عثمان بن عفان ، وآخرون في الانتساب الى خالد بن الوليد ، وآخرون الى بني العباس ، ولم يكن هذا مقصوراً على الأكراد قال سبط ابن الجوزي في ترجمة الوزير الكبير عون الدين بن هبيرة المقدم ذكره : « وقد نسبه جماعة من العلماء منهم محمد بن الدبيثي في الذيل وأبو بكر [ابن المارستانية] والعماد الأصفهاني فقالوا : هو يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن حسن بن أحمد بن الحسين ابن جهم بن عمرو بن هبيرة ... وهذا النسب استنبطوه بعد وزارته بسنين[2] »

وقال ابن الفوطي في ترجمة ابراهيم بن ميكائيل الكردي : « فخر الدين أبو محمد ابراهيم ابن ميكائيل بن اسماعيل العثماني شيخ الجبال ، ومن مشايخ الجبال والدربند مما يلي حلوان ودرتنك وباوه ، وله نسب متصل بأمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموي وقدم ولده قطب الدين الى بغداد ، وكتبتُ له نسبه ، وهو الآن بيده[3] » وقال في ترجمة ابنه : « قطب الدين ميكائيل ابن ابراهيم الأموي شيخ الجبال ، وهو من شيوخ الجبال المجاورة لحلوان ودرتنك ، ولهم جماعة كثيرة ينتسبون اليهم ، وبتلك الجبال والبراري ينتمون في الخرقة إليهم ، ولهم صيت منتشر هناك قدم بغداد سنة عشر وسبع مئة ، وله نسب الى عثمان بن عفان ، وتردد إلي[4] » .

(١) الروضات (ص ٣٩٢) (٢) المرآة (٢٥٦/٨)
(٣) تلخيص معجم الألقاب (٢١٠٧/٤) (٤) التلخيص المذكور (٣٢٨/٤)

وعلى ذلك لانرى غرابة في ترجمة « عماد الدين بن محمد بن أبي فراس حسام الدين الكردي الجاواني الورامي » حين نجد أبن الساعي المؤرخ الكبير المشهور يقول : هو « عماد الدين أبو المظفر محمد بن أبي فراس حسام الدين بن جعفر بن أبي فراس النخعي الحليّ الأمير [1] » مع أن أبن الأثير يقول في ذكر أبيه : « حسام الدين أبو فراس الحلي الكردي الورامي ، وهو أبن أخي الشيخ ورام ، وكان عمه من صالحي المسلمين وخيارهم [2] »

وفي عهد الخليفة الناصر لدين الله ، وهو عهد أهل الكفايات وأرباب الملكات ، وجدت الإمارة الجاوانية المتعربة نسباً ومشرباً ومجالاً واسعاً ، ففي سنة « ٦٠٨ هـ » نهب الحجاج بمنىً ، وسبب ذلك أن رجلاً باطنياً اسماعيلياً وثب على بعض أقرباء الأمير بمكة قتادة بن ادريس بن مطاعن الحسني ، فضربه بسكين فقتله بمنى ، ظناً منه أنه الأمير قتادة فلما سمع الأمير قتادة ذلك ، جمع الأشراف والعرب والعبيد وأهل مكة ، وقصدوا الحجاج ، ونزلوا عليهم من الجبل ، ورموهم بالحجارة والنبال وكان أمير الحاج العراقي ومن معهم من الشرق علاء الدين محمد بن الأمير ياقوت من أمراء الخليفة الناصر لدين الله نائباً عن أبيه ، وهو صبيّ لا يعرف ما يفعل ؟ فخاف وتحيّر ، وعكن قتادة من نهب الحاج ، فنهبوا من كان في الأطراف منهم ، وأقاموا على حالهم الى الليل ، فأضطرب الحجاج ، وباتوا بأسوأ حال من شدة الخوف من القتل والنهب فقال بعض الناس لأمير الحاج في أن ينتقل بالحجاج إلى منزلة حجاج الشام فأمر بالرحيل ، فرفعوا أثقالهم على الجمال ، وأشتغل الناس بذلك ، فطمع العبيد وغيرهم من أتباع قتادة فيهم ، وتمكنوا من النهب ، والتحق من سلم منهم بحجاج الشام واجتمعوا معهم ثم رحلوا الى الزاهر ، ومُنعوا من دخول مكة ثم أذن لهم في ذلك فدخلوها وأتموا حجهم وعادوا [2] وإذ كان الناصر لدين الله يعد هذا الفعل أمتهاناً للإسلام وأحتقاراً للدولة العباسية ، أيقن الأمير قتادة أن الناصر لن يتركه ريثاً من التبعة ، فأرسل قتادة أبنه وجماعةً من أصحابه الى بغداد ، فدخلوها ومعهم السيوف مسلولة والأكفان عليهم ، فقبلوا عتبة باب النوبي من أبواب دار الخلافة ، وأعتذروا الى الخليفة مما

(١) تلخيص معجم الألقاب (٤/١١٨) (٢) الكامل في حوادث سنة (٦٢٣ هـ)

جرى على الحجاج [1] . ومعنى ذلك أنهم إن لم يقبل الخليفة عذرهم ، فهم مستعدون لأن يُقتَلوا بالسيوف التي كانت معهم ، وللتكفين بالأكفان التي عليهم ، وهكذا كانت علامة المجرم التائب المنيب عند إظهار توبته وإنابته أيام الخليفة الناصر

وللذي جرى على الحاج في سنة « ٦٠٨ هـ » استدعى الخليفة الناصر بالأمير أبي فراس بن جعفر بن أبي فراس الكردي الجاواني ، فجعله نائباً عن أمير الحاج محمد بن ياقوت الصغير ، وأمره بالسفر الى مكة ، لكثرة اعتماده عليه ، وكان معه مال وخلع لقتادة صاحب مكة [2] وذلك من أموال الصدقات على أهل الحرمين ويذكر سبط ابن الجوزي : أنّ النهب وقع على حجاج العراق والشرق في إمارة حسام الدين أبي فراس الجاواني المذكور [3] ، وتابعه على ذلك ناقلاً من تاريخه أبو شامة [4] . مع أنّ ابن الأثير يذكر في حوادث سنة « ٦١٠ هـ » : أنه حج فيها بالناس أبو فراس بن جعفر بن أبي فراس الحلي ، نيابة عن أمير الحاج ابن ياقوت ، ومنع ابن ياقوت من الحج لما جرى للحجاج في ولايته [5] وابن الأثير أحقُّ بالتصديق من السبط ؛ لأن السبط معروف بالمجازفة في أقواله وقلة التثبت فيها ، كما قال مؤرخ الإسلام شمس الدين الذهبي

وفي أواخر سنة « ٦٢٢ هـ » كان حسام الدين أبو فراس الجاواني هذا أميراً على الحاج ، ولما بلغ بهم ما بين مكة والمدينة ، فارقهم إلى مصر ، قال ابن الأثير : « حكى لي بعض أصدقائه أنه إنما حمله على الهرب ، كثرة الخرج في الطريق وقلة المعونة من الخليفة الناصر ولما فارق الحاج ، خافوا خوفاً شديداً من العرب ، فأمّن الله خوفهم ، ولم يرعهم ذاعر في جميع الطريق ، ووصلوا آمنين ، إلا أن كثيراً من الجمال هلك ، أصابها غدّة عظيمة ولم يسلم إلا القليل [6] » . أما مؤلف الحوادث ، فقد ذكر أن مفارقته للحاج كانت هرباً من الوزير مؤيد الدين القمّي وحذراً من قصده إياه ، وأن مفارقته للحاج كانت سنة « ٦٢١ هـ » لا سنة « ٦٢٢ هـ » ، وأنه التجأ إلى

---

(١) المرجع المذكور في حوادث سنة « ٦٠٨ هـ »
(٢) مرآة الزمان (٥٦١/٨) من طبعة الهند ، والنجوم الزاهرة (٢٠٦/٦)
(٣) المرآة (٥٦/٨) (٤) ذيل الروضتين (٩/٨٨)
(٥) الكامل في حوادث سنة (٦١٠ هـ) وراجع تاريخ الخزرجي (الورقة ١٢٢)
(٦) الكامل في حوادث سنة (٦٢٢ هـ)

الملك الكامل أبي المعالي محمد بن الملك العادل الأيوبي ، فتلقاه الكامل بالقبول ، وجعله مقدماً على أمرائه بمصر . ولما بلغ حسام الدين قبض الخليفة المستنصر على مؤيد الدين القمي سنة « ٦٢٩ هـ » ، كاتب ديوان الخلافة يستأذن في العود إلى بغداد ، فأجابه الخليفة الى سؤاله ، فعاد . ولما وصل الى بغداد ، حضر عند نصير الدين أحمد بن الناقد نائب الوزارة ، فخلع عليه خلعة سنية ، وأعيد الى زعامته ، ومضى الى داره بسوق العجم ثم أُستدعي بعد أيام الى دار الوزارة ، فخلع عليه ، وأعطي سيفاً محلى بالذهب ، وأركب فرساً ، وأعطى سبعة أحمال أعلاماً وطبول حرب ، وضُمَّ إليه جماعة من العسكر ، وأقطع « دقوقا » [1] المعروفة اليوم بطاووق

وكان قد تولى شحنكية البلاط الواسطيّة والبصريّة مرتين في أيام الناصر وأيام المستنصر . والشحنكية هي الحاكمية العسكرية وحج أبو فراس بالناس أميراً ثلاث عشرة حجة ، وكان موصوفاً بالشجاعة ، ولم يزل منذ كان شاباً أميراً مقدماً ، وزعيماً محترماً ولما توفي الأمير جمال الدين قشتمر المملوك الناصري ، وكان ذلك سنة « ٦٣٧ » هـ ، سأل أن يكون عوضه في التقدم على جنود الدولة العباسية أي قائداً عاماً ، فلم يجب الى ذلك ، فامتنع من الركوب في الأعياد مع سائر الأمراء ، فكان موكبه يخرج في العيد وفيه ابنه عماد الدين أبو المظفر محمد الجاواني ، نيابة عنه ، ولم يضجر المستنصر من فعله هذا حفظاً لقلبه ورعاية لمقامه وكان في كبار الأمراء الذين دعوا الى دار الخلافة ، لترتيب الأمور وتدبيرها بعد وفاة الخليفة المستنصر بالله ، ولم يزل على ذلك الى أن توفي سنة « ٦٤١ هـ » [2]

وابنه عماد الدين أبو المظفر محمد قال فيه ابن الساعي : « عماد الدين أبو المظفر محمد بن أبي فراس حسام الدين بن جعفر بن أبي فراس النخعي الحلي الأمير ، من بيت الإمارة والولاية ، وفي شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين وستّمئة ألحق عماد الدين محمد بن أبي فراس بالأمراء ، ورتب شحنة بالحلة السيفية . ثم ظهرت منه أمور أوجبت عزله ـ يعني في عهد الخليفة المستعصم ـ فعزل سنة ثلاث وأربعين وستّمئة ، ورتب عوضه الأمير قطب الدين سنجر البكلكي ،

(١) الحوادث (ص ٤٣/١٨٩) . (٢) الحوادث (ص ١٦٧ ص ١٨٩ ـ ١٩)

وذلك في شهر رمضان من السنة . ثم رتب شحنة الكوفة عوض الأمير ناصر الدين آقوش الشامي ، ثم عزل وذلك لمقارنه العقار وإهماله الأمور ، واستشهد في الواقعة سنة ست وخمسين وست مئة »[1] يعني أنه قُتل في وقعة بغداد بين العباسيين وهولاكو .

وهكذا انقطعت إمارة بني جاوان بانقطاع الخلافة العباسية ، ومضى آخر أمير منهم شهيداً مع شهداء واقعة بغداد التي هي من الحروب الفاصلة أيضاً ، وبداية عهد مشؤوم على العرب . ولم يقع إلي فيما قرأت من تواريخ اسم أمير لبني جاوان ظهر بعد ذلك الزمان ، والظاهر أنهم استعربوا استعراباً تاماً ، واندمجوا في عرب الفرات الأوسط ولكن محلتهم بقيت بالحلة منسوبةً إلى الأكراد الى اليوم ، كما ذكرت من قبل ، وخفي اسم جاوان من ميدان التاريخ وان لم تخف صورته ، فجاوان ميرخان رئيس الكرد الهاوند ذكره الميجرسون فى كتابه « إلى ما بين النهرين وكردستان »[2] المطبوع سنة ١٩١٢ م

أما شهرة الجاوانيين في العلم والتأليف ، فقد تمثلت في أبي الحسين ورام بن أبي فراس المقدم ذكره مؤلف « تنبيه الخواطر ونزهة النواظر » في المواعظ والرقائق ، وقد أسلفنا الإشارة اليه ، وفي أبي سعيد محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد بن حمدان الجاواني الحلي الشافعي الفقيه ، وكان يكنى بأبي عبيد الله أيضاً ، ولد سنة « ٤٦٨ هـ » تفقه ببغداد على حجة الاسلام الغزالي وأبي بكر محمد بن أحمد الشاشي وأبي الحسن علي الهراسي المعروف بالكيا ، وكانوا ثلاثتهم مدرسين بالمدرسة النظامية في أزمان مختلفة ، وسمع الحديث وغيره من أبي عبد الله الحميدي الأندلسي وأبي سعيد عبد الواحد بن الأستاذ أبي القاسم القشيري وأبي بكر الشامي القاضي الشافعي ، وقرأ المقامات على مؤلفها أبي محمد الحريري ، وبرع في الفقه وتميّز ، وألف شرحاً للمقامات المذكورة وكتاب « عيون الشعر » والفرق بين الراء والغين ، وحدث بكتاب « إلجام العوام » للغزالي وقد ذكره حاجي خليفة أول شراح المقامات ،

---

(١) تلخيص معجم الألقاب (٤/١١٨ ـ ٩)

(٢) To Meṣopotamia and Kurdiṣtan , P. 179 , by E. B. Soane. London 1919

وقال : « وقد أُعتني بالمقامات الأُدباء ، فشرحها أبو سعيد محمد بن علي بن عبد الله ، وقرأها على مؤلفها الحريري » . وقال في الكلام على كتابه عيون الشعر : « عيون الشعر لأبي سعيد محمد أبن علي الجاواني » ، وقال في ذكر كتابه الثالث : « الفرق بين الراء والغين لأبي سعيد محمد بن علي الجاواني » وكانت وفاته سنة « ٥٦١ هـ » ومن شعره :

سلام على عهد الهوى المتقادم ... وأيامنا اللاتي بجرعاء جاسم
ودار ألفنا الوجد فيها وَمَسْكن ... نعمنا به مَعْ كل حوراء ناعم
مرابع أنس في الهوى ومنازل ... للهو الصِّبا والوصل راسي الدعائم (١)

مصطفى جواد

---

(١) قال تاج الدين السبكي : « محمد بن علي بن عبد الله أبو عبد الله العراقي البغدادي ، من تلامذة الغزالي والشاشي والكيا الهراسي لقيه المحدث أبو الفوارس الحسن بن عبد الله بن شافع الدمشقي بإربل ، وسمع منه ذكر شيخنا الذهبي أنه توفي بعد الأربعين وخمس مئة ، ولا أدري هل هو هذا أو غيره والله أعلم » « طبقات الشافعية الكبرى (٤/٨٨) ، وكشف الظنون (العمود ١١٨٧ ، ١٢٥٥ ، ١٧٨٨) طبعة وكالة المعارف بتركية سنة ١٩٤٢ م)

أثر الأصابع في العدد (١)

عشرُ دوراتٍ للقمر كانت تؤلف السنة الرومانية ،
وكان ينظر إلى هـذا العدد نظرة أحترام عظيم ،
وربما كان السبب أحتياجنا إلى العـدّ على الأصابع ،
أو لأن المرأة تلد بعد مضاعف خمسة أشهر ،
أو لأن الأعداد تكبر حتى تصل إلى العشرة ،
ثم تبدأ مجدّداً من الواحد إيقاعها المنتظم .

« مترجمة عن الجزء الثالث من قصيدة
فاستي للشاعر الروماني أوفيـد (٢) »

(١)

علك الإنسان حتى في مراحل تطوّره الدنيا ملـكة سأسميها « حاسة العدد » ، إذ لم أجـد أسماً أحسن من هـذا الأسم وهذه الملـكة تساعده أن يعرف أن شيئاً ما قد طرأ على مجموعـة صغيرة ، فغير فيها ، وذلك إما بأخذ شيء منها ، وإما بإضافة شيء اليها من غير علم منه .

ويجب ألّا يُخـلَط بين « حاسـة العدد » و « العدّ » الذي هو في الأرجح ثمرة متأخرة جـداً ، ويتضمن كما سـنرى عملية فكرية لا تبرأ من التعقيد . والعدّ بحسب ما بلغه علمنا أمر خاص بالإنسان وحدَهُ ، ولـكن بعض أنواع الحيوان عملك على ما يظهر حاســـة بدائية للعدد قريبةً من حاستنا ، أو هذا هو على الأقل رأي ذوي الـكفاية من ملاحظي سلوك الحيوان .

ويدعم هذه النظرية طائفة قيمة من البراهين مثال ذلك : أن لدى الـكثير من الطيور حاسةً للعدد كهذه ، فإذا أحتوى عش على أربع بيضات ، أمكن أخذ واحدة منها بأمان أما

---

(١) مترجم من كتاب « العدد لغة العلم Number The banguage of Science » تأليف « توبياس دانتزيك Tobias Dantzig أستاذ الرياضيات في جامعة ميريلاند في الولايات المتحدة الأمريكية » .

(٢) « أوفيد » شاعر روماني عاش في الفترة (٤٣ ق م — ١٨ ب م) ، نظم قصيـدة باللغة اللاتينية من ستة أجزاء ، وسماها « فاستي » .

إذا أخذت أثنتان ، فالطائر يفرّ في الغالب ، فهو يستطيع بطريقة لا عكن تعليلها أن يميّز بين الأثنين والثلاثة . ولكن الملكة ليست مقتصرة بوجه من الوجوه على الطيور وحدها والواقع أن أغرب مثال نعرفه هو عن حشيرة تسمى (Solitarywasp وهي من نوع الزنابير) . فالزنبورة الأم تضع بيضها في خلايا مستقلة ، وتمد كل بيضة بعدد من اليساريع Caterpillars » ليعيش عليها الصغار عندما ينفقس عنها البيض ولكن عدد الضحايا التي تزود أمهات كل نوع خلاياها بها ثابت ثباتاً عجيباً فبعض الأنواع يقدّم خمسة يساريع ، وبعضها يقدّم أثني عشر يسروعاً ، وآخر يصل إلى ٢٤ يسروعاً للخلية الواحدة ولكن أغرب من ذلك كله ما يصنعه النوع المسمى (جينوس فيومينوس Genus Fumenus) ، وهو نوع يكون الذكر فيه أصغر جداً من الأنثى فالأم تميز بطريقة خفية ما ستنفقس عنه البيضة من ذكر أو أنثى ، وعوجب ذلك تمين كمية الطعام ، فهي لا تغير نوع الفريسة أو حجمها ولكنها تمد البيضة بخمس ضحايا إن كانت ذكراً ، وبعشر إن كانت أنثى

إن الانتظام في عمل الزنبور وحقيقة كون هذا العمل يرتبط بوظيفة أساسية في حياة الحشرة ، يجعل هذه الحالة الأخيرة أقل إقناعاً لنا من الحادثة الآتية التي يظهر منها أن العمل الذي يقوم به الطائر فيها يتاخم منطقة الشعور :

أراد سيّد أن يقتل غراباً عشش في برج المراقبة في مقاطعته ، وحاول مباغتته مراراً ، فأخفق ، وذهبت محاولاته كلها سدى ذلك أن الغراب كان يغادر عشه عند أقتراب الرجل ، ويقف محترساً على شجرة بعيدة ، حتى إذا فارق الرجل البرج ، عاد إلى عشه وتفتق ذهن السيّد ذات يوم عن حيلة ، بأن أدخل في البرج رجلين ، ثم خرج أحدهما وذهب ، وبقي الآخر داخل البرج ليباغت الغراب . ولكن الغراب لم يخدع ، بل بقي مكانه إلى أن خرج الرجل الآخر وأعاد الرجل التجربة في الأيام التالية برجلين وثلاثة وأربعة ، ولكن من غير جدوى . وأخيراً أرسل خمسة رجال ، فدخلوا البرج ، ثم خرج أربعة وغادروا المكان ، وبقي

واحد في البرج ، وحينئذ أضاع الغراب حسابه ، فعاد فوراً إلى عشه ، لعدم تمييزه بين الأربعة والخمسة .

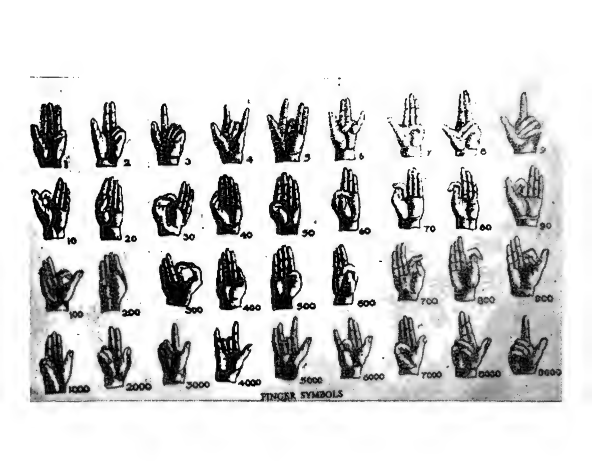
(٢)

يمكن إقامة حجتين على مثل هـذا الدليل : الأولى — أن الأنواع التي لديها حاسة عدد كهذه قليلة جداً ، فلم يعثر على مثل هـــذه الملكة لدى الحيوانات اللبونة ، بل هي مفقودة على ما يظهر حتى عند القرود والثانية — أن حاسة العدد عند الحيوانات في جميع الحالات المعروفة هي من ضيق النطاق بحيث يمكن إهمالها

أما الحجة الأولى ، فلها وزنها وإنه لأمر عجيب حقاً أن تكون ملكة معرفة العدد مقصورة على بعض الحشرات والطيور والإنسان ، وقد أخفقت جميع التدقيقات والتجارب التي أجريت على الكلاب والخيل والحيوانات الأليفة الأخرى في إظهار أية حاسة عدد عندها !

أما الحجة الثانية ، فقيمها ضئيلة ، لأن نطاق حاسة العدد عند الإنسان أيضاً ضيق جداً . ففي كل حالة واقعية أقتضب الرجل المتحضر أن يبصر عدد نراه بصورة شعورية أو لاشعورية ، يساعد الحس المباشر بالعدد عنده بوسائل ، كقرامة النماذج المماثلة ، أو التصنيف الذهني ، أو العد . والعد بصورة خاصة ، صار جزءاً مكملاً لجهازنا الفكري ، بحيث أصبحت معه الفحوص لحاسة العدد محاطة بصعوبات عظيمة ومع ذلك حصل شيء من التقدم ، فقد أدت التجارب الدقيقة إلى نتيجة لا تقبل الجدل ، وهي أن الحس بالعدد — بالإبصار المباشر لدى الرجل الاعتيادي المتحضر — قلما يتجاوز الأربعة أما بحاسة اللمس ، فهو أضيق نطاقاً من ذلك .

ودراسات أحوال الانسان في الأقوام البدائية تعزز هـذه النتائج تعزيزاً عجيباً ، فقد أظهرت أن الأقوام الهمجية التي لم تبلغ بعد مرحلة العد على الأصابع ، تكاد تكون محرومة بالكلية من أي احساس بالعدد . وهـذه هي الحالة لدى قبائل عديدة في أستراليه وفي جزر البحر الجنوبي وفي أمريكة الجنوبية وإفريقية . و (كر Curr) الذي قام بدراسات واسعة لأسترالية البدائية ، يعتقد أن قليلاً من السكان الأصليين يلمون بالعد أربعة ، ولا يوجد أسترالي



FINGER SYMBOLS



واحد بين من هم في الحالة الهمجية يصل بالعد الى سبعة أما جماعة البوشمن في إفريقية الجنوبية ، فليس لديهم من الأعداد إلاّ « واحد » و « أثنان » و « كثير » ، بل هم يلفظون هـــذه الـكلمات بشكل مدغم غير واضح بحيث يشك أنهم يقصدون بها معنى معيناً

ومع وجود أسـباب كثيرة تدعو إلى الشك ، فليس ثمة من سـبب يدعو الى الأعتقاد أن أجدادنا الأقدمين كانوا أوفر علماً من هؤلاء ، لأن اللغات الأوربية كلها تحمل آثار مثل هذه الحدود الضيقة ، فالـكلمة الانكليزيـة « thrice » مثل الـكلمة اللاتينيـة « ter » تحمل معنيين : « ثلاثة أمثال » و « كثير » وثمة علاقـة بين الـكلمات « tres » و « three » و « trans » أي « ما وراء » تغري بالقبول ، ويمكن أن يقال مثل ذلك فيما يتعلق بالـكلمة الفرنسية « tres » « جداً » أو « كثير » و « troi » « ثلاثة »

إن نشوء العدد يختفي وراء حجاب لا يمكن خرقه ، يتغلغل قبل التأريخ بعصور لا يحصى عددها فهل الفكرة ولدت من التجربة ، أو التجربة كانت مجرد عامل أظهر بوضوح ما كان كامناً في الفكر البدائي ؟ هذا بحث شائق للتخمين فيما وراء الطبيعة ، وهو لهذا السبب يخرج عن نطاق هذه الدراسة

وإذا كان لنا أن نحكم على تطور أجدادنا الأقدمين بالحالة العقلية للقبـــائل المعاصرة ، فلا مناص من الجزم بأن البدايات كانت تافهة جداً حسّ بدائي بالعدد ليس أوسع نطاقاً مما تملكه الطيور ، كان النواة التي نشأت عنها فكرة العدد ولا ريب في أن الإنسان لو أقتصر على هـذا الإحساس الآني بالعدد ، لما تقدم في فن الحساب أكثر من الطيور ولـكنه بتأثير سلسلة من حالات عجيبة ، تعلّم أن يعاون إحساسه المحدود جداً بالعدد بوسيلة قدر أن يكون لها أثر بالغ في حياته المقبلة . وهذه الوسيلة هي العدّ فإليه يُعْزَى هذا التقدم الباهر الذي أحرزناه في التعبير عن الـكون بدلالة العدد

(٣)

وفي بعض اللغات البدائيــة ، كلمات لـكـلّ لون من ألوان قوس قُزَحَ ، إلا « اللون » ،

فلا كلمة له فيها ولغات أخرى فيها أسماء الأعداد ، ولكن ليس فيها كلمة « عدد » . ويصدق ذلك على أفكار أخرى والغة الانكليزية غنية في تعابيرها الأصليـــة عن أنواع خاصة من المجموعات : flock سرب ، و herd قطيع ، و set « طقم » ، و lot جملة ، و bunch حزمة ـ تستعمل في حالات خاصة ومع ذلك فالكلمتان : Collection مجموعـة ، و Aggregate جمهرة ، هما من أصل غريب عنها

والمحسوسات قد سبقت المجردات يقول برراند رسـل : لقد أقتضى مرور أزمنة كثيرة قبل أن يكشف عن أن زوجين من الدراج ويومين هما مثالان للعدد « أثنين » وحتى في يومنا هذا نجد طرقاً قليلة للتعبير عن أثنين مثل pair و Couple وset و team و twin و brace ... الخ ، ويراد بها كلها الزوجان بحسب مواضعها في الاستعمال

ونجد في اللغة التمشية (Themshian) لإحدى قبائل كولمبية البريطانيـة مثالاً عجيباً في بابه عن التطرف في المحسوسات ، ففيها سبعة « أطقمة » متمايزة لأسماء الأعداد ، يستعمل أولها في عد الأشياء المسطّحة والحيوان ، والثاني للأشيـاء المدّورة والزّمن ، والثـالث للرجال ، والرابع للأشـياء الطويلة والأشجار ، والخامس للطوافات (القوارب المنحوتة من الخشب Canoes) ، والسادس للقياسات ، والسابع للعد حين لا يوجد ما يعدّ . وهذا الأخير هو ، في الأرجح ، أحدث تطورٍ . أما الأخرى ، فيجب أن تكون من بقايا أقدم العهود يومَ لم يكن رجال العشيرة قد تعلموا العدّ بعدُ .

إن العدد هو الذي أدمج المحسوسات ، وكذلك التصور غير المتجانس عن التمدد ، وهو من خصائص الإنسان البدائي ، بفكرة العدد المجرد المتجانس وبذلك أصبحت الرياضيـات أمراً ممكناً ومع ذلك فان من المعجب إمكان الوصول إلى فكرة منطقية واضحة الحدود عن العدد من غير التجاء إلى وسيلة العد .

ندخل بهواً ، فنجد مجموعتين من مقاعد ومستمعين ، ونستطيع أن نتحقق من غير أن نعدّ أكانت المجموعتان متساويتين أم لا ، وإن تبـاينتا فأيها أكبر ؟ ذلك أنه لو شـغل كل

مقعد ، ولم يبق أحد واقفاً ، نعلم من غير عدّ أن المجموعتين متساويتان ولو شغل كل مقعد ، وبقي نفر من المستمعين واقفاً ، لعلمنا من غير عدّ أن عدد الناس أكثر من المقاعد .

لقد توصلنا الى هذه المعرفة بعملية تسيطر على جميع الرياضيات ، ويطلق عليها أسم « التناظر واحداً لواحد » . وهي تتألف من تخصيص شيء من مجموعة بشيء من مجموعة أخرى ، ويستمر على ذلك حتى تنتهي إحدى المجموعتين أو كلتاهما

إن فن العدد لدى الكثير من الأقوام البدائية ، يقتصر على مثل هذا التناظر ، فقد كانوا يسجّلون قطعانهم وجيوشهم بحزوز تفرض في شجرة ، أو بحصى يجعل أكواماً أما أن أجدادنا كانوا بارعين في مثل هذه الطرق ، فيشهد عليه أُشتقاق كلتي tally ، ومعناها عدّ ، أو جرد ؛ وكلة calculate ، ومعناها أحصى فالأولى مأخوذة من الكلمة اللاتينية talea ومعناها قطع أو حزّ ، والثانية من الكلمة اللاتينية calculus ، ومعناها حصاة [1] .

وعملية التناظر كما تلوح لأول وهلة ليست أكثر من واسطة المقارنة بين مجموعتين ، وأنها ليست قادرة على خلق العدد بالمعنى المجرد للكلمة ولكن الأنتقال من العدد التناظري إلى العدد المجرد ليس صعباً ، فيكفي أن تخلق مجموعات نموذجية تمثل كل منها إحدى المجموعات الممكنة . فيقتصر إذ ذاك تقدير أية مجموعة كانت على أختيار أحد النماذج المتيسرة التي يمكن أن تقارن بالمجموعة المعطاة عضواً عضواً

ويجد الرجل البدائي مثل هذه النماذج في بيأته الخاصة . فجناحا طائر يمكن أن يرمزا عن العدد أثنين ، وأوراق النفل [2] عن الثلاثة ، وأرجل الماشية عن الأربعة ، وأصابع يده عن الخمسة . ويمكن العثور في الكثير من اللغات البدائية على مثل هذا الأصل لأسماء الأعداد فإذا ما ابتدع أسم عدد وأصطلح عليه ، يصبح بالطبع نموذجاً كالشيء الذي كان يمثله بالأصل . وضرورة التمييز بين أسم الشيء المستعار وما يرمز عن العدد نفسه ، أُستدعت بالطبع إحداث تغيير في الصوت ، وبمرور الزمن ضاعت من الذاكرة الملاقة نفسها بين الاثنين وبتملم

(١) يناظر ذلك في اللغة العربية كلمتا : حصى وهي صغار الحجارة ، وإحصاء وهو العد

(٢) نبت من أحرار البقول ، نوره أصفر ، طيب الرائحة الواحدة نفلة

الإنسان بالتدرج الاعتياد أكثر فأكثر على لغته ، أصبحت الأصوات تحل محل الصور التي تمثلها ، وأخذت النماذج الحسية الأصيلة الصيغ المجردة لأسماء الأعداد والذاكرة والعادة تعير هذه الصيغ المجردة ما يجعلها كالمحسوسات وهكذا أصبحت الكلمات الصرفة مقاييس للتعدد

(٤)

إن الفكرة التي وصفها الآن تسمى العدد الجُمْلي Cardinal number فالعدد الجُمْلي يعتمد على قاعدة التناظر ، ولا يعني العدّ وليس يكفي في عملية العدّ أن يكون لدينا صف من النماذج على كونه واسعاً ، بل يجب أن نبدع نظاماً عددياً ، أي أن مجموعة النماذج يجب أن ترتب ترتيباً تصاعدياً ، فتتسلسل بحسب مقاديرها المتصاعدة تسلسلاً طبيعياً : واحد ، إثنان ، ثلاثة ... الخ فإذا ما أُبتدع هذا النظام ، فإن عدّ مجموعة يعني أن يخصص بكل عضو كلمة في التتابع الطبيعي بتسلسل منتظم حتى تنفد المجموعة والكلمة المخصصة في التتابع الطبيعي بالعضو الأخير من المجموعة ، تسمّى « العدد الترتيبي Ordinal Nnmber » المجموعة .

والنظام الترتيبي يشبه هيأة السبحة ، ولكن ذلك بالطبع ليس جوهرياً فالنظام الترتيبي يظهر للوجود حين تحفظ الذاكرة الأسماء القليلة الأولى للأعداد بتسلسلها المرتب مع إبداع خطة صوتية للانتقال من أي عدد أكبر الى الذي يليه

ولقد علمنا أن الانتقال من العدد الجُمْلي إلى العدد المرتب سهل سهولة تجعل المظهرين يلوحان شيئاً واحداً فلأجل وجدان تعداد مجموعة ـ أي عددها الجُمْلي ـ لم نعد نعبأ بتاتاً بالبحث عن مجموعة نموذجية نجري المقارنة معها ، بل نعدها ويعزى تقدمنا في الرياضيات إلى تعلمنا تشخيص المظهرين فبينما نحن في الواقع نهتم حقاً بالعدد الجُمْلي ، إذا هو ليس بقادر على أن يخلق حساباً فإن العمليات الحسابية تعتمد على الفرضية المفهومة ضمناً أن في وسعنا على الدوام أن ننتقل من عددٍ ما الى الذي يعقبه ، وهذا هو جوهر الفكرة الترتيبية .

وهكذا ، لا تستطيع المقارنة وحدها أُبتداع فن العد فلو فقدنا القدرة على تنظيم الأشياء بتسلسل مرتب ، لما أمكن حدوث أكثر من تقدم تافه فالتناظر والتسلسل ، وهما المبدآن

اللذان يتخللان كل الرياضيات ، بل كل دائرة التفكير المضبوط ، يتغلغلان في صميم نظامنـا العددي .

(٥)

ومن الطبيعي أن نتساءل عند هذه المرحلة : هل كان لهذا التميز الدقيق بين العدد الجلي والعدد الترتيبي أثر في التاريخ القديم لفكرة العدد ؟ إذ من المغري أن نظن أن العـدد الجلي المعتمد على المقارنة وحدها سبق العدد الترتيبي الذي يتضمن المقارنة والترتيب معاً . ولـكن أدق التحريات في الثقافات البدائية واللغات ، عجزت أن تظهر مثل هذه الأسبقية ، فحيثما وجد شيء ما من فن العدد وجدت معه كلتا الوجهتين .

على أنه أيضاً حيثما وجد فن للعدّ ـ جدير بهـذا الأسـم ـ وجد أن عد الأصـابع إما أن يسبقه وإما أن يرافقه ، فقد ملك الإنسان في أصابعه وسيلة ساعدته على الانتقـال بصورة غير محسوسة من العدد الجلي الى العدد الترتيبي فهو إذا أراد أن يبين أن مجموعة ما تتضمن أربعـة أشياء ، رفع أو خفض أربع أصابع في آن واحد أما اذا أراد أن يعد المجموعة نفسها رفع أو خفض هذه الأصابع على التسلسل . ففي الحالة الأولى كان يستعمل أصـابعه على النمط الجلي ، وفي الثانية على وفق نظـام ترتيبي . وقد وجدت آثار لا تقبل الشك تدل على هذا الأصل للعد في جميع اللغـات البدائية فعلاً ، ففي معظم هذه الألسنة يعبر عن العدد خمسة بـ « يد » ، وعن العـدد عشرة بـ « اليدين الأثنتين » ، و بـ « رَجُـل » أحيانـاً ، ثم إن أسماء الأعداد الى الأربعة في عدد كبير من اللغات البدائية هي أسماء الأصابع الأربع نفسها .

أما اللغات التي هي أرقى حضارةً ، فقد عانت من التحريف أو التصحيف ما طمس المعنى الأصلي للـكلمات . و « طبعات الأصـابع » حتى هنا ليست مفقودة . قارن كلمة **Pontcha** السنسكريتية ، ومعناها خمسـة ، بأختها الفارسية **Pentcha** ومعناها يد ، والـكلمة الروسية **Piat** خمسة بالـكلمة **Piast** اليد المدودة

والانسان في نجاحه في العدّ ، مدين لأصابعه العشر ذوات المفاصل ، فهذه الأصابع هي

التي علمته كيف يعـــد ، ثم يوسع مجال العدد إلى غير حد . ولم يكن للانسان من غير هـذه الوسيلة أن يتجاوز في فن العد حاسة العـدد البدائية مجاوزاً كثيراً ومن المستساغ أن نخمن أنه لولا أصابعنا لبقي نشوء العدد ثم نشوء العلوم المضبوطة التي ندين لها بتقدمنا المادي والفكري مبتوراً لا أمل في تكامله .

(٦)

ومع ذلك ، فقيما عدا أن أولادنا يتعلمون العدّ على أصابعهم وأننا أنفسنا نلتجيء اليها أحياناً كعلامة للتأكيد ، ضاع فن العـــدّ على الأصابع عند الإنسان المتمدن الحديث . فإن ظهور الكتابة سهل العدّيّة ، والتعليم العام أدى الى هجر هذا الفن لانتفاء الحاجة اليه . ومن الطبيعي في الأحوال الحاضرة عنـدنا أن نبخس الخدمة التي أدتها الأصابع في تأريخ الحساب . فنذ زمن ليس بأكثر من مئات قليلة من السنوات ، كان العدّ بالأصابع عادةً بلغت من الشيوع في أوربة الغربية مبلغاً لا يعد معه كتاب متداول في الحســاب كاملاً ما لم يعط تعليمات وافية عن هذه الطريقة (أنظر الصورة) .

إن فن استعمال الأصابع في العـدّ وفي إجراء العمليات الحسابية السهلة ، كان يومئذ من صفات الرجل المهذب ، وقد تجلت البراعة العظمى عند إبداع قواعـــد للجمع والضرب على الأصابع . وهكذا نجـد أن الفلاح في أواسط فرنسة (لوفرن Auvergne) يستعمل حتى اليوم طريقة عجيبة في ضرب الأعداد فوق الخمسة فهو إذا أراد أن يضرب ٩ × ٨ يقبض ٤ أصابع من يده اليسرى (وال ٤ هي زيادة ال ٩ على ال ٥) و٣ أصابع من يده اليمنى (٨ـ٥) ، فعـــدد الأصابع المقبوضة يعطيه رقم العشرات في الحاصل ، وحاصل ضرب الأصابع غير المقبوضة (١ × ٢ = ٢) يعطيه رقم الآحاد وقد لوحظ وجود مثل هذه الطرائق في أماكن متباعدة مثل بسرابية وصربية وسورية وحقيقة أن هذه البلدان كانت جميعاً في عهد ما أجزاء من الإمبراطورية الرومانية العظيمة يـدعو إلى الظن أنها طرائق ذات أصل روماني . ومع ذلك فالعقل يستسيغ بالقوّة نفسها الأخذ بأن هـذه الطرائق نشأت نشأةً مستقلة ؛ لأن الأحوال

المتشابهة تولد نتائج متشابهة .

والقسم الأعظم من البشرية حتى اليوم يعد بأصابعه ، إذ يجب أن نتذكر أن هذه هي الوسيلة الوحيدة للرجل البدائي في إنجاز حساباته السهلة في حياته اليومية

(٧)

ما عمر لغتنا العددية ؟ من المستحيل تبيان المدة المضبوطة لنشوء أسماء الأعداد ، ولكن هنالك دليل لا يقبل الخطأ : هو أنها سبقت التأريخ المدوّن بآلاف كثيرة من السنين ولقد ذكرنا سابقاً إحدى هذه الحقائق ، وهي أن آثار المعاني الأصلية لأسماء الأعداد في اللغات الأوربية قد ضاعت ، مع احتمال استثناء الخمسة وهذا أمر يلفت النظر ؛ لأن أسماء الأعداد تمتلك ، كقاعدة ، ثبوتاً عجيباً . فبينما أحدث الزمن تغييرات جذرية في جميع المظاهر الأخرى ، نجد أن كلمات الأعداد لم تتأثر فعلاً وقد أُستخدم علماء اللغات هذا الأستقرار في تتبع القرابة بين مجموعات من اللغات تدل الظواهر على أنها متباعدة وندعو القارىء أن يفحص الجدول في آخر هذا الفصل حيث يجد مقارنة بين أسماء الأعداد في اللغات الهندية الأوربية البارزة

لماذا إذن لم يعثر — على الرغم من هذا الثبوت — على أثر للمعنى الأصلي ؟ إن التفسير المعقول هو أنه بينما بقيت أسماء الأعداد من غير تغيير منذ ظهورها ، طرأ على أسماء الأشياء الأخرى تغيّر تام .

(٨)

أظهرت البحوث اللغوية أن بنيان لغة الأعداد يكاد يكون متشابهاً عند الكل ، فقد تركت أصابع الانسان العشر طابعها الخالد في كل مكان

والواقع أنه لا مجال للشك في تأثير الأصابع العشر في أختيار أساس نظامنا العددي ، فالعشرة هي أساس العدّ في جميع اللغات الهندية الأوربية ، وكذلك في اللغات السامية والمغولية ومعظم اللغات البدائية ، أي أنه توجد أسماء مستقلة للأعداد الى حد العشرة التي تستعمل بعدها قاعدة للمزج حتى تصل الى ال ١٠٠ وفي جميع هذه اللغات كلمات مستقلة

لـ ١٠٠ ولـ ١٠٠٠ ، وفي بعضها الى وحدات عشرية أعلى ، وأستثناءات ظاهرة مثل **eleven** أحـد عشر و **twelve** اثني عشر الانكليزيتين ، ومثل **elf** أحـــد عشر و **zwolf** أثني عشر الألمانيتين ، وهذه تعود إلى **ein lif** و **zow lif** وكلة **lif** في الألمانية القديمة تعني عشرة .

ومن المحقق أنه بالإضافة إلى النظام العشري كان لأساسين عديين آخرين شيء من الانتشار . ولـكن خواصها تطابق الى مدى بعيد طبيعة تعـدادنا المشتقة من هيأة الإنسـان . وهـذان النظامان الآخران هما النظام الخمسي وأساسه ٥ ، والعشريني وأساسه ٢٠

ففي النظام الخمسي أسماء مستقلة للأعداد الى حد الخمسة ، ثم يبدأ بالتركيب بعد ذلك (أنظر الجدول في آخر هذا الفصل) ومن الواضح أنه ظهر بين الأقوام التي كانت لها عادة العدّ على يد واحدة . ولـكن لماذا يقصر الإنسان نفسه على يد واحدة ؟ إن التفسير المعقول لذلك هو أن الإنسان البدائي قلما كان يسير من غير سلاح فاذا ما أراد العد ، وضع سلاحه تحت إبطه الأيسر ، ثم يعد على يده اليسرى مستعملاً يده اليمنى في حسابها . وقد يفسر هـذا لنا لمـاذا يستعمل الناس الأيامن على وجه العموم تقريباً اليد اليسرى في العد .

ولا تزال بعض اللغات تحمل آثار النظام الخمسي ، ولنا أن نعتقـد أن النظام العشري مرّ بمرحلة النظام الخمسي . ويزعم عدد من علماء اللغات أن التعابير عن الأعداد حتى لدى الأقوام الهندية الأوربية هي ذات أصل خمسي ، ويشيرون الى الـكلمة اليونانية **Pempazein** ومعناها العد بالخمسات ، وإلى الخاصية الخمسية التي لاتقبل الشك فيالترقيم الروماني . على أنه ليس هنالك دليل آخر من هذا النوع ، وأرجح من ذلك بكثير أن هـذه المجموعة من اللغات مرت بمرحلة عشرينية أبتدائية

وهذا النظام نشأ لدى القبائل البدائية التي تعد على أصابع رجليها كما تعد على أصابع يديها ، وأبرز مثال لهـذا النظام هو ما يستعمله هنود المايا في أمريكة الوسطى ، فاليوم عند الأزتكيين **Aztecs** مقسم الى ٢٠ ساعة ، وفرقة الجيش تتألف من ٨٠٠٠ جندي وهي (٢٠×٢٠×٢٠) .

ومع أن النظم العشرينية الصرفة نادرة جداً ، فان عدداً وافراً من اللغات أمتزج فيها النظامان

العشري والعشريني ، ففي اللغة الانكليزية كلمة Score ومعناها ٢٠ و two score ومعناهـا عشرينان و three score ثلاث عشرينات ، وفي الفرنسية vignt ومعناها ٢٠ و quatre vingt (٤ × ٢٠) ومعناها أربع عشرينات أي ثمانون . والفرنسيون القدامى يستعملون هذه الصيغة أكثر من غيرها ، ففي باريس مستشفى أنشيء في الأصل ليضم ٣٠٠ جندي أعمى من ضحايا الحروب يحمل الاسم الغريب quenze - vingt (خمسة عشر عشريناً) ، والاسم onze-vingt (أحـد عشر عشريناً) يطلق على سـرية من عرفاء الشرطة ، وهي تتألف من ٢٢٠ شخصاً .

(٩)

ولدى أقرب القبائل الى الحالة البدائيـة في أسترالية وإفريقية نظام عـددي ليست الـ ٥ أو الـ ١٠ أو الـ ٢٠ أساساً له . إنه النظام الثنائي أي الذي أساسه أثنان فإن هؤلا المتوحشـين لم يصلوا بعد الى العد على الأصابع ، فعندهم أسماء للعدد واحد وللعدد اثنين ، ثم أعداد مركبة الى الستة . وكل شيء أكثر من ستة ، يسمى « كوماً »

ويدّعي (كر Curr) الذي نقلنا عنه بمناسبة ذكر القبائل الأسترالية أن معظمهم يعـد بالأزواج ، وأن هذه العادة متأصلة فيهم بحيث أنهم قلمـا يفتقدون نقصان دبوسـين أخذا من صف فيه سبعة ، ذلك أن حسهم بالتماثل أقوى من حسهم العددي .

ومن الغريب أن تجد هذه الأسس البدائية جداً محامياً عنها ـ في العصور الحديثة نسبياً ـ في شخص ليس أقل من ليبنتز . وان التعـداد الثنائي لا يتطلب أكثر من رمزين هما (٠) الصفر و (١) الواحد اللذان بهما يمكن أن يعبر عن جميع الأعداد الأخرى كما يبينه هـذا الجدول :

النظام العشري	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨
النظام الثنـائي	١	١٠	١١	١٠٠	١٠١	١١٠	١١١	١٠٠٠

النظام العشري	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦
النظام الثنائي	١٠٠١	١٠١٠	١٠١١	١١٠٠	١١٠١	١١١٠	١١١١	١٠٠٠٠

ومزايا الأساس الثنائي هي اقتصاد في الرموز وسهولة عظيمة في العمليات ، إذ يجب أن نتذكر كل نظام يتطلب حفظ جداول جمع وضرب ، وفي النظام الثنائي يقتصر ١ + ٩ = ١٠ و ١ × ١ = ١ . أما النظام العشري فيه ١٠٠ مدخل ، غير أن هذه المزية تهمل أمام فقدان الاختصار ، فالعدد العشري ٤٠٩٦ = ٢^١٢ يصبح عند التعبير عنه بالنظام الثنائي

١٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠٬٠٠٠

وهذا الجمال الروحاني في النظام الثنائي هو الذي دعا ليبنتز أن يهتف قائلاً « الواحد يكفي لخلق كل شيء من لا شيء » يقول لابلاس : « لقد رأى ليبنتز صورة الخليقة في حسابه الثنائي ... فقد تصور أن الوحدة تمثل (الله) ، والصفر يمثل العدم ، وأن الموجود الأسمى خلق جميع الكائنات من العدم كما تعبر الوحدة والصفر عن جميع الأعداد في نظامه العددي . وقد راقت هذه الفكرة ليبنتز حتى نقلها الى كريمالدي الجزويتي رئيس المجمع الصيني الرياضي مؤملاً أن شعار الخليقة هذا قد يسبب هداية إمبراطور الصين الذي كان مولعاً بالعلوم . إنني أذكر ذلك لمجرد أن أبين كيف أن آراء الطفولة الفجة يمكن أن تمشي حتى على بصيرة أعظم الرجال » .

(١٠)

من الممتع أن نخمن الاتجاه الذي كان يتخذه تأريخ الحضارة فيما لو كان الإنسان أجذم بدلاً من أن تكون له الأصابع ذات المفاصل ، فلو نشأ أي نظام عددي في مثل تلك الظروف لكان من الطراز الثنائي :

إن اقتباس البشرية للنظام العشري هو مصادفة فيزيولوجية ، وعلى أولئك الذين يرون العناية الالهية في كل شيء أن يعترفوا أنها كانت رياضياً ضعيفاً . ذلك أن النظام العشري ، فيما عدا مزيته الفيزيولوجية ، ليس له ما يسوغه إلا اليسير ، فان أي أساس آخر — وقد نستثني منه

التسمة ـ كان يمكن على الأرجح أن ينجز الشيء نفسه على صورة أفضل .

ولو ترك اختيار الأساس لجماعة من المحنكين لكان من المحتمل أن نشهد خصاماً بين الرجل العملي الذي سيصر على اتخاذ أساس يحتوي على أكبر عدد من القواسم مثل ١٢ ، والرياضي الذي يريد عدداً أولياً مثل ٧ أو ١١ . وقد اقترح العالم الطبيعي العظيم بوفون في القرن الثامن عشر اتخاذ النظام الاثني عشري نظاماً عاماً ، فأشار الى حقيقة وجود ٤ قواسم لـ ١٢ ، على حين ليس للعشرة غير قاسمين اثنين ، وأكد أن الشعور بنقص النظام العشري كان على مدى العصور حاداً ، فمع أن العشرة كانت هي الأساس العام كانت معظم المقاييس تقسم الى ١٢ وحدة ثانوية .

وادعى الرياضي العظيم لاكرانز أن اتخاذ عدد أولي أساساً أوفق من ذلك بكثير ، وأشار إلى أن اتخاذ أساس أولي يجعل كل كسر نظامي غير قابل للاختصار ، وهو لذلك سيمثل العدد بصورة فريدة . ففي نظامنا الحالي يمثل الكسر العشري ٠٫٣٦ مثلاً عدداً كبيراً من الكسور الاعتيادية : ٣٦/١٠٠ ، ١٨/٥٠ ، ٩/٢٥ ، .... ومثل هذا الغموض إذا اتخذ عدد أولي مثل ١١ أساساً ، يقل كثيراً

وسواء اختارت هذه الجماعة المحنكة التي أودعنا اليها اختيار الأساس عدداً أولياً أو عدداً مؤلفاً ، فمن المحقق أنها لن تولي العدد ١٠ ولو شيئاً من الالتفات ؛ لأنه عدد ليس بأولي ، كما أنه لا يضم عدداً كافياً من القواسم .

وما من أحد في عصرنا الحاضر — الذي حلت فيه ، في معظم الحالات ، آلات الإحصاء محل الحساب الذهني — يمكن أن يأخذ أحد هذين الاقتراحين مأخذ الجد ، فالمزايا الناجمة عن ذلك تافهة ، وعادة العد بالعشرات متأصلة بحيث تجعل تحديها أمراً مضحكاً

وتغيير الأساس حتى لو كان عملياً ، هو من وجهة نظر تاريخ الثقافة أمر غير مرغوب فيه للغاية . فما دام الإنسان يعد بالعشرات ، فأن أصابعه العشر ستذكره بالأصل الإنساني لأهم ناحية من حياته الفكرية ، وعلى ذلك فسيبقى النظام رمزاً حياً للنظرية القائلة إن « الإنسان هو مقياس كل الأشياء » .

أسماء الأعداد في اللغات الهندية الأوربية يتبين منها الاستقرار العجيب لأسماء الأعداد

الروسية	الفرنسية	الانكليزية	الجرمانية	اللاتينية	الإغريقية القديمة	السنسكريتية	
أودين odyn	ان un	ون one	آين eins	اونوس unus	ان en	إكا eka	١
دفا dva	دو deux	تو two	زفاي zwei	دو duo	دو duo	دفا dva	٢
تري tri	تروا trois	ثري three	دراي drei	تري tres	تري tri	تري tri	٣
جيتير chetyre	كاتر quatre	فور four	فير veir	كواتور quatuor	تترا tetra	كيتور catur	٤
پيات piat	سانك cinq	فايف five	فنف funf	كوينك quinque	پنت pent	پانكا panca	٥
شست shest	سيز six	سكس six	سكس sechs	سكس sex	هكس hex	سس sas	٦
سم sem	ست sept	سفن seven	زيبن sieben	سپتم septem	هپتا hepta	سپتا sapta	٧
فوزم vosem	ويت huit	أيت eight	آخت acht	اوكتو octo	اوكتو octo	استا asta	٨
دفيات deviat	نوف neuf	ناين nine	نوين neun	نوفم novem	اينيا enea	نافا nava	٩
ديشيات disiat	ديز dix	تن ten	زهن zehn	دسم decem	ديكا deca	داكا daca	١٠
ستو sto	سنت cent	هندرد hundred	هندرت hundret	سنتم centum	اكتون ecaton	كاتا cata	١٠٠
تيشياكا tysiaca	مل mille	ثاوزند thausend	تاوزند tausend	مل mille	زيليا xilia	زهاستر sehastr	١٠٠٠

نظام عشريني نموذجي : لغة المايا في أمريكة الوسطى

١	هان	han	١
٢٠	كال	kal	٢٠
٤٠	باك	bak	$٢٠^{٢}$
٨٠٠٠	بيك	pic	$٢٠^{٣}$
١٦٠٫٠٠٠	كالاب	calab	$٢٠^{٤}$
٣٫٢٠٠٫٠٠٠	كنجل	kinchel	$٢٠^{٥}$
٦٤٠٠٠٠٠٠	آلس	alce	$٢٠^{٦}$

نظام خمسي نموذجي : لغة الأباي Api في هبريد الجديدة

المعنى	الكلمة		
	تاي	tai	١
	لوا	lua	٢
	تولو	tolu	٣
	فاري	vari	٤
يد		luna	٥
واحد آخر	أوتاي	otai	٦
اثنان أخريان	أولوا	olua	٧
ثلاثة أخرى	أوتولو	otolo	٨
أربعة أخرى	أوفير	ovair	٩
يدان	لونالونا	luna luna	١٠

نظام اثنائي نموذجي : قبيلة في غرب مضايق توروس

أوكاسا أوكاسا أورابون ٥ okasa okasa urapun أوكاسا أوكاسا أوكاسا okasa « « « ٦	أوكاسا أورابون okasa urapun ٣ أوكاسا أوكاسا okasa okasa ٤	أورابون urapun ١ أوكاسا okasa ٢

محي الدين يوسف

قصيدة تتضمن قصائد عديدة ـ للبيتوشي

البيتوشي من فطاحل علماء الأكراد في القرن الثاني عشر الهجري ، ومن عباقرة أهل الفن والأدب ، خدم الأدب العربي ثلاثة أرباع قرن ، وترك للأجيال تراثاً أدبياً قيماً من الأشعار الرقيقة ، والرسائل الأدبية ، والمنظومات العلمية المبتكرة ، والتآليف والشروح المهمة ، والتعليقات والحواشي المفيدة ثم أسدل الزمان عليه وعلى آثاره ستائر النسيان ، فَنُسِيَتْ أحواله ، وأهملت آثاره ، وضاعت في مجاهل التأريخ روائعه الفكرية وآثاره الأدبية غير أن الأقدار أبت إلا أن تنقذ من التلف بعض آثاره المبعثرة في كردستان وبغداد والبصرة والزبير والكويت والأحساء والمُبَرَّز ، والمهملة في زوايا مكتباتها تحت طبقات من التراب فأُلهم كاتب هذه السطور أن يصرف شيئاً كثيراً من وقته وعنايته إلى أداء هذه الخدمة الأدبية والتأريخية ، فشمر عن ساعد الجد ، وسعى سعياً حثيثاً مستمراً ، وجاب البلاد ، وقطع مئات من الأميال ، لجمع ما أمكن جمعه من آثاره المبعثرة وَلَمّ شتات صفحات حياته ، حتى وفق — والحمد لله — لجمع شيء كثير منها ومن مخطوطاته القيمة ، فكتب كتاباً في أربع مئة صفحة تقريباً ضمنه ألواناً جديدة من النظم والنثر ، وغرائب وعجائب قلّ مثيلها في الأدب العربي قديمه وحديثه ، سنقدمه — إن شاء الله — الى « المجمع العلمي العراقي » الموقر في أقرب وقت ممكن ، ليرى رأيه الوفق في طبعه ونشره في العالمين العربي والإسلامي

ونودّ اليوم أن ننشر في هذه المجلة الغرّاء نموذجاً من غرائب تلك الآثار القيمة التي أنتجها قريحته الصافية وفكره الثاقب ، وهو أنه صاغ قصيدة سداسية الأجزاء خاطب بها أستاذه (أبن الحاج) ـ رحمه الله ـ مؤلفةً من عشرة أبيات ، تتضمن مع الأصل سبع عشرة قصيدة ، وإحدى عشرة قطعة ، كل قصيدة منها مؤلفة من عشرة أبيات ، وكل قطعة مؤلفة من خمسة

أبيات ، أي يؤلف منها القصائد والقطع المذكورة بنظرات خاصة ، واُعتبارات مختلفة ، فكلمات القصيدة كقطع الشطرنج التي يُلعب بها ، فكما أن تحريك كل قطعة منها يشكل نوعاً من اللعب ، وبالإمكان تحريكها يميناً وشمالاً ، فكذلك يُلعب بكلمات كل بيت منها بأنظمة كلية ، فتصاغ منها باعتبارها القصائد والقطع العديدة ، وتنحصر موضوعات القصائد والقطع في التشكي من مكابدة الفراق ، وحرمان الوصال ، بتعابير رقيقة ، وتراكيب بديعة ، مع الاُحتفاظ بجودة المعنى ، وبلاغة الأُسلوب ، وروعة البيان ، ومتانة القوافي

* * *

والقصيدة من البحر الكامل وعروضه الأولى وضربها الثاني وهو المقطوع ، أي أن كل مصراع يحوي ثلاث (متفاعلن) ، إلا أن (متفاعلن) الأخير منه نقل الى (متفاعِلْ) بسكون اللام ، كما أن كلا من باقي أجزائه مضمر ، فيصير (مُتْفاعلن) بسكون التاء ، ثم ينقل الى (مستفعلن)

وقد عثرنا عليها في مجموعة خطية بمكتبة الملا محمد بن الحاج ملا عبد الله الجَلِيّ رحمه الله بكويسنجق ، كُتبت في عنوانها هذه العبارة : « هذه قصيدة واحدة تتضمن قصائد عديدة للفاضل البيتوشي مخاطباً بها أستاذه اُبن الحاج » ، وكانت مجردة عن الشرح والتعليق وبيان كيفية تخريج القصائد منها ثم رأيتها في مكتبة الأديب الشيخ مصطفى آل الشيخ عبد السلام في السليمانية ، كُتبت أيضاً بغير شرح أو بيان لكيفية التخريج ، غير أننا اُستخرجنا منها القصائد والقطع الآتية كما تراءى لنا

وهذا أصل القصيدة :

يا سيدي زاد اُكتسابي في الهوى ‌ ‌ ‌ ‌ كربي عَلا من زَفرَتي وعَويلي
رَبعي عَفا فَاُرحم شَبابي قد ذَوى ‌ ‌ ‌ ‌ قلبي الصّلا من حُرقتي وغَليلي[1]

---

(١) الربع : الدار وما حولها عفا : انمحى ودرس ذوى : ذبل وجف ماؤه الصلا : أصله الصلاء بالهمزة ، النار ، حذفت للضرورة الغليل : العطش الشديد ، أي صار قلبي ناراً من عطشي وحرقتي .

داوِ الحشا وارفع عَـــذابي بالدَّوا — يا ذا العُلا يا قِبلَـتي وقِبلي

بالمصطفى طالَ اغترابي باللِّوى — جُدْ بالولا في غربتي وسُؤولي (١)

والقلب في هذا التصابي ما أرْعَوى — بِئس البَـلا واحسرتي وذبولي (٢)

هذا الجَـفا فيه انْـقِلابي كالشَّـوا — شاوي الكُـلا يا نَشْـوَتي وشَمولي (٣)

عَطفاً فقد جَدَّ اضطرابي في الجَـوى — طالَ القِـلا من شقوتي ونحُولي (٤)

عزَّ الشِّـفا من عُظم ما بي في النَّـوى — لِلمُبْتَـلى من كُرْبَتي ونحُولي (٥)

لا صَبْرَ عن تلك الروابي لِلثوى — مَرعى الطَّـلا يا جنَّـتي ومَقيلي (٦)

لَمْيا الشِّـفا منها الْـتِهابي لا السِـوى — خَيْرَ المَـلا، هي بُغْـيَتي، فَادْعوا لي (٧)

وتصاغ من هـذه القصيدة ست عشرة قصيـــدة ، وإحدى عشرة قطعة ، إلا أن بعضاً منها في ألوان من الشعر العربي جديده تختلف عن أوزان الشعر المتعارفة ، ككثير من الأشعار والموشحات الأندلسية ، غير أنها تضارع بعضها بعض المضارعة

---

(١) اللوى : الرمل المتراكم المموج في البوادي السؤول : كثير الســؤال ، وهو هنا كناية عن كثرة الاحتياج

(٢) التصابي : الميل الى اللهو واللعب ارعوى : يقال ارعوى عن الجهل ، كف عنه

(٣) الشوا : ما شوي من اللحم الـكلا : جم كلية بالضم ، وشاوي الـكلا خبر بعـد خبر لقوله : هذا الجفا الشمول : بالفتح الخمر ، أي أنني أتقلب في الجفا والحسرة كما يتقلب اللحم المشوي على النار ، وفي الجمع بين الشوى والشمول والنشوة مناسبة لطيفة

(٤) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق القلا : البغض

(٥) النوى : البعد والفراق للمبتلى : متعلق بقوله : عز ، وهو إما مصدر ميمي وإما اسـم مفعول ، وقوله « من كربتي » : متعلق بالشفاء النحول : ضعف الجسم ، أي أن شفائي من الكرب والنحول محال ، لعظم ما بي من البعد والفراق

(٦) الروابي : جمع رابية لما ارتفع من الأرض الثوى : الاقامة الطلا : ولد الظبي ســاعة يولد ، أي لاصبر على الابتعاد عن تلك الروابي التي خصصت للاقامة والتي هي مرعى الطلا

(٧) لميا : أصله لمياء صفة مشبهة لما اسودت شفته ، مضاف الى الشفا ، وهو حرف الشيء وطرفـه ، والمضاف صفة للروابي الالتهاب : الاحتراق لا السوى : أي أن احتراقي منها لامن ســواها ، فالألف واللام عوض عن المضاف اليه خير الملا :منادى محذوف منه حرف النداء (يا) بقرينة قوله : « فادعوا لي » هي : مبتدأ راجع الى الروابي

القصيدة الأولى — تحصل بحذف الجزء الأخير من آخر كل بيت ، وجعل الكلمة التي قبله منتهى البيت ، هكذا :

يا سيدي زاد أكتسابي في الهوى كربي علا من زفرتي
ربعي عفا فأرحم شبابي قد ذوى قلبي الصلى من حرقتي
داو الحشا وأرفع عذابي بالدوا ياذا العلى يا قبلتي
بالمصطفى طال أغترابي باللوى جد بالولا في غربتي
والقلب في هذا التصابي ما أرعوى بئس البلا واحسرتي
هذا الجفا فيه أنقلابي كالشوا شاوي الكلا يا نشوتي
عطفاً فقد جد أضطرابي في الجوى طال القلا من شقوتي
عز الشفا من عظم ما بي في النوى للمبتلى من كربتي
لا صَبْرَ عن تلك الروابي للثوى مرعى الطلا يا جنتي
لَمّا الشفا منها أُلتهابي لا السوى خيرَ الملا ، هي بُغيتي

الثانية — التي هي من الرجز المجزوء المدور — تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من آخر كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي زاد أكتسا بي في الهوى كربي علا
ربعي عفا فأرحم شبا بي قد ذوى قلبي الصلا
داو الحشا وأرفع عذا بي بالدوا ياذا العُلا
بالمصطفى طال أغترا بي باللوى جد بالولا
والقلب في هذا التصا بي ما أرعوى بئس البلا
هذا الجفا فيه أنقلا بي كالشوا شاوي الكلا
عطفاً فقد جد أضطرا بي في الجوى طال القِلا
عز الشفا من عظم ما بي في النوى للمبتلى

لا صبر عن تلك الروا بي للشوى مرعى الطلا

لميـــا الشفا مها التهـــا بي لا السوى ، خيرَ المَلا

الثالثة — التي هي رجز مشطور — تحصل بحذف الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي زاد اُكتسابي في الهوى

ربعي عفا فاُرحم شبابي قد ذوى

داو الحشا واُرفع عـــذابي بالدوا

بالمصطفى طـــال اُغترابي باللوى

والقلب في هذا التصابي ما اُرعوى

هذا الجفا فيــه اُنقلابي كالشوا

عطفاً فقد جد اُضطرابي في الجوى

عز الشِّفا من عظم ما بي في النــوى

لا صبر عن تلك الروابي للثوى

لميا الشّفا مها اُلتهابي لا السِّوى

الرابعة — تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأخير من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي زاد اُكتسابي

ربعي عفا فاُرحم شبابي

داو الحشا واُرفع عذابي

بالمصطفى طال اُغترابي

والقلب في هذا التصابي

هذا الجفا فيه اُنقلابي

عطفاً ، فقد جدّ اُضطرابي

عز الشفا من عظم ما بي

لا صَبْرَ عن تلك الروابي

لَمْيا الشفا مها اُلتهابي

الخامسة — تحصل بحذف الجزء الأول من أول كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اُكتسابي في الهوى كربي علا من زفرتي وعويلي

فاُرحم شبابي قد ذوى قلبي الصّلا من حرقتي وَغليلي

واُرفع عذابي بالدوا ياذا المُلى يافبلتي وقبيلي

طال اُغترابي باللوى جد بالولا في غربتي وسؤلي

هذا انتصابي ما اُرعوى بئس البَلا واحسرتي وذبولي

فيه اُنقلابي كالشوا شاوي الكَلا يانَشوَتي وشَمُولي

جدّ اُضطرابي في الجوى طال القِلا من شقوتي ونحولي

من عظم مابي في النوى للمُبْتَلَى من كربتي ونحولي

تلك الروابي للشوى مرعى الطلى يا جنتي ومَقيلي

مها التهابي لا السّوى . خيرَ الملا ، هي بغيتي ، فاُدعوا لي

السادسة — تحصل بحذف الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

كربي علا من زفرتي وعويلي

قلبي الصلا من حرقتي وغليلي

ياذا العلى يافبلتي وقبيلي

جد بالولا في غربتي وسؤولي

بئس البلا واحسرتي وذبولي

شاوي الكلا يا نشوتي وشمولي

طال القلى من شقوتي وخمولي

المبتلى من كربتي ونحولي

مرعى الطلا يا جنتي ومَقيلي (١)

خيرَ الملا ، هي بغيتي ، فأدعوا لي

السابعة — التي هي من الرجز المنهوك — تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأول من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد أكتسابي في الهوى

فأرحم شبابي قد ذوى

وأرفع عذابي بالدوا

طال أغترابي باللوى

هذا التصابي ما أرعوى

فيه أنقلابي كالشوا

جدّ أضطرابي في الجوى

من عظم ما بي في النوى

تلك الروابي للشوى (٢)

منها ألتهابي لا السوى

الثامنة — التي هي من الرجز المنهوك — تحصل بحذف الشطر الأول والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

كربي علا من زفرتي

قلبي الصلا من حرقتي

(١) مرعى الطلا : منادى محذوف منه حرف النداء ، وكذلك قوله الآتي : خير الملا

(٢) تلك الروابي : مبتدأ ، خبره قوله الآتي : منها التهابي الخ

يا ذا الصلا يا قبلتي
جد بالولا في غربتي
بئس البلا واحسرتي
شاوي الكلا يا نشوتي
طال القلا من شقوتي
للمبتلى من كربتي
مرعى الطلا يا جنتي
خيرَ الملا ، هي بغيتي

التاسعة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بحذف الجزء الأول والأخير من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتسابي في الهوى كربي علا من زفرتي
فأرحمْ شبابي قد ذوى قلبي الصلا من حرقتي
وارفع عذابي بالدوا ياذا العلى يا قبلتي
طال اغترابي باللوى جد بالولا في غربتي
هذا التصابي ما ارعوى بئس البلا واحسرتي
فيه انقلابي كالشوا شاوي الكلا يا نشوتي
جدّ اضطرابي في الجوى طال القلا من شقوتي
من عظم مابي في النوى للمبتلى من كربتي
تلك الروابي للشوى مرعى الطلى يا جنتي
مهما التهابي لا السوى خيرَ الملا ، هي بغيتي

العاشرة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بحذف الجزء الأول والأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيـّدي زاد اُكتسا	بي في الهوى من زفرتي
ربعي عفا فأرحم شبا	بي قد ذوى من حرقتي
داو الحشا وأُرفع عـذا	بي بالدوا يا قبلتي
بالمصطفى طـال أغترا	بي باللوى في غربتي
والقلب في هذا التصا	بي ما ارعوى واحسرتي
هـذا الجفا فيه أنقلا	بي كالشوا يا نشوتي
عطفاً فقد جدّ أضطرا	بي في الهوى من شقوتي
عز الشفا من عظم ما	بي في النوى من كربتي
لا صَبْرَ عن تلك الروا	بي للثوى يا جنتي
لَمْيا الشفا مها التها	بي لا السوى هي بغيتي

الحاديـة عشرة – تحصل بحـذف الجزء الأخير من الشطر الأول، والجزء الأول من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة، هكذا :

يا سيدي زاد اُكتسابي	من زفرتي وَعويلي
ربعي عفا فأرحم شبابي	من حرقتي وَغليلي
داو الحشا وأُرفع عذابي	يا قبلتي وقبيلي
بالمصطفى طال اُغترابي	في غربتي وسؤولي
والقلب في هذا التصابي	واحسرتي وذبولي
هـذا الجفا فيه اُنقلابي	يا نشوتي وشمولي
عطفاً فقد جد اُضطرابي	من شقوتي ونحولي
عز الشّفا من عظم ما بي	من كربتي ونحولي
لا صبر عن تلك الروابي	يا جنتي ومقيلي
لميا الشّفا مها التهابي	هي بغيتي فادعوا لي

الثانية عشرة — التي هي من الرجز المشطور ـ تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من الشطر الأول ، والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي كربي علا من زفرتي
ربعي عفا قلبي الصلا من حرقتي
داو الحشا يا ذا الصلا يا قبلتي
بالمصطفى جد بالولا في غربتي
والقلب في بئس البلا واحسرتي
هذا الجفا شاوي الكلا يا نشوتي
عطفاً فقد طال القلا من شقوتي
عز الشِّفا للمبتلى من كربتي
لا صبر عن مرعى الطلا يا جنتي
لميا الشفا ، خيرَ الملا ، هي بغيتي

الثالثة عشرة — التي هي من الرجز المنهوك ـ تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من كل شطر من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي كربي علا
ربعي عفا قلبي الصلا
داو الحشا يا ذا العلا
بالمصطفى جد بالولا
والقلب في بئس البلا
هذا الجفا شاوي الكلا
عطفاً فقد طال القلا
عز الشفا للمبتلى

لا صَبْرَ عن مرعى الطلا

لَمِيا الشفا خير الملا

الرابعة عشرة — التي هي من الكامل المجزوء – تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي كربي علا	من زفرتي وعويلي
ربعي عفا قلبي الصلا	من حرقتي وغليلي
داو الحشا يا ذا العلا	يا قبلتي وقبيلي
بالمصطفى جد بالولا	في غربتي وسؤولي
والقلب في بئس الولا	واحسرتي وذبولي
هذا الجفا شاوي الكلا	يا نشوتي وشمولي
عطفاً فقد طال القلا	من شقوتي وخمولي
عز الشفا للمبتلى	من كربتي ونحولي
لا صبر عن مرعى الطلا	يا جنتي ومَقيلي
لميا الشفا خير الملا	هى بغيتي فأدعوا لي

الخامسة عشرة — التي هي من الرجز المجزوء – تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من الشطر الثاني ، ونقل الجزء الأول منه الى موضع الجزء الثاني من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي كربي علا	زاد أكتسابي في الهوى
ربعي علا قلبي الصلا	فأرحم شبابي قد ذوى
داو الحشا يا ذا العلا	وأرفع عذابي بالدوا
بالمصطفى جد بالولا	طال أغترابي باللوى
والقلب في بئس البلا	هذا التصابي ما أرعوى

هذا الجفا شاوي الكلا		فيه أنقلابي كالشوا
عطفاً فقد طال القلا		جد أضطرابي في الهوى
عزّ الشفا للمبتلى		من عظم ما بي في النوى
لا صبر عن مرعى الطلا		تلك الروابي للثوى
ليا الشفا خير الملا		مها التهابي لا السوى

السادسة عشرة — التي هي من الكامل المجزوء المقطوع الضرب ـ تحصل بحذف الجزء الأول من كل شطر من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد أكتسابي في الهوى		من زفرتي وعويلي
فأرحم شبابي قد ذوى		من حرقتي وغليلي
وأرفع عذابي بالدوا		يا قبلتي وقبيلي
طال أغترابي باللوى		في غربتي وسؤولي
هذا التصابي ما أرعوى		واحسرتي وذبولي
فيه أنقلابي كالشوا		يا نشوتي وشمولي
جد أضطرابي في الجوى		من شقوتي وخمولي
من عظم ما بي في النوى		من كربتي ونحولي
تلك الروابي للثوى		يا جنتي ومقيلي
مها التهابي لا السوى		هي بغيتي ، فأدعوا لي

والقطعة الأولى — التي هي من الرجز التام عروضاً وضرباً — تحصل بحذف الشطر الثاني من أبيات القصيدة ، وضم الشطر الأول من البيت الأول الى الشطر الأول من البيت الثاني ، وهكذا الى آخر القصيدة ، هكذا :

يا سيدي زاد أكتسابي في الهوى		ربعي عفا فأرحم شبابي قد ذوى

داو الحشا وأرفع عـذابي بالدوا	بالمصطفى طـال أغترابي باللوى
والقلب في هذا التصـابي ما أرعوى	هـذا الجفا فيـه أنقلابي كالشوا
عطفـاً فقد جد أضطرابي في الجوى	عز الشِفا من عظم ما بي في النوى
لا صـبر عن تلك الروابي للثوى	لميا الشـفا مهـا التهابي لا السـوى

الثانية — التي هي من الكامل المجزوء المضمر المرفَّل المصرع ، زيد في عروضه للتصريع والحاقه بالضرب المرفَّل ، والا فلا ترفيـل في عروض الكامل — تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأخير من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الأول الى الباقي من البيت الثاني ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي زاد أكتسابي	ربعي عفا فأرحم شبابي
داو الحشا وأرفع عذابي	بالمصطفى زاد أغترابي
والقلب في هذا التصابي	هـذا الجفاء فيه أنقلابي
عطفاً فقد جد أضطرابي	عز الشفا من عظم ما بي
لا صبرَ عن تلك الروابي	لمـا الشفا مها ألتهابي

الثالثة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بحذف الشطر الثـاني والجزء الأول من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الأول الى الباقي من البيت الثاني ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

زاد أكتسابي في الهوى	فأرحم شـبابي قد ذوى
وأرفع عــــذابي بالدوا	طـال أغـترابي باللوى
هذا التصـابي ما أرعوى	فيـه أنقلابي كالشوا
جد أضطرابي في الجوى	من عظم ما بي في النوى
تلك الروابي للثــــوى	مها التهابي لا السوى

الرابعة — تحصل بضم الجزء الثاني من الشطر الأول من البيت الأول الى الجزء الثـاني

من الشطر الأول من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

زاد أكتسابي فأرحم شبابي
وأرفع عذابي طال أغترابي
هذا التصابي فيه أنقلابي
جد أضطرابي من عظم ما بي
تلك الروابي منها ألتهابي

الخامسة — التي هي من الكامل المصرّع المقطوع الضرب والعروض ، والقطع في العروض إنما يجوز للتصريع والإلحاق بالضرب في النقص ، والا فلا قطع في عروض الكامل — تحصل بحذف الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الشطر الثاني من البيت الأول الى الشطر الثاني من البيت الثانى ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

كربي علا من زفرتي وعويلي قلبي الصلا من حرقتي وغليلي
يا ذا العلا يا قبلتي وقبيلي جد بالولا في غربتي وسؤولي
بئس البلا واحسرتي وذبولي شاوي الكلا يا نشوتي وشمولي
طال القلا من شقوتي وخمولي للمبتلى من كربتي وبحولي
مرعى الطلا يا جنتي ومقيلي خيرَ الملا ، هي بغيتي ، فأدعوا لي

السادسة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بحذف الشطر الأول والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الأول الى الباقي من البيت الثاني ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

كربي علا من زفرتي قلبي الصلا من حرقتي
يا ذا العلى يا قبلتي جد بالولا في غربتي
بئس البلا واحسرتي شاوي الكلا يا نشوتي
طال القلا من شقوتي للمبتلي من كربتي

مرعى الطلا يا جنتي   خيرَ الملا ، هي بغيتي

السابعة — التي هي من الرجز المنهوك — تحصل بضم الجزء الأول من الشطر الثاني من البيت الأول الى الجزء الأول من الشطر الثاني من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

كربي عـلا   قلبي الصـلا
يا ذا الملا   جـد بالولا
بئس البـلا   شاوي الكلا
طـال القلا   للمبتـلى
مرعى الطلا   خير المـلا

الثامنة — التي هي من الرجز المنهوك — تحصل بضم الجزء الأول من الشطر الأول من البيت الأول الى الجزء الأول من الشطر الأول من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سـيدي   ربعي عفا
داو الحشـا   بالمصطفـى
والقلب في   هـذا الجفا
عطفاً فقـد   عز الشّفا
لا صبر عن   لميا الشّفا

التاسعة — التي هي من الرجز التام — تحصـل بضم الجزء الأول من الشطر الأول والجزءين الأولين من الشطر الثاني من البيت الأول الى نظائرها من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي كربي علا من زفرتي   ربعي عفا قلبي الصلا من حرقتي
داو الحشا يا ذا الملا يا قبلتي   بالمصطفى جد بالولا في غربتي

والقلب في بئس البلا واحسرتي	هذا الجفا شاوي الـكلا يا نشوتي
عطفاً فقد طال القلا من شقوتي	عز الشفا المبتلى من كربتي
لا صَبْرَ عن مرعى الطلا يا جنتي	لميا الشـفا ، خيرَ الملا ، هي بغيتي

العاشرة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بضم الجزء الأول من كل شطر من البيت الأول الى نظيره من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي كربي علا	ربعي عفا قلبي الصلا
داو الحشا يا ذا العلا	بالمصطفى جد بالولا
والقلب في بئس البلا	هذا الجفا شاوي الـكلا
عطفـاً فقد طال القلا	عز الـشّفا المبتـــلى
لا صبر عن مرعى الطلا	لميا الشّـفا ، خير الملا

الحادية عشرة — التي هي من الرجز المشطور — تحصل بضم الجزء الأول من كل شطر من البيت الأول إلى الجزء الأول من الشطر الأول من البيت الثـــاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي كربي علا ربعي عفا

داو الحشا ياذا العلا بالمصطفى

والقلب في بئس البلا هذا الجفا

عطفاً فقد طال القلا عز الشفا

لا صَبْرَ عن مرعى الطلا لميا الشفا

ويمكن تأليف قصائد وقطع أخرى منها أيضاً ، وذلك علاوة على ما أستنبطناه ، مع صحة الأوزان ، إلا أن معانيها لا تخلو من ركاكة ، فلذا تركناها جانباً

والحق أن الصنعة في نظم هذه القصيدة بالغة غاية الإبداع ونهاية الإتقـان ، وهي إن دلت فعلى نبوغ الذكاء ، وثاقب التفكير ، وطول الباع في اللغة والأدب والعروض ، وما ذلك على

البيتوشي النـابغ بعزيز ، يضاف إلى ذلك أنني لم أجد كذلك من أدباء العربية قديماً وحديثاً من سبق البيتوشي إلى النزول في هذا الميدان .

أَجلْ ، إن الحريري صاغ قصيدة سداسية الأجزاء في المقامة الثالثة والعشرين المعروفة بـ (البغدادية) ، والقصيدة من البحر الكامل ، إلا أن الجزءين الأولين من المصراع الأول منها مضمران والضرب مقطوع ، غير أن قصيدة الحريري تتضمن قصيدة واحدة فحسب ، وذلك بحذف الجزء الأخير من آخر كل بيت ، وهذه القصيدة هي :

يا طالبَ الدنيا الدنيـــة ، إنَّها   شَرَكُ الرَّدَى وَقرارَةُ الأكدارِ

دارٌ متى ما أضحكتْ في يومهـا   أبْكَتْ غداً ، بُعْداً لها من دارِ

إلى آخرها .

ومما لا شك لي فيه أن البيتوشي أهتدى بأضواء هذه القصيدة ، إلّا أنه أبدع وأَبتكر في فنه ، وسار به الى نهاية الشوط

قال العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري حينما زارني في مكتبي بالسليمانية سنة (١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م) ودار البحث بيني وبينه في هذه القصيدة ، قال : إنها مقتبسة من قصيدة أبي يحيى أبن عاصم الوزير الأندلسي المنشورة في كتاب (أزهار الرياض في أخبار عياض) . وبعد مطالعتها تبين أنها قصيدة مؤلفة من مئة وعشرين بيتاً ، كتب بعض كلماتها — في نسخة المؤلف — بالمداد الأحمر ، وبعضها بالأخضر ، تتولد من المكتوب بالأحمر قصيدة ، ومن المكتوب بالأخضر أخرى بديعة ، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة ، ولكن بطريقة أخرى غير طريقة البيتوشي في أستخراج القصائد . فقصيدة البيتوشي الأم وطريقة أستخراج القصائد منهـا ليست من وادي قصيـدة أبن عاصم ، ولا مقتبسة منها ، على أن كتاب (أزهار الرياض) قد طبع بعد وفاة البيتوشي بسبعة وأربعـين ومئة عام ، ومن المستبعد جداً أن البيتوشي رأى إحدى النسختين الخطيتين من الكتاب المذكور ، اللتين عثر عليهما أخيراً في دار الكتب المصرية والخزانة التيمورية .

وقد تذكرت بهذه القصيدة الصنعة التي أبدعها السيد أحمد فائز البرزنجي الكردي في كتابه (كنز اللسن) ، فان هذا الكتاب عبارة عن أحد عشر جدولاً ، ويقرأ بخمسة عشر نوعاً ، ويشتمل على ستة ألسنة ، وعلى أحد عشر علماً من العلوم الاثني عشر ، وعلى قصيدتين : فارسية وتركية ، وعلى أربعة أبيات باللغات الروسية والفرنسية والكردية ، وذلك كما يأتي :

إن الكتاب المذكور — كما ذكرنا — عبارة عن أحد عشر جدولاً : الجدول الأول في علم الكلام ، والثاني في التفسير ، والثالث في الحديث ، والرابع في الفقه ، والخامس في النحو والصرف ، والسادس في الحكمة ، والسابع في المنطق ، والثامن في المعاني والبيان والبديع والآداب ، وكل هذه الجداول باللغة العربية ، والجدول التاسع قصيدة تركية في مدح السلطان عبد الحميد الثاني ، والعاشر قصيدة فارسية فيمدح السلطان نفسه ، والحادي عشر أربعة أبيات : واحد منها باللغة الكردية ، والثاني باللغة الروسية ، والثالث والرابع باللغة الفرنسية .

ومن أغرب الغرائب أنه إذا قرئ الكتاب أفقياً ، تنقلب الكلمات التركية والفارسية والفرنسية والروسية والكردية الى الكلمات العربية ، وتنقلب جميع العلوم المذكورة والقصائد والأشعار إلى علم الفقه ، ووجوب طاعة السلطان ، وفضائل آل عثمان .

وإذا لقطت من أواخر كل جدول في آخر الكتاب كلمةً واحدة ، يحصل منها بيت عربي فيه تأريخ تأليف الكتاب ، وهذا البيت هو :

ما نيل ما أبدعت من عجائبي   لذا أتى التأريخ (من غرائبي)

وهذا الكتاب غير مطبوع ، ونسخته الوحيدة القرظة بتقاريظ علماء استنبول وأدبائها موجودة لديّ .

السليمانية :   محمد الخال

ولاة بغـــداد

من سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٧ م) الى الاحتلال البريطاني (١٩١٧ م)

كان أطلعني أحد الأصدقاء على نسخة من « سالنامهٔ [1] » الحكومة العثمانية لاستنبول لسنة ١٢٦٦ م (١٨٤٩/٥٠ م)، وفيها أنها لسنها الرابعة، فيكون صدور الأولى في سنة ١٢٦٣ هـ إن كان صدورها متتابعاً في كل سنة من غير انقطاع وقد ذكرت جريدة « تقويم وقايع [2] » في جزئها ٤١٢ المؤرخ في ١٥ ذا القعدة (كذا أي ذي القعدة) ١٢٦٥ (١٨٤٩ م) أنه سيتمّ طبع « السالنامه » كالمعتاد في المحرم، وستباع النسخة بستة غروش (باعتبار الليرة العثمانية الذهب مئة غرش ي. س) ثم بدأت الحكومة باصـــدار « سالنامات » لبعض ولاياتها الخطيرة، منها بغداد ثم جعلت لكل ولاية « سالنامهٔ » خاصة، ومن هذه الولايات الموصل والبصرة ولدي مجموعة « سالنامات » بغداد، وأجزاء من سـالنامات هاتين الولايتين الأخيرتين وإنما يعوزني من سالنامات بغداد الأولى والمرقمة بعدد (٧). والأولى خاصة بسنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥/٧٦ م) كما سنرى وفي كل سالنامه من سالنامات بغداد جدول بأسماء ولاتها أبتداء من فتح السلطان مراد لبغداد سنة ١٠٤٨ هـ وكانت الحكومة تغفل اصدار « سالنامه » لبغداد في بعض السنين، فقد كان صدور أول « سالنامه » لهذه الولاية لسنة ١٢٩٢ هـ وقد بلغ ما صدر من سالنامات هذه الولاية أثنين وعشرين « سالنامهٔ » ، والأخيرة منها خاصة بسنة ١٣٢٩ هـ (١٣٢٧/٢٨ رومية مارتية = ١٩١١ م)، مع أن السنين التي مرت من سنة ١٢٩٢ هـ الى سـنة ١٣٢٩ هـ ثماني وثلاثون سنة قرية فإن أوّل « سـالنامهٔ » إنما صدرت في سنة

---

(١) السالنامه: تقويم سنوي

(٢) جريدة كانت تصدرها الحكومة العثمانية في استنبول أيضاً

١٢٩٢ كما مرّ بنا . وقد علمت ذلك مما جاء عنها في جريدة الزوراء في جزئها المرقم ٥٥١ المؤرخ في جمادى الآخرة ١٢٩٢ هـ الموافق ١٩ تموز ١٢٩١ (٣١ تموز ١٨٧٤) في (ص ١١٠٤) ، ونصّه :

« لقد أنجز بهذه الكرّة ... طبع وترتيب سالنامه ولاية بغداد التي رتبت ونظامت أول دفعة بصورة مكمّلة مع خريطتها المرسومة ... والخريطة المذكورة أيضاً مشتملة على قسم من ممالك إيران ، مع مواقع الخطّة العراقية وبادية الشام الجغرافية وتباع كل نسخة من السالنامه المذكورة بخريطتها في مطبعتنا بقيمة أثني عشر غرشاً » ا هـ (كذلك باعتبار الليرة العثمانيــة الذهب مئة غرش ي س)

* * *

قلنا إن في سالنامات بغداد جدولاً بأسماء ولاتها منذ فتح السلطان مراد لها ، وإذ لم تصدر الحكومة « سالنامه » بعد السالنامه التي نظمت لسنة ١٣٢٩ هـ ، رأيت أن أخدم التأريخ ، فأورد أسماء الولاة الذين تولوا بغداد منذ تقلد زمامها حازم بك الى الاحتلال البريطاني ، وأزيد عليها من معلوماتي ما لم يرد في السالنامه وغيرها ، وهذا ما أريد بيانه :

(١) حازم بك

رتبته « بالا » كان والياً في سنة ١٣٢٢ كما في السالنامه ولا بد أن يكون المراد بهذه السنة السنةُ الرومية فقد جاء في « يومية زفوبودا » أن هذا الوالي قدم بغداد في ١٥ شباط ١٩٠٧ (٢ شباط ١٣٢٣) ، وأن سفر سلفه مجيد بك كان في ٩ شباط ١٩٠٧ (٢٧ كانون الثاني ١٣٢٣) ولم تذكر اليومية سفر حازم بك ، لأن كاتبها « زفوبودا توفي قبل ذلك وكان زفوبودا كاتباً في أحدى باخرتي الشركة المعروفة عند الأهلين ببغداد باسم « مراكب بيت لنج » . وقد أغفلت السالنامهُ ذكرها مدة بقاء حازم بك والياً .

(٢) نجم الدين بك

رتبته « روم أيلي قاضي عسكر » . كان والياً في سنة ١٣٢٤ ر (١٩٠٨ م) ، ومدة ولايته ثلاثة أشهر و ٢٨ يوماً كما في السالنامة .

(٣) محمد فاضل باشا الداغستاني

من الأمراء العسكريين ، وكيل وال كان تعيينه وكيلاً بعيد إعلان « المشروطية » ، أي الدستور ، في سنة ١٣٢٤ ر (١٩٠٨ م) ، وبقي حتى مجيء شوكت باشا كما سيرد .

(٤) شوكت باشا

رتبته فريق وهو مدفعي والٍ ووكيل لقائد الفيلق السادس وصل الى بغداد يوم الاثنين ٢٧ تموز ١٩٢٥ ر (٩ أغسطوس ١٩٠٩ م) ، وقُرِئَ فرمانه في ٣١ تموز ١٣٢٥ ر (١٣ أغستوس ١٩٠٩ م) وهو مؤرخ في ٦ جمادى الآخرة ١٣٢٧ هـ (٢٥ حزيران ١٩٠٩ م) ، وتسلم الولايــة من الوكيل محمــد فاضل باشــا (جريدة الزوراء : الجزء ٢٢٢٠ المؤرخ في ٢٧ شهر رجب ١٣٢٧ = أول أغستوس ١٣٢٥ ر) (١٤ أغستوس ١٩٠٩ م) .

(٥) حسين ناظم باشا

رتبته فريق أول وكان في الوقت نفسه قائد الفيلق وصل الى بغداد في ٢٢ نيسان ١٣٢٦ ر (٥ أيار ١٩١٠ م) كما في الزوراء : الجزء ٢٢٥٤ المؤرخ في ٢٨ شهر ربيع الآخر ١٣٢٨ = ٢٥ نيسان ١٣٢٦ ر (٨ أيار ١٩١٠ م) . وتعوزني ثلاثة أجزاء من هــذه الجريدة التابعة لهذا الجزء ، ولا بدّ أن تكون فيها نسخة فرمانه وتأريخ قراءته . وعلى أثر وصوله سافر شوكت باشا الوالي السابق . وسكتت هذه الجريدة عن ناظم باشا بعد ذلك ، وبلغ منها السكوت أنها لم تذكر سفره رعايةً للوزارة التي تولت الحكم في استنبول . فقد كان ناظم باشا من أصحاب

الوزارة السابقة ، وآراؤه آراؤها [1] .

فلا بدّ أن تكون في أحدها نسخة فرمان الباشا المذكور وقد وُجِدَ نقل هذا الفرمان الى العربية في مجلة العمران لعبد المسيح الأنطاكي ، وكانت تصدر في مصر ، في جزئها المؤرخ ٤ يونيو (حزيران) ١٩١٠ م ، وقد جاء فيه : أن الباشا فريق أول وعضو في مجلس الشورى العسكري ، وأنه عين والياً وقائداً للفيلق السادس مع إبقائه عضواً في مجلس الشورى وقد خوّل هذا الباشا سلطة واسعة ، كما يفهم من النصوص الواردة في مجلة العمران ، فقد خوطب فيها بما يلي :

(١) « فحص أحوال أركان وأمراء وضباط الفيلق ومأموري الولاية ، ومن لم تجد به الكفاءة اقتداراً وأخلاقاً ، وتراه غير قابل للاستخدام ، تكف يده عن العمل فوراً ، وتنتخب سواه ... »

(٢) « وكذلك أن تجلب التوابير التابعة للفيلق الرابع الموجودة الآن في الموصل ، وتبقيها لحين إكمال الانتظام في الفيلق السادس »

(٣) « وقد حرّر للبحرية بشراء أربعة مدرعات « قانو أتوموبيل » ... لاُستخدامها في « شطّ العرب » ، ولدى الإيجاب في نهري الدجلة والفرات لاُستعمالها لسوق العساكر ... »

(٤) « وكذلك حرّر لها (أي للبحرية) بتخصيص وإرسال ثلاث بواخر غامبوط [2] وباخرة نقل ، لتشتغل منحصراً في مضيق البصرة للسوقيات العسكرية تحت أمرك ... »

---

(١) كان هذا الباشا يسكن دار ريشارز الذي كان قنصلا لألمانيا في أيام سبقت هذه الأيام وهي الدار الواقعة بين شريعة السيد سلطان علي وشريعة المربعة وتلاصق هذه الدار من جهة الشمال دارنا المرقمة ٩/٥ ، وكان ريشارز يومئذ غائباً عن بغداد ، فطلب الباشا منه الدار وسكنها وكان سفر الباشا بباخرة من مراكب بيت لنج الى البصرة ، ليبحر منها الى استنبول وبمرور هذه الباخرة منحدرة كنت واقفاً في مسناة دارنا ، ورجال الباشا العسكريون الذين كان استصحبهم واقفون في مسناة ريشارز ، والدموع تسيل من عيونهم ، وفي أيديهم مناديل ينشفون بها دموعهم ويظهر لي أن سبب ترجيح الباشا لهذا الطريق البحري على طريق البر أنه أراد أن يتجنب ملاقاة الرجال المنسوبين الى الوزارة القائمة من ولاة وموظفين وغيرهم

(٢) الغامبوط : باخرة حربية صغيرة

(٥) « وبما أن واردات الولاية غير كافية لإدارة ملكيها وعسكريها ، فقد حرر للمالية بارسال النقص عن ذلك »

(٦) « وكذلك حرر للنافعة بتخصيص مبلغ لايقل عن ٤٠ (أربعين) ألف ليرة لتسوية الطرق والمعابر وانشائها ... » اهـ

(٦) يوسف أكاه باشا

رتبته فريق ، وكيل والٍ ووكيل لمفتش الفيلق الرابع (يظهر لي أن تسمية الفيلق الرابع قامت عوضاً عن التسمية السابقة ، وهي تسميته بالفيلق السادس) وكان يوسف أكاه باشا في العراق منذ سنين بعيدة ، أي منذ كان ضابطاً وقد قضى معظم أيامه في هذا القطر ، وأخيراً كان في كركوك قائداً للفرقة المرابطة هناك ، فقدم بغداد (الزوراء : الجزء ٢٢٩٨ المؤرخ في ١٧ ربيع الأول ١٣٢٩ = ٥ مارت ١٣٢٦ (كذا وهو غلط مطبعي ، والصحيح ١٣٢٧ ر) (١٨ مارت ١٩١١ م)

(٧) جمال بك

رتبته لم تذكر . وصل الى بغداد يوم السبت (١٣ أغستوس ١٣٢٧ = ٢٦ أغستوس ١٩١١) ، وقرئ فرمانه يوم الأربعاء ١٨ أغستوس ١٣٢٨ (٣٠ أغستوس ١٩١١) « الزوراء : الجزء ٢٣٢٢ المؤرخ في ٨ رمضان ١٣٢٩ = ٢٠ أغستوس ١٣٢٧ » . وكان سفره من بغداد في ١٧ أغستوس ١٩١٢ (مجلة لغة العرب ٢ [١٩١٢/١٣] ١٩٥) .

(٨) محمد زكي باشا

رتبته « مشير » . والٍ ومفتش للفيلق الرابع . وصل الى بغداد يوم الثلاثاء ٣٠ تشرين الأول ١٣٢٨ (١٣ تشرين الثاني ١٩١٢) ، وقرئ فرمانه في ٣ تشرين الثاني ١٣٢٨ (٢٦ تشرين الثاني ١٩١٢) ، وتأريخه في ٩ شوال ١٣٣٠ هـ « الزوراء : الجزء ٢٣٨٥ المؤرخ في ٦ ذي الحجة ١٣٣٠ = ٤ تشرين الثاني ١٣٢٨ » (= ١٧ تشرين الثاني ١٩١٢) . وشاع

في ١٣ أيار ١٩١٣ خبر بتعيين وكيلٍ للوالي عمر لطفي بك معاون الوالي ، وسافر زكي باشا في ٢٢ أيار ١٩١٣ (مجلة لغة العرب ٢ [٩١٢/١٣] ٥٨٥)

(٩) جلال بك

كان من رجال الملكية والٍ (لم تذكر رتبتـه ، لأن الرتب الملكية كانت قد ألغيت) . وصل إلى بغداد يوم الأحد (أي في ٩ حزيران ١٣٢٩ = ٢٢ حزيران ١٩١٣) ، وقرئ فرمانه يوم السبت (أي في ٢٢ حزيران ١٣٢٩ = ٥ تموز ١٩١٣) ، وتأريخ فرمانـه في ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٣١ هـ (« الزوراء : الجزء ٢٤١٦ المؤرخ في ٢٣ شهر رجب ١٣٣١ = ١٥ حزيران ١٣٢٩ » (٢٨ حزيران ١٩١٣) الجزء ٢٤١٨ المؤرخ في ٧ شعبان ١٣٣١ = ٢٩ حزيران ١٣٢٩ (١٢ تموز ١٩١٣) .

(١٠) جاويد باشا

من الأمراء العسكريين والٍ . وصل يوم الأحد ٥ كانون الثاني ١٣٢٩ ر (= ١٨ كانون الثاني ١٩١٤) « الزوراء : الجزء ٢٤٤٦ المؤرخ في ٢٨ صفر ١٣٣٢ هـ = ١٢ كانون الثاني ١٣٢٩ ر (كانون الثاني ١٠١٤) » ، وليست نسخة فرمانه فيها ، ولم تذكر قراءته خلافاً لعادتها .

(١١) سليمان نظيف بك

من رجال الملكية جاء من الموصل حيث كان والياً « جريدة الزوراء في الجزء ٢٤٩٧ المؤرخ في ٢١ صفر ١٣٣٣ = ٢٥ كانون الأول ١٣٣٠ (٧ كانون الثاني ١٩١٥) » ، وقرئ فرمانه يوم السبت (٢١ شباط ١٣٣٠ = ٦ أذار ١٩١٥) كما جاء ذلك في الزوراء في جزئها ٢٥٠٦ المؤرخ في ٢٤ شهر ربيع الآخر ١٣٣٣ = ٢٦ شباط ١٣٣٠ (١١ آذار ١٩١٥)

(١٢) نور الدين بك

لم تذكر رتبته . وهو من الأمراء العسكريين والٍ وقائد عام للعراق وحواليه سلم سليمان

نظيف بك زمام الولاية لخلفه هذا ، وسـافر في ٢٢ حزيران ١٣٣١ (٥ تموز ١٩١٥) « الزوراء : الجزء ٢٥٢٣ المؤرخ في ٢٥ شعبان ١٣٣٣ = ٢٥ حزيران ١٣٣١ » (٨ تموز ١٩١٥) ، ولم يسبق للزوراء ذكرها لوصول نور الدين بك ، كما أنها لم تنشر فرمانه ، ولم تذكر قراءته ولعل هذا الإغفال لأسباب حربية .

(١٣) خليل بك (ثم « باشا »)

من الأمراء العسكريين والٍ وقائد للفيلق لم يذكر في الزوراء خبر تعيينه ، وإنما ذُكر في جزئها ٢٥٦٧ المؤرخ في ٩ شهر رجب ١٣٣٤ = ٢٨ نيسان ١٣٣٢ (١١ آذار ١٩١٦) خبرُ قدومه يوم الاثنين راكباً الناموط المسمّى « سلمان باك » ، ولم تذكر الجريدةُ الحاضرةَ التي جاء معها فالظاهر أن سكوتها عن خبر تعيينه وغير ذلك ، لأسباب حربيـة . وهذا « الباشا » هو الذي شقّ ببغداد الشارع الذي يسمى اليوم شارع الرشيد [وإحداثه هو في تعريض شوارع وأسواق وفي خرق أبنية اعترضت الشارع المصمم احـداثهُ] ، وكان يسمى على عهده « خليـل باشا جادّه سي » أي « جادّة خليل باشـا » أو شارعه ، ثم سمي في عهد الاُحتلال البريطاني بـ « الشارع الجديد » محواً لاُسم منشئه ، ثم سمي في العهد الوطني« شارع الرشيد » (راجع مجموعتي مباحث عراقية (١ : ١٢٩) وقد نقش أُسم الجادة بالتركيةوتاريخ فتح الشارع وهو عام ١٣٣٢ ر ، في قطعة من الكاشي ثبتت على جدار القاعدة قاعدة منارة جامع السيد سلطان علي ، وكانت مطلة على الشـارع في زاوية الجامع المستقبلة للجنوب والشرق . وقد هدمت هذه المنارة لتوسيع شارع الرشيد ، وعوضت بغيرها : بنيت بعيداً من مكانها في جهة الجامع الجنوبية المحاذية للشارع النافذ الى دجلة ، ولي كلة في تخطيط بغـداد لجونس ورفيقه كولنكود أوردتها في مجلة دار المعلمين العالية في جزء كانون الثاني ١٩٤٨ (ص ٩٢) .

(١٤) ممدوح بك

من رجال الملكية ، معاون للوالي ووكيل له في الوقت نفسه . كان تعيين ممدوح بك معاوناً

للوالي ووكيلاً له قبل سقوط بغداد بمدة قصيرة ولم تذكر الزوراء خبر تعيينه . وهو أبن طيّار باشا الذي كان متصرفاً في لواء المنتفق في سنة ١٨٨٥ م ، أو بعيدها وكنت سمعت أن شهرة أسرته أسبناقجي زاده .

وقد بقي ممدوح بك في وظيفته نحو أسبوعين ، بسبب أحتلال البريطانيين بغداد في آذار ١٩١٧ . وتأكدتُ هذه الشهرة من ثقة هو رحمي بك أباك الوزير المفوض لتركية ، جواباً لسؤالي منه . وكان من هذه الأسرة والٍ في بغداد أسمه مصطفى باشا في سنة ١١٨٦ و (١٧٧٢) ، دامت ولايته سنسنين كما في سالنامات بغداد وفي سجل عثماني (٤: ٧٤/٤٤٦) ترجمته . وفيها : أنه ولي بغداد في سنة ١١٩٠ هـ ، وبقي فيها أقل من سنة . ومثله في كتاب « دوحة الوزراء » (بالتركية) لرسول حاوي [1] فأحسب أن سنة تعيينه والياً وبيان المدة المذكورين في السالنامات مغلوط فيهما ، وأن الصحيح هو ما جاء في الدوحة . ولعل ما جاء في السجل ، مقتبس من هذا الكتاب « وتلك الأيام نداولها بين الناس »

* * *

جادة خليل باشا أو شارع الرشيد

كم شغلتنا معرفة خطط بغداد في العصر العباسي وبعده !

أعتقد أن شبابنا ، ولا سيما الذين يأتون بعدنا ، يرغبون في الوقوف على هذه الخطط قبل أن حدث فيها تغيير في أوائل هذا القرن ، ومن ذلك تخطيط شارع الرشيد

فأرى أن أذكر تفصيل ذلك لمعرفة الشوارع والأسواق التي مرّ بها حين شقّه فعُرِّضت ، ولمعرفة الأبنية التي هدمت لإحداث الشارع ، وذلك بالرجوع الى مخطّط فلكس جونس الذي رسم خطط بغداد في سنة ١٨٥٥ م وهذا التخطيط ملحق بالمجموعة المسماة تقارير جونس المرفوعة الى حكومته في الهند . وقد طبعت هذه المجموعة في بومبي ١٨٥٧ [2] ، وعندي المجموعة

(١) ترجمته في « كتاب تذكرة الشعراء أو شعراء بغداد وكتابها في أيام المرحوم داوود باشا والي بغداد تأليف عبد القادر الشهرباني » ، وقد طبعه الأب أنستاس ماري الكرملي في بغداد في سنة ١٩٣٦ م ، ولي كلام على هذا الكتاب جاء في أول المطبوع ، وهو رسالة كنت كتبتها الى الأب

(٢) Selections from Record of the Bombay ... Memoirs by Cammander James Felix Jones I. N. Bombay 1857.

والتخطيط . وبجد نسختيها في مكتبة الآثار القديمـــة . ففي النظر في المخطّـط وتطبيقه على الوضع الحاضر ، يبين منه ما عرّض من الشوارع والأسواق ، وما خرق من الأبنية خرقاً . إن بغداد لم تتغير خططها في هذه المواضع خلال السنين التي مرت منذ زمن جونس حتى إحـداث الجادة ، إلاّ في موضعين :

(١) يبتدىء الموضع الأول من الملك المرقم ٤٢٧ آ (وهو اليوم المخزن الرئيس لشركة باتا الأحذية) الواقع في محلة المربعـة ، فجنوباً حتى مدخل الشـارع الذي يفضي الى جامع الشيخ عبد القادر الـكيلاني فقد كـنا أتفقنا نحن وأولاد الملا حمادي على أن نخرق نحن حديقتنا ويخرقون هم الحدائق التي تليها جنوباً ويملـكون قسماً منها ، والباقي وقف ذريّ معروف بوقف عرموش ، ذلك بوصف أحد هؤلاء الأولاد متولياً عليه فأحدثنا على أثر هذا الأتفاق شارعاً عرضه ثمانية مترات في زمن ولاية ناظم باشا ثم عرّض هذا الشارع عند احداث خليل باشـا للجادة وكذلك عرّض مرة ثانية قبل نحو أثنتي عشرة سـنة يوم كان السيد أرشـد العمري أميناً للعاصمة

(٢) الرّدْبُ (أي الشارع الذي لا ينفُذُ) الذي أحدثتهُ جماعة كانت قد أشترت قبل ستين أو خمس وستين سنة دار صبغة الله أفندي الحيدري وملحقاتها ، الواقع أولها على يسار من يريد جامع الخاصّـكي فجنوباً . وأملاك الحيدري ، كانت خربة واسـمة جداً ، فاقتسمت الجماعـة الشارية هذه المواضع بينها ، وعمرتها دوراً وكان طول هذا الردب زهاء مئة متر أو أقل

* * *

بعد أن بلغت هذا الموضع من البحث ، وفيه خلو يدي من نسخة الفرمان المعطى لناظم باشا ، أطّلع عليه سعادة القدم عبد الرحمان عبـد الجبار التكريتي ، فأخبرني أن في « مجلة العمران » التي كان يصدرها عبد المسيح الأنطاكي عصر صورة هذا الفرمان بالعربية ، ووقفني على تأريخ الجزء الحاوي للفرمان ، وهو المؤرخ في ٤ يونيو (حزيران) ١٩١٠ = ٢٦ جمادى الأولى ١٣٢٨ ، وتفضل علي بنسخة الفرمان ، وهي :

« أحد فرقائي الأول الكرام وعضو الشورى العسكري الذي وجهت باحساني لعهدته ولاية بغداد وقيادة الفيلق السادس الهمايوني ناظم باشا دام علوّه !

بناء على رغبتنا في ترقي عمران الولاية المذكورة ، وتزييد ثروتها ، وتوسيع تجارتها ، وتنسيق وإصلاح فيلقنا السادس ، وأستحصال أسباب تكمله ، اقتضت إرادتنا ربط الوظيفتين إحداهما بالأخرى ، واحالتها لذات مجرّب الأطوار ، مشهود له بالدراية والحمية

وحيث إنك ، أيها المشار اليه ، متصف بالحمية والروّية ، ولك الوقوف التام على المعاملات الملكية وادارة أمور العسكرية ، ومن متميزي أمرائي العسكريين ، فحسب الأستئذان الواقع قد صدرت إرادتي السنية الملوكية بتوجيه الولاية وقيادة الفيلق المذكورين ، وايداعها ليد أقتدارك ، مع إبقاء عضوية الشورى العسكري بعهدتك فبمنه تعالى بوصولك الى المحل المذكور تفحص أحوال أركان وأمراء وضباط الفيلق ومأموري الولاية ، ومن لم تجد به الكفاءة أقتداراً وأخلاقاً ، وتراه غير قابل للاستخدام ، تكف يده عن العمل فوراً ، وتنتخب سواه ، وتودع اليه الوظيفة ، وتخبر دائرته المنسوب اليها لإجراء ايجاب معاملته بلا تأخير

أما ولايتي الموصل والبصرة ، فلكونهما داخلتين ضمن دائرة الفيلق السادس ، ولو أن كل والٍ من ولاتهما مسؤول عن ولايته بأمور الادارة والأنضباط ، فعليهما أن يتحدا معكم بالرأي والأمن العمومي والضبط بالمخابرة ولا شك أن في ذلك فوائد ومحسنات ولذا فقد جرى التبليغ لهما من الباب العالي ، لإيفاء هذه المعاملة حقها

وكذلك أن تجلب التوابير التابعة لفيلق الرابع الموجودة الآن في الموصل ، وتبقيها لحين إكمال الأنتظام في الفيلق السادس

وكذلك أن تأخذ من أفراد قرعة الفيلق الرابع ممن يمكن أمتزاجه مع هواء العراق ، المقدار الكافي للفيلق السادس الهمايوني

وقد حرر للبحريّة بشراء أربعة مدرّعات « قانو أتوموبيل » ، بشرط تسليمها في البصرة بأسرع ما يمكن ، لأستخدامها في شط العرب ، ولدى الإيجاب في نهري الدجلة والفرات ،

لاستعمالها لسوق العساكر وغيره من الأمور ؛ وبأن تجري المذاكرة معك عن لوازم الفيلق وكسوة العساكر والنواقص الحربية ، وتستحضر ما يقتضي لإكمال النواقص حسب الترقيات الفنية الجديدة والآلات والأدوات ، وترسلها بوجه السرعة

وكذلك حرر لها بتخصيص وإرسال ثلاث بواخر « غامبوط » وباخرة نقل لتشتغل منحصراً في مضيق البصرة للسوقيات العسكرية تحت أمرك .

وبما أن واردات الولاية غير كافية لإدارة ملكيتها وعسكريتها ، فقد حرر الماليةبإرسال النقص عن ذلك ، وما يقتضي صرفه للأمور المهمة شهرياً بواسطة البانق بصورة منتظمة .

وكذا حرر لنظارة النافعة بتخصيص مبلغ لا يقل عن ٤٠ (أربعين) ألف ليرة ، لتسوية الطرق والمعابر ، وانشائها داخل الولاية ، بشرط إرسال أوراقها على الأصول لنظارتها من مخصصات النافعة .

والحاصل قد أمر بإجراء ما يقتضي من اللوازم سواء للولاية أو للفيلق بالصورة اللازمة المستعجلة فعليك إجراء الأمر حسب صداقتك وحصافتك المسلمة ما يجب من الوظائف والمعاملات ، وأن تكون مظهراً للعدالة التامة وإعلان الحرية والمساواة حسب القانون الأساسي لدى تبعتي ، وأن تجري الدقة في هذا الأمر اذ ذاك مطلوبي المنتظر .

وعلى كل حال يلزم أن نتوسل بالمدد من روحانية النبي المحترم ، صلى الله عليه وسلم ، وبهتم بإيفاء الوظائف بأحسن صورة وأتم غيرة » انتهى .

يعقوب سركيس

مبحث في سلامة اللغة العربية

« فوضى » وأصلها واستعمالها

لا يقـال : « وقعت الفوضى فيهـم » ولا « الفوضى مستفحلة في البـلاد » ، بل وقع الاضطراب ، والاضطراب مستفحل فيها

أورد اللغويون كلمة « فوضى » في مادة « ف و ض » ، ومنهم أبن فارس اللغوي الـكبير المعروف ، قال في كتابه « مقاييس اللغة » في المـادة التي ذكرتُ أحرفها : « الفاء والواو والضـاد ، أصل صحيح يدل على أتـكال في الأمر على آخر وردّه عليـه ، ثم يفرّع فيردُّ إليه ما يشبهه ، من ذلك : فوّض اليه أمره إذا ردّه ، قال الله تعالى في قصّة من قال : (وأفوّض أمري الى الله) . ومن ذلك قولهم : باتُوا فوضى[1] ، أي مختلطين ، ومعناه أنَّ كلاً فوّض أمره الى الآخر . قال[2] :

طعامُهم فوضىً فضاً في رحالهم ولا يحسنون السرّ إلاّ تناديا

ويقال : مالهم فوضى بينهم ، إذا لم يخالف أحدهم الآخر ... »

وقال الجوهري في الصحاح : « وقوم فوضى ، أي متساوون لا رئيس لهم ، وقال الأفوه الأوْديّ :

لايصلح الناسُ فوضى لاسَراةَ لهم ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادُوا

ونعام فوضىً : مختلط بعضها ببعض ، وكذلك : جاءَ القوم فوضىً ، ويقـال : أموالهم

---

(١) قال الأستاذ عبد السلام هارون ،وهو المتولي لطبع الكتاب : في الأصل : ماتوا فوضى تحريف ، وفي المجمل : وبات الناس فوضى »

(٢) هو للمعذل البكري أحـد بني قيس بن ثعلبة شاعر إسلامي ، ورد ذلك في معجم الشعراء للمرزباني (ص ٣٨٨) ، وفيه :

متاعهم فوضى فضاً في ديارهم ولا يحسنون الشر إلا تناديا

في أبيات ثلاثة أخرى

فوضى بينهم ، أي هم شركاء فيها ، وفيضوضى مثله يمد ويقصر »

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وبنو فلان فوضى : مختلطون لا أمير عليهم ، قال : لا يصلح الناس[١] ... ومالهم فوضى بينهم : مختلط ، من أراد منهم شيئاً أخــــذه ، قال : طعامهم فوضى فضاً في رحالهم[٢] ... أي مختلط واسع ، لا يخبؤون منه شيئاً ، بل يتــداعون اليه »

وقال الفيومي في المصباح المنير : « وقوم فوضى إذا كانوا متساوين لا رئيس لهم ، والمال فوضى بينهم أي مختلط ، من أراد شيئاً أخذه ، وكانت خيبر فوضى أي مشتركة بين الصحابة غير مقسومة[٣] » .

وقال الفيروزأبادي في القاموس : « وأمرهم فوضى بينهم وفوضوضاء ويقصر ، إذا كانوا مختلطين ، يتصرّف كل منهم فيما للآخر » .

وقال يزيد المهلبي يرثي المتوكل على الله :

وأصبح الناس فوضى يعجبون له   ليثاً صريعاً تَنزّى حوله النَّقَدُ[٤]

وقال محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك بن مروان يصف خيل الحَلْبة :

فأقبل في أمرنـا نافر   كما يقبل الوابل المثجمُ
وأتبع فوضى ومرفضّـة   كما اُرفضّ من سلـكه النظَـمُ

وقال أحمد بن علي الماذرائي في صرف أحمد بن محمد بن ثوابة أيام وزارة عبيد الله بن سليمان :

إني وقفت بباب الجسر في نَفَرٍ   فَوضى يخوضون في ضَرْب من الخبر[٥]

وقال أبو العلاء المعرّي يخاطب عبد السلام بن الحسن البصري خازن دار العلم السـابورية ببغداد :

---

(١) وذكر بيت الأفوه الأودي المقدم ذكره   (٢) وذكر البيت المذكور آنفاً
(٣) وفي « المغرب في ترتيب المعرب » للمطرزي ما يقارب هذا الاستعمال
(٤) الكامل للمبرد (٣/٣٠٦) من طبعة الدالجوني ، وقد جاء فيها « تنزى » مكان « تنزى » . وفي طبعة مصطفى محمد (٢/٣١٢) كما ذكرناه في المتن
(٥) معجم الأدباء (٢/٤٣) من طبعة مرغليوث

دعِ الطير فوضى ، إنما هي كلُّها طوالب رزقٍ لا تجيء عفطع

قال مؤلف « شرح التنوير على سقط الزند » : « يقال : قوم فوضى أي متساوون لا رئيس لهم قال الأفوه المجلي[*] : لا يصلح القوم فوضى[1] ... ونعام فوضى أي مختلط بعضه ببعض ، وكذلك : جاء القوم فوضى ، ويقال : أموالهم فوضى ، أي شركاء فيه[2] » .

وقال ياقوت في سيرة كمال الدين عمر بن العديم الحلبي :

خلال الفضل في الأمجاد فوضى ولكنّ الكمال لها كمال[3]

وقال أبو زيد عمر بن شبّة النميري الراوية المتوفّى سنة ٢٦٢ هـ في محنته :

أحجم قوم عن سباب وهَتْرْ فأصبحوا فوضى الشهادات الكبر[4]

وقال يحيى بن أبي زيد : « وأنا لا تسامحني أيضاً نفسي الى أن أنسبه الى إهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين[5] »

هذه أكثر الأمثلة الشعرية والمثل النثرية لكلمة « الفوضى » ، نقلناها من كتب اللغة ومن « معجمي المستدرك » وأعود الآن إلى قول ابن فارس إن قولهم « باتوا فوضى أي مختلطين ، معناه أن كلاً فوّض أمره الى الآخر » فليس ذلك بصواب ، لأن الذين يبيتون فوضى يعود أمر كل واحد منهم الى نفسه ولا يعتمد فيه على الآخر ، ولو صحّ قوله ذاك لكان قول الشاعر « لا يصلح الناس فوضى ... » يفسر بضدّ ما فسره اللغويون ، أعني أن يكون الناس الفوضى معتمداً بعضهم على بعض ، وهذا يعني أن الواحد منهم لا يستطيع التصرُّف وحده ولا العمل وحده ولا البقاء وحده

ثم إنّ « الفوضى » أُستعملت في جميع المُثُل للجمع لفظاً أو معنىً ، وليس قولهم « متاعهم فوضى بينهم » و « المال فوضى بينهم » من الإخبار بها عن المفرد ؛ لأن المتاع والمال

(١) وذكر البيت المذكور آنفاً

(٢) الشرح المذكور (٢/١٣٩) طبعة مصطفى محمد بالقاهرة

(٣) معجم الأدباء (٦/٣٦) (٤) تأريخ بغداد للخطيب البغدادي (١١/٢١٠)

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد عبد الحميد (٢/٤٧٧) طبعة البابي الحلبي

(*) المجلة : المشهور « الأودي »

من أسماء الجنس التي لها أجزاء فهما جمعان في المعنى ، ولولا ذلك ما صح الإخبار عنها بالفوضى مطلقاً ، ولم نجد من اللغويين من بحث عن سرّ استعمالها مع الجمع ، والصحيح أن « الفوضى » لم تأتِ من مادة « فوض » كما حسب اللغويون ، بل من مادة « فَضّ » قال ابن فارس في المقاييس : « الفاء والضاد أصل صحيح يدل على تفريق وتجزئة ، من ذلك : فضضت الشيء ، إذا فرقته ، وانفضّ هو . وانفضّ القوم : تفرقوا .. » وقال الجوهري في الصحاح : « الفضّ الكسر بالتفرقة ، وقد فضّه يفضُّه ، وفضضتُ خَتم الكتاب ... والمفضّة ما يفضّ به المدر ، وفُضاض الشيء ما تفرّق منه عند كسرك إياه ، وانفضّ الشيء انكسر ، وفضضت القوم فانفضّوا أي فرقتهم فتفرّقوا ، وكل شيء تفرّق فهو فَضَض ... والفاضة : الداهية ، وتفضض الشيء أي تفرّق . والفضيض : الماء العذب ... وقال أبو عبيد : الفضيض الماء السّائل » . وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « وفضضت حلقة القوم فانفضُّوا ، وفضّ الله جمعهم ، قال :

إذا اجتمعوا فضضنا حجرتهم ونجمعهم إذا كانوا بداد

وخرز فَضٌّ : منتشر ، قال ذو الرّمة :

كأنّ أدمانها والشمس جانحة ودع بأرجائها فضٌّ ومنظوم

وخرجنا من فَضَض الحصى ، وهو ما تفرّق منه ، وخرج فضض من الناس أي فرق متفرقة ، وأصابه فضض من الماء أي نشر منه ، وهو ما يسيل على عضوه إذا توضأ ... وأعطني فضضاً من سواك : قطعة منه ... ومن المجاز : فضّ الله خدمتكم » وفي المصباح المنير : « وفضضت الشيء فضاً : فرقته ، فانفضّ » ، وفي التنزيل : (لانفضوا من حولك) ... وفي القاموس : « الفض : بالكسر التفرقة ... والنفر المتفرقون ... والفضض محركة : ما انتشر من الماء إذا تطّهر به كالفضيض وكل متفرّق ومنتشر ... والفضيض : الماء أو السائل ، والطلع أول ما يطلع وكل متفرّق » .

وقال الزمخشري في الفائق[1] : « عمر ــ رضي الله عنه ــ رمى الجمرة بسبع حصيات ثم مضى ،

(١) الفائق (٢/٢٨٣) من الطبعة المصرية

فلما خرج من فضض الحصى وعليه خميصة سوداء ، أقبل على سلمان بن ربيعة ، فكلمه بكلام (الفَضَض) هو المتفرّق منه ، والفضيضُ مثله ، وهما فَعَل وفعيل بمعنى مفعول ، من : فضّ الشيء يفضهُ ، إذا فرّقه وفي كتاب العين : الفضّ تفريق حلقة الناس بعد أجتماعهم ، وأنشد « إذا أجتمعُوا فضضنا حجرتيهم ... وأنفضّ إذا تفرّق » وفي النهاية لمجد الدين بن الأثير : « ثم جئت بهم لبيضتك لتفضّها ، أي تكسرها ... الحمد لله الذي فضّ خدمتكم ، أي فرّق جمعكم وكسره » وفي المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي : « الفض : الكسر بتفرقة ، يقال : فضّ الخاتم فأنفض ، أي كسره فأنكسر ، وأنفض القوم : تفرّقوا وأنفضت عراها : انكسرت وتفرّقت وقول عمر رضي الله عنه : عزمت عليك لا تجلس حتى تفض ذلك على قومك ، أي تفرّقه وتقسمه [1] »

وجاء في أخبار السنة الثانية للهجرة : وفيها كان أول خُمس خمسه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الإسلام ، فأخذ رسول الله صفية والخمس وسهمه ، وفضّ أربعة على أصحابه [2] » .

وخلاصة مادة « ف ض ض » أنّها تدل على التفريق والتجزئة كما ذكر أبن فارس ، وقد ظهر من هذين المعنيين « الكسر والنشر والقسمة والتوزيع ، وأنها قد صيغَ من فعلها « فَضَّ » اسما مفعول هما « الفَضَض والفضيض » كما ذكر الزمخشري في الفائق ، وأن الفضيض هو كل متفرق كما في القاموس

وعلى ذلك نرى أن الفضيض جُمع على « فَضّى » مثل « شتيت وشتّى وقتيل وقتلى وجريح وجرحى [3] » ، ثم أبدلت الواو من أحد الضادين فقيل « فوضى » ، وذلك لأنّ تخفيف التضعيف في العربية يلجأ فيه باديء الرأي الى أحرف العلّة « الألف والواو والياء [4] »

(١) قال المطرزي : « وتقص من القصص تصحيف ، وروي : حتى تقضي ذلك عني من القضاء »
(٢) الطبري في تأريخ الأمم والملوك (٢٩٨/٢) من الطبعة المصرية الأولى
(٣) نشرنا هذا الرأي قبل أكثر من عشر سنين في جريدة الهاتف وغيرها
(٤) من كتابنا في « فقه اللغة الحديث » وقد ذكرنا في كتابنا « المباحث اللغوية في العراق » (ص ١٨) في الكلام على قلب أحد الضعفين نوناً أيضاً أن جهل هذا القلب في الصرف أدى الى تخليط =

فعُمد هاهنا إلى الواو ، فصارت بدلاً من الضاد ، كما قالوا « الكوثر » بدلاً من « الكَثَّر » « والوسم والوشم » بدلاً من « الرَسَّم والرَّشم » و« الهودج » بدلاً من « الهَدَّج » ، هذا في الصفة والاسم وفي الفعل « أعشوشب » بدلاً من « أعشَّب » و « أغرورق » بدلاً من « أغرَرَّق » و « أحدودب » بدلاً من « أحدَّب » ، وهو كثير جداً ونحن إنما أنتهينا إلى هذه النتيجة البينة في بيان أصل « الفوضى » لعدة أمور : « أولها » أنها وصف من الأوصاف ، و « ثانيها » أنها لا تستعمل إلا للجمع معنىً أو لفظاً ، و« ثالثها » أنها تدل على التفرّق والشيوع والتفريق والإشاعة ، و « رابعها » أنها لاصلة لها بالأصل الثلاثي « ف و ض » على حسبان وجوده ، و« خامسها » أنهـا وإن كانت وصفـاً في المعنى ليست على أوزان الصفة المشبهة باسم الفاعل نحو « عطشى » وليس لها « فَعْلان » أي « فَوْضان » ، و « سادسها » أنَّ لها من الجمع أشباهاً كالشتى والقتلى ، و « ثامنها » أنَّ إبدال الواو من أحد ضعفيها هو قاعدة صرفية أُستدركناها على الصرفيين ، وعدم الوجدان لايدل على عدم الوجود ، و« تاسعها » أنهـا لا يجوز أن تُوجد ، وهي ثلاثية الأصـل ، وليس لها أصل ثلاثي ، و « عاشرها » أنها تتصل بمادة « فضّ » أتصالاً حقيقياً ، و « حادي عشرها » أنها لاتؤوّل إلا بما أولناها به من كونها جمع « فضيض » ، فأسقط الاستعمال جمعها الأصلي « فضّى » ، وأثبت جمعهـا المخفف « فوضى » ، و « ثاني عشرها » أن كون « فيضوض وفيضوضاء وفوضوضى وفوضوضاء » بمعناها يدل على أن أصلها مضعف ، وذلك لوجود الضادين فيهنّ

وفذلكة القول في « الفوضى » : (١) أنها جمع فضيض أي مفرّق مشاع (٢) أنهـا وصف مشتق لا اسم جامد (٣) أنها لا تستعمل إلا للجمع وما يفيد معنى الجمع بتعدّد أجزائه كالمال والأمر والمتاع ، فالمـال كالأموال والأمر كالأمور والمتاع كالأمتعـة في الاستعمال التعبيري . وعلى ذلك لا يجوز أن تستعمل « الفوضى » أسماً من الأسماء ولا مفرداً من المفاريد ،

= في الصرف كان سيء العاقبة ، فأقل ما فيه من الضرر استبهام أصول عدد من المشتقات وإنكار طريقة من طرائق التطور اللغوي ، فاحرنجم أصله احرجم وقرنس أصله قرس »

ولا يصح أن يقال « وقع النـاس في الفوضى » على تقـدير « في الأمور الفوضى أي الأمور والشؤون المختلفة المتفرقة » كما لا يقـال « هم متفقون في الشـتى » على تقـدير « في الأحوال الشـتى » ، ولا يقال « وقعت الفوضى فيهم » على تقدير « الشؤون الفوضى » ، قال نصر الله ابن الأثير الـكاتب المؤلف الشهير : « حذف الموصوف والصفة وإقامـة كل منهما مقام الآخر : وأ كثر ذلك يجيء في الشعر ، وإنما كانت كثرته في الشعر دون الـكلام المنثور ؛ لأن القياس يكاد يحظره ، وذلك لأن الصفة تأتي في الـكلام على ضربين : إما للتأ كيـد والتخصيص ، وإما للمدح والذم ، وكلاهما من مقامات الإسهاب والتطويل ، لا من مقامات الايجاز والاختصار وإذ كان الأمر كذلك ، لم يَلِـق الحذف به هذا مع ما ينضاف الى ذلك من الالتباس وضد البيان ، ألا ترى أنك إذا قلت : مررت بطويل ، لم يَبِـنْ من ظاهر هذا اللفظ الممرورُ به أإنسان هو أم رمح أم ثوب أم غير ذلك ؟ وإذا كان الأمر كذلك ، فحذف الموصوف إنما هو شيء قام الدليـل عليه ، أو شهدت به الحال وكلما أستبهم الموصوف ، كان حذفه غير لائق ومما يؤكد عندك ضعف حذف الموصوف أنك تجد من الصفات ما لا يمكن حذف موصوفـه « و ذلك أن تكون الصفة جملة [1] » .

وفي الحق أن حذف الموصوف لا يطّـرد إلا في باب المفعول المطلق ، لدلالة الفعل عليـه ، مثل « أقام طويلاً » أي مقامـاً طويلاً ، و « سـأل كثيراً » أي سؤالاً كثيراً فلولا دلالة « أقام » و « سأل » ، لم نعلم أن المحذوفين هما « مقاماً وسؤالاً » .

ومن الناس من يلفظ « الفوضى » بضمّ الفـاء ، وذلك من الاهتداء اللغويّ الذي طبع عليه العرب ؛ لأن الأسماء المنقولة من أعلى درجات التفضيل إلى المصدرية ، تكون على هذا الوزن ، مثل « اليُسرى والعُسرى والشُورى » فهي مؤنث الأيسر والأعسر والأشور ، وتـأتي أحياناً على التصغير كالهُـوينى تصغير الهُـونى مؤنث الأهون ، والـثُريّا تصغير الـثُروى مؤنث

(١) الجامع الـكبير في المنظوم والمنثور لنصر الله بن الأثير (ص ١٣١) طبعـة المجمع العلمي العراقي ببغداد

الأُثْرَى والحُمَيّا تصغير الحُميا مؤنث الأحمى

وباليتها كانت كذلك ، ولكنها ليست باسم مؤنث للتفضيل ، وليس لها مذكر على صيغة الأفعل أي « الأفْوَض » ، ولا أصل من الثلاثي « ف و ض » كما ذكرنا آنفاً

والذين يلفظون « الفَوضى » بفتح الفاء يظنونها اسماً مفرداً مؤنثاً كَسَلْمى ، مع أنَّ « سَلمى » منقول من الصفة ، ومذكرها « سلمان » ، أو مصدراً مؤنثاً كعقرى وحَلقى بمعنى العَقر والحَلْق على أحد قولين قال الجوهري في (ع ق ر) من الصحاح : « ويقال في الدعاء على الانسان : جدعاً له وعقراً وحلقاً ، أي عقر الله جسده وأصابه بوجع في حلقه . وربما قالُوا : عقرىْ وحلقىْ ، بلا تنوين على ما نذكره في باب القاف » وقال في « ح ل ق » : « وفي الحديث أنه عليه السلام لما قيل له إن صفيّة بنت حُيَيّ حائض فقال : عقرى حلقى ! ما أراها إلا حابستنا قال أبو عبيد : هو عقراً حلقاً بالتنوين ، والمحدثون يقولون : عقرى حلقى وأصل هذا ومعناه : عقرها الله وحلقها ، يعني عقر جسدها وحلقها ، أي أصابها الله بوجع في حلقها ، وهذا كما تقول : رأسته وعضدته وصدرته ، إذا ضربت رأسه وصدره (وعضده) ، وكذلك حلقه إذا أصاب حلقه [1] » ومن ذلك « النجوى والدعوى والبلوى والعدوى والجدوى والسلوى والشروى والفتوى » وغيرهن .

وأغرب ما شهدت في استعمال « الفوضى » أنَّ العرب المعاصرين لنا يستعملونها اسماً ، وأن أحد الفرنسيين وهو « ج . ب . بلوت J. B. Belot ذكر في مقابل « Anarchie » = عدم الحكم في الشعب ، أمر فوضى ، حكم فوضى ، فوضوية » فتأمل كيف أحترس من الخطأ في العربية هذا الرجل الغربي ؟ ! وهو وإن لم يعلم أن « الفوضى » قد استعملها على الوجه

(١) قال الزمخشري : « ... ويحتمل أن تكونا مصدرين على فعلى بمعنى العقر والحلق ، كما قيل : الشكوى ، للشكو ، ودغرى لاصفى ، بمعنى دغراً ادغروا ولا تصفوا صفاً » « الفائق (٢/ ١٧٢) من الطبعة المصرية قال هذا مع أنه جعل « الطغوى » في سورة الشمس من الأسماء . قال في الكشاف : « الطغوى : من الطغيان ، فصلوا بين الاسم والصفة في (فعلى) من بنات الياء بأن قلبوا الياء واواً في الاسم ، وتركوا القلب في الصفة ، فقالوا : امرأة خزيا وصديا ... وقرأ الحسن : بطغواها (بضم الطاء) كالحسنى والرجعى في المصادر »

الصحيح ، أي صفة لا أسماً ، وأشتق منها أسماً صناعياً كما يقول الصرفيون ، فقال « فوضوية » ، ويجوز أن يقال « فوضيّة وفوضاوية » على حسب قواعد النسب ، ولقد قالوا قديماً : « في فلان أعرابيّة » أي خلق الأعراب ، وهو أسم مشتق من النسبة الى الجمع ، كما يقال « صبيانية » لحالة الصبيان ، قال المبرد : « قال عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، لعامر بن عبد قيس العنبري ، ورآه ظاهر الأعرابية : يا أعرابي ، أين ربك ؟ فقال : بالمرصاد [1] .

وذكر الجوهري في الصحاح ، وغيره في غيره : أن « الأعرابي » ليس بمنسوب الى جمع « العرب » ، وأن الأعراب لا مفرد له وهذا مما لا يقره علم الصرف ؛ لأن وزن « أعراب » من أوزان الجموع دون المفاريد ، فلا بد أن يكون جمعاً في الأصل ، ثم أختلف أستعمال المفرد عن جمعه والجمع عن مفرده بتطور التعبير والأصطلاح .

وكلمة Anarchie مركبة من كلمتين : An ومعناها « مجرد ، محروم ، خلو ، خالٍ ، ممنوع » ، و Arche أي دولة وحكومة ، وكلتاهما من اليونانية . وقد جاء في معجم بواست الفرنسي الذي أصلح سنة ١٨٦٦ م ، وسمي « معجماً عالمياً » Dictionnaire universelle : أن « الأنارشي هي المملكة التي ليس لها رئيس ولا حكومة ، وأنها الأضطراب الشديد أيضاً ، وفساد الحكم الجمهوري »

وقال المسيو بواتفن في معجمه الفرنسي المطبوع سنة ١٨٥١ م : « أنارشي : من أنارشيا اليونانية بمعنى (بلا حكومة) وهي مملكة شعب بلا رئيس ولا حكومة ، أو أختلاط السلطات ، وتستعمل للأضطراب مجازاً »

وفي معجم لاروس الأوسط أن « الأنارشي كلمة مركبة من An بمعنى مجرّد ، و Arche أي قيادة ، وأن معناها : نظام سياسيّ وأجتماعي ، يتقدم فيه الفرد بحرية بغير إشراف من الحكومة كائناً ما كان ، أو حال مملكة محرومة الرئيس ، أو فيها السلطة الحكوميّة معطلة أو مقطوعة » ، ولا يؤدّي هذا المعنى إلا « الفوضوية » أو الحكم الفوضى ، أو « الهامليّة [2] »

---

(١) الكامل (١/٦٨) طبعة الدلجموني

(٢) كالجاهلية نسبة الى الجاهل ، ومنه قوله تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون ؟)

والهاملِيّة : اسم مشتق من « الهاملة » اسم فاعل من « هملت الإبل » أي أُنطلقت ليلاً ونهاراً بلا راع ، أو « الهمليّة [1] » ، ومنه المثل : « أُختلط المرعيّ بالهَمَل » والمرعيّ الذي له راع ، قال الجوهري : « الهمل : بالتحريك ، الإبل بلا راع مثل النفش ، إلا أن النفشَ لا يكون إلاّ ليلاً ، والهمل يكون ليلاً ونهاراً ، يقال : إبل هَمَل وهاملة وهُمّال وهوامل ، وتركتها هملا [2] » .

وهذا الاُستعمال مجازي على سبيل الاُستعارة اللفظية ، كما أن قولهم « المال فوضى بينهم ، أو مالهم فوضى » هو من هذا الضرب ، وكذلك « الرعية » فهي من مادة « الرعي » الذي استعمل للأنعام أولاً ، ثم اُستعير للأنام كما جاء في الحديث النبوي المشهور : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته » وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « إبل هَمَل وهوامل ، وقد أهملها الراعي فهملت ، وما ترك الله عباده هملاً » وقد اُستعمل منصور النمري من شعراء الرشيد « الهامل » للناس ، قال :

شاء من الناس راتعٌ هامِلٌ يُعَلِّلُون النُّفوسَ بالباطلْ [3]

* * *

قولهم « أحاط بالأمر علماً » واستعماله

ويقولون : « أحاطه بالأمر علماً ويحيطه به علماً » وقد جاء في الصحاح : « وقد حاطه يحوطه حوطاً وحيطةً وحياطة ، أي كلأه ورعاه ... وحوَّط كرمه تحويطاً : بنى حوله حائطاً ، فهو كرم محوَّط ، ومنه قولهم : أنا أحوّط حول ذلك الأمر أي أدور ... وأحاط به علمه وأحاط به علماً ، وأحاطت الخيل بفلان واُحتاطت به أي أحدقت » وجاء في المصباح المنير : « حاطه يحوطه حوطاً : رعاه ، وحوَّط حوله تحويطاً : أدار عليه نحو التراب حتى جعله محيطاً به . وأحاط القوم بالبلد إحاطة : اُستداروا بجوانبه وحاطوا به من باب قال : لغة في الرباعي ،

---

(١) جمع الهامل كالخادم والخدم والحارس والحرس

(٢) يراجع « هـ م ل » من الصحاح قال : معناه « إذا أرسلتها ترعى ليلا ونهاراً بلا راع » .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٣٥٧) طبعة مطبعة المعاهد بالقاهرة .

ومنه قيل للبناء « حائط » اسم فاعل من الثلاثي ... وأحاط به علماً : عرفه ظاهراً وباطناً »

وقال أبن فارس في المقاييس : « ح و ط : الحاء والواو والطاء ، كلمة واحدة ، هو الشيء يُطيف بالشيء ، فالحوط من حاطه حوطاً والحمار يحوط عانته : يجمعها ، وحوّطت حائطاً »

وفي أساس البلاغة : « حاطك الله حياطة ... والحمار يحوط عانته : يحفظها ويجمعها ، وحوطتُ حائطاً ، وأحاط بهم العدوّ ... ومن المجاز : أحاط به علماً : أتى على أقصى معرفته كقولك : قتله علماً وعلمه علم إحاطة : علمه من جميع وجوهه ، لم يفته شيء منها [1] ، وأحيط بفلان : أتي عليه ، وفلان محاط به : إذا كان مقتولاً مأتياً عليه ، وأحيط بثمره ، و « الله محيط بالكافرين » ، وأنا أحوّط حولك ذلك الأمر وأدور ... وإذا نزل بك خطب فلم يحطك أخوك وترك معونتك ، قيل : حاطك القصا [2] ... »

وفي مجمع البحرين لفخر الدين الطريحي : « وحاطه يحوطه حوطاً وحياطة : إذا حفظه وصانه وذبّ عنه وتوفر على مصالحه ... ومنه حديث علي ، عليه السلام : أشهد أنك كنت أحوطهم على رسول الله ، أي أحفظهم وأحماهم له ... وحاطه حوطاً وحياطة : كلأه ورعاه ... قوله تعالى : (إلا أن يُحاط بكم) أي إلا أن تبلغوا فلا تطيقوا ذلك قوله : إن الله قد أحاط بكلّ شيء علماً ، أي بلغ منتهى كلّ شيء وأحاط به علمه قوله : وهو بكل شيء محيط ، أي بالاشراف والاحاطة : القدرة ... قوله : محيط دعوته من ورائهم ، أي محدق بهم من جميع جوانبهم ، ومنه أحطت به علماً أي أحدق علمي به من جميع جهاته ... وأحتاط بالشيء : أحدق به » وفي اللسان « أحطت الحائط »

وخلاصة هذه النصوص اللغوية : أن « حاط » الثلاثي وغيره ، يفيد الإطافة بالشيء ، ومن الإطافة والاحداق ظهرت الصيانة والحفظ والرعاية والجمع للشمل والتحويط أي بناء حائط أو

(١) الضمير يعود الى الوجوه

(٢) قال : « وهو تهكم ، أي حاطك في الجانب القصا ، وهو البعيد ، يقال : نسب قصا ، وبلد قصاً ومعناه : لم يحطك ، لأن من يحوط أخاه يدنو منه ويسانده ، لا أن يحل منه في نجوة ... ثم كثر حتى قيل : « حطني القصا ، وإلا نكلت بك ، أي تباعد عني قال بشر :

خاطونا القصا ، ولقد رأونا قريباً حيث يستمع السرار »

إحداث ما يشبهه ، وظهرت « الاحاطة » أي الإحداق ، وظهر المجاز في « أحاط علمه بكذا » « وأحاط هو به علماً » وقد ورد في القرآن الكريم ، وظهر أن « على » تستعمل مكان الباء ، كما جاء في الحديث القدم ذكره : « أشهد أنك كنت أحوطهم على رسول الله » .

ولما أستعمل « حاطه » للحفظ والرعاية ، استعمل الرباعي « أحاط » للحصر والنكاية وقد فات اللغويين القدماء غير الشهاب الخفاجي وفات المعاصرين لنا أن « أحاط » الرباعي هو فعل متعد في الأصل لا لازم ، فقد جاء في اللسان : « أحطت الحائط » فان صحَّ أن العرب استعملت « حاط به »[1] » كما جاء في المصباح المنير ، ثبت أن رباعيه هو « أحاطه به » ، فالرباعي في الحقيقة متعد ـ كما قلنا ـ إلا أن مفعوله محذوف في الغالب ، نحو « فتش » ، فانه يقال أحياناً « فتش عن كتابه ، ودافع عن فلان ، وحامى عنه » ، والأصل « دافَعَه عنه » و « فتش الموضع عن كتابه » و « حاماه عنه » ، فأصل أحاط به هو « أحاطه به » ؛ لأنه مأخوذ من « حاطه » المتعدي أو « حاط به » أخذاً أشتقاقياً لا معنوياً ، فقولهم « أحاط به القوم » إنما هو على تقدير « أحاط به القوم خيلهم أو رجالهم أو سيوفهم أو بأسهم » وما أشبه ذلك .

وقولهم « أحاط الحائط » معناه جعله يحوط بالشيء المحوط أي المصون ، وبه يستدل على أن التعدية هي الصفة الحقيقية للفعل « أحاط بكذا » وكثير من الأفعال في العربية ظاهر حالها اللزوم ، وحقيقتها التعدي ، كالأفعال التي ذكرناها ، وكحافظ على الشيء يحافظ عليه ، فأصله « حافظ فلان فلاناً عليه » ، ومثل « حدابه » أي حدا الجمل به و « دعا به أي دعا خادمه به » و « أستدعى به أي أستدعاه به » و« أمر به أي أمر خادمه به » و « قضى عليه أي قضى الموت عليه أو الهلاك » و « رمى اليه » أي « رمى الشيء أو بالشيء إليه » وفي العربية أيضاً أسلوب نسيان المفعول الذي يؤثر في مصدره ، قال الزمخشري في « ك س ر » من الأساس : « وكسر الطائر جناحيه كسراً : ضمها للوقوع .. وقد كسر كسوراً ، إذا لم تذكر الجناحين . وهذا يدل أن الفعل إذا نسي مفعوله وقُصد الحدث نفسه ، جرى مجرى الفعل غير المتعدي » .

---

(١) ورد في أمالي ثعلب (ص ٥٤٠) .

هـــذا رأي الزمخشري ، والظاهر أنه أستنبطه من نقل المصدر المتعدي « الكسر » الى « الكسور » اللازم ، وهو القول المشهور ، إلا أن « فُعولاً » ورد مصدراً للفعل المتعدي ، لا كما ظن الزمخشري ، فمن ذلك « وَجدَه وجوداً » وقال الجوهري في « ش ك ر » : « وقوله تعالى : (ولا شكوراً) يحتمل أن يكون مصـدراً كقعد قعوداً ، وأن يكون جمعـاً كبرد برود وكفر كفور » وجمع الـكفر على كفور هو رأي الأخفش ، وليس في اللغة القديمة ألفة ولا أنسة لجمع المصدر ، حتى يصحّ قوله والصواب عندي أنه مصدر « كفر » . وقالوا : « عبر النهر عبراً وعبوراً » وهو متعدّ ، و « دخله دخولاً » وإن جاز أن يقال « دخل فيه » . وفي مختار الصحاح : « وَطلِـع الجبلَ بالـكسر طلوعاً : علاه » و « علا الشيء يعلوه عُلوّاً »

وجاء في شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفـاجي (ص ٧٣) : « أحاط : يكون لازمـــاً ، وهو المعروف ، كقوله تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه ، إلا ما شاء) ، ويكون متعدياً أيضاً ، ولم يعرفه كثير ، فوقعوا في أمور غريبة وتعسفات عجيبة . وقد ورد في كلام سيدنا علي رضي الله عنه في نهج البلاغة كذلك قوله في خطبة ... : ألبسكم الرياش ، وأرفغ لـكم المعاش ، وأحاط بـكم الاحصـاء[1] قال شارحه[2] ... وأحاط بمعنى حوّط ، أي جعل الاحصاء حائطاً حولـكم ، يعني أحصى أعمـالـكم ... وفي لسـان العرب : قال أبو زيد : حطتُ قومي ، وأحطت الحائط ، وحوّط حائطاً أي عمله ... وعليـه قول التهامي :

والبحر قـد حاطه بحران دجلته بحرٌ ، وكفُّك بحر يقذف الدررا

قال البحتري :

تحوطهم البيض الرقاق وضُمَّرٌ عتاقٌ وأحساب بها يدرك النبل

(١) قلت : ورد هـــذا القول في المجلد الثاني (ص ٨٦) من شرح نهج البلاغة طبعـة دار الـكتب العربية الـكبرى

(٢) يعني مفعولا مطلقاً

ولبعض العرب :

غريب وأكناف الحجاز تحوطه ألا ، كل ما تحت التراب غريب

وقال صريع الغواني :

إن كان ذنبي قد أحاط بحرمتي فأحِط بذنبي عفوكَ المأمولا »

انتهى المنقول من الشفاء وقد ذكرنا أن الفعل « أحاط » متعد دائماً ، ولم يفت الشهاب الخفاجي كما فات غيره كونه متعدياً أحياناً ، واستدركه هو عليهم ونرى من المفيد أن ننقل شرح عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد للقول الوارد في نهج البلاغة ، قال : « وقوله : أحاط بكم الإحصاء ، يمكن أن ينصب الإحصاء على أنه مصدر [1] فيه اللام ، والعامل فيه غير لفظه ، كقوله : يعجبه الشجون ، ثم قال حيناً (كذا) . وليس دخول اللام بمانع من ذلك ، تقول : ضربته الضربة ، كما تقول : ضربته ضرباً ويجوز أن ينصب بأنه مفعول به ، ويكون ذلك على وجهين : أحدهما أن يكون من « حاط » ثلاثياً ، تقول : حاط فلان كرمه ، أي جعل عليه حائطاً ، فكأنه جعل الإحصاء والعدّ كالحائط المدار عليهم ، لأنهم لا يتعدونه ولا يخرجون عنه . والثاني [2] أن يكون من « حاط الحمار عانته يحوطها بالواو أي جمعها ، فأدخل الهمزة كأنه جعل الإحصاء يحوطهم ويجمعهم ، تقول : ضربت زيداً ، وأضربته [3] أي جعلته ذا ضرب ، فذلك كأنه جعل ، عليه السلام ، الإحصاء ذا تحويط عليهم بالاعتبار الأول ، أوجعله ذا جمع لهم بالاعتبار الثاني ، ويمكن فيه وجه آخر وهو أن يكون الإحصاء مفعولاً له ، ويكون في الكلام محذوف تقديره : وأحاط بكم حفظته وملائكته للإحصاء ودخول اللام في المفعول له كثير ، كقوله : والهول من يحول الهول (كذا) [4] »

وهذا النقل يدل على ضيق رأي الشارح الذي نقل الشهاب الخفاجي كلامه في الشفاء ،

---

(١) يعني مفعولا مطلقاً

(٢) الصواب فيه أن يقول « والآخر » ، لأن كلا من الأول والثاني يصح فيه أن يكون أحدهما ، فاذا قابله بالآخر ثبت التعيين

(٣) فيقال له : لماذا لم يقل « أحاطكم الاحصاء » كما يقال : أضربت زيداً عمراً ؟

(٤) شرح نهج البلاغة (٨٧/٢)

فانه لم يذكر إلا وجهاً واحداً للإحصاء في نصّ نهج البلاغة هو النصب بالمفعوليّة ، ونحن نرى أن الوجه الوجيه من آراء ابن أبي الحديد هو الوجه الأول أي أن يكون أحاطه من « حاط » ، فأدخلت عليه الهمزة ، للتعدية الثانية ، ويؤيده ما نقله ونسيه أو سها عنه في المجلد نفسه (ص ٦٩) ، قال : « ومن الدعاء المرفوع : اللهم ، مَن أراد بنا سوءاً فأحط به ذلك السُّوء كاحاطة القلائد بترائب الولائد [1] » فقوله « فأحِط به ذلك السوء » كقوله « وأحاط بكم الإحصاء »

وها أنا ذا أذكر ما جمعته من الشواهد لمعجمي المستدرك مما لعلّه أن يُفيد فائدة في الاُستعمال قال أبو موسى الاُشعري : « فإنّا لفي طريقنا ، إذ ذكرنا ولّي عمر ، وقيامه بما هو فيه ، وحياطته على الإسلام [2] » . وتمثل علي بن أبي طالب ، عليه السلام ، عند خروجه لقتال أهل البصرة بقول الشاعر :

وَنحنُ وهبناك العلاء ولم تكُن عليّاً وحُطنا حولك الجُرْدَ والسُّمْرا [3]

وقال محمد بن أبي الخطاب القرشي في شرح « محفوفة » : « محفوفة أي محوطة من جميع جوانبها ، يعني العين [4] » وقال الأحنف بن قيس : « خرجت نحو يبرين ، فسألت عن المقصود هناك ، فأرشدت الى قبة ، فاذا شيخ جالس بفنائها ، مؤتزر بشملة ، محتب بحبل » الى أن قال : « قال لي الشيخ : فما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها ؟ فقلت : مات رحمه الله تعالى [5] » وورد في نهج البلاغة : « ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة أمورهم [6] » . وأورد السهيلي قول النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لبني شيبان : « ما أسأتم في الرّد إذ أفصحتم

(١) من شواهد « معجمي المستدرك » (٢) شرح نهج البلاغة المذكور (١/١٢٥)

(٣) الشرح المذكور (١/١٧٦)

(٤) جمهرة أشعار العرب (ص ١٤٦) طبعة مطبعة الاتحاد بالقاهرة

(٥) الكامل للمبرد (١/٩٨) من طبعة الدلجموني الأزهري

(٦) شرح نهج البلاغة (٤/١٢٨) قال ابن أبي الحديد (ص ١٢٩) : « ثم قال : لا تصح نصيحة الجند لك إلا بحيطتهم على ولاتهم ، أي بتعطفهم عليهم وتحننهم ، وهي الحيطة على وزن الشيمة مصدر حاطه يحوطه حوطاً وحياطة وحيطة ، أي كلأه ورعاه »

بالصدق ، وإن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه [1] » .

وقال عبد الله بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص مرتجزاً يومَ صِفّين :

يا هاشم بن عتبة بن مالك   أعزز بشيخ من قريش هالك

تحيطه الخيلانُ بالسنابك   في أسود من نقعهن حالك [2]

وقال أحمد بن الحارث اليمامي في حوادث سنة ٢٥١ هـ بالعراق يذكر الحرب ببغداد وسورها الحربيّ :

فقام بحربهم عالم   بأمر الحروب تولاه حينا

فجدّد سوراً على الجانبين   حتى أحاطهم أجمعينا [3]

وحدّث الزبير بن بكار عن عمّه مصعب ، قال : « أحاط إبراهيم بن عثمان بدار عيسى بن جعفر العباسي خمس مئة فارس ، وأغلق الأبواب [4] » . وورد في شرح سقط الزند (١/١٣٨) في الكلام على « محجر » : « ولما ذكر عيناً وحولها محجر ، أوهم به عين الانسان المحاطة بالمحاجر » . وفي فوات الوفيات (ص ١٦٨) طبعة مطبعة السعادة : « وتمّ الملك الظاهر بيبرس عمارة حرم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وعمل منبره ، وأحاط الضريح بدرابزين ، وذهّبَ سقفه ، وبيضه » .

وقال الزبير بن عبد المطلب :

وأسحم من راح العراق مملأ   محيط عليه الجيش جلد مرائره [5]

---

(١) الروض الأنف (٢/٢٦٥)

(٢) شرح نهج البلاغة (٢/٢٧٥) « تحيطه » هكذا ورود ، والظاهر أن الأصل « تخبطه » وهذا الشرح كثير التصحيف والغلط ، ومن هذا الضرب من التصحيف ما ورد في بيت شعر (ص ٤٩٣) ، وهو :

رأيتك ما أحيطك إذ حربنا   وحربت الفراسة كنت فالا

وأصله كما في الصحاح :

رأيتك يا أخيطل إذ جرينا   وجربت الفراسة كنت فلا

(٣) تاريخ الطبري في حوادث سنة ٢٥١ هـ (ص ٩٦) من طبعة مصر

(٤) العقد الفريد للملك السعيد (ص ١٧٢) لأبي سالم محمد بن طلحة القرشي النصيبي ، وتمام الخبر في الكتاب

(٥) شرح نهج البلاغة (٣/٤٥٥)

وقال الجوهريّ في « ش ر ب » من الصحاح : « والمشربة [1] كالمشرعة ، وفي الحديث : ملعون من أحاط على مشربة » . وجاء في النهاية لابن الأثير : أن الحديث « ملعون ملعون من أحاط على مشربة » قال : « المشربة بفتح الراء من غير موضع : الموضع الذي يشرب منه كالمشرعة ، ويريد بالإحاطة تملكه ومنع غيره منه »

وقال أبو علي التنوخي في نشوار المحاضرة (٥٣/١) طبعة مطبعة أمين هندية بالقاهرة : « خبرني أبو جعفر طلحة بن عبيد الله بن قناش قال : حضرت ببغداد مجلس أبي بكر بن دريد ، وأبو نصر البنص هذا يقرأ عليه قصيدته ... إلى أن بلغ الى قوله :

أماطت لثاماً عن أقاصي الدمائث بمثل أساريع الحقوق العثاعث

إذا أنسوا ضباً بجانب كدية أحاطوا على حافاتها بالربائث

وقال الفيروز أبادي في مقدمة قاموسه : « وكنت برهة ألتمس كتاباً جامعاً بسيطاً ، ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطاً » وفي « حائط العجوز » من معجم البلدان : « أحاطت به على جميع ديار مصر » . وقد ذكر أبن جبير هذا الحائط في رحلته (ص ٥٨) من طبعة أوربة

وفي حوادث سنة ٦١٥ هـ من تاريخ السلوك للمقريزي ، في الخبر عن حرب دمياط : « وصار الفرنج في غربي النيل ، فأحاطوا على معسكرهم خندقاً ، وبنوا بدائره سوراً ، وأخذوا في محاربة أهل دمياط [2] »

وجاء في الإكليل للهمداني : « وأحاط على صنعاء بحائط [3] » وفي أخبار الصاحب ابن عباد وأستيلاء فخر الدولة على تركته : « فأنفذ فخر الدولة خواصه وثقاته ، حتى أحاطوا على الدار والخزائن [4] » وقال أبو الحسين هلال بن المحسن في أخبار أبن الفرات : « وأنفذ يلبق إلى دار أبن الفرات بسوق العطش ، فأحاط عليها ، وتسرع الجند والعوام الى دور أولاده

(١) في مختار الصحاح « والمشربة بفتح الميم المشرعة »
(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك (١٨٩/١) طبعة الدكتور مصطفى زيادة
(٣) الاكليل (٢٤/٨) (٤) معجم الأدباء (٧٠/١) طبعة مرغليوث

وأهله فنهبوها [1] ... »

وفي أخبار التتار وما فعلوه بسمرقند وأهلها من التـدمير والتقتيل ، قال ابن أبي الحديد : « ثم نادوا أن برئت الذمّة ممن لم يخرج ، ومَن خرج فهو آمن ، فخرج الناس اليهم بأجمعهم ، فاحتاطوا عليهم ، ووضعوا فيهم السيف » [2] وجاء في حوادث سـنة ٦٣١ هـ من كتاب الحوادث : « وفي شهر رمضان استدعي الأمير بهاء الدين أيدمر الأشقر زعيم إربل الى دار الوزارة لأجل الفطور ... فحضر فلمّا أفطر ، قبض عليه وعلى جميع أصحابه ، واحتيط على داره [3] » وورد فيه في حوادث سنة ٦٤٢ هـ : وفيها قبض على صدر المخزن فخر الدين محمد بن أبي عيسى ، ووكل به ، واحتيط على داره ، وقبض على أنسابه وأصحابه [4] » . وفي ذيل « تجارب الأمم » في حوادث سنة ٣٨٩ هـ ما هذا نصه : « وأصبح الديلم قد أجمعُوا رأيهم على الابتداء بالأمير أبي علي والاحتياط عليه [5] »

وقال الجاحظ : « ولذلك استلاطت العرب الرجال ، وأغضت على نسـب المولود على فراش أبيه ، وقد أحاط علمه بأنه من الزوج الأول [6] » ، وقال مسكين الدارمي الشاعر :

ولا حاملي ظني ولا قيل قائل على حائط حتّى أُحيط بها خُبرا [7]

وقال النجاشي الشاعر يرثي عمرو بن محصن الأنصاري :

حويطـاً على جل العشـيرة ماجـداً وما كنت في الأنصار نكساً مؤنبا [8]

أفهذه « حويطاً » اسم فاعل من « حاوط » ، أم تصغير « حائط » ، أم « حريصاً » أصابها التصحيف ؟

وفذلكة هذه الشواهد أن يقال « حاط حوله خيلاً ، وحاطه من جميع جوانبه ، والعين محوطة من جميع جوانبها ، وحاطوا على ولاتهم حيطةً ، وأحاط القائد خيـله بدار فلان ، وأحاط على

(١) تأريخ الوزراء (ص ٢٨) (٢) شرح نهج البلاغة (٣٦٥/٢)
(٣) الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة (ص ١٣١) (٤) المرجع المذكور (ص ٢٨٧)
(٥) ذيل تجارب الأمم للوزير أبي شجاع (ص ١٦١) طبعة شركة التمدن
(٦) الحيوان (١٠٨/١ ــ ٩) من طبعة عبد السلام هارون
(٧) أمالي المرتضى (٨٢٤/٢) (٨) شرح نهج البلاغة (٢٧٨/٢) .

المشربة أي أحاط حائطاً عليها أو ما أشبهه ، وأحاط على الحافات بكذا وكذا ، وأحاط الباني على جميع الديار ، وأحاطوا على المعسكر خندقاً ، وأحاطوا على الدار والخزائن أي أحاطوا الرجال عليها ، واحتاطوا عليهم واحتاطوا على الدار واحتيط عليها ، وأحاط علم فلان بكذا ، وأحاط بها خبرا » .

وعلم مما أنه قد قيل « مُحاط » على تقدير « مُحاط به » ، مثل : « مشترك » أي مشترك فيه ، ومَلْحُون أي ملحون فيه ، ومندوب أي مندوب اليه ، ومحجور أي محجور عليه ، وكقولهم اليوم « مأذون » أي مأذون له ، ومرخّص أي مرخص له .

وعلم أيضاً أن الفعل قد أستعمل على العكس ، كقول القائل : « وأحاط الضريح بدرابزين » ، يعني « أحاط الدرابزين بالقبر » وعلى هذا يجوز أن يقال : « أحاطه بالأمر علماً وأحاط هو به علماً » . فالأول بمعنى « جعله يحيط به علماً » ، والثاني بمعنى « أحاط هو نفسه بالأمر علماً » فالتعدي مضمون في العبارتين .

وقد ذكرنا أن الفعل الثلاثي المتعدي الى مفعول واحد ، يتعدى الى مفعول ثان إذا أدخلنا عليه الهمزة ، قالت العرب : « ظفر به وظافره وظفر عليه » وفي القرآن الكريم : « أظفركم » بإدخال الهمزة عليه ، وفيه : « أمنتكم » من الثلاثي و « آمنكم » من الرباعي بزيادة الهمزة على النحو الذي أشرت اليه ، وفيه : « يبلغ » الثلاثي و « أبلغتكم » ، وفيه : « تبعُوا » الثلاثي « وأتبعهم » الرباعي ، وفيه : « رأى » و « أريناك » الرباعي ، و « سَمِعَ » و « أسمعهم » الرباعي ، و « شرب » و « أشربوا » الرباعي المبني للمجهول ، و « شهد » و « أشهدهم » الرباعي ، و « طعموا » و « أطعمهم » ، و « لما يلحقوا » الثلاثي و « ألحقنا » الرباعي ، و « نكحتم » و « أنكحوا » الرباعي . وقريب منه قوله تعالى : « عُثِرَ » الثلاثي المبني للمجهول و « أعثرنا » الرباعي . هذا في القرآن الكريم ، فما ظنك بجميع كلام العرب الذين يستشهد بكلامهم ؟

مصطفى جواد

كتابة أبرهة

لكتابة « أبرهة » الموسومة عند علماء العربيات الجنوبية بـ « Cis 241 » و بـ « Glaser 618 » [1]، شأن كبير في نظر الباحثين ، لأنها وثيقة تأريخية من الوثائق القليلة التي وصلت الينا حتى الآن ، ولأنها أطول نص نملكه دون بلهجة عربية من لهجات القرن السادس للميلاد .

أما صاحب النص والآمر بكتابته ، فهو « أبرهة » نائب النجاشي على اليمن ، وصاحب « الفيل [2] » ، أي الحملة التي قصد بها احتلال « الكعبة » وهدمها على النحو المدون في كتب التواريخ والأخبار . أمر بتدوينه في شهر « ذ ممن » أي « ذي ممان » من سنة ٦٥٨ من التأريخ الحميري [3] المقابلة لسنة (٥٤٣) للميلاد [4] ويلاحظ أن « أبرهة » قد أرّخ كتابته بتأريخ حمير ، وافتتح نصه بذكر « الرحمن » والمسيح ، ولم يشر الى السنة الميلادية ، أي التقويم الرسمي للكنيسة والدولة ، وفي هذا دلالة على أن حكومة اليمن على نصرانيتها في هذا العهد كانت تسير على الرسوم القديمة للحكومة وللأهلين

وتتألف كتابة « أبرهة » من ١٣٦ سطراً ، دونت عند ترميم سد « مأرب » الشهير ، فذكر صاحبها ما بذله من مجهود ، وما أنفق من مال ، وما رافق أعمال البناء من حوادث ، وذكر المدة التي اقتضاها الترميم ، وقد كتبت بالمسند قلم اليمن القديم وباللهجة الحميرية المتأخرة ، ولم تكتب معها ترجمها بالحبشية لغة الفاتحين في ذلك العهد ، مما يبعث على الظن أن الحبش لم يستعملوا في اليمن إلا لغة أهل اليمن في تدوين الوثائق الرسمية وأمور الدواوين .

---

(١) Glaser, 618 (+ 555 + 553 + 556). (٢) سورة الفيل .

(٣) راجع السطرين الأخيرين « ١٣٥ » « ١٣٦ » من النص

(٤) Glaser Zwei Inschriften uber den Dammbwch Von Marib, S. 68.

وقد ترجمت هـــذه الـكتابة الى الألمانية ، كما ترجمت ونشرت باللاطينية في كتاب « Cis » [1] ونشر ترجمتها جرجي زيدان في كتابه « العرب قبل الاسلام » [2] باُختصار وتصرّف في بعض المواضع نقلاً عن الترجمات الفرنجية على ما أظن وقد رأيت نشرها بالمسند ، ونشرها بأبجـــديتنا أيضاً ، ليقف عليها القرّاء ، ثم نشر نصها كاملا مع شرح كلماتها ووضع ما يقابلها باللهجة التي نزل بها القرآن الـكريم وقـد عزمت على نشر نصوص أخرى من النصوص الطويلة المهمة ، لأضع بين يدي القارىء وثائق عربية قديمة يرجع اليهـا في تدوين تأريخ العرب قبل الإسلام .

وقبل أن أدخل في أصل هذه الـكتابة أودّ أن أشير الى خطأٍ ما زال أكثر علماء العربيات الجنوبية والباحثين في اللهجات العربية الجاهلية يرتكبونه ، ذلك هو إعراضهم في الغالب عن المعجمات العربية وعن اللهجات العربية المحلية الحاضرة في دراسـة النصوص القديمة التي تعود الى ما قبل الإسلام ، ولجوؤهم الى اللهجة العبرانية في الغالب في حلّ هذه النصوص وشرحها ، والى لهجة بني إرم في بعض الأحيان ، كأن اللهجة العبرانية هي أساس اللهجات العربية ، وكأن تلك اللهجة هي لهجة سام بن نوح الخاصة أو لهجة آدم أبي البشر .

وقد يكون عذر أكثر أولئك الباحثين أنهم من يهود ، وأن العبرانية هي اللهجة الأساس التي درسوها في الجامعات ، وأن هذه اللغة هي لغتهم ولـكنه عذر واهٍ غير مقبول ، فإن من يتخصص عـادة يلزمه التعمق فيها ، والإحاطة بها ، وكيف يهمل اللهجة التي نزل بها القرآن الـكريم واللهجات العربية المحليـة ؟ مع أن اللهجات العربية الجاهليـة هي لهجات من لهجات العرب ، ولها صلة قربى ونسب باللهجة التي نزل بهـا كتاب الله هي أقوى من صلتها بالعبرانية وبنسبها معها في لغة بني سام ثم إن اللهجات المحلية الباقية في اليمن وفي أماكن أخرى من العربية الجنوبية ، هي لهجات فيها كثير من الأصول والقواعـد القديمـة للهجات العربية التي

---

(١) Corpus inscriptionum Semiticarum. , IV, II, III, P. 278, CIS 541.

(٢) كتاب العرب قبل الاسلام ، القاهرة ١٩٠٨ م (ص ١٥٩)

تعود الى ما قبل الإسلام . وقد أحتفظت بكثير من الكلمات الجاهلية الواردة في النصوص . فهي مادة ضرورية جداً لدراسة الكتابات القديمة وحلّ معضلة كيفية النطق بتلك الكلمات .

ولست أريد أن أقتصر على توجيه هذا الملام الى العلماء المستعربين الباحثين في العربيات القديمة ، بل أوجه هذا اللام أيضاً الى من يشتغل بهذا الموضوع من الباحثين العرب . فإذا كان المستعربين بعض العذر ، فلا عذر للمتكلمين بالعربية يبعد عنهم اللام

وشيء آخر أودّ أن ألفت الأنظار اليه ، ذلك هو ضرورة الأستعانة في الأبحاث اللغوية باللهجات العربية الجاهلية ، وباللهجات العربية المستعملة عند بعض القبائل المنعزلة وفي الأماكن التي يقل أختلاط أهلها بغيرها فإهمال هذه اللهجات واغفال الأستعانة بها في البحوث العربية ، نقص كبير جداً في هذه البحوث ؛ ولا سيما في موضوع المعجمات ولن يكون للعربية معجم لغوي كامل ما لم يركن فيه الى هذه اللهجات . واذا كان قدماء علماء اللغة ، عفا الله عنهم ، قد أغفلوا هذه الناحية ولم يهتموا بها ، لأسباب تتعلق بطرق البحث التي كانت معروفة في ذلك الزمن وبوجهة نظرهم الى اللغة العربية الفصيحة ، فلن يجوز لعلماء اللغة في الزمن الحاضر الأستمرار على سلوك تلك الجادة ، وأتباع تلك الطريقة من البحث التي لن توصلنا الى فهم طبيعة الأشياء .

وقد نبهت على هذا بعض الأفاضل من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة حينما زرت المجمع في السنة الماضية ، فأروني بعض المطبوع وبعض النماذج للمعجم الوسيط الذي أنجزه المجمع ، والمعجم الكبير الذي سينجزه والمعجم الخاص بدراسات القرآن الكريم ؛ إذ لاحظت إهمال المشرفين على أعمال هذه المباحث اللغوية القيمة للهجات العربية القديمة اهمالاً تاماً ، كأنهم قد ساروا في ذلك على طريقة علماء اللغة السابقين الذين قالوا : « ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا » ، والذين حكموا على فصاحة لهجات العرب وبلاغتها بقربها أو ببعدها عن اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم [1] .

---

(١) طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي (ص٤) « طبعة لندن » ، مقالة للدكتور جواد علي بعنوان :=

ولهـذا أهملوا تلك اللهجات وتجنبوها ، ولم يتعمقوا فيها ، وعدّوا ما كان بعيداً منها عن لهجتنا لغة فيها عجمة وغرابة ، وفيها ركاكة ورطانة ونجد ذلك واضحاً في أحـكام علماء اللغة القدماء على لهجات أهل اليمن والعربية الجنوبية ، حتى « الهَمْـدانيّ » ، الذي عُني بدراسـة الحميرية وبحث فيهـا وفي أمثالها في كتابه « الإكليل » الذي لم يطبع منه ـ يا للأسف ـ إلا بعض الأجزاء ، حكم هذا الحكم على تلك اللهجات وهو حكم قاسٍ ولا شك فالحكم على لهجة يجب أن يكون مستنداً إلى دراسة علمية عميقة لتلك اللهجة ، لمعرفة مواطن قوتهـا ومواطن ضعفها قبل الحـكم عليها بحكم من الأحكام ولم أعلم بعدُ أن أحداً من المتقدمين قام بمثل هـذه الدراسة ، فدرس نحو اللهجات العربيـة وصرفها وأصولهـا ، ووضع بحوثاً في ذلك بل كل ما عرفناه من أعمالهم أنهم تدارسوا المفردات ، وبعض الشواذ في لهجات معينة ، مثل لهجـة تميم ولغة أهل الحجاز على اصطلاح علماء اللغة ، وأشاروا الى ذلك في المعجمات . وهذه الدراسة للمفردات ، لا تمـكن أن تـكون دليلاً كافياً في الحـكم على أصول لغة من اللغات ، ولهجة من اللهجات . ثم إنها في نطاق محدود وفي دائرة لم تتناول غير لهجات محدودة من لهجات أهل الحجاز والعرب الشماليين .

نعم ، ورد أن الهَمْـدانيّ مؤلف « الإكليل » و « صفة جزيرة العرب » قد عُني بدراسة الحميرية في بعض أجزاء « الإكليل » ، وكان يحسن قراءة المسند وفهمه ، غير أن الذي يفهم من[1] كتابه أنه لم يتعرض لقواعد تلك اللهجة وأصولها اللغوية ، وإنما بحث في أمور ليست لهـا صلة مباشرة بالقواعد كالأمثـال والحـكم وقراءة المسـاند وقد تحدثت في مواضع عديدة من كتابي « تأريخ العرب قبل الإسلام » وفي مقالات لي منشورة عن علم الهمْـداني بالعربيات الجنوبية ، فذكرت ، مستنداً الى كتابه الإكليل وصفة جزيرة العرب ، أن علمه بها لم يكن غزيراً ، وأنه كان

= « لهجات العرب قبل الاسـلام » في كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة » الذي جمعه وراجعه وقدم له الدكتور محمد خلف الله (ص ٣١٩)

(١) « والتاسع في أمثال حمير وحكمها باللسان العربي وحروف المسند » ، الإكليل (٨/٢) « طبعة نبيه أمين فارس » « برنستن ١٩٤٠ م » .

يحسن قراءة الحروف ، غير أنه لم يكن يحسن فهم معاني الكتابات . ثم إن الذين عنوا بهذا البحث هم بضعة نفر ، علمهم في ذلك لا يتجاوز علم الهمداني ولست أتذكر أن أحداً أشار الى أشخاص آخرين بحثوا في اللهجات الأخرى ، أو رووا شعراً قيل فيها . والظاهر أن اعتقاد علماء اللغة الذي ذكرته في اللهجات الأخرى ، هو الذي حملهم على الامتناع من رواية شعر نظم بلهجات عدّوها ركيكة غير بليغة ، لبعدها عن اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم .

نعم ، روى الهمداني في كتبه كما روى غيره شعراً نسبوه الى بلقيس والتبابعة وغيرهم ممن عاش طويلاً قبل الإسلام ، وتخاصموا في روايته في بعض الأحيان ، وفسروا معاني الكلمات والأبيات ، وذكروا أسباب نظمها ولكنّ تأكيدهم أنها لهم ، وأن الأبيات المذكورة هي شعر من شعرهم ، لا يحملنا مع ذلك على التفكير لحظةً واحدةً في أنه شعر من شعر أولئك القوم ، وأنه شعر أصيل صحيح لقد كان للقوم لسان آخر ، وكان لهم كلام يختلف عن الكلام الذي نزل به الوحي . وسترى في النص الذي سيكون بين يديك نموذجاً لهذا الاختلاف ، مع أنه نموذج من عهد تطورت فيه اللهجات ، لم يكن بعيداً جداً عن الإسلام ، فكيف بلهجات بعيدة عن هذا العهد ؟ ثم إنهم رووا شعراً عربياً فصيحاً على لسان آدم والملائكة والجن ، فهل نقرهم على صحة ما رووه ؟

أما نصنا الذي نذكره ، فهو من النصوص المتأخرة كما ذكرتُ ، أي أنه من النصوص التي لا تبعد كثيراً عن الإسلام وقد كتب في عهد احتلال الحبشة اليمنَ ودراسته مهمة جداً لفهم التطور الذي طرأ على اللهجات العربية الجنوبية من أول عهدنا بنصوصها الى هذا العهد ، ثم هو مهم من ناحية أخرى هي ناحية المقارنة بينه وبين اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم ، لمعرفة بعد لهجة النص وقربها من هذه اللهجة . ولهجة هذا النص ، كما يظهر من دراستها ، لهجة متطورة بالقياس الى النصوص العربية الجنوبية القديمة ، وفيها بعض الكلمات والتراكيب التي لا ترد إلا في اللهجات العربية الشمالية ، مما يدل على تأثر لهجات أهل اليمن في هذا العهد بلهجات أهل الشمال

افتتح نص أبرهة بجمل أقتضتها طبيعة الوضع السياسي الجديد الذي ظهر في اليمن بعد فتح الأحباش لها : جمل لم يألفها أهل اليمن قبل هـذا الفتح ، ولا يمكن أن يألفها أو يوافق عليها من كان في عصر أبرهـــة من جمهرة الشعب من الوثنيين ، أو من يهود . ولـكن ، ما الحيلة وحكومة الأحتلال حكومة نصرانية جعلت دينـها الدينَ الرسمي للبلاد ؟ وهل يعقل ذكر أسماء آلهة حمير القديمة في هذه الـكتابة ، وصاحبها الحـاكم بأمره رجل على دين يناقض ويناهض ديانة القوم ؟ جمل فيها تمجيد للرحمان ولمسيحه ولروح القدس ، رمز الديانة التي يدين بها أبرهة وقومه المحتلون .

ويلاحظ أن النص قد أستعمل كلمة « الرحمن » في مقابل الأب ، أو الرب ؛ وهو أستعمال يقابل كلمة « الله » في الأديان الأخرى ولم يستعمل فيه كلمة الأبن المستعملة عادة عنـــد المسيحيين .

وقد أتاح لنا « أبرهة » بنصه هذا الحصول على أقدم نص جاهلي ، فيه التسمية عند النصارى العرب قبل الإسلام

ولفهم هـــذا النص فهماً صحيحاً ، أدرج صورته بحروفه بالمسند على نحو ما ضبطت في كتاب « Cis » ، ليرى القارىء أشكال حروف المسند ، وكيفية الـكتابة بها . وهي حروف منفصلة غير متصلة ، وضعت بعضها الى بعض على طريقة الأبجدية اللاطينية . وللتمييز بين الـكلمات ، أستخدم الـكتابُ خطوطاً عمودية تمثل أبتداء الكلمة وأنتهاءها . أما نهايات الجمل ، فليست لها علامات مميزة خاصة ، إنما يميزها القارىء نفسه من الخطوط العمودية عند نهاية كل لفظة . وأما طريقة الـكتابة ، فمن اليمين الى اليسار في الغالب ، ومن اليسار الى اليمين في بعض الأحيان ، أي على طريقة الـكتابة عند الغربيين . وقد يمزج بين الطريقتين ، فيبدأ السطر الأول من اليمين وينتهي بيسار الحجر ، فإذا أنتهى منه بدأ بالسطر الثاني من اليسار لينتهي في اليمين . فاذا فرغ منه ، بدأ بالسطر الثالث من اليمين ، وبالسطر الرابع من اليسار ، وهكذا حتى تنتهي الـكتابة .

والذي ساعد على هذا التنويع في الكتابة ، هو أشكال الحروف وكيفية رسمها ، فإن صورها ومواضع رؤوسها تساعد على الكتابة بأي شكل كان من هذه الأشكال دون أن يؤثر ذلك في مألوف القارىء في القراءة أو يؤثر فيما أعتاد نظره من تمييز أشكال الحروف وصورها .

والسند يشارك أبجديتنا في عدم أستعماله للحركات ، لا في داخل الكلمات كما هو المألوف في الأبجدية اللاطينية ، ولا في خارجها أي في أعاليها وأسافلها وهي من هذه الناحيـــة أوجدت لنا مشكلات جدّ عسيرة في معرفة كيفية النطق بالجمل والكلمات ومعرفة مواقع الكلم من الإعراب

وهذا نص أبرهة على نحو ما نشر في كتاب « Cis » ، أي بحروفه التي نقلها عن النص الأصلي « كلاسر » ومن جاء من بعده من السياح .

— النص —

....

وأما كتابته بحروفنا ، فعلى هـذا الشـكل وقـد رأيت كتابته بحروف متقطعة أولاً ، ثم بحروف متصلة ، ليكون في الامكان تتبع النص

١ – بخىل و دا ورح

٢ – مت رحم نن ومس

٣ – حمو ورح .دس سطرو

٤ – ذن مزندن ان . ه عزل

٥ – ى ملكن اجعزىن رمحز

٦ ـ زبيمن ملك سبا وذر

٧ ـ يدن وحضرموت ويمنت

٨ ـ واعربهمو طودم وتهم

٩ ـ ت وسطرو ذن مزندن كق

١٠ ـ سد وهخلف بجزمن يزد

١١ ـ بن كبشت خلفتهمو ذس

١٢ ـ تخلفو على كدت ودا كن

١٣ ـ لهو خلفتن وقسد وعمهو

١٤ ـ اقول سبا اسحرن مرت و

١٥ ـ ثممت وحنشم ومرثدم وح

١٦ ـ نفم ذخلل وازانن اقول

١٧ ـ ن معدكرب بن سميفع وهعن

١٨ ـ واخوتهو بنى اسلم وكا

١٩ ـ سيو جره ذزبنر يافقن بقه

٢٠ ـ لكن بمشرقن وهرجهو وسحت

٢١ ـ مصنعت كدت ويزد جمع ذهطع

٢٢ ـ هو بن كدت وحرب حضرموت و

٢٣ ـ اخذ مزنم هجن اذمزين وع

٢٤ ـ دعبرن ووصحهمو صرخن وشت

٢٥ ـ و وجمعو اجيشهمو حبشت

٢٦ ـ .حميرم باالفم بورخ ذقي

٢٧ ـ .ن ذلسبعت وخمسي وسث ماتم

٢٨ ـ و ش ت و و و ر د و

٢٩ ـ م ق ل ى س ب ا و ش ا

٣٠ ـ م و ب ن ص ر و ح ع

٣١ ـ ل ى ن ب ط م ع د ى ع ب

٣٢ ـ ر ن و ك و ص ح و ن ب

٣٣ ـ ط م ذ ك ى و س ر و

٣٤ ـ ت ه و م ك د ر ا ل و

٣٥ ـ و ل م د و ح م ى ر م

٣٦ ـ و خ ل ى ف ه م و و ط ب

٣٧ ـ و ع و د . ذ ى ج د ن م و

٣٨ ـ و ص ح ه م و ى ز د ب ن

٣٩ ـ ب ط م و ع د ه م و ى د

٤٠ ـ ه و ق د م ى ذ ك ى ن س ر

٤١ ـ و ى ت ن و ك و ص ح ه م

٤٢ ـ و ص ر خ م ب ن س ب ا ك

٤٣ ـ ث ب ر ع ر م ن و ع و د ن

٤٤ ـ و خ ب ش م و م ض ر ف ت

٤٥ ـ ذ ا ف ن ب و ر خ ذ م ذ ر

٤٦ ـ ن ذ ل س ب ع ت و ب ع د ن

٤٧ ـ و ص ح ه م و ذ ن ع ه د ن

٤٨ ـ ه ق د م و ب ر د ن ن ب ر ث

٤٩ ـ ى د ن ن ع ر ب ن ا ل ه ت

٥٠ ـ د ا ج ب ا و ع م ى ز د و

٥١ ـ ككلهمو هعدو ا ىد

٥٢ ـ همو ورهنهمو ببر

٥٣ ـ . وسرويتن ذهذ

٥٤ ـ كدر قرنو اقول

٥٥ ـ ن الهت قسدو ومل

٥٦ ـ كن ذكى عصتم على

٥٧ ـ اشعبن لخررتم و

٥٨ ـ مسرم وجربتم وب

٥٩ ـ را. وخفجم ونه ت

٦٠ ـ وصهرم لعذبن عرمن وع

٦١ ـ ودن ومثبرتن ذبمرب وه

٦٢ ـ وعدهمو بورخن ذصربن ذل

٦٣ ـ سبعت وبعدن ذك

٦٤ ـ ىو عصتن ودن عر

٦٥ ـ بن عدىو هجرن م

٦٦ ـ رب وقدسو بعت

٦٧ ـ مرب كبهو قسسم ذبمستله و

٦٨ ـ بنهو ىفعو عرمن وحفرو ثو

٦٩ ـ وصحو عرن وبعلو عرن لهوث

٧٠ ـ رن ع دن وكو

٧١ ـ طعو لهوثرن عو

٧٢ ـ دن كن طللم وعو

٧٣ ـ سم ب شعبن وهجرن وكل راىو ك
٧٤ ـ خنى طللن على اشعبن اذنو لهم
٧٥ ـ و لاحبشهمو واحمرهمو و
٧٦ ـ بعدن ذاذنو باشعبن وردو
٧٧ ـ اقولن الهت نصنعو بكدر وك
٧٨ ـ وصحو ملكن عم سروتن الهت
٧٩ ـ هذكىو لقنهمو وهعدو ايدهم
٨٠ ـ و ملكن وبنهو جبا ملكن عدى ه
٨١ ـ جرن مرب بن عرمن و قولن الهت كن
٨٢ ـ و .لمتم ت بنهمو ا سم ذمعه
٨٣ ـ ر بن مكلن ومرجزف ذذرنح و
٨٤ ـ عدل ذفيش وذشولمن وذشعب و
٨٥ ـ ذرعن وذهمدن وذكلعن وذمهدم و
٨٦ ـ ذثت وعلسم ذىزان وذبىن وكب
٨٧ ـ رحضرموت وذفرنت وكوصح.م
٨٨ ـ و محشكت نجشىن ووصحهمو
٨٩ ـ محشكت ملك رمن وتنبلت
٩٠ ـ ملك فرس ورسل مذرن ورس
٩١ ـ ل.حرثم بن جبلت ورسل ابكرب
٩٢ ـ بن جبلت وكل عدن ذتريد طلل
٩٣ ـ ن بحمد رحمنن وردو اشعبن حج
٩٤ ـ بعصتهمو قدمت شت همو

٩٥ ـ ع ل ى م و ع د هـ م و اخ ر ن و ك و ص ح و
٩٦ ـ اش ع ب ن ب م د ت ذ د او ن اخ ر ت ن
٩٧ ـ و ك ا س ى هـ م و اش ع ب ن ب م هـ م و ع ذ
٩٨ ـ ب و ذ ث ب ر ب ن ع و د ن ذ ت ق هـ ى ع ف ر
٩٩ ـ ب س ب ا و ا ق و ل ن ا
١٠٠ ـ ل هـ ت ك ن و ع م م ل ك
١٠١ ـ ن و ن ص ر هـ م و و ك ع
١٠٢ ـ ذ ب هـ و ب ن ت ب ع ل ع
١٠٣ ـ ر ن ع د ى ش ق ر م و ك ذ و
١٠٤ ـ ز ا و ب ق د م ع و د ن ق
١٠٥ ـ ش ب ن م ذ ت ق هـ و ب ش
١٠٦ ـ ع ب ن خ م س و ا ر ب ع ى
١٠٧ ـ ا م م ط ل م و خ م س و
١٠٨ ـ ث ل ث ى ا م م ر ى م م و ا
١٠٩ ـ ر ب ع ت ع ش ر ا م م ر ح
١١٠ ـ ب م ج ر ب م و ح ر ر و
١١١ ـ ع ر م ن و م س ر هـ و .
١١٢ ـ ص ن هـ و و هـ ق ش ب و ذ هـ ب
١١٣ ـ خ ب ش م غ ى ر ا ق د م ن و
١١٤ ـ ن م ر ى م ف ل ل م و ك ذ
١١٥ ـ ر ز ا و ب ن ى و م ن ذ ب هـ
١١٦ ـ و ى ف ع و ل غ ز و هـ م و

١١٧ ـ وقدس بعثن وعود
١١٨ ـ ن وعرمن خمسى االف
١١٩ ـ م وثمن ماانم وسدث
١٢٠ ـ م دققم وسثت وعش
١٢١ ـ رى االفم تمرم
١٢٢ ـ بقنتن يدعال وط
١٢٣ ـ بخم ثلثت االفم
١٢٤ ـ ذبيحم وبقرم وق
١٢٥ ـ طنتم ثنى ماتن وسب
١٢٦ ـ عت االفم قطننم
١٢٧ ـ وثلث ماتم اابلم
١٢٨ ـ سقيم غربيم وفصيم
١٢٩ ـ واحد عشر االفم ال
١٣٠ ـ حلب سقيم ذنمرم وك
١٣١ ـ و مقحهمو بثمنى
١٣٢ ـ مسى م وق ..
١٣٣ ـ با عشر اع
١٣٤ ـ م بورخ ذمعن
١٣٥ ـ ثمنيت وخمسى وس
١٣٦ ـ ث ماتم

وهذه كتابته بحروف متصلة ، ليكون في الامكان الوقوف عليه .

١ بخيل و ... دا ورحـ
٢ مت رحم ... نن ومس
حمو و رح ... دس سطرو

٤ ذن مزندن ان ه عزل
٥ ى ملكن اجمزين رحز
٦ زبيمن ملكن سبا وذر
٧ يدن وحضرموت ويمنت
٨ واعربهمو طودم وبهم
٩ ت وسطرو ذن مزندن كق
١٠ سد وهخلف بجزمن يزد
١١ بن كبشت خلفتهمو ذس
١٢ تخلفو على كدت ودا كن
١٣ لهو خلفتن وقسد وعمهو
١٤ اقول سبا اسحرن صرت و
١٥ ثمت وحنشم ومرثدم و ح
١٦ نفم ذخلل و ازانن اقول
١٧ ن معدكرب بن سميفع وهمن
١٨ واخوتهو بنى اسلم و كا
١٩ سيو جره ذزبهر يافقن بقه
٢٠ . لكن بمشرقن وهرجهو وسحت
٢١ مصنعت كدر ويزد جمع ذ هطع
٢٢ هو بن كدت وحرب حضرموت و
٢٣ اخذ مزنم هجن اذمرين و ع
٢٤ دعبرن ووصحهمو صرخن وشت
٢٥ و وجمو اجيشهمو حبشت

٢٦ حيرم باالفم بورخ ذقى

٢٧ ن ذلسبمن وخمسى وست ماتم

٢٨ وشتاو ووردو

٢٩ مقلى سبا وشا

٣٠ مو بن صروح ع

٣١ لى نبطم عدى عب

٣٢ رن وكوصحو نب

٣٣ طم ذكيو سرو

٣٤ تهمو كدر الو

٣٥ ولـد و حيرم

٣٦ وخليفهمو وطه

٣٧ و عوده ذى جدم و

٣٨ وصحهمو يزد بن

٣٩ بطم وهمدهمو يد

٤٠ هو قدمو ذكين سر

٤١ ويتن وكوصحهم

٤٢ و صرخم بن سبا ك

٤٣ ثبر عرمن وعوذن

٤٤ وخبشم ومضرفت

٤٥ ذافن بورخ ذ مذر

٤٦ ن ذلسبمن و بعدن

٤٧ وصحهمو ذن عهدن

٤٨ هقدمو بردنن برث

٤٩ يدنن عربن الهت
٥٠ دا جباو عم يزد و
٥١ ككلهمو همدو ايد
٥٢ همو ورهنهمو بىر
٥٣ وسرويتن ذهذ
٥٤ ... كدر قرنو اقول
٥٥ ن الهت قسدو وط
٥٦ سكن ذكى عصم على
٥٧ اشعبن لحررم و
٥٨ مسرم وجربم وبـ
٥٩ برا . وخفجم ونه ت
٦٠ وصهرم لمذبن عرمن وع
٦١ ودن ومثبرتن ذبمرب وه
٦٢ وعدهمو بورخن ذصربن ذا
٦٣ سبمت وبمدن ذ ك
٦٤ يو عصتن ودن عر
٦٥ بن عديو هجرن مـ
٦٦ رب وقدسو بمت
٦٧ مرب كبهو قسسم ذبعستالم و
٦٨ بهو يفمو عرمن وحفرو ثو .
٦٩ وسحو عرن وبعلى عرن لهوث
٧٠ ر ن . ع د ن وكو
٧١ ضمو لهوثرن عو

٧٢ دن كن ضللم وعو

٧٣ سم باشمبن وهجرن وكل رايو ك

٧٤ خنو ضللن على اشمبن اذنو لهم

٧٥ ولاحبشهمو واحرهمو و

٧٦ بمدن ذاذنو باشمبن وردو

٧٧ اقولن الهت تصنعوا بكدر وك

٧٨ وصحو ملكن عم سروتن الهت

٧٩ هذكيو اقربهمو وهمدو ايدهم

٨٠ وملكن وبهو جبا ملكن عدى ه

٨١ جرن صرب بن عرمن واقولن الهت كذ

٨٢ و لتم ت. بهمو ا. سم ذمعه

٨٣ ـر بن ملكن وصرجزف ذذرع و

٨٤ عدل ذفيشن وذشولن وذشمبن و

٨٥ ذرعن وذهمن وذكامن وذمهدم و

٨٦ ذنت وعلسم ذيزان وذذبين وكبـ

٨٧ ـر حضرموت وذفرنت وكوصح م

٨٨ ـو محشكت نجشين ووصحهمو

٨٩ محشكت ملك رمن وتنبلت

٩٠ ملك فرس ورسل مذرن ورسـ

٩١ ـل. حرثم بن جبلت ورسل أبكرب

٩٢ بن جبلت وكل عدن ذ تريد ضلله

٩٣ ـن بحمد رحمنن وردو اشمبن حج

٩٤ بمصمهمو قدمتن شتاهمو
٩٥ على موعدهمو اخرن وكوصحو
٩٦ اشمهن بمدت ذداون اخرتن
٩٧ وكاسيهمو اشمهن برهمو عذ
٩٨ بو ذثر بن عودن ذتقه يعفر

. . .

٩٩ بسبا واقولن ا
١٠٠ لهت كنو عم ملك
١٠١ ـن ونصرهمو وكه
١٠٢ ذبهو بن تبعل ع
١٠٣ رن عدى شقرم وكذو
١٠٤ زاو بقدم عودن ق
١٠٥ شبم ذتقهو باشـ
١٠٦ ـمهن خمس واربعى
١٠٧ امم ظلم وخمس و
١٠٨ ثلثى امم ريمم وا
١٠٩ ربعت عشر امم رحـ
١١٠ بم جربم وحررو
١١١ عرمن ومسرهو ..
١١٢ صبهو وهقشبو ذهب
١١٣ خبشم غير اقدمن و
١١٤ عرى مفللم وكذ

١١٥ رزاو بن يومن ذبه

١١٦ و يفعو لغزوهمو

١١٧ وقدس بعتن وعود

١١٨ ن وعرمن خمسى االفـ

١١٩ سم وثمن ماتم وسدثـ

١٢٠ سم دققم وسثت وعش

١٢١ رى االفم تمرم

١٢٢ بقنتن يدعال وط

١٢٣ بخم ثلثت االفم

١٢٤ ذبيحم وبقرم وقـ

١٢٥ طنم ثتى ماتن وسبـ

١٢٦ مت االفم قطنم

١٢٧ وثلث ماتم ابلم

١٢٨ سقيم غربيم وفصيم

١٢٩ واحد عشر االفم الـ

١٣٠ حلب سقيم ذعرم وكـ..

١٣١ و مقحهمو بثمنيـ...

١٣٢ مسى ...م .. وقـ ...

١٣٣ با.. عشر ·اء..

١٣٤ م بورخ ذممن ..

١٣٥ ثمنيت وخمسى وسـ

١٣٦ ت ماتم

ابتدأ النص كما نرى بكلمة « بخيل » ، والحرف الأول من الكلمة مستقل ، ليس من أصل لفظة « بخيل » ، وانما هو حرف جرّ بمثابة الباء في « بِاُسْم » من جملة البسملة الاسلامية ، أي « بسم الله الرحمن الرحيم » ، و « با » في الحبشية وهو من الحروف التي ترد كثيراً في النصوص العربية الجنوبية على اختلاف لهجاتها ، يرد مستقلاً تارة ، ويرد ملحقاً به « النون » تارةً أخرى ، فيكون على هذه الصورة « بن » ولهذا الحرف من حروف الجر بوضعيه ، عدة معان ، فهو يؤدي معنى باء الجرّ ، ويؤدي معنى « من » و « عن » و « مع » و « في » و « بسبب » ، ولذلك كان من أكثر الحروف استعمالاً في الكتابات [1]

وأما لفظة « خيل » ، فمن معانيها في المعجمات : « الكبر » ، و « الخيلاء » ، و « المختال » [2] وقد ترجمها كلاسر بـ « Kraft » في الألمانية أي القدرة والقوة [3] . والى هذا المعنى ذهب « غويدي » في كتابه « المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة » [4] وأرى أنها كلمة « حَوْل » في عربية القرآن الكريم ، كما في « لا حَوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله » ، وأن هذه الجملة المستعملة حتى الآن في الاسلام هي بهذا المعنى الذي اُفتتح به نصّ أبرهة وقد فسر علماء اللغة لفظة « الحول » بالحركة [5] ، أخذوا هذا التفسير من جملة المعاني اللغوية العديدة لهذه اللفظة وقد خفي عليهم ، على ما أظن ، هذا المعنى الديني القديم الذي كان لهذه الكلمة في لغة أهل اليمن قبل الإسلام . ومما يؤيد كون « حول » هي « خيل » ، ما ذكره الكسائي من ورود « لا حول ولا قوة إلا بالله » و « لا حيل ولا قوة إلا بالله » [6] ، فلفظة « حيل » هنا في موضع « خيل » . فاللفظتان إذن هما لهجتان لكلمة واحدة ، نطقها أهل اليمن بالخاء المعجمة ، ونطقها أهل الحجاز بالحاء المهملة

وأما « ودا » فانها تتألف من واو العطف ، كما في عربيتنا ، ومن « ردا » التي سقط منها

(١) غويدي : المختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة (ص ١٦)
Maria Hofner, Altsudarabische Grammatik, S. 140 f.
(٢) اللسان (١٣/٢٤٢) ، تاج العروس (٧/٣١٤)
(٣) Glaser Zwei, S. 42.
(٤) طبع القاهرة ١٩٣٠ (ص ٣٢)
(٥) اللسان (١٣/٢٠٠)
(٦) اللسان (١٣/٢٠٠) .

« الراء » بسبب كشط موضع الصليب ، فظهرت ناقصة وقد ترجمها « كلاسر » بـ « Gnade » في الألمانية ، أي « النعمة » و « المنّ » و « الفضل »[1] أما في لهجتنا ، فمن معانيها : « العون » و « النصر » وقد ورد في القرآن الكريم : « فأرسله معي رداً يصدقني »[1] ، أي فأرسله معي عوناً ونصراً لي يصدقني . فهي إذن من الكلمات المشتركة في اللهجات العربية الشمالية والجنوبية

و « الواو » في « ورحمت » حرف عطف وأما « رحمت » ، فإنها « رحمة » في عربيـة القرآن الكريم ، كتبت بتاء طويلة ؛ لأن المسند لا يستعمل في كتابته غيرها . وأما « رحمنن » ، فهي من كلمة « رحمان » المعروفة في عربية القرآن الكريم ، وهي صفة من صفات الله ، ومن « ن » وهو حرف التعريف الذي يدخل أواخر الكلمات في العربيـة الجنوبية ، أي على عكس العربية الفصحى ، فهو في مقام « ال » . وهذا الحرف هو في واقع الأمر حرفان ، هما : « ا » و « ن » ويُقرآن « ان » كما في نهاية كلمة « همْدان » غير أن العرب الجنوبيين لم يكونوا يكتبون الألف الممدودة ، بل يكتفون بكتابة النون وحدها فمعنى جملـة « ورحمت رحمنن » : « ورحمة الرحمان » ، والرحمان هنا بمعنى الله في الإسلام .

والواو في « ومسحهو » حرف عطف وأما « مسحهو » ، فإنها من « مسـح » وهو « المسيح » ، ومن « هو » وهو ضمير يعود الى الرحمان ، ويكون المعنى : « ومسيحه » . وأما « ورح قدس » ، فهي « وروح القدس » وبهذه الكلمة انتهت الجملة الدينية التي أُفتتح بها النص ، تيمناً بها . وتكون جملتها في عربيتنا : « بحول الرحمان وقونه ورحمته ، ومسيحه وروح القدس » .

أما أبتداء القسم المتعلق بالحوادث التأريخيـة من هذا النص ، فهو من جملة : « سطرو ذن مزندن » فما بعدها وتعني كلمة « سطرو » « كتبوا » في عربيتنا ، كما ورد ذلك في القرآن الكريم : « ن والقلم وما يسطرون »[2] . وأما « ذن » ، فهي أسم إشارة بمعنى « هذا » ،

(1) Glaser, Zwei, S. 42.

(2) سورة القلم : الآية الأولى ، تاج العروس (٣/٢٦٧) .

وهي للمذكر أما في المؤنث ، فتستعمل كلة « ذت » ، بمعنى هذه وقدأ ستعملت هذه الكتابة أسم الإشارة للمذكر ، لورود مذكر من بعده ، وهو كلة « مزندن » التي أخذ العلماء منها كلة « المسند » بأن صيروا « الزاي » سينا والنون في آخر الكلمة أداة التعريف « ال » وهي تمني « الكتابة » في عربيتنا فيكون ممنى الجلة « سطروا هذه الكتابة » وأما « ان » ، فهي « إنّ » في لهجتنا . وأما حرف الهاء المسبوق بنقط ثلاثة ، فإنه يمثل الحرف الأخير من أسم « أبرهة » نائب النجاشيّ على اليمن وحاكم هذه البقعة الشهير ، وقد سقطت الأحرف الثلاثة الأولى من الكلمة بسبب الحك الذي تناول الصليب وأسم أبرهة لإزالة معالمها من النص .

وقدكان كتبة المسند يثبتون حرف « الواو » في أواخر الجموع وفي أواخر المضمرات ، فلا تسقط ، كما رأينا في كلة « سطرو » حيث أبقيت دون أن يمسها الحذف [1] .

وكلة « عزلى » التي كتبت ثلاثة أحرف منها في نهاية السطر الرابع وجعل حرفها الرابع وهو الأخير من الكلمة في السطر الخامس ، هي لفظة حبشية معناها : « القوي » ، وهي هنا بمعنى مفوض ، أي نائب النجاشي على اليمن وأما كلمة « أجمزين » ، فيراد بها الـ « جعز » ، وهم من الشعوب الحبشية القوية القديمة وكانت عاصمة دولتهم مدينة « أكسوم » ، ولهم لغة تسمى لغة الـ « جعز » وأما جلة « رمحز زبيمن » ، فإنها أسم النجاشي الذي كان يحكم الحبشة يومئذٍ وهو ملك لا نعرف من أمره شيئاً ، ولم يرد أسمه في القوائم الموضوعة لملوك الحبشة حتى الآن [2] .

وجلة : « ملكن سبا وذريدن وحضرموت ويمنت واعربهمو طودم وبهمت » ، تعني : ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن وأعرابها في الأطواد والتهائم » ، وهي اللقب الذي تلقب به ملوك حمير منذ تأسيس حكومة « سبأ وذي ريدان »

« ويمنت » هي « اليمن » في لهجتنا وأما « أعربهمو » ، فيراد بها « الأعراب » ، أي

(١) المختصر (ص ٣)

(٢) Glaser, Zwei, S. 68. Cis, IV, II, III, P. 287.

أهل الوبر ، والميم في نهاية « طودم » يشير الى التنوين ، وهو للتنكير ، أي على عكس « ال » أداة التعريف و « طود » بمعنى « الجبل » في عربيتنا [1] ، وهي بهذا المعنى في لغة أهل اليمن . وأما « بهمت » ، فتقابل « تهامة » ، وتعني ما سفل وأنخفض من الأرض [2] . وهي تقابل بذلك لفظة « تهوم Tehom » في العبرانية التي تعني المناطق المنخفضة الحارة الواقعـــة على الساحل ، ويراد بها في هذا النص الأَرَضُون المنخفضة من اليمن ، أي أضداد الأطواد .

وأما جملة : « كقسد وهخلف بجزمن يزد بن كبشت » ، فحرف « الـكاف » من الكلمة الأولى « كقسد » هو حرف جر ، وهو سـببي في معنى « بسبب » و « لأجـل » . وأمـا « قسد » ، فمن الـكلمات التي لم يضبط معناها ضبطاً تاماً وقد رأى « كلاسر » أنها يراد بهـا معنى « تَمَــكَّــن » ، وقد يراد بها « صار قائداً » [3] و « القسود » في المعجمات : الغليظ الرقبة القوي [4] فلعل لهذا المعنى صلة بالمعنى المراد منها في هذا النص وكلمـة « هخلف » ، فعل مزيد ، وعلامة المزيد في المسند زيادة الهاء في أول الفعل في السبئية ، وزيادة حرف السين في اللهجة المعينية ، أو زيادة التاء في الحروف الثلاثه الأصلية المجردة أو الحاق السين والتاء بأول الفعل الأصلي فـكلمة « هخلف » إذن فعل مزيد هنا زيد فيه الهاء و « جزم » في لهجتنا قضى وأمر وقطع وعهد وأمثال ذلك ، فهي هنا بالمعنى المعروف للـكلمة في لهجتنا العربيـــة . وأما « يزد بن كبشت » فهي اسـم « يزيد بن كبشة » ، وهو خليفـة أبرهة على قبيلـة « كدت » أي « كندة » ، عينه أبرهة خليفة عليها ، ولـكنه تمرد وثار عليه ، وجمع معه عدداً من الأقيال الناقين على الأحباش من أسحر ومرة وثمامة وحنش ومرثد وحنف ذو خليـل . ومن آل « أزأن » ، وهم القيل معد يكرب بن سميفع وهمان وإخوته من بني أسلم . وقد ذهب « كلاسر » الى أحتمال كون « جزمن » أسم موضع في اليمن عرف بأسم « الجزم » [5] .

و « كدت » هي قبيلة « كندة » في رأي الباحثين في العربيات الجنوبية . وكندة قبيلة

(١) تاج العروس (٢/٤٠٩)

(٢) تاج العروس (٨/٢١٥)

(٣) Glaser , Zwei , S. 42.

(٤) اللسان (٣/٣٠٢)

(٥) Glaser , Zwei , S. 42.

يرجع النسابون نسبها الى اليمن ، ولم يرد أسمها في النصوص العربية الجنوبية ، مع أنها كانت من القبائل البارزة التي كان لها شأن مهم في سياسة القرنين الخامس والسادس للميلاد . وأما كلمة « دا » ، فأسم قبيلة أخرى كان أبرهة قد عين « يزيد بن كبشة » أميراً عليها مع كندة . ويظن أنها القبيلة التي ورد أسمها في النص الوسوم بـ « Osiander 22 » المحفوظ في المتحف البريطاني [١]

وجملة « خلفهمو ذستخلفو على كدت » الواردة بعد أسم « يزيد بن كبشة » ، تعني « خليفته الذي أستخلف على كندة » ، و « ذ » في العربية الجنوبية أسم موصول بمعنى « الذي » وأما « على » ، فهو حرف جرّ كما هو في عربيتنا ، وهو يقابل حرف « عل al' » في العبرانية و « لاعله » في الحبشية وقد ورد على هذه الصورة « علهي » في بعض الأحيان ، غير أن ذلك في مواضع قليلة من النصوص [٢]. ويلاحظ أن جملة « كن لهو خلفتن وقسد » الواردة في السطرين الثاني عشر والثالث عشر من النص ، قد كتبت على نمط العربية الشمالية ، فهي في عربيتنا « كان له خليفة وقاسد » ، والقاسد بمعنى قائد ، وأستعمال « كان له » من الأستعمالات المتأخرة التي لا ترد في النصوص القديمة

وأما كلمة « عمهو » ، فان الحرفين الأولين منها ، أعني « عم » ، هما حرفا جرّ بمعنى « مع » . ويرد على شكل « عمن » أيضاً ويقابل حرف « عِمْ im' » في العبرانية وقد يرد مسبوقاً بالباء ، فيكتب « بعم » ، وذلك في عقود البيوع بوجه خاص [٣] .

وكلمة « كاس » في آخر السطر الثامن عشر وأوائل السطر التاسع عشر تعني « أرسل » ، ومن معانيها في لهجتنا المشي [٤] . وأما « جره ذزبنر » ، فأسم القائد الذي أرسله أبرهة لإخماد حركة « يزيد بن كبشة » وكان من الأذواء ، وأسمه « جره » « جراه » ، ولقبه « ذو زبنر » « ذو زبنار » ، أرسله قائداً ، وجعل إقليم المشرق « مشرقن » تحت إمرته . وتعني كلمة « هرج »

(١) Glaser, Zwei, S. 43.
(٢) M. Hofner, Alt. Gra., S. 151.
(٣) M. Hofner, S. 162.
(٤) تاج العروس (٢٣٦/٤) « كاس »

المكونة لـ « هرجو » في السطر العشرين القتلَ والهزيمة [1] وهي بهذا المعنى في لهجة القرآن الكريم [2] .

وأما « سحت » ، فقد ترجمها « كلاسر » بـ « هدم [3] » ، ومن معاني الكلمة في لهجتنا : الاكتساح والإهلاك والاستئصال والهدر والذبح [4] ولكل هذه المعاني صلة بهذه الكلمة الواردة في النص

وتعني كلمة « مصنعت » الحصن ، وبهذا المعنى وردت في اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم [5] والحصن الذي هدم وخرب في هذه الحرب ، هو حصن « كدر » « كدار » .

وأما جملة « ويزد جمع ذهطع هو بن كدت » ، فهي تعني « ويزيد جمع الذين أطاعوه من كندة » و « بن » هي « من » الجارّة في عربيتنا وأما « ذ » ، فهي أسم موصول بمعنى « الذي » و « الذين » و « هطع » بمعنى أطاع وأما « هو » ، فضمير يعبر عنه « هم » يستعمل في نهاية الفعل الدال على الجمع .

وأما في جملة « وأخذ مزنم هجن اذمرين وعد عبرن » ، فذهب بعض الباحثين الى أن « مزنم » بمعنى « مازن » « مزن » أي أسم علم [6] وذهب « كلاسر » الى أنها « هزنم » ، أي « هزيمة [7] » وأما « هجن اذمرين » ، فاسم علم ، هو هجان من بني أذمر ، أو من أذمر . وأما كلمة « عد » ، فهي حرف جرّ ، يمنى « عدا » و « حتى » و « الى » في لهجتنا . وأما « عبرن » ، فاسم موضع هو « عبران » .

ومعنى « وصحهمو » في جملة « ووصحهمو صرخن وشت » : « بلغ » . وأما « صرخن » ، فتعني « الصراخ » ومعناها « وبلغ الصراخ »

---

(١) المختصر (ص ٣٠) ، « ذبح » النص ٩ السطر الثاني من الكتابة المدونة في الصفحة (١٣) من كتاب : « نشر نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب وشرحها » للدكتور خليل يحي نامي

(٢) تاج العروس (١١٥/٢) (٣) Glaser, Zwei S. 44.

(٤) تاج العروس (٥٥١/١ وما بعدها)

(٥) بني زياد لذكر الله مصنعة من الحجارة لم ترفع من الطين

تاج العروس (٤٢٢/٥)

(٦) cis, IV, II, III, P, 288,. (٧) Glaser, Zwei, S. 44.

وأما جملة « بورخ ذقى ن ذ لسبعمت وخمسى وســت ما تم » ، فتعني « بشهر ذي قيات من سنة سبع وخمسين وست مئة » ، وكلمة « ورخ » تعني « الشهر » في اللهجات العربية الجنوبية . وقد كان العرب الجنوبيون يؤرخون بالشهور ، ولـكل شهر أسم خاص . وقد وصلت الينا أسماء كثير من الشهور ، بعضها قدعة هجرت فأُستعيض عنها بشهور حديثة ، وبعضها أسماء لشهر واحد كما عرفت عند مختلف القبائل

ولم يكن العرب الجنوبيون يؤرخون بتقويم معين ، بل كانوا يؤرخون بأيام الملوك وسادات القوم ، ويسمون الشهور بأسمائها فيقولون في شهر كذا من سني فلان . وقـد أوجد لهم ولنـا هذا النوع من التأريخ مشـكلات لا تحصى ، اذ أُضطروا الى تغيير تقويمهم عند وفاة كل ملك أو سيد أرخوا بحياته دامو على ذلك حتى سنة ١١٥ قبل الميلاد ، وهي سنة تأسيس حـكومة « سبأ وذي ريدان » ، فاتخذوا هذه السنة مبدءاً لتقويمهم ، وصاروا يؤرخون منذ ذلك الحين بها الى ظهور الإسلام وقد أرخ الحبش بهذا التقويم أيضاً كما ترى في هذا النص

وكلمة « شتا » الواردة في أول الســـطر (٢٨) تعني أبتدأ وشرع في شي. وأما لفظة « مقلى سبا » ، فتعني التوغل الى داخل سبأ . وأما « شامو » ، فتعني ساروا ، تقدموا . وأما « عدى » ، فحرف جر بمعنى « حتى »

وبعد ، فاني أجتزىء بما سردت من معاني هـذا النص ، على سبيل التمثيل ، خشية إملال القارىء ، وأشرع في إيراد النص بلهجتنا ، وعندئذ سيكون من السهل على المطالع تعقب معاني الـكلمات وفهمها ، على أن أشرح بعد ذلك مضمون هذه الـكتابة المهمة ، والحوادث التي أُشيرَ اليها فيما بعد :

بحول الرحمان وردئه ورحمته ، ومسيحه وروح القدس ، سطروا هذه الـكتابة [1]

إن أبرهة مفوض ملك الجعز رمحز زبيمان ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن وأعرابها في المضاب والتهائم ، أمر بتدوين هذه الـكتابة عندما تجبر وتمرد يزيد بن كبشة خليفته الذي أُستخلفه على كدة « كندة » ودا — لقد كان خليفته وقاسده « قائده » على القبيلتين —

(١) « ذن مسـندن » : في أصل النص ، ومعناها هـــذه الـكتابة ، لأن كلمة « مســـند » تعني « الـكتابة » في العربية الجنوبية

ومعه « أي مع يزيد » أقيال سبأ السحاريون : مرة وثمامة وحنش ومرثد وحنيف وذو خليل ، وكذلك آل أأزن : الأقيال معد يكرب بن سميفع وهمان وإخونه بنو أسلم فأرسل أبرهة عليه « الجراه ذو زنبور » بأن جمله القائد على المشرق ولكنه « أي يزيد » هزمه ، وأكتسح حصن « كدر » ، وجمع كل الذين أطاعوه من « كندة » كدت وحرب « حريب » حضرموت ، وأخذ « مازن هجان الأذمري » على غرة حتى أوصله في فراره الى « عبران »

فبلغ أبرهة « الصراخ » النبأ [1] ، فنهض وجمع جيوشه الحبش بآلاف ، وذلك في شهر ذي القباط لسبعة وخمسين وست مئة ، وذهب بهم ، حتى ورد أودية سبأ ، ثم تياسروا من صرواح الى « نبط » حتى « عبران »

ولما وصلوا الى « نبط » ، وضع أبرهة نفسه على قوة « كدر » المؤلفة من أهل « الو » و « لد » و « حمير » ، وخلف « عتين » نائبين عنه عليهم ، هما : وطه « وطاه » ، وعودة من ذي جدن وعندئذ وصل اليهم يزيد في نبط ، ومد يده [2] أمام قواد الجيش طائعاً مستسلماً .

وبينما هم كذلك اذا بصراخ من سبأ يبلغهم نبأ كارثة السد والجدار والحوض ومضرفة ذي أفان في شهر ذي الذرح من السنة السابعة (٦٥٧) وبعد أن وافق أبرهة على أستسلام يزيد ، أرسلوا الى « ردفان » بخبر العفو عنه لإبلاغه أعراب سادات « دا » .

وبعد أن توصلوا الى اتفاق ، أرسل « أبرهة » ذاردنان لينقل النبأ الى أعراب سادات « دا » الذين كانوا قد جاؤوا مع يزيد وقد مد كلهم أيديهم طاعة واستسلاماً ، ووضعوا رهائنهم بمدينة مأرب .

أما القواد الذين أمروا بالذهاب الى « كدار » ، فقد حاربوا الأقيال الذين كانوا قد أعتصموا بمواضعهم ، ولم يستسلموا بالرغم من أستسلام يزيد .

وأصدر الملك أمره عندئذ الى القبائل ، لجمع مواد البناء ووضعها في الأساس وجمع الصخر الأحمر والخشب والحجارة البيض والمواد المنصهرة ، لترميم السد والجدار والثلم التي حدثت

(١) في النص « صرخن » ، أي الصراخ (٢) بمعنى استسلم

مأرب . وكان ذلك في شهر ذي صربان من السنة السابعة[1]

وبعد أن أبلغ الأعراب الأمر ، ذهبوا الى مدينة مأرب ، وقدسوا بيعها وكان بها قس يقوم بخدمها ، وتوجه منها الى السدّ حيث حفروا حتى وصلوا الى أسسه ، فرفعوا عليه القواعد ليقوم عليها السدّ . وبينا هم في عملهم هذا يقومون ببناء أسس الجدر ، إذا بالقبائل وأهل المدينة يتضايقون وينفرون من العمل ولما رأوا أن ذلك سيضني القبائل ، أذنوا لحبشهم ولحيرهم بالانصراف

وبعد أن أذنوا للقبائل بالانصراف ، وردوا على الأقيال السادات الذين كانوا قد تحصنوا بـ « كدار » وعندئذ وصل الملك مع الجيوش التي كانت قد أمرت بمحاربة المتمردين ، ومدّ المتمردون أيديهم طاعة واستسلاماً ومنه ذهب الملك الى مدينة « مأرب » من السد

والأقيال الذين كانوا في طاعته وخدمته ، هم : أكسوم ، وذو معاصر ابن الملك ، ومرجزف ذو ذرع ، وعدل « عادل » ذو فيش « فائش » ، وذو شولان ، وذو شعبان ، وذو رعين ، وذو همدان ، وذو كلمان « ذو الكلاع » ، وذو مهدم ، وذو ثات ، وعلسم « علس » ذويزأن « ذويزن » ، وذو ذبيان ، وكبير حضرموت ، وذو قرنث

ووصل اليه مبعوث[2] النجاشي ، ومبعوث ملك الروم ، وموفد[3] ملك فارس ، ورسول المنذر ، ورسول الحارث بن جبلة ، ورسول أبي كرب بن جبلة ، وكذلك كل الذين أرادوا

---

(١) السنة ٦٥٧ من التقويم الحميري

(٢) « محشكت » وقد أطلق الكاتب على مبعوث النجاشي وقيصر الروم كلمة خاصة هي « محشكت » ، لتميزه عن مبعوث كسرى والأمراء العرب ومعنى « محشكت » في العربية الجنوبية الزوجة ، وكان لاستعمال هذه اللفظة في هذا المعنى أهمية خاصة ، إنها تشير الى الود والصلات الوثيقة التي كانت تربط بين أبرهة والحبشة والروم

(٣) استعمل النص لفظة « تنبلت » لمبعوث ملك الفرس ، علامة فارقة تميز بين لفظة « محشكت » و « رسل » أي « رسول » التي استعملها النص لمبعوث الأمراء فهي اذن أقل درجة في العرف « الدبلوماسي » لذلك العهد من « محشكت » ، وأعلى درجة من منزلة « رسول »

ويلاحظ أن العرب الجنوبيين كانوا يطلقون لفظة « ملك » على ملك الروم والفرس ، ولم يستعملوا لفظة قيصر لملك الروم خاصة ، وكسرى لملك الفرس ، كما جرت العادة بذلك عند العرب الشماليين

ودّنا بحمد الرحمان

وقد ردّوا القبائل عن الأجل الذي ضرب لهـا الى أجل آخر ، حتى إذا ما حان الموعد وصلت « عادت » اليهم في مدة ذو دَوْ آن الآخر ، وقدمت لهم البُرّ الذي كان عليها تقدمه وأصلحوا ما كان قد تصدع في السور . قام بذلك يعفور . في سبأ . وكذلك الأقيال الذين كانوا مع الملك وناصروه وقد تناول الإصلاح السور من أساسه حتى أعلاه [1] .

وبلغ ما أصلح وما رمم وما جدد من السور بمساعدة القبائل خمساً وأربعين « أمماً [2] » طولا [3] . وخمسة وثلاثين أمماً أرتفاعاً [4] ، وأربعة عشر أمماً عرضاً « رحبة » [5] : كل ذلك بصخور حُمُر ، وأعادوا بناء السد ، وأكملوا المجرى ، وبنوا قنوات المياه في « خبشم » ، غير مباني صدور « مفلول »

وبلغ ما صرفوه وأنفقوه على الأعمال من اليوم الذي بدأوا به لغزوهم وتقديس البيعة « الكنيسة » وبناء السد والجدار (٥٠٨٠٦) كيلة من الدقيق ، و ٢٦٠٠٠ كيلة تمر ، تقدمة من « يدع ايل » و ٣٠٠٠ طبيخة من ذبيحة وبقر من الماشية الصغيرة ، و ٢٠٠٧ رأس ، و ٣٠٠ حمل بعير من شراب الغريب [6] والزبيب [7] ، و ١١٠٠٠ كيلة « الـ حلب » من نبيذ [8] التمر .

وأكملوا البناء في ثمانية . . وخمسين يوماً ، و بشهر ذي معان من سنة ثمان وخمسين وست مئة .

---

(١) « شقرم » أي « أعلى »
(٢) « أمم » : المقياس الذي كان يستعمل في اليمن في ذلك العهد في البناء
(٣) « طولم » ، أي « طولا » (٤) « رعيم » أي ارتفاعاً
(٥) « رحبم » أي « رحب » بمعنى العرض
(٦) « عزبم » ، « الغريب بالكسر ضرب من العنب بالطائف شديد السواد وهو من أجود العنب وأرقه وأشده سواداً » ، تاج العروس (١/٤١٠)
(٧) في الأصل « وفصيم » أي « وفصيم »
(٨) « سقيم » أي « سقي » في الأصل ، ويراد بذلك النبيذ والشراب

فالأحداث الخطيرة التي ذكرها أبرهة في نصه : ثورة يزيد بن كبشة ، وتصدع سد مأرب ، وقيام الأقيال عليه ، هي التي حملته على تدوين هذه الكتابة على جدار السد وقد تمكن هذا الحاكم الحبشي الذي أنفرد بنفسه بحكم اليمن ولقب نفسه بلقب « ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت واليمن وأعرابها في الهضاب وفي التهائم » ، اللقب الرسمي للتبابعة ، من الظفر بأعدائه ومن قهرهم والظاهر أنه كان « شخصية » قوية جداً ، وأنه كان قد ألقى الرعب في نفوس الحبش واليمانين ، بدليل عجز النجاشي عن خلعه ، وأستقلاله في اليمن ، وبدليل خضوع اليمانين له وما تركه في مخيلتهم من أثر نراه في هذا القصص وهذه الأساطير التي يقصها الأخباريون عنه

وهذه الكتابة ، نص مهم للباحثين في تطور اللغة العربية ولهجاتها ، وأنموذج لا يشبه الأنموذجات التي تقدمها كتب الشعر أو الأدب ؛ لأن ما تقدمه هذه الموارد لنا مدون في الإسلام ، فليس لها قيمة النصوص الجاهلية الأصيلة ، المدونه قبل الإسلام ثم هي بلهجة قلما كان للعلماء الاسلاميين علم واضح بها ، فهي من هذه الناحية إذن الموارد التي يجب أن يبحث عنها من يريد معرفة تطور اللغة العربية ، ومعرفة لهجات العرب قبل الإسلام

جواد علي

الكلمات العربية الشائعة
في اللغة الانكليزية[1]

ـ ٧٤ ـ COFFE	منقوع حبّ شجرة البنّ المحمص والمدقوق دقاً ناعماً في الماء المغلي اسبانية : (نجدها في جميع اللغات الأوربية) « قَهْوة » وهي مولدة . (القهوة : الخمر ، اللبن المحض) [2]
ـ ٧٥ ـ COLCOTHAR	بيروكسيد الحديد الأحمر الخام (الزاج الأحمر) . « قُلْقُطار ، قَلْقَطار »
ـ ٧٦ ـ COTTON	« القطن » . فرنسية واسبانية وهولندية الخ
ـ ٧٧ ـ COUSCOSOU, COUSCOUS	طعام مغربي أو عربي يصنع من دقيق الذرة المطحونة طحناً خشناً والمقشورة بعد القلي . فرنسية : Couscous . « كُسْكُس » (المنجد : هو طعام يعمل من الدقيق . الكَسّ هو الدقّ الشديد كا الكسكسة : المحيط)
ـ ٧٨ ـ CRIMSON	الأحمر الشديد الغامق صبغ يستحصل من الإناث المجففة لحشرات حمر تكثر على شجر البلوط في الشرق . القرمز المعدني . ثياب حمر Cramoisy . قرمزي (نسبة) Caramine . فرنسية :

(١) تابع المنشور في المجلد الثالث (٣٨٥ — ٤٠٤)

(٢) الكسائي : القهوة هي الخمر التي تقهي شاربها ، أي تذهب بشهوة طعامه وقد ورد أول ذكر للقهوة في أوربة سنة ١٠٨٣ م ، ذكرها راوولف Rawolff في رحلته الى الشرق

Cremésin, Caremesin, Kermes : إسبانية Kermes
Alquermes, Quermes,

« قِرْمِز قِرْمِزيّ » (قِرْمِس : آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ابن حوقل : صورة الأرض ص ٣٢٨)
والثياب الحمر هي : Cromoisy .

– ٧٩ – CUBEB
حبوب سود تؤخذ من شجيرة في جاوة ، يستفاد منها كأفاويه
فرنسية : Cubebe
« كَبَابَة » (المحيط ١/١٢١ : دواء صيني)

– ٨٠ – CUFIC KUFIC
الكتابة الكوفية العربية أيّ كتابة أو زخرف عربي يمت الى هذا الفنّ اسبانية : Cufico
« كوفيّ » نسبة الى مدينة الكوفة

– ٨١ – CURCUMA
وهو الزعفران الملك (نبات زنجبيلي)
« كُرْكُم » ابن سينا – قَرْقُوما (في الحديث : تغير وجه جبريل حتى عاد كأنه كركمة)

– ٨٢ – DAMAS (K)
1- DAMASCEN, DAMASKEEN
١ — زخرف على المعدن بتكفيت ذهبي أو فضي (كانت هذه الصناعة قد أحتكرها فنانو دمشق أيام السلاطين !) .

2- DAMASK
حرير أو كتان ذو زخارف نافرة منه كالهدب . حديد مصنوع في دمشق . لون زهرة دمشقية

3- DAMASKIN
سيف دمشقي

4- DAMASSIN
نوع من الثياب الدمشقية موشاة بأزهار مصنوعة من أسلاك الذهب والفضة .

5- DAMSON

إجّاص حامض ، أو مزّ ، ينبت في نواحي دمشـــق (الإجاص الدمشقي[1])

الفرنسية : Damas - Damassei, Damasquener . (والأخير هو الترصيع على الطريقة الدمشقية) الإيطالية : Damasco .

« دِمشقيّ . دمشق دِمشقيّـاب » تصحيفه : دِمَقس ، دِمْقاس الدَّقْمُس (للنسيج منه فقط)

ـ ٨٣ ـ DIMITIES, DIMITY

نسيج محكم قوي ، يحاك كالسجاد ، نافر الخيوط ، ذو أشكال هندسية ونباتية وسهاويل ، يستعمل للتعليق على الجدران ، أو عثابة ستائر في غرف النوم لاتينية متأخرة : Dimitum.

« دمياطيّ » نسبة الى مدينة دمياط المصرية التي اشهرت بصنعه في ما بين القرنين العاشر والثالث عشر الميلادي[2] . (الخطط المقريزي ص ٩٦)

ـ ٨٤ ـ DIVAN

مجلس دولة (شـرقي) . أيّ مجلس أستشاري . بلاط إسبـانية : Divon

مقعد طويل له متكأ يوضع مستنداً الى جدار أريكة . غرفة تدخين (في بيت فرنجي) . دكان لبيع لفائف التبغ

« ديوان » ـ أنظر الـكلمة المرقة ٨٦ فارسـية جمعها دِيو (ديولن) ومعناها الجِـنّ .

---

(١) يعرف باللاتينية : Prumus Damascenum

(٢) ذكر بعض اللغويين أنها من لفظة (Mitos) اليونانية ، ومعناها (خيط) .

– ٨٥ – DOUM, DOOM (Palm)	نوع من النخيل (ينبت في إفريقية) . اسمه العلمي Hypheue Thelrica ثمره طيب ، ذو جذع واحد منشطر الى أغصان مزدوجة الفروع . « دَوْم دُوْم » (استخرج هذه الكلمة في أيّ معجم عربي)
– ٨٦ – DOUANCE, DOUNC, DAUANE	دائرة كمرك (في القارة الأوربية خاصّة) فرنسية : doume ايطالية ، اسبانية : Aduana ومعناها الكمرك . (droit de dauàne) بالفرنسية وتعني المكس أو التصريحة الكمركية « دِيوان » من دوّن (أساس البلاغة : دوّن الكتب جمعها ديوان الحساب)
– ٨٧ – DRUB (اسم وفعل) (DRUBBING)	ضرب (في أثناء عراك) لكم . خبط . هاجم . جلد (بالعصا) . « ضَرَبَ » ضَرْباً – الفعل أو المصدر –
– ٨٨ – DURBA, DHURA, DURA	دخن هندي « ذرة » (المخصص : ويسمى الجاروس الهندي ٢ / ٦٣)
– ٨٩ – ELIXIR	مركب كيمياوي له قابلية تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب . السائل الذي يديم الحياة . رأس الأدوية . (اللفظ نفسه شائع في جميع اللغات) . « الإكسير » لعلّه من الكلمة اليونانية (Xerion) قال الشاعر : أكسير فسقٍ كلّ بمفرده مركب من مدبر فاسد

(١) ومنها جاء (دومة الجندل) .

(٢) وهي عربية من دون الكلمة ، أي ضبطها وقدرها ، لأن الديوان موضع تضبط فيه أحوال الناس وتدون

- ٩٠ - EMERALD	حجر كريم شفاف ، مصدره الجزر الشرقية ، وأجوده أميله الى الخضرة ، ومنه جاء اللون المعروف بالزمردي emeraldine . لاتينية متأخرة : Smeralda . اسبانية : Asmerra « زَمَرْجَد زَمَرْجَدة » ويقال أيضاً (الزُّمُرُّدَج) (يونانية من الفارسية Smaragdos) .
- ٩١ - ESCHALOT, SHALLOT	نبات بصليّ في أفلاذه الشبيهة بأفلاذ (الثوم) حدّة قليلة مقبولة ورائحة طيبة نوعاً ما فرنسية : Eschalot لاتينية متأخرة : Escalonia ، ومنها جاء مرادفه اللاتيني allium escalonia ومعناها : الثوم العسقلاني من « عَسْقَلان » المدينة المعروفة
- ٩٢ - FAKIR, FAQUIR	متصوف زاهد متعبد هندي ، أو ناسك هندي اسبانية : Faquir « فقير » .
- ٩٣ - FENNEC	ثعلب إفريقي ، يكثر في شبه الجزيرة العربية ، صغير الجســم ، كبير الأذنين ، من الفصيلة المعروفة علمياً بـ conis zerda « فنك فنك » (فقه اللغة ٣١٧ ، المحيط ٣ / ٣١٦) .
- ٩٤ - FRET (FRETTED)	حدّ أو فاصل مثبت في لوح درجة في دستان [1] من دساتين الآلات الموسيقية لتنظيم اخراج الطبقات والأنغام بضغط نهاية الأوتار بالأصابع

(١) أنظر تحقيق معناه في تعليقات الأستاذ محمد بهجة الأثري على كتاب النغم لابن المنجم المنشور في المجلد الأول من هذه المجلة

عند الحدود المرسومة . فرنسية Fret (والمعنى الفرنسي أقرب تحسساً الى الأصل العربي ، فهو : بدل louage d'un navire . بدل ايجار مركب . أو جعل . أو فريضة نول نولون . تعابير أخرى فرنسية : (.Freter, Freteur, Prix du Fret, etc) اسبانية : Farda .

« فَرْضَة فَرِيضَة » .

ـ ٩٥ ـ
GALINGALE, GALINGAL

عرق عطري من نبات شرقي أسمه (alpinia afficinar) .

اسبانية : Galange .

« خَلَنجْة خُولَنْجَان خلَنجْ » معربة (عرق الخلجنة . ابن سينا) أصلها سنسكريتي [١] (فقه اللغة ٣١٨)

ـ ٩٦ ـ
GARBLE
(اسم وفعل)

فصل الدقيق الناعم عن الخشن فصل الجيد عن النفاية . خدمة أحدهم غرضاً له بتقرير وقائع مشوهة تزييف الحقائق

ايطالية : Garbellare لاتينية متأخرة : Cribellum من Cribrum وهو الغربال .

« غَرْبَل . غِرْبَال » [٢] وهو فارسي معرب « كربال » .

ـ ٩٧ ـ
GARROT, GARROTTE

هي الطريقة التي كانت تتبع في القرون الوسطى لتنفيذ أحكام الموت في الأشراف والنبلاء بخنق المحكوم بحبل مفتول على عصا . أيّ قتل يتم بالخنق على هذه الشاكلة .

---

(١) وليس كما ذهب اليه صاحب « الألفاظ الفارسية المعربة » بيروت ١٩٠٨ م

(٢) قال الشاعر : أغربالا اذا استودعت سراً وكانوناً على المتحدثينا ؟
وأصلها فارسي « كربال » .

اسبانية : Garrotta : فرنسية : Gorrot Garroter (ومعناها أقرب الى أصلها : ربط بالحبل صفّد) .
« جَرّ جَرّوه » (أنظر تعليق آدم متز على هذه اللفظة في الحضارة الإسلامية) .

ـ ٩٨ ـ GAUZE (GAUZINESS)

قماش حريري شفّاف جداً . فرنسية : Gaze اسبانية Gaza
« خَزّ » (من القـر والقَـهْز والقُـهزى [١] ـ المخصص ٤ / ٦٨)

ـ ٩٩ ـ GENET

جنس من القطط ذو رائحة طيبة فرنسية : Genete .
عربية « جَرْنيط غَرْنيط » (المخصص ١٢ / ٩٦ وغيره)

ـ١٠٠ـ GIRAFF

حيواني افريقي معروف فرنسية : Girafe . اسبانية : Azorafa .
« زرافة ج زَرَافي » من الفارسية زَرْنَايَه .

ـ١٠١ـ GUITAR, QUITAR

آلة طرب وترية اسبانية : Quitarra , Quitara
« قِيثار قِيثارة » معربة عن اليونانية (يرى فارمر أنها من كلمة « قِطار » العربية) [٢]

ـ١٠٢ـ HENNA

خضاب أحمر معروف . نبات الحناء . فرنسية : Henne
« حِنّاء » فقه اللغة العربية وغيره

---

(١) من قبيل المصادفات التوافقية لفظه (كز) الطردية ، وهو المرعز شفاء الغليل : الجوهري ـ القز من الإبريسم ما فتل منه ، معرب

(٢) فارمر (سنة ١٩٢٦) Arabian Influence on musical Theory

ـ١٠٣ـ HOOKAH	هي الناركيلة المعروفة لدينا (تلفظ بإهمال حرف الهاء) . « حُـقَّـة » فقه اللغة وغيره (مؤنث حق وهي الصندوقة ، أو العلبة) .
ـ١٠٤ـ JAR	إناء خزفي إناء حجري أو زجاجي بقبضة أو بدونها ، ويكون عادة أسطواني الهيأة فرنسية : Jarre . اسبانية : Jarra « جَرَّة » معربة عن كره (فارسية) : الهمذاني ١٥٧ : « وحباب وجرار ملأى »
ـ١٠٥ـ JASMIN, JESSAMENE	نبات ذو زهر أبيض أو أصفر عطري الرائحة ، يستخلص منه دهن يعرف بإسمه اسبانية : Jazmin . « ياسمين » (فقه اللغة ٣١٨ : مولدة)
ـ١٠٦ـ JERBOA	حيوان صغير (بحجم الفأر) يعيش في الصحراء ، أرجله الخلفية طويلة تعينه على القفز العظيم أسبانية : Jerbo فرنسية : Gerboise . « جَرْبُوع يَرْبُوع »
ـ١٠٧ـ JULEBE	جرعة دوائية حلوة أو مسكّرة لتلطيف مرارة الدواء اسبانية : Julepe برتغالية : Julého ايطالية : Guilebbo . « جُلاب » فارسية ، أصلها كل آب ، كل : ورد ، آب : ماء . (شفاء العليل) ابن بطوطة : « ويؤتى بأقداح مملوءة بماء النبات ، وهو الجلاب ، ويسمون ذلك الشربة ... »
ـ١٠٨ـ KAVASS	شرطي أو حارس مسلح ساع تركيّ تركية : قوّاص

« قوّاس » (حامل القوس)

-١٠٩-
LEMON
(LIME)
(LEMONADE)

وهو الفاكهة المعروفة فرنسية : Limon . برتغالية : Lima . اسبانية : Limon .
« لَيْمُون » معربة عن الفارسية (ليمون) ، ولَيْمو (بإسقاط النون) ، وليم أيضاً
القدسي : « وخصائصهم ليموهم ، وهي ثمرة مثل المشمش حامضة جداً » .

-١١٠-
LOGARITHM

جدول رياضي يستخدم لاختصار عمليات الحساب الطويلة ، فيساعد الحاسب على الجمع والطرح والضرب والقسمة بعمليتي الجمع والطرح فقط .
« خوَرازم » نسبة الى (الخوارزمي الحاسب) وقد مرّ ذكره .
(يرجح بعض اللغويين أنها مركب يوناني من Logos : معرفة ، و arithmos أي الحساب معرفة الحساب Rogo - Rithmos) .

-١١١-
LUTE

المزهر آلة وترية شبيهة بالقيثار شاعت لدى الأوربيين فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر .
فرنسية : Luth . أسبانية : Laud .
« عود » وهي آلة موسيقية عربية معروفة .

-١١٢-
MACABRE

رقص الموت . مخيف فظيع . مميت .
اسبانيـة : Almocaber, Macabra , Macabro (ومعناها مقابر) . فرنسية Macabre . برتغالية Almocavro .
« مَقابر . مَقبرَة » .

-١١٣-
MAGAZINE

مستودع حربي للأعتدة والذخائر . مستودع البارود في سفينة حجرة الطلقات في أي سلاح ناري . نشرة دورية تحتوي على عدة مقالات بأقلام كتاب متعددين فرنسية : **Magasin** اسبانية : **Magzin , Magacen** ايطالية : **Magazzino** .

« مخزن مخازن »

-١١٤-
MAHLEB

وهو كرز (**Cherry**) غامق اللون ، تستخرج منه عدة أصباغ ، كما يعمل منه مشروبات روحية .

« محلب »

-١١٥-
MARABOUT

متصوف . مزار لأولياء المسلمين . وليّ .
فرنسية . أسبانية : **Marabete** (نسبها : **Marabito**)
« مربط مرابط » .

-١١٦-
MARAVEDI

عملة اسبانية كانت قبلاً من الذهب . أمّا الآن ، فتطلق على عملة نحاسية قيمها لاتتعدى الفلسين .أسبانية : **Maravide**
« مرابطية » (نسبة الى المرابطين الذين حكموا اسبانية العربية في القرنين ١١ و ١٢)

-١١٧-
MASQUARADE

حفلة تنكرية شائعة في كل أرجاء أوربة ، يرتدي فيها المحتفلون أزياء مضحكة ، ويغطون أوجههم بالأقنعة
فرنسية : **Mascuarade** . ايطالية : **Mascherata** أسبانية : **Mascara** .

« مسخرة مساخر » .

و Mascara : مستحضر للصبغ والتجميل وتزجيج أهداب العين .

-١١٨- MONSOON
ريح يكثر هبوبها في جنوب آسية ، وخاصة في أرجاء المحيط الهندي ، تهب من الجنوب الغربي صيفاً وتكون مشبعة بالرطوبة ، ومن الشمال الشرقي شتاء وتكون جافة موسم كثير المطر . رياح ذات مواسم وأوقات مرسومة هولندية : Monesoen . برتغالية : Moncao . اسبانية : Mouzon .

« موسم ، رياح موسمية » (من وسم : أي علّم)

-١١٩- MORRIS (Dance) MOORISH
رقص تقليديّ انكليزيّ ، يرتدي فيه الراقصون ثياباً على طراز (روبن هود) ، زاهية مزركشة ذات أهداب ، والراجح أنه رقص اسباني أخذ عن المغاربة (moors, moorish) أي رقص مغربي .
« مغربي » نسبة الى بلاد المغرب (أنظر « فارمر » : تأثير الموسيقي العربية)

-١٢٠- MOSQUE
فرنسية : mosquee . اسبانية : mezquito
« مَسجد »

-١٢١- MUMMY
فرنسية : momie . اسبانية : momia . لاتينية متأخرة : mumia .
« مُومياء » من موم ، وهو الزفت المعدني أو القير[1] .

-١٢٢- MOZARAB
المسيحيون الذين خضعوا لحكم العرب ثم للمغاربة في أسبانية ، وتخلقوا بأخلاقهم وأندمجوا معهم حتى دخلوا في دينهم . أسبانية : mozarabe.

(١) الاصطخري (١٥٠) موميا وموم ابن البيطار : (الموميا القبوري ، وهي موجودة بمصر كثيراً ، وهو خلط كانت الروم قديماً تلطخ بـه موتاهم حتى تحفظ أجسادهم بحالها ولا تتغير

« مُستعربة »

-١٢٣- MUSK

عطر يوخذ من غدة غزال ذكر . نبات ذو عطر شبيه بما تقدم فرنسية : musc . لاتينية : muscus

« مِسك » (يرى بعضهم أنها أخذت من السنسكريتية- مسكا - وهي لغة الأصل [1])

-١٢٤- MUSLIN

نوع من الأقمشة الشفافة التي تتخذها السيدات لثياب الحفلات . منتاز شفافة ثمينة قماش الموسلين الشائع فرنسية : mousseline. أسبانية : mussolina ايطالية : Mussolina من كلمة Mussolo وهو الشكل الذي كان يكتب الطليان به أسم مدينة (الموصل) مصدر تلك السلعة آنذاك

(ذكرها ماركوبولو في رحلاته الى الشرق) عند كلامه على مدينة الموصل

« موصليّ موصليّة)

-١٢٥- NABOB NAWAB (تاريخيا)

الحاكم أو العامل الإسلامي تحت حكم المغول الرجل الغني المترف (خاصة العائد من الشرق بثروة) أسبانية : Nabab .. .

« نوّاب نائب »

(للبحث صلة) جرجيس فتح الله

---

(١) قال الشاعر :

تضوع مسكاً بطن نعمان أن بدت به وردة في سوسن وقطاف

الدينار الاسلامي

لملوك الطوائف والمتغلبة على الدولة العباسية

الدينار الأتابكي The Atabeg's Dinar

تكلمنا على الدينار الأموي والعباسي وملوك الطوائف والمتغلبة على الدولة العباسية في كل جزء ثان من السنوات الثلاث الأولى والجزء الأول والثاني من السنة الخامسة والجزء الأول والثاني من السنة العاشرة والجزء الأول والثاني من السنة الحادية عشرة من مجلة سومر .

ونتكلم الآن على الدينار الزنكي لأتابكة الموصل . Benee Zangee

أتابكة الموصل The Atabegs of Musil.

٥٢١ ـ ٦٦٠ هـ = ١١٢٦ ـ ١٢٦٢ م 521-660 ah 1126 1262 ad.

ضرب الدينار الأتابكي على طراز الدينار العباسي المتأخر في زيادة الوزن وسعة القطر ، عدا بعض الفروق في النصوص .

١ ـ عماد الدين زنكي بن آق سنقر . 1 Imad al-din Zangi ibn Aksunkur,

٥٢١ — ٥٤١ هـ = ١١٢٦ — ١١٤٦ م 521-541 ah 1127 1146 ad.

الدليل رقم ٤٢٨٨ لوح ١ I. M. No. 4288. Pl. 1

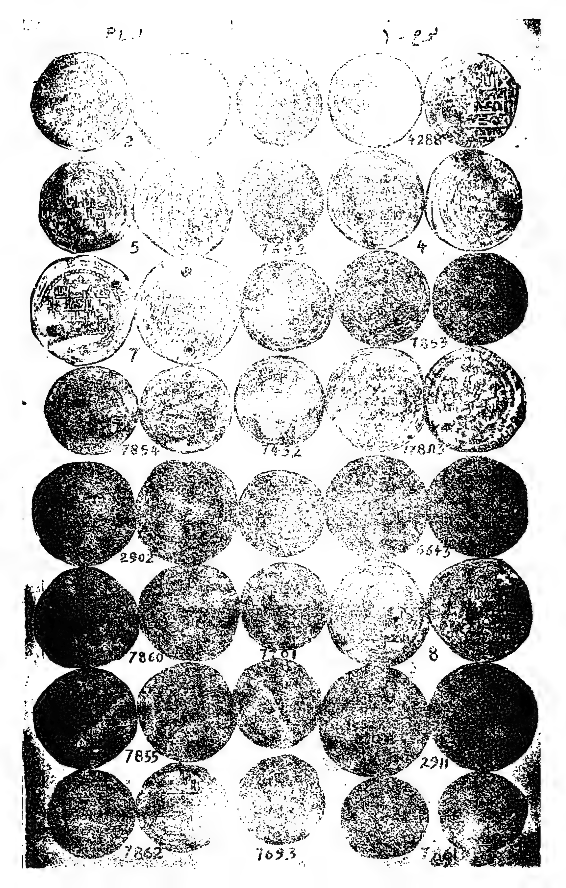
ضرب سنجاره Mint, Sinjar ah.

سنة ... Year , ··· ···

مركز الوجه Obverse, Area.

الله
لا إله إلا
المسترشد بالله
السلطان
الاعظم
سنجر

أتابك





Margin. ... ... — الدينار سنة .. — الطوق ...

Reverse, Area. — مركز القفا

سنجاره

محمد

رسول الله

السلطان

المعظم

منصور ؟

ملك شاه

Margin. ... ... — الدينار سنة .. — الطوق ...

wt. 4/103 gr. di. 25, mm. — الوزن ١٠٣ ـ ٤ غم القطر ٢٥ مم

(قد يكون هذا الدينار سلجوقياً ، ولوجود أسم المسترشد فيه فيكون تأريخه بين سنة ٥١٢ ـ ٥٢٩ ﻫ في مدة خلافة المسترشد ومحمد شاه بن ملك شاه المتوفى في ٥١١ ﻫ وسنجر شاه بن ملك شاه حكم من ٥١١ — ٥٥٢)

The Dinar may be Seljukid ?

I. M. No. 7692. pl. 1. — الدليل رقم ٧٦٩٢ لوح ١

Mint, al Musil. — ضرب بالموصل

Year 540 ah., 1145 ad. — سنة ٥٤٠ ﻫ = ١١٤٥ م

Obv. Ar. — مركز الوجه

العادل

لا إله الا الله

وحده لاشريك

له المقتفي لأمر

الله أمير

المؤمنين

ملك الامرا

النطاق — بسم الله ضرب هـذا الدينار بالموصل سنة اربعين وخمسماية — Inner Margin.

الطوق — لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله — Mar.

مركز القفا — Rev. Ar.

سنجر
محمد رسول الله
صلى الله عليه
معز الدنيا
والدين وغياث
الدنيا والدين
ومسعود

(على الجانبين: عضد الدين — الب أرسلان)

الطوق — محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون — Mar.

الوزن ٢٢٨/٢ غم القطر ٢/٢٥ مم — Wt. 2, 228 gr. Di. 25, 2 mm.

٢ – سيف الدين غازي بن زنكي — 2- Sayf al-din Ghazi ibn Zangi.

٥٤١ — ٥٤٤ هـ = ١١٤٦ — ١١٤٩ م — 541-544 ah. 1146-1149 ad.

الدليل رقم ٧٦٩٣ لوح ١ كالذي قبله — I. M. No. 7693. pl. 1. Same

ضرب بالموصل — Mint. al Musil.

سنة ٥٤١ هـ = ١١٤٦ — م — Year. 541 ah. 1146 ad.

مركز الوجه — Obv. Ar.

الأمام

لا إله إلا الله
وحده لا شريك له
المقتفي لأمر الله
أمير المؤمنين

النطـاق — بالموصل سنة إحدى وأربعين وخمسماية — Inn. Mar.

الطوق — لله الأمر الخ — Mar.

مركز القفا — Rev. Ar.

سنجر

لله

تـكرتيت (1)

ومسعود

الطوق — محمد رسول الخ — Mar.

الوزن ٠٠٩/٢ غم القطر ٢٥/٤ مم — Wt. 2/009. Di. 25,4 mm.

غير واضحة وقد تـكون سنة ٥٤٠ الى عماد الدين زنـكي — Date is obliterated it may be 540, ah. for Zangi.

---

٣ ـ قطب الدين مودود بن زنكي — 3- Kutb al-din Modud ibn Zangi

٥٤٤ — ٥٦٥ هـ = ١١٤٩ — ١١٦٩ م — 544-565 ah 1149-1169 ad.

الدليل رقم ٧٧٠١ لوح ١ كالذي قبله — I. M. No. 7701. pl. 1 Same

ضرب بالموصل — Mint. al Musil

سنة ٥٥٠ هـ = ١١٥٥ م — Year 550 ah. 1155 ad.

مركز الوجه — Obv. Ar.

مودود

الأمام
لا إله الا الله
وحده لا شريك
له المقتفي لأمر
الله أمير
المؤمنين

زنكي

النطاق — بالموصل سنة خمسين وخمساية — Inn. Mar.

الطوق — لله الأمر الخ — Mar.

(1) تـكريت

Rev. Ar. مركز القفا

لله

عضد الدين —————— ألب أرسلان

معز الدنيا

والدين سنجر

Mar. الطوق — محمد رسول — الخ

Wt. 2/994 gr. Di. 25/5 mm. الوزن ٩٩٤ ـ ٢ غم القطرة ٥ ـ ٢٥ مم

S. L. P. Vo. III, No. 497. pl. X. Same لين بول ج ٣ رقم ٤٩٧ لوح ١٠ كالذي قبله

Mint. al Musil ضرب بالموصل

Year, 557 ah. 1161 ad. سنة ٥٥٧ ﻫ = ١١٦١ م

Obv. Ar. مركز الوجه

الأمام

لا إله الا الله

وحده لاشريك له

المستنجد بالله

أمير المؤمنين

Inn. Mar. النطاق — بالموصل سـنة سبع وخمسين وخمسماية

Mar. الطوق — لله الأمر الخ

Rev. Ar. مركز القفا

مودود بن

ملك الأمرا — محمد — زنكي بن آق

رسول الله

صلى الله عليه

سنقر

الطوق — محمد رسول الخ
Mar.

الوزن ٧٣٠/٤ غم القطر ٢٧ مم
Wt. 4/730 gr. Di 27 mm.

الدليل رقم ٧٤٥٢ رقم لوح ١ كالذي قبله
I. M. No. 7452. pl. 1 Same

ضرب بالموصل
Mint. al Musil

سنة ٥٥٩ هـ = ١١٦٣ م
Year 559 ah. 1163 ad.

مركز الوجه
Obv. Ar.

الامــام
المستنجد بالله
أمير المؤمنين

النطاق بالموصل سنة تسع وخمسين وخمسماية
Inn. Mar.

الطوق — لله الامر الخ
Mar.

مركز القفا
Rev. Ar.

لله

الطوق — رسول الخ
Mar.

الوزن ٧١٨/٩ غم القطر ٢٥/٩ مم
Wt' 9/718 gr. Di. 25/9

٤ ـ سيف الدين غازي الثاني بن مودود
4- Sayf al-din Ghazi II ibn Modud

٥٦٤ ـ ٥٧٢ هـ = ١١٦٨ ـ ١١٧٦ م
564 - 572 ah. 1168 - 1176 ad.

الدليل رقم ٨١٧٧ كالذي قبله
I. M. No. 8177, Same

ضرب بالموصل
Mint, al Musil

سنة ٥٧٠ هـ ١١٧٤ م
year 570, ah. 1174 ad.

مركز الوجه
obv. Ar.

الامام

لا إله إلا الله

وحده لا شريك له

المستضيء بامر

الله أمير

المؤمنين

النطاق — بسم الله ضرب هذا الدينار بالموصل سنة سبعين وخمسماية — Inn. Mar.

الطوق — لله الامر الخ — Mar.

مركز القفا

لله

محمد

سيف الدين — رسول الله — غازي بن

صلى الله عليه

وسلم

مودود

الطوق — محمد رسول الله الخ — Mar.

الوزن ٤/٢٠٤ غم . القطر ٢٦ مم — Wt. 4,204 gr, di. 26. mm.

---

٥ ـ نور الدين أرسلان شاه بن مسعود — **5- Nur al-din Arslan Shah ibn Mas'ud.**

٥٨٩ — ٦٠٧ هـ = ١١٩٣ — ١٢١٠ م — 589-607 ah. 1193-1210 ad.

الدليل رقم ٢٠٥٣ (٢) لوح ١ كالذي قبله — I. M. No. 2053 (2) Pl. 1 Same

ضرب بالموصل — Mint. al Musil.

سنة ٥٩٧ هـ = ١٢٠٠ م — Year 597 ah. 1200 ad.

مركز الوجه — Obv. Ar.

والدين أبو

علاء الدنيا | الناصر لدين الله | نصر محمد

أمير المؤمنين

النطـاق — بالموصل سنة سبع وتسعين وخمسماية — Inn. Mar.

الطوق — لله الامر . الخ — Rev. Ar.

مركز القفا — Mar.

بن مردود

محمد رسول الله

مسعود بن | صلى الله عليه | زنكي بن

نور الدنيا والدين

اتابك ارسلان شاه

الطوق محمد رسول الخ — Mar.

الوزن ٤/٨٣٠ غم القطر ٢٦ مم — Wt. 4/820. gr. Di. 26 mm.

اسماعيل غالب رقم ١٣١ (آ) ص ١٦٤ كالذي قبله — I. G. No. 131 a. Pg. 164. Same

ضرب الموصل — Mint. Musil.

سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م — Year, 607 ah. I210 ad.

مركز الوجه — Obv. Ar.

الامـام

الناصر لدين الله

أمير المؤمنين

النطاق — بالموصل سنة سبع وستماية — Inn. Mar.

الطوق — لله الامر الخ — Mar.

مركز القفا — Rev. Ar.

بن مودود

اتابك ارسلانشاه

Mar. — الطوق — محمد رسول . الخ

Wt. 5/814 gr. Di. 29 mm. — الوزن ٥/٨١٤ غم القطر ٢٩ مم

---

7. Izz al-din Mas'ud, II. Ibn Arslan Shah. — **٦ ـ عز الدين مسعود ٢ بن ارسلان شاه**

607-615 ah. 1210-1218 ad. — ٦٠٧ ـ ٦١٥ هـ = ١٢١٠ ـ ١٢١٨ م

I. M. No. 2055 (4) Pl. 1. Same — الدليل رقم ٢٠٥٥ (٤) لوح ١ كالذي قبله

Mint. al Musil. — ضرب بالموصل

Year, 607 ah. 1210 ad. — سنة ٦٠٧ هـ = ١٢١٠ م

Obv. Ar. — مركز الوجه

العادل

Inn. Mar — النطاق

بالموصل سنة سبع وستماية

Mar. — الطوق لله الأمر الخ

Rev. Ar. — مركز القفا

بن مسعود

عز الدنيا

والدين اتابك

مسعود

بن ارسلان شاه — بن مودود

Mar.	الطوق — محمد رسول الخ
Wt. 7,750 gr. Di. 27. mm	الوزن ٧٫٧٥٠ غم القطر ٢٧ مم

I. M. No. 8181 Same	الدليل رقم ٨١٨١ كالذي قبله
Mint. al Musil	ضرب بالموصل
year 607. ah.	سنة ٦٠٧ هـ
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامـام
لا إله إلا الله
وحده لا شريك له
الناصر لدين الله
أمير المؤمنين

(right: العــادل — left: ...)

Inn. Mar.	النطاق — بالموصل سنة سبع وستماية
Mar.	الطوق — لله الامر الخ .
Rev. Ar	مركز القفا

بن مسعود

عز الدنيـا
والدين اتابك
مسعود

(right: بن مودود — left: ارسلان بن)

Mar.	الطوق — محمد رسول الله الخ
Wt. 6,477. gr. Di. 29. mm	الوزن ٦/٤٧٧ غم . القطر ٢٩ مم

I. M. No. 7853. Pl-1 Same	الدليل رقم ٧٨٥٣ لوح ١ كالذي قبله
Mint. al Musil.	ضرب بالموصل
Year, 611 ah, 1214 ad.	سنة ٦١١ هـ = ١٢١٤ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامـام

العادل — الناصر لدين الله — الملك

امير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق — بالموصل سنة احد عشر وستماية
Mar.	الطوق — لله الامر الخ
Rev. Ar.	مركز القفا

بن مسعود

نور الدين — عز الدنيا — أرسلان

موود — والدين اتابك — شاه

مسعود

Mar.	الطوق — محمد رسول الخ
Wt. 6/689 gr. Di. 27/7 mm.	الوزن ٦/٦٨٩ غم القطر ٢٧/٧ مم
S. L. P. V. IX. .No 537 q Pl. XVII	(لين بول ج ٩ رقم q ٥٣٧ لوح ١٧
Same as above.	مشابه لهذا الدينار)

8 Nur al-din Arslan Shah. II ibn Masud. 11	**٨ ـ نور الدين أرسلان شاه ٢ بن مسعود ٢**
615-616 ah. Lw. ˉ218-1219 Ad.	٦١٥ — ٦١٦ هـ ١٢١٨ — ١٢١٩ م
I. M. No. 5. pl. 1 Same	الدليل رقم ٥ لوح ١ كالذي قبله
Mint. al Musil.	ضرب بالموصل
Year, 615 ah. 1218. Ad.	سنة ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامـام

الكامل — الناصر لدين الله — الملك

أمير المؤمنين

Inn. Mar. — النطاق — بالموصل سنة خمس عشر وستماية

Mar. — الطوق — لله الامر الخ

Rev. Ar. — مركز القفا

بن عز الدين

نور الدنيا والدين

اتابك بن ارسلان

شاه

Mar. — الطوق — محمد رسول الخ

Wt. 7/548 gr. Di. 28 mm. — الوزن ٧/٥٤٨ غم القطر ٢٨ مم

I. M. No. 11. Same — الدليل رقم ١١ كالذي قبله

Mint. al Musil. — ضرب بالموصل

Year, 615 ah. 1218 ad. — سنة ٦١٥ هـ = ١٢١٨ م

بالموصل سنة خمس عشر وستماية

Wt. 5/390 gr. Di. 27 mm. — الوزن ٥/٣٩٠ غم القطر ٢٧ مم

---

9 Nasir al-din Mahmud ibn Mas'ud II. — ٩ ـ ناصر الدين محمود بن مسعود ٢

616-631 ah. 1219-1233 ad. — ٦١٦ ـ ٦٣١ هـ = ١٢١٩ ـ ١٢٣٣ م

I. M. No. 7854 pl. 1 Same — الدليل رقم ٧٨٥٤ لوح ١ كالذي قبله

Mint al Musil — ضرب بالموصل

Year, 617 ah. 1220 ad. — سنة ٦١٧ هـ = ١٢٢٠ م

Abv. Ar. — مركز الوجه

الامام

الناصر لدين الله

أمير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق — بالموصل سنة سبع عشر وستماية
Mar.	الطوق — لله الأمر . الخ
Rav. Ar.	مركز القفا

عز الدين

الملك — ناصر الدين — الكامل

أتابك محمود

بن

Mar.	الطوق — محمد رسوه . الخ
Wt. 5/685 gr. Di. 27/3 mm.	الوزن ٥/٦٨٥ غم القطر ٢٧/٣ مم

I. M. No. 17803 pl. 1 Same	الدليل ١٧٨٠٣ م ع لوح ١ كالذي قبله
Mint, al Musil	ضرب بالموصل
Year, 620 ah. 1223. ad.	سنة ٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

علاء الدنيا — والدين كيقباد — بن كيخسرو

الناصر لدين الله

أمير المؤمنين

Inn. Mar.	النطاق — بللوصل سنة عشرين وستماية
Mar.	الطوق — لله الأمر الخ .
Rev. Ar.	مركز القفا

الكامل

الملك — ناصر الدنيا والدين — الأشرف

أتابك محمود

الملك

Mar. — الطوق — محمد رسول الخ

Wt. 4/341 gr. Di. 30 mm. — الوزن ٤/٣٤١ غم القطر ٣٠/٠ مم

I. G. No. 133. pg. 97 Same — اسماعيل غالب رقم ١٣٣ ص ٩٧ كالذي قبله

Mint, al Musil — ضرب بالموصل

Year 620 ah. 1223 ah. — سنة ٦٢٠ هـ = ١٢٢٣ م

Obv. Ar. — مركز الوجه

علاء الدين

كيقباد بن

الناصر لدين الله

أمير المؤمنين

كيخسرو

Inn. Mar. — النطاق — بالموصل سنة عشرين وستماية

Mar. — الطوق — لله الأمر الخ

Rev. Ar. — مركز القفا

الملك

الكامل

ناصر الدين

أتابك محمود

الملك

الأشرف

Mar. — الطوق — محمد رسول الخ

Wt. 6/115 gr. Di. 29 mm. — الوزن ٦/١١٥ غم القطر ٢٩ مم

I. G. No. 134 pl. 5. Pg. 98 Same — اسماعيل غالب رقم ١٣٤ لوح ٥ ص ٩٨ كالذي قبله

Mint, al Musil — ضرب بالموصل

Year, 621 ah 1224 ad. — سنة ٦٢١ هـ = ١٢٢٤ م

Obv. Ar. — مركز الوجه

علاء الدين

السلطان المعظم

الناصر لدين الله

أمير المؤمنين

كيقباد

النطاق — بالموصل سنة احد وعشرين وستماية — Inn. Mar.

الطوق — لله الأمر الخ — Mar. •

مركز القفا — Rev. A.

الملك

الكامل

ناصر الدنيا والدين

اتابك محمود

الملك

الأشرف

الطوق — محمد رسول الخ — Mar.

الوزن ٤١٣/٥ غم القطر ٢٨ مم — Wt. 5/413 gr. Di 28 mm.

الدليل رقم ٢٠٥٨ (٧) لوح ١ نادركالذي قبله — I. M. No. 2058 (7) pl. I. Rare. Same

ضرب بالموصل — Mint, al Musil

سنة ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م — Year, 623 ah. 1226 ad.

مركز الوجه — Obv. Ar.

الملك

الامام

الظاهر بامر الله

أمير المؤمنين

الأشرف

انطاق — بالموصل سنة ثلثه وعشرين وستماية — Inn. Mar.

الطوق — لله الأمر. الخ. — Mar.

Rev. Ar. — مركز القفا

بن مسعود
ناصر الدنيا والدين
اتابك محمود

الكامل — الامام

Mar. — الطوق — محمد رسول . الخ

Wt. 5/175 gr. Di 29 mm. — الوزن ٥/١٧٥ غم القطر ٢٩ مم

S. L. P. III. Vo. pg. 562. Same — لين بول ج ٣ رقم ٥٦٢ كالذي قبله

Mint, al Musil — ضرب بالموصل

Year, 623 ah. 1226 ad. — سنة ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م

Obv. Ar. — مركز الوجه

الامـام
الظاهر بامر الله
أمير المؤمنين

الاشرف — الامام

Inn. Mar — النطاق — بالموصل سنة ثلث وعشرين وستماية

Mar. — الطوق — لله الامر الخ

Rev. Ar. — مركز القفا

بن ارسلان شاه
ناصر الدنيا والدين
اتابك محمود
بن مسعود

الكامل — الامام

Mar. — الطوق — محمد رسول الخ

Wt. 6/285 gr. Di 28 mm. — الوزن ٦/٢٨٥ غم القطر ٢٨ مم

S.L.P. Vo. III Pg. 563. Same	لين بول ج ٣ رقم ٥٦٣ كالذي قبله
Mint, al Musil	ضرب بالموصل
Year, 623 ad 1226 ad.	سنة ٦٢٣ هـ = ١٢٢٦ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامام
المستنصر بالله
أمير المؤمنين

	النطـاق — بالموصل سـنة ثلث وعشرين
Inn. Mar.	وستماية
Mar.	الطوق — لله الأمر . الخ
Rev. Ar.	مركز القفا

مسعود
ناصر الدنيا والدين
اتابك محمود بن

Mar.	الطوق — محمد رسول الخ
Wt. 4/211 gr. Di 28 mm.	الوزن ٤/٢١١ غم القطر ٢٨ مم

I. M. No. 6643 pl. I. Same	الدليل رقم ٦٦٤٣ لوح ١ كالذي قبله
Mint, al Musil	ضرب بالموصل
Year, 625 ah. 1227	سنة ٦٢٥ هـ = ١٢٢٧ م
Obv. Ar.	مركز الوجه

الامـام
المستنصر بالله
امير المؤمنين

النطاق — بالموصل سنة خمس وعشرين وستمائة | Inn. Mar.

الطوق — لله الامر الخ | Mar.

مركز القفا | Rev. Ar.

بن مسعود
ناصر الدنيا والدين
اتابك محمود
الكامل

الطوق — محمد رسول الخ | Mar.

الوزن ٤/١٩١ غم القطر ٢٨ مم | Wt. 4/191 gr. Di. 28 mm.

الدليل رقم ٢٩٠٢ لوح ١ كالذي قبله | I. M. No. 2902 pl. I. Same

ضرب بالموصل | Mint, al Musil.

سنة ٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م | Year, 629 ah. 1231 ad.

مركز الوجه | Obv. Ar.

الامام
المستنصر بالله
امير المؤمنين
الاشرف

النطاق — بالموصل سنة تسع وعشرين وستماية | Inn. Mar.

الطوق — لله الامر الخ | Mar.

مركز القفا | Rev. Ar.

بن مسعود
ناصر الدنيا
والدين اتابك
الملك الكامل

الطوق — محمد رسول الخ .
Mar.

الوزن ٥/٣٨٣ غم القطر ٤/٢٨ مم
Wt. 5/383 gr. Di. 28/4 mm.

الدليل رقم ٢٠٥٩ (٨) لوح ١ كالذي قبله
I. M. No. 2059 (8) pl. I. Same

ضرب بالموصل سنة ٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م
Mint, al Musil. Year, 629 ah. = 1231. ad.

الوزن ٦/١٣٠ غم القطر ٢٩ مم
Wt. 6/130 gr. Di. 29 mm.

اسماعيل غالب رقم ١٣٥ كالذي قبله
I. G. No. 135

ضرب بالموصل سنة ٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م
Mint, al Musil Year, 629 ah. = 1231. ad.

الوزن ٧/١١٧ غم القطر ٢٨ مم
Wt. 7/117 gr. Di 28 mm.

اسماعيل غالب رقم ١٣٥ (ب) ص ١٦٥ كالذي قبله
I. G. No. 135 b. pg. 165 Same

ضرب بالموصل
Mint, al Musil

سنة ٦٣١ هـ = ١٢٣٣ م
Year, 631 ah. 1233 ad.

مركز الوجه
Obv. Ar.

الملك الاشرف | الامـام / المستنصر بالله / امير المؤمنين | الملك الكامل

النطاق — بالموصل سنة احـــد وثلثين وستماية
Inn. Mar.

الطوق — لله الامر . الخ
Mar.

مركز القفا = كالذي قبله
Rev. Aa. Same as above.

الطوق — محمد رسول . الخ .
Mar.

الوزن ٤/٠٠٨ غم القطر ٢٧ مم
Wt. 4/008 gr. Di. 27 mm.

ناصر النقشبندي

(للبحث صلة)

رسائل اسماعيلية قديمة نادرة (١)

(٤) والمجموعة الرابعة تحت الرقم (٦٠٦) ، وبعنوان (الرسالة الدامغة في الرد على الفاسق النصيري) . وتحتوي هذه المجموعة على سبع وعشرين رسالة ، أولها (الرسالة الدامغة) التي تحوي تهماً كثيرة يرمي بها النصيري أصحاب تأليه الحاكم ، كتعطيل الأحكام وإباحة النساء للمؤمنين الموحدين ، وأن ذلك من الروابط المتينة بين الموحدين والموحدات ، والتساهل في الأخلاق العامة ، وتأليه الحاكم الذي لا يعدو كونه خليفة من خلفاء الفاطميين ، الى غير ذلك ؛ ورد أصحاب هذه النحلة على النصيري وإفهامه أن التأويل والتعليل للظواهر ليس معناه ايقاف العمل بالظاهر ، وليس معناه إباحة المنكرات كالسرقة والزنا ونحوهما . ومهما كان ، فالرسالة صورة نادرة من جدل بين رجلين ، كلّ منهما لايصدق في قوله مع الآخر ومن الغريب أن النصيري ينكر عليهم تأليه الحاكم ، فيرده الوحد للحاكم بأنكم تؤلهون الإمام علياً ، وتأليه الحاكم أصح من تأليه الإمام علي الذي هو مستودع النبوة : « .. وأما قول النصيري بأن محمد بن عبد الله هو الحجاب الأعظم الذي ظهر مولانا الحاكم منه ، ومن لم يصدق فهو من أصحاب هامان والشيطان وإبليس ، فقد كذب في جميع ما قاله المنحوس النصيري فما عرف الدين ولا الحجاب . ومحمد كان حجاب علي بن أبي طالب وأما حجاب مولانا — جلّ ذكره — فلا وهذا قول من عقله سخيف ، ودينه ضعيف ... »

ويلي هذه الرسالةَ ، الرسالةُ الموسومة بـ (الرضى والتسليم) وقد مرّ الكلام عليها في غير هذه المجموعة .

وتليها (رسالة التنزيه الى جماعة الموحدين) ، رفعت الى الحضرة اللاهوتية وأطلقت ، وقد مرّ الكلام عليها في غير هذه المجموعة .

وتليها الرسالة الموسومة بـ (رسالة النساء الكبيرة) ، أولها : « توكلت على مولانا البارّ

(١) تتمة المقالة المنشورة في المجلد الثالث (٤٠٥ — ٤٢١)

العليّ الأعلى على جميع الأنام ..... لا يجوز لكُنّ ، معاشر الموحدات ، أن تخفين ما أظهره مولاكن ، ولا تخالفن ما أمركن به ، فتشركن به وأنتن لا تعلمن ... أن المجلس نطق سيطلع على منبري هذا تيس من تيوس بني أمية ، ويقوم من بعده فتى ثقيف آكل أموال اليتامى ، ويقوم الثالث فارغاً من الدين من غير أهل الدعوة صفراً من العلم ، ثم تكون فترة وجيزة ، ويبقى بعد ذلك الحق غريباً ، ويقوم به غريب ... فنظرنا الى قوله « تيس » فوجدناه عبد العزيز ابن محمد ، ونظرنا إلى قوله « فتى ثقيف » فوجدناه مالك بن سعيد ، ثم نظرنا الى قوله « ويقوم الثالث » فعلمنا أنه أحمد بن أبي العوام ، إذ أشترط عليه مولانا — جلّ أسمه — أن لا يتكلم في الدعوة ، وأنه لايعرف فيها شيئاً ... وأنقطعت المجالس ، ووقعت الحيرة (يقصد فقدان الحاكم) ... الى أن بلغ الكتاب أجله ، وجاء الوعد المعلوم ، وظهر ما كان مكتوم ، ووحد المولى من وحده على يد من أختاره ، وجعله لذلك أهلا .. [حمزة بن علي] .. »

وتلي ذلك رسالة (الصيحة الكائنة) . وهي رسالة لها أهميتها التأريخية ، إذ تصف الثورات والحوادث التي وقعت أيام الحاكم ، وكيف كان المعارضون في أدعاء الألوهية . أولها : « ... رسالة من هادي المستجيبين ، المنتقم من المشركين ، بسيف مولانا سبحانه ، الى أصحاب نشتكين المنتقلين ... من عبد مولانا الحاكم الأحد ... ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد ... الى المعاند ومن معه في الأعتقال ، المصابين من عالم الضلال ... وما منكم أحد الا وقد نصحته ... فمنكم من أستجاب ونكث ، مثل علي بن أحمد الحبّال الذي كان مأذوناً وعلى يده أستجاب نشتكين ... ، ومثل العجمي والأحول وخطلخ ماجان وأشباههم ممن كتبنا عليهم الميثاق ، وباعوا الديانة بالأسواق ، ومالوا الى الشهوات ، فأخذ مولانا ـ جلّ ذكره ـ القصاص بالبراق ، وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين .. وأما أنت يامعاند وأبو منصور البرذعي وأبو جعفر الحبال ، فما منكم أحد الا وقد دعونه الى توحيد مولانا — سبحانه — فأبيتم ، الا أبا جعفر الحبال ، فانه كان قد أجاب الى مبارك بن علي الداعي ، أيده المولى ، والذي منعه ولده عليّ ... وقد سمعت أنت يامعاند ومن معك من العكاويين القطارس ، مخاطبة المولى — جلت قدرته — ... وقد كنتم

يوم الكائنة زهاء خمس مئة رجل بالسلاح الشاك ، وأنتم عند الحرم ، فقتل منكم نحو أربعين رجلاً ، وهرب من هرب ولو لا رحمة مولانا ـ جلّ ذكره ـ عليكم ، لم يخلص منكم أحد .. فلما كان اليوم الثاني ، وهو يوم الخميس ، لم يبق من العساكر مشرقي ولا مغربي ولا أعجمي ولا عربي الا وركب من كان فارساً ، وشد من كان راجلاً ، كل يطلب دمانا ، ومعهم النفط والنار ، والسلالم ونقب الجدار ... وأنا إن شاء مولانا — جلّ ذكره — أذكركم للحضرة اللاهوتية ، وإن كان ما يخفى عنها شيء من أحوالكم ... فأبشروا ، واعلموا أن الفرج قريب ، وسيعلم المرتدون والمنافقون لمن عقبى الدار ، والسلام عليكم وكتب في شهر شعبان الثاني من سني عبده مولانا — جلّ ذكره — وصفيه حمزة بن علي ... الخ » ومن هذه الفقرات التي نقلناها من هذه الرسالة الواقعة في أثنتي عشرة صفحة واسعة ، يعلم أن نشتكين الضيف داعي الدعاة الذي عارض في دعوى ألوهية الحاكم ، وطلب حميد الدين الكرماني من العراق للرد على أصحاب هذه النحلة ، قد خرج على الحاكم وثار ، وتغلب عليه الحاكم وأعتقله كما ذكر ذلك المؤرخون

وتلي ذلك نسخة (سجل المجتبي) ، أولها : « ... توكلت على مولانا ، علينا سلامه ... معلّ علة العلل وصفات العلة . من عبد مولانا ... حمزة بن علي ... الى أخيه وتاليه ، وذي مصة علمه وثانيه ، آدم الجزوي الذي أجتباه بعلمه ، وهداه بحلمه ، وغذاه بعلمه ، أخنوخ الأوان ، وإدريس الزمان ، هرمس الهرامسة ، أخي وصهري أبي ابراهيم اسماعيل بن محمد التميمي الداعي ، أطال المولى بقاك ... أما بعد ، يا أخي ابراهيم إني نظرت اليك بنور مولانا — جلّ ذكره — فجعلتك خليفتي على سائر الدعاة المأذونين ، والنقباء والمكاسرين ، وجميع الموحدين بالحضرة الطاهرة وفي سائر جزائر الأرض وأقاليمها ، وسميتك بصفوة المستجيبين ، وكهف الموحدين ، وذي مصة علم الأولين والآخرين ؛ وجعلت لك الأمر والنهي على سائر الحدود : تولي من شئت ، وتعزل من شئت ، ... الخ »

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (تقليد الرضي سفير القدرة) . أولها : « الحمد لمولانا وحده . من عبد مولانا ومملوكه قائم الزمان هادي المستجيبين الى الشيخ الرضي سفير القدرة

فخر الدين ..... أبي عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي . من مولانا الحاكم ... حمزة بن علي ... أما بعد ، فاني نظرت بنور مولانا ... فرفعت درجتك ، وأضفت الى منزلتك المنزلة التي كانت للشيخ المرتضى، قدس المولى روحه ... وقد سلمت اليك جميع كتبه التوحيدية ، وجعلتك مقدماً على جميع الدعاة ... أخدم الحق ما يجب عليك من مذهب مولانا ، وألطف بالدعاة وجميع الموحدين ... وأستحثهم على الخدمة اللاهوتية ، وأمر النقباء بملازمة خـدمتك ورفع ما يكون من الأخبار اليك وما يتجدد بالقاهرة وأخبارها وعمر وأعمالها ... الى آخر الرسالة، وكلها وصايا لهذا الداعي

وتلي ذلك نسخة (تقليد الداعي المقتني) وهو على نسق التقاليد الماضية : « من هادي المستجيبين حمزة ... الى الشيخ المقتني بهاء الدين ولسـان المؤمنين وسند الموحدين أبي الحسن علي بن أحمد السموقي المعروف بالضيف .... الخ » ، وهي تتضمن الوصايا الدينية التي يجب أن يقوم بها كل موحد ... وفي الرسالة مصطلحات حروفية ، وحسابات على الطريقة الجُمَّلِيَّة ، وتعابير تشرح التعاليم للدعاة ، وما الى ذلك .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (مكاتبة الى أهل الكدية البيضاء) أولها : « توكلت على مولانا الحاكم ... الى أهل الـكدية البيضاء ... سلام عليكم ... سلمتم من المحنة ... لا تستروا كتبكم عني ، وأرسلوها اليّ على يد الشيخ سفير القدرة اللاهوتية ... وان لم يعرف الرسول ، فليسأل المستجيبين عن حسن بن هبة الرفاء نقيب النقباء ، تدفع اليه كتبكم ... الى آخر الرسالة .

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (الأنضاء) . وهي رسالة على طريقة الرسائل المتقدمة ، يوصي بها بعض المستجيبين ، ويشرح لهم بعض التعاليم

وتلي ذلك رسالة تحت عنوان (شرط الإمام صاحب الكشف) . وهي تشرح بعض الأحكام في الزواج والطلاق والأمور الاخرى ، وجهت الى حمزة بن علي بن أحمد ، فأجاب عنها .

وتلي ذلك (رسالة أرسلت الى ولي العهد عبد الرحيم بن الياس) من عبد أمير المؤمنين ... حمزة ... الى وليّ العهد ، الخ . والرسالة كتبها حمزة ، وأرسلها الى ولي العهد ، وقد طلب منه أن

يمحو أسمه من المخاطبات والخط ، ولا يقل : « أبن عم أمير المؤمنين » ، إذ كان منزهـاً . .
وسرّ هـــذا الطلب في هذه الرسالة لم يوضحه حمزة ، ولـكنّ كتب التأريخ وضحت ذلك ، فقد تأخرت ولادة ذكـر للحاكم ، فعـيّن عبد الرحيم وليّ عهد ، ثم ولد له ذكر ، فأوعز على لسان دعاته أن يتنازل عن ولاية العهد ولما تمانع هذا ، فرّقوا بين ولي عهد المسلمين وهو عبد الرحيم ، وولي عهـد المؤمنين وهو الظاهر ، لإعزاز أبن الله وولاية عهد المؤمنين ، يقصد به المستجيبين للمذهب الإسماعيلي وأخيراً وبعد قتل الحاكم ، تنازل عبد الرحيم ، ثم قتل نفسه ، أو قتل على أختلاف في الرواية

وتلي ذلك (رسالة خمار بن جيش السليماني العكاوي) وجهها حمزة الى هذا الثائر على الحاكم ، يحذره فيها عاقبة ثورته وأعماله ، ويطلب منه أن يقـــدم العذر للحاكم ويطلب العفو قبل فوات الأوان .

وتلي ذلك (الرسالة المنفذة الى أحمد بن محمد بن أبي العوام قاضي القضاة من حمزة بن علي) يطلب منه أن يحسن القضاء ، ويفرق بين الذين يحضرون عنـده ، فمن كان من أصحابه يفتي له على مذهبه ، ومن كان من الإسماعيلية وعلى مذهب الخليفة الفاطمي يرسله الى حمزة بن علي ، ليقضي هو فيه أمره والرسالة مهمة في بابها ويظهر أن قاضي القضاة كان لا يهم ولا يفتي على المذهب الاسماعيلي ، بل لا يهم بالدولة والخلافة

وتلي ذلك (مناجاة ولي الحق) وهي مناجاة بليغة جداً ، ومن أقوى الأساليب العربية ، وتعـد من الطبقة الأولى في البيان وقد كتبت على طريقة أفتتاح (الرمضانيات) التي تصدر كل رمضان للمستجيبين من أتباع المذهب ، يصدرها داعي الدعاة ولا تزال هذه (الرمضانيات) تصدر في الهند لدى (البهرة) .

ويلي هذه المناجاة (الدعاء المستجاب) . وهو كسابقه بلاغة وغرضاً

ويلي ذلك (التقديس دعاء الصادقين لنجاة الموحدين العارفين) وهو مثل سـابقه بياناً وبلاغة وقد وجه هذا التقديس الى الحاكم

وتلي ذلك رسالة في (ذكر معرفة الإمام وأسماء الحدود العلوية روحانية وجسمانية) أولها : « توكلت على مولانا الحاكم المعبود ، واليه أشرنا بالوحدانية في سائر الدهور الأسماء الواقعة على مولاي : قائم الزمان الأول ، علة العلل ، والثاني السابق ، والثالث الآمر ، والرابع ذومصة ، والخامس الإرادة ، العقل الكلي ، روحاني ، وأسمه الجسماني حمزة بن علي بن أحمد ... ومن بعده النفس الكلية ... وأسمه الجسماني أبو ابراهيم اسماعيل بن محمد بن حامد التميمي ... ومن بعده الكلمة ... وأسمه الجسماني أبو عبد الله محمد بن وهب القرشي الداعي ومن بعده الجناح الأيمن ... وأسمه الجسماني أبو الخير سلامة بن عبد الوهاب السامري الداعي ... الى آخر ذكر الدعاة ووظائفهم وكناهم ومنازلهم والرسالة مهمة فيهذا الباب . وقائم الزمان الواردة فيها تعني الحاكم

وتليها (رسالة التحذير والتنبيه) . وهي رسالة عجيبة بما فيها من غرائب ، أولها : « ... بأسم الأزلي القديم ، والمولى الكريم » وهكذا على هذا الأسلوب تسير الرسالة وتقع في سبع صفحات كلها في توحيد الحاكم وتأليهه ، وأسلوبها بليغ جداً ، ومن أبلغ المناجاة العربية .

وتلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (الإعذار والإنذار) على نسق الرسالة السابقة في توجيه الخطاب ، والتحذير من التفريط في توحيد الحاكم القهار وتقع فيست صفحات ببيان بليغ في أعلى مراتب البلاغة

ثم تلي ذلك (رسالة الغيبة التي وردت على يد أبي يعلى) وهي رسالة خاطب بها أهل جزيرة الشام ، محذراً لهم بعد غيبة الحاكم بمدة شهور ، وطريقتها تحميدية وتنزيه وتحذير من الخروج عن مذهب التوحيد بعد غيبة الحاكم وتقع في أربع عشرة صفحة

ويلي ذلك (كتاب تقسيم العلوم وإثبات الحق وكشف المكنون) تأليف اسماعيل بن محمد ابن حامد التميمي الداعي المشخص بذي مصة ، المنص عليه من قائم الزمان ، يعني الحاكم . والكتاب فريد في موضوع عقائد هذه النحلة ، وفيه أمور لم أرها في كل هذه الرسائل ، أوله بعد تمجيد الحاكم وتأليهه ثم تمجيد الداعي الى التوحيد حمزة : « ... أما بعد ، فإنه لما سأل من

رغب إليّ الجواب عن كتاب يسمى تقسيم العلوم وكشف المكنون ، أمرني مولاي قائم الزمان بتصنيف هذا الكتاب ... العلم ينقسم على خمسة أقسام : قسمان منها للدين ، وقسمان للطبيعة ، والقسم الخامس فهو أجلها وأعظمها قدراً ، وهو القسم الحقيقي الذي هو المراد ، واليه الاشارات ومن أجله قامت الدار ، وظهر ما بين أهلها أمر مولانا الحاكم البار ... » وهنا يأخذ في وصف هذه العلوم ، وأنها تؤدي في غايتها الى عبادة الحاكم ... ثم يشرح فكرة النطقاء والأضداد ، مبتدئاً بآدم وابليس ضده ، حتى يصل الى قوله : « وقام محمد ، وأساسه علي بن أبي طالب ، ومبلغ عقولهم وأئمة دينهم ، الى أن انقضى دوره ، وظهر ناطق غيره ، وهو محمد بن اسماعيل .. والى الخلفاء المستودعين ، وهو الى أحمد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح ، وهو ولده سعيد بن الشلغلغ المهدي وكان هؤلاء مبلغ عقولهم في معرفة التوحيد ... ولما أنشئت السماء الرابعة ، وهو قيام عبد الله بن أحمد وهو من ولد الميمون القداح أيضاً ، ظهر المولى ـ سبحانه ـ بصورة أسماها علياً ... وظهر السماء الخامسة وهو محمد بن عبد الله وسمي أيضاً المهدي سترة . وهو أيضاً من ولد القداح ، وكان من ولد الحسين وظهر المولى ـ جلّ ذكره ـ بصورة أسماها المعل ، وكان ظهوره ـ جلّ وعزّ ـ بديار تدمر وديار الشرق في زي تاجر ... وظهر السماء السادسة وهو الحسين بن محمد وهو من ولد القداح أيضاً ، وبقيت صورة التوحيد باقية على حال ظهورها ، وظهر السماء السابعة وهو قيام عبد الله بالأمر أبي المهدي .. وكان عبد الله قد سمي سعيد بن أحمد ، وهو المهدي الذي تسمى باسمه ... وكان أول ظهور المولى للعالم بصورة أسماها القائم ، وأول ما ظهر بمملكة الدنيا في ذلك الوقت . نخذ أيها الطالب ما آتيتك بقوة ، وكن من الشاكرين ... الخ » من ظهور وشروح بظهور الحاكم حتى تغيبه ... ويختم هذا الكتاب بقوله : « تم كتاب تقسيم العلوم ... وكان فراغه سلخ المحرم الثالث من سني ظهور عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين ... حمزة ... الخ »

ثم تلي ذلك رسالة مهمة في تسع صفحات تحت عنوان (رسالة الزناد) . كلها براهين متنوعة على تأليه الحاكم ، ورد على بقية الفرق المعارضة لذلك ، وتأويل الكثير من الألفاظ القرآنية

كالجنة والنار ونحوها ، وأنها كلها ألغاز عن الحاكم وظهوره وهذه الرسالة على صغرها من أدق الرسائل في هذه المجاميع ، ومن أعمقها فلسفة تأويلية ، وأكثرها سخرية ببقيـــة المذاهب الإسلامية . ويختمها بقوله : « فاحمدوا مولاكم على ما خصكم من نعمـه ومنحكم من قصده الى طاعته وطاعة وليه الهادي ... »

وتلي ذلك الرسالة الموســومة بـ (الشمعة) « وتطبيقها على فكرة التوحيـد والحـدود على المسلك الثالث ، وهو مسلك التوحيد ، ورفعت الى الحضرة اللاهوتية ، وأطلقت بأمر مولانـا الحاكم الحكيم ... ألفها العبد اسماعيل بن محمد التميمي الداعي ، صهر مملوك مولانا – جلّ وعزّ – قائم الزمان ... الحمد لمن أبان توحيده باقامة حدوده ... والنار التي توقد الشمع دليل على حجته اسماعيل بن محمد بن حامد ... والشمع دليل على الـكلمة محمد بن وهب ... والقطن دليل على السابق سلامة بن وهاب ... والطست دليل على التالي علي بن أحمـد السموقي فهذه خمسة حدود ... ومن عدم معرفة هذه الخمسة حدود ، لم يعرف التوحيد في وقتنا هذا ، وكان توحيده دعوى ... والناس ثلاثة أجناس : فأهل الظاهر يقال لهم مسلمون ، وأهل الباطن يقال لهم مؤمنون ، وأهل قائم الزمان (يقصد حمزة) يقال لهم موحدون ومن ادعى التوحيد وهو بالظاهر والباطن كان كاذباً ، ومن دخل في طاعة قائم الزمان صار موحداً ... الخ » ومن هذه الرسالة يظهر لك كيف أخذ هذا المذهب المسمى بمذهب التوحيد ينتقل بالتقديس الى حمزة بن علي ابن أحمد الأصفهاني ومَنْ بعده من الدعاة .

وتلي ذلك الرسالة الموســــومة بـ (الرشد والهداية) . وقد تقدم الـكلام عليها في المجاميع السابقة .

ثم تلي ذلك قطعة شعرية للشيخ أبي ابراهيم اسمـاعيل بن محمـد التميمي الداعي بعـد حمزة والملقب بصفوة المستجيبين . وقد أرسلت من هذا الداعي الى أهل جبل السماق في سورية ، لتقرأ على كل موحد وموحدة ، أولها : « الى غاية الغايات قصدي وبغيتي ... » الى آخر ثلاثين بيتاً . وقد تقدم بعضها في المجاميع السابقة . والقصيدة كلها دعوة الى تأليه الحاكم

- وتلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (كشف الحقائق) في إحـدى وثلاثين صفحة ، في تأليه الحاكم والرد على الفرق الإسماعيلية التي عارضت فكرة التأليه وقد مرّ الـكلام على هذه الرسالة مفصلاً في المجاميع السابقة

(٥) والمجموعة الخامسة تحت الرقم (١٤١) وفيها رسائل عديدة في هذا المذهب . أولها رسالة ناقصة في أحوال أئمة هذا المذهب وأئمة الفاطميين بمصر ، ومما قال في ترجمة الحاكم : « ثم والده الحاكم بأمر الله بن العزيز الذي أشارت جميع الرسل اليه ، ودلّت جميع الـكتب عليه وكان مولده سنة ٣٧٥ هـ ، وأنتقلت اليه الخلافة سنة ٣٨٦ هـ ، فتظاهر بالإمامـة إحـدى وعشرين سنة مدة دعوة النذر الثلاثة المطلقين من قبل الحاكم - تعالى - وأولهم السابق أبو الخير سلامة ؛ لأنه سبق الشرائع الروحانية ، وأظهرها وهي المفترضات الدينية ... ثم ظهر بعده الـكلمة محمد ابن وهب القرشي ، فأنضاف السابق ودعاته اليه ثم ظهر بعده النفس الـكلية اسماعيل بن محمد ، فأنضاف الـكلمة والسابق ودعاتها اليه ، ودعوتهم كلهم واحدة ، ومدة كل نذير سبع سنين ، وتظاهر الحاكم — تعالى — في مدة النذارة بمعاجز عظيمة من كسر الجيوش ، وقتل الرجال ، وكونه أنه يرى أنه مريض ويمشي في محفة تحملها أربعة من الأضـــداد أو المشركين ... ثم أعطاها الخلافة الظاهرة والباطنة لعلي الظاهر ، وأحضر قائم الحق حمزة بن علي ، صلى الله عليه ، وأعطاه الإمامة الحقيقية ، وأحضر الأربع بين يديه وبقية أحرف السدق المئة والتسعة والخمسين ، يدعو الى كشف توحيد الحاكم — تعالى — على رؤوس الأشهاد ، ونشر قائم الحدود المذكورين في أقطار الأرض : يبثون دعوته ، وينشرون حكمته ... وأقتضت حكمة الحاكم أن يستتر في التاسعة حتى يطهر من نفوس المشركين ... فلما فرعت التاسعة ، تجلى الرب — تعالى — في أول العاشرة ، وأنكشف وأنكشفت الحدود ... ثم غاب — تعـالى — في تمام الحادي عشر ... وتخلف مولاي بهاء الدين لإعراض رسـائله عليه ، وأمتـداده به ، صلى الله عليـه . فما تمادت الفتنـة ، حتى ثار الدجال للمحنة ، على الموحـدين الذين هم عباد الحـاكم ... فلما أنتهى مولاي بهاء الدين من إقامة الحجـة على الخلائق ... غاب ، صلى الله عليه ، في حجب باريه ، وما بقي

غير القيامة والجزاء ، جعلنا الله من المقبولين ، ولا يجعلنا من النادمين ، إنه ولي الإجابة والتوفيق ...

ثم تلي ذلك الرسالة الموسومة بـ (كشف الحقائق) . يذكر درجات العقل ووصف ألوهية الحاكم ، ويشرح المصطلحات عن الكشف ، وبجلي الحاكم في القيامة ، وكيفية هذا التجلي وكيف يظهر بناسوته ، الى غير ذلك من أوضاع التجلي والكشف ويظهر من هذه الرسالة اقتباس هذا المذهب فكرة الحلول البرهمي ، وفكرة الاتحاد بالناسوت لدى المسيحيين وهذا مما يؤيد ما قيل من علاقة الحاكم بأمه المسيحية ، وأنه كان يؤمن بهذه الفكرة أقتباساً من أمه ، حتى وجد في بعض الأديرة المصرية القدمة صورة الحاكم معلقةً فيها كما روى (عنان) في كتابه في الحاكم

وتلي ذلك (قصيدة في تأليه الحاكم) من نظم الشيخ جمال الدين بن الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ سلطان من بلاد حلب ، تبلغ ستين بيتاً ثم (قصيدة أخرى في وصف قائم الزمان حمزة بن علي ووصف مقامه) ثم قصيدة تحت عنوان (من عند الشيخ محمد والشيخ أحمد من قرية الباروك الى حضرة السادة الإخوان) وهي قصيدة طويلة جداً تشرح عقائد هذه النحلة ومصطلحاتها .

(٦) والمجموعة السادسة تحت الرقم (١٢٢٢) وهي مجموعة تحوي ٣٢ رسالة في هذا الباب ، أ كثرها موجود في المجموعة المرقة بـ (٩٦٤) وإن كان ترتيبها يختلف عن ترتيب هذه المجموعة ، وان كانت كلتاهما تبتدىء برسالة (السجل) ، كما أن هناك جملة رسائل لم تكن في تلك المجموعة وهاك قبل الكلام على بعض الرسائل فهرست هذه المجموعة : (١) رسالة السجل (٢) في النهي عن الخمر (٣) حبر اليهود (٤) مكاتبة القرمطي (٥) ميثاق ولي الزمان (٦) النقض الخفي (٧) التوحيد (٨) ميثاق النساء (٩) البلاغ والنهاية (١٠) الغاية والنصيحة (١١) حقائق ما يظهر قدام مولانا الإمام من الهزل (١٢) السيرة المستقيمة (١٣) كشف الحقائق (١٤) سبب الأسباب (١٥) الرسالة الدامغة والى هنا ما في هذه المجموعة من

الرسائل أما بقية ما أذكره لك من الرسائل المذكورة في هذا الفهرست ، فليست موجودة في المجموعة الناقصة ، وهي : (١) سجل المجتبي (٢) الكدية (٣) الأحجنة الكائنة (٤) شرط الإمام (٥) الرشد والهداية (٦) الدعاء المستجاب (٧) الغيبة (٨) الشمعة (٩) شعر للنفس (١٠) الحدود (١١) المناجاة (١٢) الأنصاب (١٣) الإعذار والإنذار (١٤) التنزيه (١٥) القنى (١٦) التحذير والتنبيه (١٧) .....

وقد مرّ الكلام على (السجل) فلا حاجة الى إعادة الكلام فيه ، والرسالة الثانية الموجودة (سجل النهي عن الخمر) وفيه تحذير من شرب جميع المسكرات ، ومما جاء فيه : « وقد أمر أمير المؤمنين ، وبالله توفيقه ، بكتب هذا المنشور ، ليقرأ على الخاص والعام من الأولياء والرعية بالنهي عن التعرض لشرب شيء من المسكر على اختلاف أصنافه وألوانه وطعومه ، وكل شراب مما يسكر كثيره وقليله ، وترك التعرض لشربه ، والنهي عما يتمسك به الرعاع من التأويلات والدعاوي ؛ فان أمير المؤمنين قد حظر ذلك جملة ... حتى تطهر الممالك من سوء آثاره ، وجعل ذلك أمانة في أعناق المخلصين من أتباعه ... كتب سنة أربعمائة في شهر ذي القعدة ، والحمد لله وحده »

والرسالة الثالثة (رسالة حبر اليهود وقسيس النصارى) وهي رسالة تذكر أن علماء اليهود والنصارى في مصر اجتمعوا وكلموا الحاكم وحاجّوه على تشدده معهم ، وعزيق كتبهم ، وهدم بيعهم وكنائسهم ، وجواب الحاكم لهم . ومما جاء في المحاجّة : « لِمَ سُمْتَنا ما سمتنا أنت إيّاه : من هدم بيعنا وأديارنا ، وتمزيق كتبنا المنزلة على رسلنا من عند ربنا فيها حكمة ... حتى إنك أبحت التوراة والإنجيل أن يشد فيها الدلوك والصابون ، وتباع في الأسواق بسعر القراطيس الفارغة ، وقد أخبر صاحب الملة والشريعة عن ربه فيما نزل من قرآنه أن التوراة فيها حكمة بالغة ..؟ » . وكان جواب الحاكم أن الرسول محمداً ، صلى الله عليه وسلم ، لما تسامح معكم على أمل عودتكم للدين الصحيح ، وأن عهلكم كيما تتفكروا وتعرفوا خطأكم ، ولم تفعلوا ذلك . وإنكم تعلمون أنه سيأتي لكم من يعلن الحق والدين الصحيح ، ويبشر بالحق ، وأنه القائم بالأمر

والمهدي . ولا شك أنكم تعلمون أنني هو ذلك المذكور في كتبكم ، ولي الحق في توحيد الأديان وإرشاد الناس الى ما هو أنفع لهم . وإني جئت متمماً لما بدأ به محمد ، ومنظماً ومطبقاً لما أراده ولم يستطع تطبيقه من الشرائع الحقة ، لذلك يلزمكم أن تعودوا الى الطريق السوي ، إلى آخر ما ورد في هـذه الرسالة التي تملل كثيراً من أعمال الحاكم الشاذة ، وتذكر سر هذه الأوضاع المتناقضة .

والرسالة الرابعة (ميثاق ولي الزمان) وقد مر الكلام عليها . والخامسة (النقض الخفي) وكذلك مر عليها الكلام وأهم ما في هذه الرسالة أن الحاكم نفسه يذكر المهدي ، ويذكر أنه « لم يستطع أن يعمل كل ما يمكن من تعديل الشريعة وتطبيق الباطن ، وأنه كان نهاية دور الستر . أما الحاكم ، فهو أعظم الحدود ونهايتهم ، كما أن الهاء نهاية لا إله إلا الله ، ولم يظهر المهدي الى تمام دور محمد ، لأنه آخر دور الستر أما نهاية النهاية ، فهو مولانا الحاكم المنفرد ... ورفع هذا الكتاب الى الحضرة اللاهوتية في شهر صفر سنة ثماني وأربعمائة من الهجرة وأولى سنين عبد مولانا ومملوكه هادي المستجيبين ... حمزة ... الخ » .

والسادسة (رسالة التوحيد لدعوة الحق) وهي رسالة تدعو إلى تأليه الحاكم ، وأنه الواحد الأحد ، والى نسخ الشريعة والعمل بالباطن والاستدلال على ضرورة هذا النسخ ، كما فصل ذلك في رسالة النقض الخفي التي مر الكلام عليها ومما جاء في هذه الرسالة في هذا الموضوع : « والدليل على ذلك زوال الشريعة على الاختصار ، إذ لم تحمل هذه الرسالة طول الشرح . وقد بينت لكم في الكتاب المعروف بالنقض الخفي نسخ السبع دعائم ظاهرها وباطنها ، وهي : الحج ، والصوم ، والزكاة ، والصلاة ... وذلك بقوة مولانا — جل ذكره — ... عملت هذه الرسالة في شهر رمضان أول سنين قائم الزمان ، وهي سنة ثماني وأربعمائة للهجرة ... » . ويؤيد ذلك ما ورد في التأريخ في سنة (٤٠٠) سجل بإلغاء الزكاة والنجوى .

والسابعة (ميثاق النساء) وقد مر الكلام عليها ، وكل ما فيها حث النساء على الأخلاق الطيبة ، والعفة ، والمحافظة على الشرف ، والتجنب من الفسق والمجون والخروج على الآداب

ومن الواضح أن أصحاب هذه الفرقة من أحرص الناس على أخلاق المرأة وعلى الحجاب ، ويشتد أستتارها من الخاطب والمطلّق ، والزنا جريمة لاتغتفر ، ولا يجوز التزوج بأكثر من واحدة مالم تطلق الأولى ، ويجري الزواج على وفق التقاليد الإسلامية المعروفة لدى المسلمين من خطبة ومهر ونحوهما . ولكن المرأة لاترث شيئاً من أبيها ...

والرسالة الثامنة (البلاغ والنهاية) وهي كتاب واسع يشرح تأليه الحاكم ، وقد مرّ الكلام على هذه الرسالة وفي آخرها : « كتبت في شهر المحرم الثاني من سني عبد مولانا - جلّ ذكره - حمزة بن أحمد هادي المستجيبين ... الخ »

والرسالة التاسعة (الغاية والنصيحة) وهي واسعة تقع في أربع وعشرين صفحة ، كلها تنصح الرعية والموحدين بتأليه الحاكم ، وتذكر عودته ومجيئه ، وتؤنب الشاكين والمخالفين ، وتشرح خصائص المذهب الإسماعيلي أولها : « توكلت على أمير المؤمنين - جلّ ذكره - وبه أستعين ... من عبد أمير المؤمنين ... حمزة بن أحمد ... كتب في شهر ربيع الآخر ، الثانية من سني عبد مولانا ومملوكه ... حمزة ... الخ »

والرسالة العاشرة (كتاب حقائق ما يظهر قدام مولانا - جلّ ذكره - من الهزل) . وقد مرّ الكلام على هذه الرسالة

الرسالة الحادية عشرة (الرسالة المستقيمة في السيرة) وأهم ما فيها وصف الثورات التي وقعت بين الحاكم والرعية ثم بين زعماء مذهب التوحيد وغيرهم ، وقد مرّ الكلام مفصلاً على هذه الرسالة

والثانية عشرة (رسالة كشف الحقائق) وقد مرّ الكلام عليها

والرسالة الثالثة عشرة الموسومة بـ (بسبب الأسباب والكنز لمن أيقن وأستجاب) . وهذه الرسالة ، الفريدة في هذه المجاميع ، وليس لها نسخة غير هذه النسخة ، ولم أرَ من أشار اليها بين كتب الدروز المعروفة ، وهي ذات أسلوب فلسفي دقيق متقن في الأستدلال وذكر الحجج لهذا المذهب ، وفيها تهجم كثير على كتب المسلمين ورسائلهم الأدبية والفلسفية ومما جاء

فيها : « أما بعد ، فقد وصلنا ـ أيها الأخ الشفيق ـ ما كتبته من عهدنا في طلب العلم الحقيقي ، وما يتقوّله هذا الفاسق الفسيق وليس التوحيد كعلم الفلاسفة والتلحيد ، ولا كرتبة الدعاة والعبيد ، ولا الدرّة اليتيمة كالحجر الجلميد ، ولا الأحدانية كالواحد المفيد ... بل الحقائق تأييد من المعل الأزل ، الى عبده علة العلل والمعل هو الأحد ، والعلة هو الواحد الذي يفيد جميع العالمين ، وهم الدعاة والمأذونون والمكاسرون والمستجيبون .. » الى آخر ما في هذه الرسالة التي تفلسف هذه النحلة وتعللها تعاليل عجيبة •

هذا بعض نصوص ومنقولات عن هذه المجموعات النحلية النادرة ، تدل على أهميتها التأريخية أما خط هذه المجموعات ، فبعضه يكاد يكون من خطوط القرن السادس الهجري ، وبعضه حوالي ذلك ، وبعضه من خطوط القرن التاسع ، وليس في كل هذه المجموعات تأريخ على عادة أغلب رجال الغلاة الذين لم يؤرخوا كتبهم ، وهي واضحة وجميلة ، ولكنها مملوءة أغلاطاً نحوية ؟

عبد الحميد الدجيلي

مصادر دراسة « الشعر العربي »

في العراق وبلاد العجم (أواسط القرن الخامس — أواسط القرن السادس).

١ — **دواوين الشعراء** : مصدر أساسي في دراسة العصر وفي دراسة حياة شعرائه وقد طبع منها ديوان صرّدر والأبيوردي والطغرائي والأرّجاني ، كما طبعت ملتقطات من شعر الباخرزي ملحقة بدميته ، وطبع — غلطاً — زهاء ستين صفحة من شعر الغزي مبعثرة في ديوان الأبيوردي [1] ، بينما بقي الديوان الكامل مخطوطاً في مكتبات القاهرة وباريس وغيرها وتضم مكتبة المتحف البريطاني مجموعة من شعر الباخرزي بأسم « الأحسن » ، وتضم مكتبة رامبور مجموعة كبيرة من شعر حيص بيص [2] (وفي المجمع العلمي العراقي صورة لها منقولة عن صورة في معهد إحياء المخطوطات العربية في الجامعة العربية) ولم تصل الينا دواوين البارع وأبن أفلح وأبن الفضل وأبن القطان والحظيري ، وكذلك ديوان أبن الهبّارية الذي طبعت له « نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة » وكتاب « الصادح والباغم » (وأرجوزة منسوبة إليه بأسم حي بن يقظان التي ألفها أبن سينا نثراً)

٢ — **الخطيب البغدادي** : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ، محدث عراقي ، ولد عام ٣٩٢ هـ وتوفي عام ٤٦٣ هـ وقد طبع كتابه « تاريخ بغداد » في أربع عشرة مجلدة في القاهرة سنة ١٩٣١ م ولم يشهد الخطيب إلا أوائل الحكم السلجوقي ، ولكن السمعاني وأبن النجار قد أتخذا كتابه أساساً يذيّلان عليه ويستدركان

---

(١) أول من نبه على ذلك هو الأستاذ محمد بهجة الأثري في بحث نشره في مجلة الزهراء بمصر (٣/٢٢٨ — ٢٤٢) ، كما ذكر ذلك في تعليقاته على خريدة القصر (١/١ ١)

(٢) وقد تضمن طائفة كبيرة من مختاراته الجزء الأول من القسم العراقي من كتاب خريدة القصر الذي نشره المجمع العلمي العراقي بشرح الأستاذ الأثري

٣ — **الباخرزي** : علي بن الحسن ، من شعراء العصر المدودين ، قتل عام ٤٦٧ هـ . وقد طبع كتابه « دمية القصر وعصرة أهل العصر » في حلب عام ١٩٣٠ ومن يقابل هذه النسخة بما في إيران وغيرها من مخطوطات يجد فرقاً ملحوظاً ، وأن المطبوع لايغني عن المخطوط [1] .

٤ — **الهمذاني** : محمد بن عبد الملك المتوفى عام ٥٢١ هـ تمتلك المكتبة الوطنية في باريس مخطوط الجزء الأول من كتابه « تكملة تأريخ الطبري » والجزء يخص فترة بني بويه ، ولكن الكتاب كان مصدراً للعماد الأصبهاني وابن النجّار وابن خلكان ... وللمؤلف كتاب آخر اسمه « المعارف » أشار إليه ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (الطبعة الوطنية ٢/٥٧٧) .

٥ — **أنوشروان** : أنوشـــروان بن خالد — وقد وزر للسلطان محمد السلجوقي والخليفة المسترشد ، وتوفي عام ٥٣٢ هـ وكتابه « فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور » ضرب من المذكرات ، سجلها بالفارسية عن فترة تمتد من أواسط وزارة نظام الملك إلى موت طغرل الثاني ولم نعد نمتلك هذا الكتاب ، ولكن العماد الأصبهاني الذي اتخذه أساساً لكتابه « نصرة الفترة وعصرة القطرة » يقول إن أنوشروان لم يكن منصفاً (ينظر عن أنوشروان كتب التاريخ ولا سيا عام ٥٣٢ في المنتظم لابن الجوزي مثلاً ، وينظر عن الكتاب مقدمة النصرة أو الزبدة ، ومقدمة هوتسما Houtsma على الزبدة وما ذكره Storey في الكراسة الثانية ص ٢٥٤ من كتابه في الأدب الفارسي) .

٦ — **السمعاني** : عبد الكريم أبو سعيد (أو أبو سعد) بن محمد بن منصور السمعاني (أو ابن السمعاني) المولود عام ٥٠٦ هـ والمتوفى عام ٥٦٢ هـ ، محدث وفقيه شافعي ، ساح في كثير من الأقطار ، وشهد كثيراً من أحداث عصره ورجاله ، وتتلمذ لعدد من علمائه وشعرائه (ينظر عنه ابن خلكان ٢/٥٣٩ ، مقدمة ماركوليوث على « الأنساب » ، إبن قاضي شُهبة في « طبقات الشافعية » المخطوط في باريس رقم ٢١٠٢ ، الورقة ٤٩ ب ، بروكلمان ١/٥٦٤ من

(١) ينظر هامش (ص ٨٥) من مقدمة الأستاذ محمد بهجة الأثري لخريدة القصر

ط ١) . ويهمنا من مؤلفاته :

ا — الأنســاب : ومع أن التراجم التي يضمها هذا المعجم مختصرة ، فإنه يظل مصدراً له قيمته ، ويلاحظ زيدان في كلامه على الطغرائي (٣/٦٩ من « تاريخ آداب اللغة العربية ») أن الكتاب في الأصل أضخم مما عليه النسخة التي في أيدينا (وقد نشرها ماركوليوث مصورة) ، وقد أختصر أبن الاثير الانساب وسماه « اللباب » — طبع وستنفلد منه قسماً سنة ١٨٣٥ ، ثم طبع بمصر أخيراً ، وربما أســتدرك أبن الاثير على الانساب (ينظر أبن خلكان ج ١ في ترجمة صدقة)

ب — ذيل تاريخ بغـداد : خمس عشرة مجلدة في صميم دراستنا ، ذيّـل بها السمعاني على كتاب الخطيب البغدادي ، منه :

١ — مختصر في ليدن بهولندة رقم M's9 ب ٢١٦ صفحة تبتدئ بحرف الجيم .

٢ — لاحظ الدكتور مصطفى جواد أنه في ترينتي كوليج بكمبرج « الجزء الثاني من مختصر ذيل تاريخ بغداد » للسمعاني ، يبدأ بمحمد السنجي وينتهي بالحسن بن أحمد البغدادي الأصبهاني وهو أختصار جمال الدين الانصاري صاحب « لسان العرب »

٣ — أسطر وأخبار عند ياقوت وأبن الدبيثي وسبط أبن الجوزي وأبن خلكان ... والفتح ابن علي البنداري في « تاريخ بغداد » — كما سنرى —

جـ — وطبع للسمعاني في ليدن عام ١٩٥٢ م « كتاب الإملاء والاستملاء »

٧ — **الحظيري** : أبو المعالي سـعد بن علي الحظيري المعروف بدلال الكتب المتوفى عام ٥٦٨ هـ ، من شعراء العصر المعدودين وقد فقد كتابه « زينة الدهر وعصرة أهل العصر » الذي جعله ذيلاً على دمية القصر للباخرزي ، ولم تبق منه إلا أستشهادات عند العماد الاصبهاني وأبن خلكان — وغيرهما ولو وصلت الينا « الزينة » لوصلت الينا أخبار كثيرة

وفي « كتابخانه‌ء أستان قدس » بمشهد نسخة تكاد تكون كاملة من كتابه « الإعجاز في الأحاجي والالغاز » — ربما كانت بخط المؤلف نفسه

٨ — **السلفي** : أبو طاهر أحمد بن محمد ... بن ابراهيم بن سِـلفة ، محدث شافعي ، ولد بأصبهان حوالي عام ٤٧٣ هـ وتوفي عام ٥٧٦ هـ ولم يصل الينا كتابه « طبقات الشافعية » ولكن السبكي وأبن النجّار — وأبن الفوطي في معجم الشعر — كما يلاحظ الدكتور مصطفى جواد ، يقتطفون منه (ينظر أ بن خلكان ١/٥٣ — ٥٥ ، السبكي ٤/٤٣ — ٤٨ ، ابن قاضي شهبة ، الورقة ٤٨ ب ، الحنبلي : الشذرات ٤/٢٥٥)

٩ — **إبن الأنباري** : أبو البركات عبـد الرحمان بن محمد ولد عام ٥١٣ هـ وتوفي عام ٥٧٧ هـ ، وله كتب عديدة نذكر منها : « نزهة الألباء في طبقات الأدباء » الذي كان أحد مصادر ياقوت ، وقد طبع مرتين أو ثلاثاً ، ويحقق الآن في باريس

١٠ — **إبن الجوزي** : أبو الفرج عبـد الرحمان بن علي ... فقيـه وواعظ حنبلي . ولد عام ٥٠٨ هـ أو ٥١٠ هـ في بغـداد وتوفي بها عام ٥٩٧ هـ (ينظر مقال بروكلمان في دائرة المعارف الإسـلامية ، خريدة القصر ، ابن خلـكان ، الحنبلي في شذرات الذهب) وتكوِّن الأجزاء الثلاثـة الأخيرة من كتابه « المنتظم في تأريخ الملوك والأمم » ـ المطبوع في حيدر أباد ، مصـدراً لا يستغنى عنه ـ على شدة لهجة المؤلف وعلى إهماله راجم عـدد من الشعراء . وكثيراً ما حدثنا أبن الجوزي عما رأى وسمع ودرس وقد أقتبس من أبن الجوزي سبطه وأبن الأثير وأبن خلـكان وأبن كثير ، وغيرهم ـ كأبن الدبيثي وأبن النجار كما لاحظ الدكتور مصطفى جواد .

ولأبن الجوزي مؤلفات كثيرة ، نذكر منها تلبيس إبليس ـ وهو مطبوع .

١١ — **العماد الأصبهاني** : أبو عبـد الله محمد بن محمـد بن حامـد المعروف بعماد الدين الأصبهاني . ولد بأصبهان عام ٥١٩ هـ في أسـرة ثرية معروفة ، وأمضى بها طفولته وشطراً من صباه ، ونقله والده الى بغداد فسكنها سـنة (٥٣٤) وقـد بلغت سنّـه (١٥) عاماً (تنظر الخريدة ج ١ في كلامه على علي بن أفلح ص ١٥٢ ـ ١٥٨ من نسخة ليدن والورقة ٩١ ـ من

نسخة مكتبة سبهسالار بطهران) وقد درس الفقه والعلوم الأخرى ، وأنابه الوزير ابن هبيرة عنه في واسط ، حتى إذا مات الوزير فقد منصبه ، ولجأ إلى الأيوبيين - منذ كانوا ولاة لمحمود بن زنكي ، كما يلاحظ الدكتور مصطفى جواد - في الشام ومصر وبعد موت صلاح الدين عام ٥٨٩ هـ اعتزل الحياة العامة ، وأرصد وقته للتأليف إلى أن توفي عام ٥٩٧ (١) (تنظر عنه دائرة المعارف الاسلامية ، بروكلمان ج ١ ص ٣١٤ - ٥ ، ابن خلكان ، ابن قاضي شهبة الورقة ٥٤ ب ، مقدمة الأستاذ محمد بهجة الأثري لخريدة القصر - قسم العراق - في التعريف بالعماد ص ٩ - ١١٠)

ويهمنا من مؤلفات العماد الكثيرة :

أ - نصرة الفترة وعصرة القطرة - وفي اسم الكتاب اختلاف . وخلاصته أنه تأريخ سلاجقة العراق . واتخذ العماد ترجمته لمذكرات أنو شروان - السابقة الذكر - أساساً للنصرة ، ثم أضاف اليها أخباراً معاصرة للمذكرات أو تالية لها ، حتى أصبح الكتاب ولا غنى عنه في دراسة العصر سياسياً واجتماعياً وأدبياً . ومع أن العماد يظهر في كثير من المواقف أهلاً للثقة ، وأنه أخذ على نفسه الأمانة العلمية (ينظر البنداري - الزبدة ص ٤) إلا أنه لا بد من قليل من التأني في قبول أحكامه ؛ لأنه هو وأسرته زاولوا السياسة والإدارة ، ولأنه شديد الإعجاب بعمه المستوفي عزيز الدين ؛ كما أن تدينه يمنعه أن يقول في الخليفة - أمير المؤمنين - غير المدح والتعظيم

ومن عيوب « النصرة » اضطرابها وسوء نظامها أما أسلوبها - وما أثقله من سجع وصناعة - ، فذلك ما يؤدي إلى صعوبة الفهم ، وإلى ضياع كثير من الحقائق التأريخية ، وإلى

---

(١) هكذا تروي المصادر . ولكن الأستاذ الأثري بعد أن يعرض هذه الروايات ، يكر عليها بالتفنيد ويقول (في ٤٥ —/ ٥) : « والحق الذي تهديت له بالاستقراء التأريخي أن ... العماد في عهود خلفاء السلطان صلاح الدين ... لم ينقطع للتصنيف والتدريس في بيته أو في مدرسته انقطاعاً تاماً ... ولكنه شارك بعد السلطان صلاح الدين - غير بعيد من وفاته - في بعض أعمال الدولة ، فكتب للملك الأفضل ... أكبر أولاد صلاح الدين ... الذي استقل بملك دمشق والساحل ... الخ »

حشو الكتاب بألفاظ لا طائل تحها وجمل غير مفيدة

وفي المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة من النصرة ، نسخت عام ٦٦ ؟ ، ولعلها الوحيدة في العالم (ولدى كاتب هذه الكلمة صورة لها)

وفي القرن السابع للهجرة أراد البنداري ـ الفتح بن علي بن محمد ، مترجم الشاهنامه للفردوسي ومختصر كتاب البرق الشامي من مؤلفات العماد) أن يخدم سلطانه الملك المعظم ، فشرع عام ٦٢٣ هـ في اختصاره ، وسماه « زبدة النصرة » وهدفه أن يخلّص الكتاب من أغلال الصناعة اللفظية ، وقد أتم الاختصار ، ولكنه لم يستطع تحقيق غرضه منه . (وعجيب أن يقول هوتسما ناشر الكتاب ص XXXIII إن البنداري قد أدى مهمته أداء يفوق كل مديح)
واختصر البنداري ـ فيما اختصر ـ كثيراً من الاستشهادات الشعرية التي ذكرها العماد وهو يتكلم على أحداث العصر وأعلامه ؛ وخسارة مؤلف الأدب بذلك غير قليلة ـ وإن كان هوتسما ص XXXVII قد امتدح هذه الفعلة وعدّها من المحاسن

وإعجاب هوتسما بهذا المختصر هو الذي دفعه إلى طبعه بليدن عام ١٨٨٩ م في سلسلة تأريخ السلاجقة ، معتمداً على مخطوطة أكسفورد ؛ راجعاً ـ ما دعت الحاجة إلى مخطوطة الزبدة ومخطوطة النصرة اللتين تضمهما مكتبة باريس ، فجاءت طبعة متقنة وقد حسب جرجي زيدان ـ في « تأريخ آداب اللغة العربية » (٦٢/٣) الكتابين اللذين طبعهما هوتسما في هذه السلسلة ترجمتين لكتاب البنداري ، وذلك غير صحيح ، لأن الكتابين ـ وأحدهما بالفارسية والآخر بالتركية ـ يختلفان عن الزبدة كل الاختلاف (١)

ومن آثار القرن السابع ، كتاب اسمه « أخبار الدولة السلجوقية » يجهل اسم مؤلفه الحقيقي ـ وهناك من ينسبه لأبي الحسن علي القفطي أو لأبي الحسن علي بن منصور بن ظافر بن

(١) من المناسب أن نذكر أن المكتبة الوطنية بباريس تضم (رقم ٦١٥٢) مخطوطة هي « الجزء الأول من تأريخ بغداد للعلامة الفتح بن علي بن محمد البنداري ـ الأصبهاني ـ » وهو بخط مؤلفه فرغ منه بالورقة ١١٦ أ سنة ٦٣٩ بدمشق والكتاب ـ كما نص مؤلفه ـ أخبار نقلها عن الخطيب البغدادي وكتاب أبي سعد السمعاني ـ وقد أشرنا الى بعض ذلك آنفاً

الحسين الخزرجي المتوفى عام ٦٢٣ (تراجع مقدمة ناشره محمد إقبال) . وقد طبع بلاهور سنة ١٩٣٣ منسوباً لصدر الدين علي بن ناصر الحسيني وتقترب نصوص هذا الكتاب من « الزبدة » حتى ليكاد يكون مختصراً آخر « للنصرة » ـ ولكنه لم يشر الى « العماد » و « النصرة » إلّا في مكان واحد (ص ٦٩)

ب ـ خريدة القصر وجريدة العصر — وقد تأثر العماد حين ألف خريدته « بدمية » الباخرزي و « يتيمة » الثعالبي وغيرهما [١] وقد تكلم فيها — عن علم ودراية — على شعراء المئة السادسة خاصة [٢] ، موزعين بحسب أقطارهم : العراق ، بلاد العجم ، الشام ، الجزيرة ... مصر ... المغرب ، الأندلس (ينظر وفيات الأعيان ٢/٤٩٧) يروي العماد في خريدته كثيراً مما رأى وسمع من حوادث وأخبار ، وينقل عن كتب لم نكن نسمع بأسمائها لولاه ، أو عن كتب عرفناها ولم تصل إلينا ، مثل : « زينة الدهر » و « ذيل تأريخ بغداد » ، وإنه ليختار اختيارات كثيرة من دواوين الشعراء ، ومن بين هذه الدواوين ما لم يصل إلينا مثل ديوان ابن المبّاربة وكانت هذه الخريدة مصدراً لعدد من المؤلفين ، ولا سيما ابن خلكان وليس لأحد أن يدّعي معرفة العصر أو الكتابة عنه دون أن يقف على هذا الكتاب الضخم القيم

يمكن القول إننا نمتلك مخطوطات أجزاء هذا الكتاب كاملةً وقد نشر شعراء صقلية في كتيّب ، ونشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة القسم الخاص بمصر سنة ١٩٥١ـ٥٢ [٣]

---

(١) المعروف — كما هو بين عند ياقوت وابن خلكان وغيرهما — أن الخريدة ذيل على « زينة الدهر » للحظيري ، ولكن الأستاذ الأثري في مقدمته لقسم العراق من الخريدة (ص ٨٧—٨٩) ينفي ذلك ، ويقول (ص ٨٨) : « ... الصحيح أن كلا الكتابين قد ألف في عصر واحد وفي أهل عصر واحد ... »

(٢) كثيراً ما ذكر المؤرخون أن بداية « عصر الخريدة » هو « ما بعد المئة الخامسة » ، وقد اختلفوا في نهايته وناقش ذلك الأستاذ الأثري في مقدمته لقسم العراق من الخريدة (٩٧—٩٨) فقال : « ... ولعل أقدم من ترجم لهم من شعراء القرن الخامس هو ... الباخرزي ... المقتول سنة ٤٦٧ ... وقد يكون آخر من ترجم لهم من شعراء القرن السادس هو الأمير تاج الملوك الأيوبي ... المتوفى سنة ٥٧٩ وهاتان الترجمتان ... تدلان على أن « عصر الخريدة » يزيد على القرن ... »

(٣) ربما ضمت مكتبة جامع القرويين بفاس المجلد المصري أو شيئاً منه

ونشر المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٦ الجزء الأول من شعراء الشام بتحقيق الدكتور شكري فيصل [1] وربما كان مخطوط قسم العراق أكثر المجلدات وجوداً ، فنسخه ـ تامة أو غير تامة ـ في لندن وباريس وليدن ومونيخ والفاتيكان والقرويين وطهران (سپهسالار) وغيرها ، وقد نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول منه بشروح لغوية وتأريخية ومقدمة مستفيضة في العماد الأصبهاني بلغت (١١٠ ص) بقلم الأستاذ محمد بهجة الأثري (ينظر منها التعريف بالخريدة ص ٨٢ ـ ١٠٩)

أما مجلد بلاد العجم ، فتحتوي ليدن من مخطوطاته على نسختين (رقم ٢١ ، ٣٨٤) بخط مغربي ـ تتشابهان كثيراً ، وتعوزهما صفحات من البداية وفصول — كالفصل المعقود على أصبهان — من الوسط وفي المجمع العلمي العراقي « ميكروفلم » لإحدى هاتين النسختين ، وعلمت أن المكتبة الوطنية في طهران قد صورت كلتا المخطوطتين وتضم مكتبة أكسفورد قسماً مما يعوز بداية ليدن ، وفي المجمع العلمي العراقي صورة له ، وفي مكتبة القرويين نسخ لا يسهل الوصول اليها أو الحصول عليها ، وسمعت أن المحامي السيد عباس العزاوي يمتلك نسخة منه ، فلما سألته قال : إنها ناقصة ، وإنه أرسلها مع ولده الى ايران

وللعماد — مما يذكر — كتاب آخر أستدرك به على الخريدة ما فاته وذكر ما جد عليه ، قال ابن خلكان في ترجمة العماد : « وصنف كتاب « السيل على الذيل » جعله ذيلاً على الذيل لابن السمعاني ... هكذا قد سمعت ، ثم إني وقفت عليه فوجدته ذيلاً على خريدة القصر » . وقد نقل ابن خلكان عن هذا الكتاب وسماه مرة « الذيل » (٢٨١/٢ ترجمة محمد ... الشهرستاني) ومرة « السيل » (٢٦٥/٢ رجمة الشهرزوري) . وفي كوبها كن بالدانمارك نسخة بإسم « الذيل ... » تضم — أكثر ما تضم — راجم مصرية ومغربية . وفي المجمع العلمي العراقي صورة لها لم يطمئن الأستاذ الأثري إلى أنها الذيل نفسه — ولعلها مختصر للذيل

---

[1] (١) ربما ضمت مكتبة جامع « القرويين » المجلد الشامي شيئاً منه وللفصل الذي عقده الأصبهاني على الغزي (ص ٣ — ٥٧ من ط دمشق) أهمية خاصة فيما يتصل بموضوعنا

ولتراجم من القسم المصري أو المغربي ... ونحن نعلم أن الذيل الأصلي في ثلاث مجلدات .

١٢ — ومع أن المصادر الفارسية قليلة جداً — بشهادة سوفاجه في مقدمته (ص١٤٦)، ولا تفيد إلا في دراسة العصر أو في دراسة شعراء فرس يكتبون بالفارسية ، فان الراوندي المتوفى عام ٥٩٩ ﻫ يتكلم في كتابه « راحة الصدور » على الطغرائي ، والعوفي في « لباب الألباب » على الباخرزي ، ويذكر النظامي العروضي السمرقندي في « جهار مقاله » ديوان الأبيوردي والغزي كما أن مراجعة تاريخ « كزيده » تأليف المستوفي لا تخلو من فائدة . و « كزيده » مترجم الى الفرنسية ، « وجهار مقاله » إلى الانكليزية والعربية ، وعلمت أن « راحة الصدور » يترجم الآن في مصر .

١٣ — ياقوت : ولد أبو عبد الله ياقوت ببلاد الروم حوالي عام ٥٧٤ ﻫ ، وتوفي قرب حلب عام ٦٢٦ ﻫ بعد أن دخل كثيراً من البلاد الإسلامية ؛ وفي مرو — حيث مكث زهاء عامين — بدأ يجمع في مكتباتها الأخبار اللازمة لكتبه المهمة (ينظر Huart في دائرة المعارف الإسلامية وابن خلكان) ويهمنا من كتبه :

ا — إرشاد الأريب الى معرفة الأديب : طبع مرتين ، الأولى بعناية المستشرق الانكليزي ماركوليوث ، والثانية بعناية الدكتور أحمد فريد رفاعي بمصر ويحفظ المؤلف لنا في هذا الكتاب الضخم بعض ما أنتهى إليه من مسموعات (إرشاد ، ط ماركوليوث ، ١٧٢/٦) ، وكان ابن الدبيثي أحد من روى عنهم كما أنه ينقل عن مصادر لم تصل الينا مثل « الوشاح » (ينظر فهرس معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية) « ومشارب التجارب » (الإرشاد ٢٠٨/٤) وينص ياقوت في مقدمة كتابه على « نزهة الألباء » ، كما أنه يقتبس من السمعاني . وهكذا يظل ياقوت مهماً على تأخر عصره (نسبياً) وقد أستقى منه مؤلفون عديدون ، منهم السيوطي في « بغية الوعاة » ومن المحتمل جداً أن يكون أبن خلكان ـ وقد ترجم لياقوت ـ قد أستقى من الإرشاد عدداً من أخباره

حين يتكلم أبن خلكان (١٦٢/٣) على مؤلفات ياقوت ، يذكر — فيما يذكر — « إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء » وكتاب « معجم الشعراء » وكتاب « معجم الأدباء » ،

ويفهم من كلامه هذا وكلام ابن النجّار في « المستفاد » أن هذه الأسماء تكوّن ثلاثة كتب مختلفة ، ولكن الشائع اليوم هو أن « إرشاد الأريب » و « معجم الأدباء » كأنهما عنوانان لكتاب واحد (عن معجم الشعراء ينظر ياقوت : إرشاد ٥ — ٦) . ويرى الدكتور مصطفى جواد أن هذا الإرشاد المطبوع غير كامل ، لأن الجزء السابع (من طبعة ماركوليوث والذي يتناول حرف الميم) قد اختصره مؤلف آخر غير ياقوت ومما يلفت النظر فيه أن أكثر أعلامه شعراء ، فلعله جزء من معجم الشعراء المفقود .

ب — معجم البلدان : ويحوي هذا الكتاب (الذي طبع مرة في ليبزك وأخرى في القاهرة ويطبع ثالثة اليوم في بيروت) زيادة على معلوماته الجغرافية ، معلومات قيمةً في التاريخ والتراجم والأدب والشعر .

١٤ — **ابن الأثير** : عز الدين علي بن محمد الشيباني ، وقد ولد في الجزيرة عام ٥٥٥ هـ ، ودرس كثيراً ، وساح كثيراً ، وعاش في عدة مدن كالموصل وبغداد ودمشق وحلب ... ثم عاد إلى الموصل حيث توفي عام ٦٣٠ هـ ومن آثاره :

ا — الكامل في التاريخ (وينتهي بعام ٦٢٨ هـ) : مصدر مهم جداً في دراسة العصر ، وكلامه على بداية السلجوقيين مثلاً لا تكاد تجده في مصدر آخر ، حتى في الكتب التي عقدت على السلاجقة ولا تخلو أخباره الموجزة عن الشعراء من فائدة لتاريخ الأدب وتتشابه كثير من أخبار ابن الأثير مع أخبار ابن الجوزي ، حتى لكأنه يعتمد عليه — ولعلهما اغترفا من بحر واحد وأخذ من ابن الأثير كثير من المؤلفين المتأخرين ، مثل ابن خلكان وأبي الفداء وابن الوردي وابن خلدون . وطبع الكامل في ليدن عام ١٨٥١ — ١٨٧١ طبعة محققة مفهرسة ، كما طبع في القاهرة ، في بولاق وغيرها ، عدة مرات آخرها طبعة مطبعة الاستقامة ، ويطبع اليوم في أجزاء وكراريس في بيروت .

ب — تاريخ الدولة الأتابكية — ملوك الموصل وقد طبع مع الترجمة الفرنسية في باريس عام ١٨٧٩ م ، وظهر فيه ابن الأثير متحمساً للأسرة التي يؤرخ لها . وقد حسب

سركيس في « معجم مطبوعاته » هذا الكتاب قسماً من الكامل ، وهذا غير صحيح

١٥ — ابن دحية : المؤرخ الأندلسي أبو الخطاب عمر المعروف بذي النسبين (دحية والحسين) توفي في القاهرة عام ٦٣٣ هـ بعد أن طاف المشرق ، وألف عدة كتب منها « النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » — الذي نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر ببغداد سنة ١٩٤٦ م والكتاب يمثل وجهة نظر مؤلف مؤمن شديد الإخلاص للخلفاء مهما بلغ ضعفهم ، وينقل لنا من حين لآخر من الأخبار والآراء ما لانكاد نجده عند غيره .

١٦ — ابن الدبيثي : أبو عبد الله محمد بن سعيد ، محدث وفقيه شافعي ولد عام ٥٥٨ هـ في مدينة واسط ، وعرف بالدبيثي نسبة الى دبيثا من قرى واسط — وفيها كان أصل أسرته وقد توفي ببغداد عام ٦٣٧ هـ (ينظر ابن خلكان ٣٥٢/٢ ، ابن قاضي شهبة ٦٢ ب ، وعن جده المخطوط ٢١٣٣ من تاريخه بباريس ، وعن أبيه الجزء الثاني من تاريخه)

ومن آثاره كتاب ضخم هو « ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد للسمعاني » ، وعلك منه :

ا — الجزء الأول ، ورقمه ٥٩٢١ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس . جاء في مقدمته « ... وبعد ، فهذا كتاب يذكر من كان بمدينة السلام من الأئمة المهديين والخلفاء وولاة عهودهم والوزراء وأرباب الولايات والنقباء والقضاة والعدول والخطباء والفقهاء ورواة الحديث والقول وأهل الفضل والأدب والشعراء ومن قدمها من أهل العلم والرواية ... جعلناه تالياً لكتاب التاريخ الذي ألفه تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي ، ومذيلاً عليه ... »

وقد بدأ بذكر من أسمه محمد وأسم أبيه أحمد ، حتى إذا بلغ الورقة ٢٩٨ بلغ ترجمة جبريل ابن صارم ... بن خليف ، ثم قرأنا : « آخر الجزء الثاني والعشرين من أصل ... وهو آخر المجلدة الأولى من هذه النسخة يتلوه ... حرف الحاء ، ذكر من أسمه الحسن ، الحسن بن أحمد ابن محمد » .

ب — الجزء الثاني ، ورقمه في باريس ٥٩٢٢ وهو يتمم الأول مادةً ونسخاً وورقاً ، حتى

اذا انتهى من ترجمة علي بن الحسن بن هبة الله بن ... عساكر وبلغ الورقة ٢٢٢ ب ، قرأنا : « آخر الجزء الثالث والأربعين من الأصل ، وهو آخر السفر الثاني من هذه النسخة ، يتلوه إنشاء (كذا) الله في أول الثالث علي بن الحسن بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم علي بن الحسن ابن المسلمة كتبه عبد الرحمن بن عبد الخالق ... الأموي الشافعي من نسخة وقف السلطان الملك الأشرف ... وافق الفراغ منه يوم الثلاثاء ، ثاني عشر جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وستمائة ... » أي حوالي سنة قبل وفاة المؤلف •

والمخطوطتان على أحسن ما يمكن من الورق والوضوح وقد فقدت المجلدة التي تتممها ويكمل بها الكتاب

جـ ـ مخطوطة رقمها ٢١٣٣ في باريس أيضاً ، تبتدىء بذكر من اسمه أحمد واسم أبيه إسماعيل ، حتى إذا بلغنا الورقة ٢١٠ رأينا ترجمة جد المؤلف ، وهو حجاج بن علي بن الحجاج بن محمد أبو القاسم ، وعلى الورقة ٢١١ أ : « يتلوه في الثالث حرف الخاء ذكر من اسمه خالد » .

د ـ وفي المجمع العلمي العراقي صورة باسم « مخطوطة ذيل تأريخ بغداد لابن الدبيثي » ، أصلها في كمبرج ، وتبدأ بعبد الله بن عبد الله ، وتنتهي بعون ... وجاء على الورقة ١٨٤ : « آخر حرف العين ، يتلوه في المجلد الرابع حرف الغين المعجمة ، أوله من اسمه غالب »

وقد نسبت مكتبة كمبرج المخطوطة الى السمعاني ، ورقمها فيها ٢٩٢٤ ؛ ويجزم الدكتور مصطفى جواد ـ بعد المقابلة والمقارنة ـ بأنها من تأريخ ابن الدبيثي .

وليس كتاب ابن الدبيثي ذيلاً فقط ، فربما تكلم على من أهمله السمعاني أو من عاصره . ومع أن همّ ابن الدبيثي الأول هم الفقهاء والمحدثون ، فإنه لا ينسى الشعر والشعراء

اختصر الذهبي محمد بن أحمد (٦٧٣ ـ ٧٤٨) هـذا الكتاب لنفسه ، وسماه « المختصر المحتاج إليه من تأريخ ابن الدبيثي » وقـد نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول منه بتحقيق الدكتور مصطفى جواد عام ١٩٥١ م ، وليس لهذا المختصر أن يسد مسد الأصل ، ولعل المجمع الموقر يفكر في نشر المتيسر من كتاب ابن الدبيثي ـ وهو غير قليل .

١٧ — القفطي : ولد أبو الحسن علي بن يوسف عام ٥٦٨ ﻫ في قفط من مصر العليا ، وتوفي عام ٦٤٦ ﻫ وكان قاضياً للملك الظاهر في حلب ، وكان « جم الفضل ... إذا تكلم في فن من الفنون ... قام به أحسن قيام » ، وقد « جمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لا يوصف ، وكان ذا غرام مفرط بها » « ولا يحب في الدنيا سواها » « ولما احتضر ، أوصى بها للناصر صاحب حلب وكانت تساوي نحواً من أربعين ألف دينار » (ينظر المحمدون ، معجم الأدباء ، فوات الوفيات ، شذرات الذهب ، بروكلمان ، ومقدمة كتاب إنباه الرواة ...)

ونذكر من آثاره :

أ ـ المحمدون من الشعراء وأشعارهم : و « رتب ذلك على حروف المعجم في أول أسماء آبائهم » ، وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة منه رقم ٣٣٣٥ . والمخطوطة بادية النفاسة ، وربما كانت الوحيدة في العالم وقد جاء فيها ـ بعد الانتهاء من ترجمة محمد بن سعيد بن محمد بن عمر ابن الحسين الرزاز البغدادي ، على الورقة ١٣٠ ب — ١٣١ أ : « هذا آخر ما وجدته بخط مصنفه ، لكنه أحال في أوله على حروف بعد هذا الحرف ، فما أدري هل انخرم الكتاب أو أدركته المنية قبل تمامه ... وافق الفراغ من نسخه يوم الأربعاء المبارك تاسع عشرين رجب الفرد أحد شهور سنة ١١٥٦ » . وجاء في مقدمة النسخة عن الذهبي في العبر : « ... لم يستوعب المؤلف حروف المعجم بتمامها ، بل إلى حرف السين المهملة ، فجزاه الله خيراً وأنزل على ضريحه شآبيب رحمته »

ب ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء : وهو مطبوع ، وقد كتب على مخطوطته في باريس أنها المختصر الذي عمله الزوزني .

١٨— ابن النجار : محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن هبة الله بن محاسن البغدادي ، ولد عام ٥٧٨ ﻫ ، ودرس الفقه على ابن الجوزي وغيره ، وطوف كثيراً بين مصر وخراسان إلى أن توفي ببغداد عام ٦٤٣ ﻫ (ينظر ابن قاضي شهبة ، الورقة ٦٩ ب ، فوات الوفيات ،

شذرات الذهب ، الحوادث الجامعة ص ٢٠٥ ، بروكلمان ج ١ ص ٣٦٠ ، زيدان ٣/٧٠) .

وقد ألف ابن النجار ـ فيما ألف ـ كتاباً ضخماً هو « ذيل تاريخ بغداد للخطيب » ، روي مرة أنه يقع في (١٦) مجلدة ، ومرة في (٣٠) مجلدة ، وربما كان صاحب الرواية الثانية يجمع بين أجزاء الذيل وأجزاء كتاب « المستدرك على تاريخ الخطيب ، (ينظر المستفاد وشذرات الذهب) . ومما يذكر عن آثاره :

أ ـ أننا نجد في المجمع العلمي العراقي تحت أسم « المجلد العاشر من ذيل التاريخ المجدد لمدينة السلام تأليف ابن النجّار » صور المخطوط بوساطة المفوضية العراقية بدمشق » ، وربما كانت هذه النسخة هي التي أشار اليها بروكلمان في تكملة تاريخه ٥٦٣ . ويبدأ هذا المجلد بعبد الملك بن ابراهيم وينتهي بعلي بن الحسين ، ونقرأ بعد ذلك : « آخر المجلد العاشر من هذه النسخة ، وهو آخر المجلد العشرين من الأصل يتلوه في الذي يليه ... علي بن الحسين بن أبي الحرا »

ب ـ وفي المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة رقمها ٢١٣١ ، تبدأ بترجمة علي بن محمد الدامغاني ، كتب على الورقة الأخيرة منها (١٤٥ أ) : « آخر المجلد الثالث والعشرين من الأصل من التاريخ المجدد لمدينة السلام وهو آخر المجلد الحادي عشر من هذه النسخة ويتلوه في أول المجلد الرابع والعشرين من الأصل أول الجزء : الفضل بن محمد ... وافق الفراغ منه في سلخ جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ... على يد علي بن عبد الله بن مسعود السعودي المؤدب » وقد أخطأ دسلان De Slane مؤلف دليل المكتبة المذكورة ، إذ عدّ هذا المجلد جزءاً من « تاريخ بغداد » للخطيب . ويفهم من إشارة لبروكلمان (تكملة ٢/٥٦٣) أنه ينسبه لابن النجار ، ويجزم الدكتور مصطفى جواد في ذلك معتمداً على مطابقة النسخة لأوصاف تاريخ ابن النجار ومطابقة خطها لخط نسخة دمشق ولما ذكر فيها من شيوخ ابن النجار

جـ ـ اختصر كتاب ابن النجار ، أحمد بن أيبك ابن الدمياطي الحسامي (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، ينظر بروكلمان ، التكملة ، ١/٣٦٥) بـ (١٧٨) صفحة سماها « المستفاد من ذيل

تاريخ بغداد » وتملك دار الكتب بالقاهرة نسخة منـه بخط المؤلف ـ منهـا صورة في المجمع العلمي العراقي ، ولا تخلو مراجعها من فوائد . ومن قراءة هذا المختصر تعرف عدداً من مصادر ابن النجار نفسه كالهمذاني والسمعاني والعماد ، وربما ياقوت وابن الأثير ، ولنذكر أن ياقوتاً الذي التقى بابن النجار قد روى عنه بعض ما سمعه منه من أشعار (ابن خلكان ٣/١٦٩) .

١٩ — **سبط ابن الجوزي** : شمس الدين يوسف بن قزا أوغلي سبط ابن الجوزي من ابنته ولد عام ٥٨٢ هـ في بغداد وتوفي عام ٦٥٤ هـ في دمشق وقد راجعنا من كتابه « مرآة الزمان » : —

أ — المجلد الذي يؤرخ الأعوام ٤٤٠—٥١٧ هـ ، ومخطوطته في باريس وليدن

ب — المجلد الثامن الذي يؤرخ الأعوام ٤٩٥—٦٥٤ هـ ، وقد نشر مصوراً في شيكاغو سنة ١٩٠٧ م ، ثم طبع على قسمين في حيدر آباد سنة ١٩٥١—١٩٥٢ م . ويقول الدكتور مصطفى جواد : إن من يقرأ المجلد من أوله إلى آخره يدرك بأنه مختصر ، والأصل مخطوط في القاهرة

وكثيراً ما أعاد السبط كلام الجد ، ولكنه كثيراً ما أضاف واستدرك ونقل عن مصادر أخرى وقد رأى ابن خلكان « مرآة الزمان » « بأربعين مجلداً » ، ونقل عنها في (الوفيات ٣/٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٦)

٢٠ — **ابن خلكان** : القاضي الشافعي شمس الدين أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان . ولد في إربل عام ٦٠٨ هـ انتهى من كتابه « وفيات الأعيان » عام ٦٧٢ هـ ، وتوفي عام ٦٨١ هـ (تنظر دائرة المعارف الإسلامية والصفحات الأخيرة من الوفيات) .

نقل ابن خلكان من كتب لم تصل الينا ، مثل « زينة الدهر » « وذيل السمعاني » « وذيل ابن الدبيثي » وكان من مصادره الأخرى : « دمية القصر » وابن الجوزي (ينظر الوفيات ٢/٢٣٥ ، ٢٣٦) ، وليس غريباً أن يغدو الوفيات ـ مع تأخر عصره ـ من المصادر الرئيسة . وقد أفاد منه قبلنا كثيرون ، وتكاد تكون الأخبار التي ترويها « شذرات الذهب » للحنبلي

المتوفى ١٠٨٩ ﻫ تلخيصاً أو نقلاً عن ابن خلكان – وذلك فيما يتعلق بالترجمات التي وردت في الوفيات

وعلى تعدد طبعات الوفيات ، فانه لم يلق العناية اللازمة لمثله وقد اعتمدنا على نسخة مطبعة « الوطن » سنة ١٢٩٩ ﻫ مع مراجعة طبعات أخرى ومخطوطات هنا وهناك – كلما دعت الحاجة .

٢١ – **ابن الطقطقى** : محمد بن علي بن طباطبا ، ولد حوالي عام ٦٦٠ ﻫ ، وانتهى من تأليف كتابه « الفخري في الآداب السلطانية » عام ٧٠١ ﻫ ويهمنا كتابه – على اختصاره ، لما فيه من فوائد شعرية ومن منقولات عن مصادر مفقودة (تنظر مقالة Huart في دائرة المعارف الاسلامية وتناقش) وقد طبع في باريس وكوتا والقاهرة (مراراً)

٢٢ – **ابن شاكر** : محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ ﻫ ، وكتابه « فوات الوفيات » – وهو مطبوع – يحوي مجموعة من راجم لم يعن بها ابن خلكان أو سها عنها أو لم تتيسر له معرفة تاريخ وفيات أصحابها ومن بين التراجم ما هو إعادة بالنص لما جاء في « الوفيات » !

وللمؤلف كتاب آخر ضخم هو « عيون التواريخ » ، تحتفظ عدد من المكتبات مثل أكسفورد بنسخ من مخطوطات أجزائه

٢٣ – **ابن جماعة** : القاضي عز الدين عبد العزيز بن محمد ... ابن جماعة . ولد بدمشق عام ٦٩٤ ﻫ ، وتفقه على والده وغيره ، وولي قضاء الديار المصرية مدة طويلة ، وتوفي بمكة سنة ٧٧٦ ﻫ وتضم المكتبة الوطنية بباريس مسوّدة تؤلف الجزء الثالث من معجم شعراء القرن الخامس والسادس والسابع ، وتشمل مهم أعلام حرف الحاء والسين . وهذه « التعليقة » مهمة على نقصها وعلى صعوبة قراءة خطها – وهي بخط مؤلفها ، وقد أنهاها سنة ٧٥٦ ﻫ (ينظر دسلان في دليل المكتبة الوطنية رقم ٣٣٤٦ ، وابن قاضي شهبة في طبقات

الشافعية ، الورقة ١١٧ ب) ويذكر أن أبن جماعة يكتب الخط الحسن السريع (!)

٢٤ — وهناك مراجع أخرى مثل البـداية والنهاية لأبن كثير وشـذرات الذهب للعماد الحنبلي ، لا تكاد تضيف شيئاً ، ولا تكاد تخرج — فيما يتصل بالفترة التي نؤرخ لها — عن كونها نقلاً أو تلخيصاً لمنتظم أبن الجوزي وكامل أبن الأثير ووفيات أبن خلكان

وليس بين الدراسات الحديثة ما ننص عليه سوى دائرة المعارف الإسلامية وتاريخ بروكلمان ومقالات كتبها الدكتور مصطفى جواد في مجلة « الغريّ »

وبعد ، فهذا أستعراض موجز ، هو أشبه بفهرست تاريخي لأهم المصادر العامة للبحث في شعر القرن الخامس — السادس وشعرائه ، وللتأريخ مكان ملحوظ منها أما الكلام على هذه المصادر فيما يتعلق بكل شاعر منفرداً ، فكانه — هو وكتب أخرى أقل عموماً أو أقل أهمية — الدراسة التي تعقد على ذلك الشاعر

والغرض من النشر هنا هو الإفادة من ملاحظات أفاضل القراء بغيـــة إصلاح الخطأ وأستدراك النقص ؟

علي جواد الطاهر

باب الكتب

محمد إقبال

سيرته وفلسفته وشعره

تأليف الدكتور عبد الوهاب عزام — ١٩٢ ص — مطبوعات باكستان
مطبعة الصباح بالقاهرة ، ١٣٧٣ — ١٩٥٤

بين هـذا المؤلِّف والمؤلَّف فيه ، وهما من أكابر أعلام العصر ، وشائج من قربى الروح والفكر والعقيـدة ونوازع النفس ومنازع الحياة ، تمثلت منذ أزمان في لهجه بأدبه ، وولعه بالتعريف به وترجمة آثاره الى اللغة العربية في حياته وبعد مماته ، حتّى كان من أثر هـذا اللهج والولع أنّه ما ذُكر بين العرب أسم « محمد إقبال » إلا تَمثّلَ للأذهان — عند ذكره — أسم « عبد الوهّاب عزّام » ، كأنّهما الشاخص والظلّ وكأن ذلك قدر من الله أجراه على يد هـذا الأديب العربي المؤمن البارع الأدب الواسع المعرفة بالعربيّة والفارسيّه والتركيّة والإنكليزيّة ، لتتمّ به الوسيلة الى بيان مدى الصلة الروحيّة والفكريّة الوثيقة بين أعظم كُتْلَتين من الشعوب الإسلامية في جناحي الشرق والغرب من وطن الإسلام ، ومدى ما بين عبقريّة الأدبين ـ الأدب العربي وأدب الهند الإسلامي ـ من تماثل الآفاق ، وتشابه الغايات ، وتجاوب أصداء المعاني الإنسانية على ما بين ألفاظ لسانيهما من تباعد .. فكان مؤدّى هـذه السفارة التي أضطلع بها هذا الأديب العربي بين لغتين متباعدتين في الألفاظ سفارةً روحيّة عظيمة الخطر في الحياة الحاضرة بين أمتين حالها واحـدة في واقع الأمر وحقيقته ، سَرْعانَ ما وجدت حسن قدرها من حكومته الرشيدة بدعوته الى توثيقها بالسفارة السياسيّة بينها وبين الحكومة التي كانت وليدة جهاد الشاعر الحكيم السياسي « محمد إقبال » وأترابه

في الجناح الشرقي من وطن الإسلام الأكبر ، وما برحت جلائل الأعمال والآثار من وحي هذا الأدب الصادق الحر ومن ثماره

وعملُ المؤلف في هذا الكتاب ، تلخيص دقيق للمجهود الذي أنفقه — في السنين الطوال — في درس الشاعر الحكيم ، وفي الإفاضة في التعريف به ورواية أخباره وترجمة آثاره من شعر ونثر ومن أدب وفلسفة .. ساقه مساقاً بارعاً في ثلاثة أبواب أشتملت على خمسة عشر فصلاً ، لكل باب خمسة فصول ، وهذه الأبواب الثلاثة هي : سيرة الشاعر وفلسفته وشعره ، مقدماً لها مقدمة فيها « ما يقرّب الى القارىء صورة الشاعر ، ويجمل له دعوته ، ليتهيّأ لقراءة هذا الكتاب طلباً للتفصيل ورغبةً في المزيد ، وشوقاً الى شعر بدْع وفلسفة أُنُف ، وإعجاباً بالفكر المحلّق ، والمفكر الحرّ ، والفيلسوف الذي لا يسير مع الزمان ، ولا يخضع لتقلّب الحدثان ، والشاعر الذي ينفخ الحياة في الموات ، ويبعث في القفر ألوان النّبات ، ويُشعِلُ الجمر الخامد في الرماد الهامد [1] » وَصف فيها « كيف سمع بإقبال أسماً مُبهَماً ، وكيف زادت معرفته به على مرّ الزمان ، حتّى وقع في بحره وسبح في لُجّه ، ثمّ أوى الى الساحل ينظر العباب الزاخر ، والآذيّ الثائر ، ويصف ما رأى لمن لم يعرفه معرفته ، ولم يولع به ولعه [2] »

ولَشهد أن المؤلف كان عظيم الحظوظ من التوفيق فيما أصطفى من سيرة مشرقة المطالع والأنوار ، أزدحمت فيها صور العظمة : عظمة الروح والطموح والفكر ، وزخرت بأروع معاني الحياة النبيلة .. وفيما أعطانا من صور نواحي هذه السيرة الجليلة وما أُمتازت به من إبداع وجمال وقوّة .. وفيما صوّرها به : من أسلوب أدبي مشرق جميل بريء من التكلف والتعقيد ، ومن ألفاظ رِشاق زائنلت لمعانيه مقدودة على قدودها ما يعيبها طول ولا قصر

ويقيناً ان السرّ في هذا التوفيق الذي أصابه المؤلف في كتابه ، ليس مردّه الى لوذعيّته وحدها ، ولكن اليها والى ما أشرت اليه من قبل من وشائج قربى الروح والفكر والعقيدة بينه وبين الشاعر الحكيم ، والى تعمقه في درسه وطول رياضته لمعانيه وتشرّبه أغراضه

(١) ص ٣ (٢) ص ٤

وأفكاره ، فهو لم يختشب القول فيه اُختشاباً ، ولا لفَّق فيه من كلّ وادٍ لِفْقاً لا يجانس صاحبه كما يفعل معظم المتصدّين لكتابة تراجم الرجال ، لكنه درس ووعى وتمثّل وحلّ روحاً في روح ، ثمّ أدّى ما أدّى كما يفصح الروح عن الروح .

فليت جميع الذين يقتحمون حَرَم التأليف يستأنون ويفكّرون في شأنه ألف مرّة قبل أن يكلفوا أنفسهم الدخولَ فيه مرّةً ، يستأنون ولا يدنون من هذا الحرم إلا أبطالاً شاكين مجرّبين ، مقدّرين أثر ما يقدمونه في توجيه الأجيال ومنفعة الناس .. إذن لَتَكْمُلَ الفكر والعلم عندنا نقلة عالية المربأ ، بالغة الجلال والكمال ، وإذن لبلغنا الحظّ الذي نتوق اليه من التوفيق في الحياة بين الأقوياء : أقوياء الفكر ، وأقوياء العلم ، وأقوياء السلطان

محمد بهجة الأثري

طبقات الأطباء والحكماء

تأليف سليمان بن حسان الأندلسي — تحقيق فؤاد سيد ، ومن منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة

كتاب طبقات الأطباء والحكماء ، من الكتب العربية القديمة الأولى المؤلفة في سير العلماء المشتغلين بالعلوم والفلسفة ، فهو من هذه الناحية مرجع مهم لدراسة تطور الحركة العلمية عند العرب . وهو من مؤلفات أبي داوود سليمان بن حسان الأندلسي المتوفى سنة ٣٧٧ للهجرة . ولهذه الميزة أهميتها لمن يريد الوقوف على الحركة العلمية في المغرب العربي ، خاصة أنّ معارفنا عنها قليلة ويا للأسف ، والمصادر عنها معدودة ، فهو مورد مهم يفيدنا في تتبع البحوث العربية في الدولة الأموية الغربية

يتضمن الكتاب مقدمة في التعريف به وفي مؤلفه وفي الكتب التي اُستعان بها في تأليفه ، وفي مظانّه ، يليها المتن وما كتب عليه من شروح بلغت ١١٦ صفحة . وقد بُدىء المتن بالهرامسة الثلاثة ، واُنهي بسيرة محمد بن عبدون الجبلي العدوي والغالب على التراجم

الإيجاز والاُختصار . وقد جعلها المؤلف تسع طبقات ، تضمنت الطبقات الخمس الاُولى راجم حكماء الروم أما الطبقات الباقية ، فقد خصصت على هـذا النحو : خصصت الطبقة السادسة بالحارث بن كلدة واُبن أبي رمثة واُبن أبجر وما سرجويه ، وخصصت الطبقة السابعة بمن برع في الفلسفة والطب في الإسـلام وهم بختيشوع وجبريل ويوحنا بن ماسويه ويوحنا بن البطريق وأبو يوسف يعقوب الـكندي وثابت بن قرة الحرّاني وقسطا بن لوقا البعلبكي ومحمد بن زكريا الرازي وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي وأبن وصيف الصاري ونسطاس ، وجعل الطبقة الثامنة حكماء الإسلام ممن سكن المغرب وهم اسحاق بن عمران واسحاق بن سليمان الاسرائيلي واُبن الجزار أما الطبقة التاسعة ، فهم حكماء الأندلس ، وهم : حمدين بن أبا وجواد الطبيب النصراني والحراني وخالد بن يزيد واُبن ملوكة النصراني واسحاق الطبيب وعمران اُبن أبي عمر ومحمد بن فتح طحلون ويحيى بن اسحاق وأبو بكر سليمان بن باج واُبن أم البنين وسـعيد بن عبد ربّه وعمر بن بريق وأصبغ بن يحيى ومحمد بن تمليخ وأبو الوليد الـكتاني وأحمد بن حكم بن حفصون وأبو بكر أحمد بن جابر وأبو عبد الملك الثقفي وأبو موسى هـارون الأشوني وأحمد بن يونس وعمرو بن يونس ومحمد بن عبدون الجبلي . هؤلاء هم الرجال الذين رجم لهم اُبن جلجل ، وكوّن من تراجمهم هذا الـكتاب ولا يعني هذا أن الرجال المذكورين في الطبقتين الثامنة والتاسعة هم كلهم من أهل المغرب ، فبينهم من هو من أهل المشرق من أهل ما وراء النهر أو من فارس أو من العراق أدخلهم في عداد الطبقتين ؛ لأنهم كانوا قـد تركوا أوطانهم وهاجروا الى المغرب ومارسوا حرفتهم زمناً هناك

وقد اُستعان المؤلف في تدوين كتابه هذا بجملة موارد ذكرها في المقدمة ، منها : كتاب الألوف لأبي معشر المنجم ، وكتاب « هروشيش » « هروشيوش » ، وكـتاب القروانقة ليروم الترجمان ، وكتاب ايزيـدورس الاشبيلي ، وكتب أخرى أشير اليها في المتن لا أجـد حاجة الى ذكرها ، اذ تحـدث عنها المحقق حديثاً فيه الـكفاية والتركيز ، وأشار الى مظانّها وأماكن وجودها إن كانت مخطوطة باقية . والـكتاب على اُختصاره وإيجازه ، ذو فائدة ومنفعة ،

ولا سيما عن الأندلس ، فعلمنا بأحوالها كما قلت قليل ، وهو يذكر أموراً لا نجدها في كتب أخرى ، ويشير الى مؤلفات ألفت في الطب وفي العلوم الأخرى ضاعت أصولها وأسماؤها أيضاً في الأكثر ، كما أنه يذكر أسماء أدوية وتراكيب أبتدعها بعض الأطباء ، وهذا مما يندر العثور عليه في المؤلفات الأخرى المماثلة ، ويشير في بعض الأحيان الى الأموال الطائلة التي حصل عليها مكتشفو تلك الأدوية ، والى محاولة بعض الأطباء معرفة أسرار تلك الأدوية وما تتركب منه لبيعها في الأسواق للمرضى ، وفيه كذلك اشارات الى أخلاق بعض الأطباء . •

ومحقق الكتاب ، السيد فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية ، ضليع في تتبع المخطوطات وممارسة خفاياها وقد بذل مجهوداً كبيراً في تحقيقه وشرحه للغامض الذي يحتاج الى تفسير وشرح ، وللكتب التي أشير اليها في المتن ، وهي كتب لا يعرفها إلا المتتبعون للمخطوطات من أمثاله ، فزاد بذلك من قيمة الكتاب .

وقد تولى المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة الإنفاق على طبع الكتاب ، وقد نشر من قبل مطبوعات عربية ثمينة ، منها المحقق ومنها المؤلف ، فله وللمحقق الشكر والتقدير .

قطع من كتاب الردة

تأليف أبي يزيد وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي الفسوي الوشاء المتوفى سنة ٢٣٧ هـ (١)

نشر الدكتور « ولهلم هونرباخ » هذا الكتاب بالعربية وبالألمانية في سنة ١٩٥١ م بمدينة « مانتس » في ألمانية ، وأهدى مجمع العلوم والآداب الألماني(٢) نسخة منه الى مجمعنا

وكتاب الردة ، ويسمى أيضاً بكتاب أخبار الردّة ، من الكتب التي لم يعثر على أصلها الكامل حتى الآن ، وهو لأبي يزيد وثيمة المتوفّى سنة « ٢٣٧ » للهجرة من أهل « فسا »

(١) Watima's Kitab ar-Riddaaus Ibn Hagar's Isàba

(٢) Akdemie der Wissenschaften un der Literatur.

من فارس ، وكان يتعاطى التجارة بالأقمشة « الوشاة » بالحرير فعرف لذلك بالوشاء هاجر من موطنه « فسا » الى البصرة ، ولـكنه لم يستقر فيها ، بل رحل عنها الى مصر ، ومن مصر الى الأندلس ، ثم ترك الأندلس وعاد الى مصر حيث أستقر بها الى أن أدركته الوفاة ، تاركاً ولداً أسمه « عمارة »

وقد أشهر المؤلف بكتابه هذا وهو كتاب أستعان به رجال التأريخ في بحوثهم في الردّة ، ومنهم الحافظ أبن حجر الذي أقتبس فصولاً منه وعلى هـذه المقتبسات أعتمد « هونرباخ » في تقديم قطع منه الى القراء وقد ترجم هذه القطع الى الألمانية ، وقـدم لها مقدمة في ٣٩ صفحة . أما النص العربي ، فيقع في « ٣٩ » صفحة من القطع الوسط .

وقد أدمج أبن حجر هـذه القطع في جملة الروايات التي أخذها من موارد أخرى مثل أبن الكلبي . وتجد في تأريخ الطبري موارد أخرى أعتمد عليها في فصل الردّة ، أهمها كتاب سيف أبن عمر الأســـدي ، وهو مؤرخ متّهم في أخباره . وهناك مؤلفون ألفوا في الردّة ، منهم الواقدي والدائني[1] ولمعرفة قيمة كتاب وثيمة والموارد التي أستعان بها في تأليف كتابه ، تستحسن المقارنة بين هـذه القطع المدونة في كتاب أبن حجر ، وما دونه الطبري وغيره عن هذا الموضوع .

وكنت أودّ لو قابل الدكتور « هونرباخ » بين القطع التي أقتبسها من أبن حجر وما دونه الطبري من قطع أنتزعها من كتاب سيف أو غيره عن الردّة ، لنعرف موارد وثيمة ، ولنقف على الفروق والمطابقات فيما بين هـــذه المؤلفات ولو كان قد فعل ذلك لسدّ نقصاً مهماً في الـكتاب .

(١) راجع « موارد تأريخ الطبري » في المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي العراقي (ص ١٨٢)

قره كوز

لعبة خيال الظل التركية

KARAGÖS TÜRKISCHE SCHATTENSPILLE

وهذا عنوان كتاب وضع بالألمانية في « القره كوز » اللعبة المعروفة المحببة عند الأتراك .
وهي لعبة للتسلية والترفيه ، ولنقد المجتمع بأسلوب فكاهي نشأت في عاصمة الدولة العثمانية
في البيآت الشعبية ، ثم غزت القصور وبلاط السلطان ، فمثلت أمام السلطان « سليمان »
« ١٥٢٠—١٥٦٦ » ، ولا تزال حتى الآن حبيبة الى نفوس الأتراك وقد عرفها العراق في
أواخر حكمهم فيه ، ولا يزال كثير من أهل بغداد ، الذين عاصروا تلك الأيام ، يتحدثون عن
لياليها الحسان .

وقد ألف فيها وفي تأريخها جماعة من الأتراك ، كما كتب فيها في دائرة المعارف الإسلامية
أما هذا الكتاب ، فهو من صنع المستشرق الألماني المعروف « هلموت ريتر » الذي أمضى
سنين كثيرة من حياته في مدينة « استنبول » ، مديراً للمعهد الألماني الشرقي هناك ،
مشتغلاً فيها بالدراسة والتأليف والتنقيب عن الآثار العربية والإسلامية

والكتاب مقدمة قصيرة في « القره كوز » ، ثم مجموعة تمثيليات تركية شهيرة من نوع
« القره كوز » ، وقد سبقت كل تمثيلية بمقدمة ألمانيـة في القصة وفي أشخاصها والغاية منها ،
ليتمكن القارىء الألماني من الوقوف عليها ومن فهمها وفهم مغزاها ، ويبلغ جميعها (٦٣٦)
صفحة من القطع الوسط ، تليها فهارس في الألعاب وفي الشخصيات والأسماء تبلغ زهاء
(٢٠) صفحة ، وفهرس في توضيح معاني الكلمات والأمثال والحكم الواردة في هذه
الأقصوصات والتمثيليات ، ثم صور ملونة لشخصيات الروايات عددها سبع عشرة صورة ،
وصور أخرى غير ملونة عددها ٩٨ صورة ، و ٦٥ لوحاً .

وغاية المؤلف من نشر هذا الكتاب ، وضع تمثيليات « القره كوز » بين أيدي الأتراك ،

مطبوعة طبعاً صحيحاً ، ليتمتعوا بلذتهـــا ، وليقفوا عليها ، وهو بذلك يهيء التراث القديم للأجيال الحديثة التي نبا ذوقها عن التمتع ببهجة الآداب القديمة ولذتها ؛ ثم تيسير هذا الأدب العثماني للألمان وتعريفهم بنوع جديد من أنواع نقد المجتمع في الشرق الأوسط ، وهو معروف عندهم أيضاً وقد كان له شأن كبير لديهم في القرون الوسطى حتى القرن التاسع عشر حيث اختفى وسائل التسلية الحديثة ونقد المجتمع بالأساليب القديمة ، فأضعفها أو أهلكتها في بعض الأحيان

وهذا الكتاب النفيس هو في جملة ما أهدته « جمعية البحوث الألمانية » الى « المجمع العلمي العراقي » ، فلها شكر المجمع وتقديره

مجلة معهد المخطوطات العربية

يصدرها معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

هذه المجلة من خيرة ما قرأت عن المخطوطات العربية في اللغة العربية ، فهي سفر خاص بهذا الموضوع المهم ، الذي هو الأساس الذي يعتمد عليه كل باحث في كتابة أي بحث علمي مركز في التراث العربي يخرجها « معهد المخطوطات العربية » بالقاهرة وهو معهد تابع للإدارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، أنشيء بموجب قرار مجلس الجامعة العربيـــة المؤرخ في ٤ نيسان ١٩٤٦ وقد حددت أهدافه ومهمته بما يلي :

١) جمع فهارس المخطوطات العربية في دور الكتب العامة والخاصة ، وفهارس المخطوطات التي يتملكها الأفراد ، لتوحيدها في فهرس عام

٢) تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية القيمة

٣) وضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء ، بعرضها لمن يطلبها للاطلاع عليها بواسطة الآلات العارضة المكبرة ، أو بإعطاء صور مكبرة منها بأسعار مهاودة ، أو بإعارة نسخة ثانية منها للعلماء الذين يطلبونها من البلدان الأخرى بواسطة المؤسسات العلمية

٤) طبع صور المخطوطات القيمة التي نصّها صحيح وخطّها مقروء ، ونشر نصوص المخطوطات ذات الأهمية الكبرى .

٥) تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات ، وتزويد الناشرين المعلومات اللازمة عن المخطوطات التي يعنون بها ، وإعلامهم بأسماء من يعني بمخطوطات مماثلة لمخطوطهم أو مشابهة له

٦) اصدار نشرة دورية عما طبع أو يطبع من المخطوطات العربية والإشارة الى ما هو معدّ منها للطبع

بموجب هذا القرار الخطير ، أنشيء هذا المعهد الذي سيكون إذا ساعدته الظروف وتوافر له المال اللازم وسار بمثل هذه الهمة ، المرجع الأول في العالم ولا شك للباحثين والعلماء في الحصول على معلومات عن المخطوطات العربية وأصولها ، ومظانّها ، وما طبع منها ، وما لم يطبع . إذ يندر أن نرى اليوم معهداً للمخطوطات في العالم ، خصص نفسه بالمخطوطات ، وقصر جهده على جمع كل ما يمكن جمعه وتصوير كل ما يمكن تصويره لحفظه في محل واحد ، وتيسيره للمراجعين ، مع الإشارة اليه والتعريف به في الفهارس التي أعدها المعهد لهذه المخطوطات ، وفي المجلة التي نتحدث عنها ، وبذلك سهل للباحثين عملاً كان من غير الممكن قيامهم به

والمجلة التي أشير اليها قد صدر الجزء الأول منها في مايس سنة ١٩٥٥ م ، وصدر الجزء الثاني منها في تشرين الأول سنة ١٩٥٥ م وهذان الشهران هما موعدا صدور الجزءين في كل عام

وقد أشتمل الجزء الأول على « ١٦٠ » صفحة من القطع المتوسط أما الجزء الثاني ، فقد تكوّن من « ١٩٩ » صفحة بهذا القطع وقد أسهم في مادتها باحثون من مختلف أنحاء العالم العربي ممن عرفوا بولعهم بدراسة المخطوطات أو أقتنائها وممن يتولون وظائف ادارة خزائنها والإشراف عليها ، فعرف بعضهم بعض خزائن الكتب الحاضرة ، ووصف بعض آخر بعض دور الكتب القديمة ، ونشر آخرون نماذج من خطوط مشاهير المؤلفين وبعض الرسائل

النادرة ، كما ألحق بالمجلة معجم فيما نشر من المخطوطات العربية في عام ١٩٥٤ م في البلاد العربية وفي بعض البلاد الاسلامية والغربية ، وغير ذلك مما له صلة وعلاقة بعالم المخطوطات

وإصدار مجلة في موضوع علمي مركز ، ليس من الأمور السهلة الهينة ، فالمشتغلون ببحث المخطوطات وإن كان عددهم كثيراً غير أن المتقنين الملمين به هم في الواقع قليلون ، ومن هنا جاءت الصعوبات في إخراج دوريات في أوقات منتظمة عن المخطوطات ولهذا فاني أقدر المشقات التي يكابدها مدير معهد المخطوطات العربية الدكتور صلاح الدين المنجد وجماعته في إخراج المجلة وفي جمع شتات مادها من عالم فسيح واسع الأرجاء غير أن هذا لا يمنع من طلب توجيه عناية الكتاب والمساهمين في هذه المجلة الى وجوب إفادة القراء بما فيه جدة وأصالة وتركيز مع مراعاة كل ما يجب ذكره عن المخطوطات من أوصافها وأصحاب خطوطها وتأريخها والإشارة الى من تحدث عنها والى المواضع التي هي فيها ، لتقديم مادة مساعدة لمن يريد نشر المخطوطات أو اقتناء نسخ منها

ولقد لاحظت أن بعض ما نشر عن بعض المكتبات موجز لا يتجاوز أسطراً أو صفحة أو صفحتين ولا أعتراض لديّ على الإيجاز المركز ، فالإيجاز المركز هو الأسلوب العلمي الممتاز أما تقديم موجز عن مكتبة تحتوي على عشرات أو مئات من المخطوطات يكتفى فيه بأسم المكتبة وموضعها وأن لها فهرستاً أوليس لها فهرست وأمثال ذلك ، كما قرأت ذلك في الجزء الأول من المجلة ، فهو إيجاز مخل ، لا يزيد تدوينه في علم القاريء شيئاً ، ولا ينقص عدم تدوينه من علمه شيئاً . وقد كنت أودّ لو تفضل أصحاب هذه الأسطر بالإشارة الى فريدة أو فريدتين أو جملة فرائد مما عثروا عليه بين مخطوطات المكتبة التي يتحدثون عنها ، إذن لأفادونا بذلك فائدة كبيرة كذلك وجدت تسرعاً في تدوين أسماء المخطوطات وأسماء المؤلفين وفي ضبط العبارات والجمل المقتبسة . والتسرع في مثل هذه الأمور مزلّة ، يوقع الذين يعتمدون على أصحاب هذه المقالات الواضعين ثقتهم بهم في الخطأ ، كما وجدت من بعضهم نبوّاً في حسن الانتقاء ، فأهملوا الإشارات الى مخطوطات مهمة ثمينة أشار اليها بروكلمن في كتابه في تأريخ آداب

اللغة العربية أوغيره ، بينما أشاروا الى مخطوطات لا تقاس الى ما أهملوه . أما إعادة نشر موضوع منشور بعبارات معدَّلة بمض التعديل ، أو بأُختصاره ، فقد يكون لصاحبه عذر عدم وقوف قراء هـــذه المجلة على أصل المقال ، فأحب تقديمه اليهم مجدداً مريداً تجديد الفائدة والأُطلاع . ولكن هذا العذر مع ذلك بارد ، لا يقدم عليه إلا الكسلان الذي يريد تسويد الصحائف من غير نظر الى فائدة الناس وأصول النشر

ومن البحوث المهمة في المجلة « معجم ما نشر من المخطوطات العربية في البلاد العربية ، وفي البلاد الاسلامية ، وفي البلاد الغربية » فهو مورد للباحث والتتبع ، ودليل لأصحاب الرغبة في أُقتناء الكتب المخطوطة ولكن رأيت القسمين الخاصين منه بالبلاد الإسلامية والغربية ضعيفين جداً ، فما ذكر فيها معدود محدود ، ثم إن هـذا القليل لا يقاس الى ما أهمل ، لا من حيث الأهمية ولا من حيث التحقيق والعناية كما وجدت الدرجات التي أعطيت للتحقيق غير موزونة ولا دقيقة في كثير من الأحايين ، ومن يقوم بوظيفة المحاسب المتحن عليه أن يكون دقيقاً صارماً في منح الدرجات . وعندي أن خير ما تمكن صنعه في الفصل هو الأُستزادة من المراسلين المعرّفين للكتب ، بتعيين مراسل أو أكثر في كل قطر من الأقطار المعنية بالعربيات والإسلاميات من أصحاب العلم والدراية ، يقدم كشفاً عما يطبع من مخطوطات يكتفي فيه بشروط التعريف من ذكر أسم المؤلف إن عرف وأسم المخطوطة وأسم المحقق ومكان الطبع والسنة التي طبع المطبوع فيها وعدد صحائف المتن والمقدمة والفهارس وأمثال ذلك ، على أن تترك الإشارة الى درجة التحقيق الى فصل آخر هو نقد الكتب ، ليراعى في هـذا الفصل جانب التخصص ، وهو من أهم أركان النقد فالحكم على الأشياء لا يكون منطقياً ولا سليما إلا إذا صدر من متخصص بذلك الشيء خبير به ويكون ذلك بتكليف العلماء المتخصصين في البلاد العربية والإسلامية والغربية نقدَ هذه الكتب ، على أن يراعى في ذلك جانب التخصص والأُنصراف الى البحث ، بأن يعطى ما يطبع في الفلسفة مثلاً لمن عرف وأُشهر وتخصص بهـذا البحث ، مع مراعاة العصر إن أمكن ونوع الفلسفة واتقان لغة الناشر ، وهكذا في سائر فروع البحث .

وبذلك نحصل فيما أرى على نقد علمي صحيح سليم

وسرّني بحث « قواعـد تحقيق النصوص » للدكتور صلاح الدين المنجـد ، إذ وضع لمن يقدمون على نشر المخطوطات دليلاً ومنهاجاً مكتوباً يريهم كيف يكون التحقيق وما معناه ، وأن التحقيق على الأسلوب العلمي ليس مطلباً سـهلاً ميسوراً : ليس هو مجردقراءة الأصول ومعارضـة بين النسخ تنتهي بإثبات اختلاف ألفاظها في الحاشية ، وتجيز تسـمية فاعلي ذلك بالمحققين ، بل هو شيء فوق ذلك قـد يزيد حمله على حمل التأليف ، ولا يستطيع الاضطلاع به إلا أرباب الـكفايات المشهود لهم بالعمق ونفاذ البصيرة والقدرة التـامة على التخريج والضبط والشـرح ، ولذلك كان فضل المحققين وجهدهم ليس بأقلّ من فضل المؤلفين وجهدهم إن لم يكونا أكبر من ذلك

ورجائي — بعدُ — لهذه المجلة المفيدة أطّراد التوفيق ، ومتابعة السير قُدُماً نحو الـكمال الذي هي خليقة به

منتخبات من الجواب على اقتراح الأحباب

تأليف الدكتور ميخائيل مشاقة ـ تحقيق أسد رسم وصبحي أبو شقرا ، ١٨٥ ص ، من منشورات مديرية الآثار العامة بلبنان ، سنة ١٩٥٥

الدكتور ميخائيل مشاقة ، من أسرة يونانية الأصل طرابلسية المنشأ ، انتقلت من جزيرة كورفو الى طرابلس لبنـان في منتصف القرن الثامن عشر للاتّجار بمشاقـة الحرير وهذا الـكتاب في سـيرة هذه الأسـرة ، وفي الحوادث والتطورات التي حدثت في بلاد الشـأم في عهدها ، وقد تطرق فيه مؤلفه الى نواح عديدة من نواحي الحياة سـياسية وأجتماعية وأقتصادية وثقافية ، فجاء بأمور لا تكاد تجدها في موارد أخرى فهو من النصوص والوثائق التأريخية الخطيرة عن بلاد الشأم ، وعن الأوضاع في مصر ، وعن أحوال المماليك وسياسة محمد علي باشا بمصر وأبنه ابراهيم باشا ، وعن سياسة الفرنسيين بالنسبة لبـلاد الشام ومصر ، وعن أعمال ابراهيم باشا الجزار ، وعن حكم المصريين في هـذه البـلاد وأثر القناصل

البريطانيين والأجانب في الحكم الداخلي لهذه البلاد .

وقد كتب بعربية قد تخرج عن قواعدهـــا في بعض الأحيان ، لتأثرها بالعامية ، وفيها ألفاظ وتعابير شامية وما كان مستعملاً في ذلك الزمن من مصطلحات وهو على صغره جم الفائدة للمؤرخ ، ولمن يريد الوقوف على أحوال بلاد الشأم والمملكة العثمانية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين

مباهج الفلسفة

تأليف ول ديورانت ، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني ، جزءان ، مطبعة مصر للطباعة والنشر

كتاب في فتنة الفلسفة وفي المنطق و« الإيستمولوجيا » وفيما وراء الطبيعة « الميتافيزيقا » وفي مشكلات أخلاقيــة وعلم الجمال وفي معنى التاريخ والفلسفة السياسية والدين وفي الحيــاة والموت ، فهي أقســام ستة رئيسة ، يتألف كل قسم منها من أجزاء وفصول ، هي في مشكلات أكثرها مثيرة يهم كل إنسان ، كتبت على الطريقة الأمريكية بأسلوب سهل جذاب .

وهو في أصله الانكليزي في جزء واحد ، نشر بعنوان « صروح الفلسفــة Mansions of Philosophy » . فلما نقل الى العربية ، طبع في جزءين : الأول في « ٣٠٣ » صفحات ، والثاني في « ٣٢٥ » صفحة من القطع الوسط وقد طبعا طبعاً متقناً على ورق صقيل في مطبعة مصر للطباعة والنشر بنفقة مؤسسة فرنكلين ، وناقله الى العربية هوالدكتور أحمد فؤاد الأهواني من أساتذة جامعة القاهرة ومن المتخصصين بالفلسفة وأما مؤلفه ، فهو الأســـتاذ « ول ديورانت » من أساتذة الجامعات الأمريكية وصاحب كتاب « قصة الفلسفة » الشــهير الذي راج رواجاً كبيراً أثار دهشة مؤلفه نفسه ، وكتاب « قصــــة الحضارة » الذي قررت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية نقله الى العربية ، وطبعته فعلاً في أجزاء ، ولاقى في البلاد العربية رواجاً كبيراً . ونرجو أن تستمر في إخراج ما تبقى منه ، ليقف عليه المثقفون العرب ، وليطلعوا على رأي هذا المؤلف في الانسانية وفي تفسير التأريخ

ومؤلف الكتاب صاحب رأي ودعوة ، يدعو الى رأيه لأنه يرى أن المادية قد طغت على القيم الروحية في القرن العشرين ، وأن الإنسان صار عبداً طيعاً للمادة ، فهو لا يتأثر إلا بها ، ولا يؤمن إلا بفلسفة المنفعة والفائدة المادية المرجوة من كل عمل ، فهو لذلك يسعى جاهداً كغيره من المفكرين ممن يرون هذا الرأي لإفهام الناس أن المادة ليست غاية ، وأن الانسانية مثل وفضائل ، وأن الروح أسمى من المادة ، وأن الإنسان بعقله وبفضله وبما يقدمه الى البشرية من أعمال ، لا بما يملكه من نقود ومال وعقار وهو يرى لتنفيذ هذه الفكرة تبسيط الفلسفة وشرح معضلاتها بأسلوب سهل يمكن ادراكه وفهمه ، ليقف من لم يرزقه الله التخصص في هذا الموضوع على آراء المفكرين الانسانيين وأفكارهم في هذه الحياة ، ومن أجل هذا المبدأ وضع كتابه هذا وهو كتاب لا أستطيع أن أسميه تأريخاً للفلسفة ، ولا عرضاً عاماً لها ، وإنما هو فصول في مشكلات عامة تحدث للإنسان ، فتؤثر في مجرى حياته وربك وضمه ، ولهذا جاء بشرح لها وبدواء سهل بسيط غير مركب ولا معقد ، هو أن تقرأ وتفكر وتعالج المشكلات بروية وتدبر ، فتخرج عندئذ انساناً معافى له فكر ورأي وفلسفة متماسكة للحياة

وقد طالعت فصول الكتاب كلها ، فأعجبت ببلاغة المؤلف وببراعته في العرض ، وباحاطته الواسعة في مشكلات الإنسان ومن براعته أتباعه جملة طرق في العرض ، فهو واصف ناقد في بعض الفصول ، وهو مؤلف مسرحي في فصول أخرى يدير الموضوع على طريقة المحاورة والجدل بأن يتصور مجموعة من الفلاسفة والمفكرين ذوي ميول وآراء متباينة أجتمعوا في محل ما ، فجرهم أجتماعهم الى الجدل والبحث وعرض الآراء بأسلوب بسيط سهل ، ليكون في امكان القارىء فهمها وهضمها وتكوين رأي خاص عنها وهو بهذا التنويع في عرض كتابه يؤثر في نفوس القراء تأثيراً كبيراً يجعل من المستحيل على القارىء ركن الكتاب قبل إنجازه قراءة

أما الترجمة ، فهي جميلة الأسلوب ، واضحة سهلة خالية من التعقيد ، وكل ما أرجوه أن

يخرج القارىء العربي بعد قراءته لهذا الكتاب وأمثاله من الكتب المؤلفة في الإنسانية وفي المثل البشرية ، وهو صاحب مثل وعقائد سليمة له في الحياة هدف إنساني ، وأن يشعر أنه إنسان ، وأن الانسانية ليست حياة قصيرة وأكلاً وشرباً ولذة جسمانية ، وإنما هي شيء أسمى من هذا ، وأن قياس الإنسانية بعملها في طرق الخير لنفع الجميع ، لا في عملها للنفع الخاص ، وإلا كان الإنسان حيواناً مثل بقية الحيوانات ، امتيازه عليها أنه حيوان يمشي على رجلين .

•

النظرة العلمية

تأليف برتراند رسل ، تعريب عثمان نويه ، منشورات الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية
عدد صفحاته ٢٦٠ من القطع الصغير

برتراند رسل ، فيلسوف إنكليزي لا يحتاج الى تعريف ، له مؤلفات كثيرة تتحدث عن علمه . وهو من الفلاسفة الذين مالوا الى تبسيط الفلسفة وتقريبها الى الأذهان ، ليكون في امكان غير المتخصصين بهذا الموضوع من المعرفة الانسانية فهمه والإحاطة به وقد أكسبته هذه الطريقة حظاً كبيراً من الشهرة في بلاده وغيرها .

وقد ظهر كتابه هذا بالانكليزية لأول مرة سنة ١٩٣١ م بعنوان : « The Scientific Outbook » ، وأعيد طبعه سنة ١٩٤٩ م ، وعلى هذه الطبعة اعتمد العرب في نقله الى العربية . وهو في ثلاثة أقسام : القسم الأول في المعرفة العلمية ، وفيه أمثلة على الطريقة العلميـة ومميزات الطريقة العلمية وحدودها والميتافيزيقا العلمية والعلم والدين والقسم الثاني النهج العلمي وهو في بداية النهج العلمي والمنهج في الطبيعة غير الحيّة والمنهج في علم الأحياء والمنهج في علم وظائف الأعضاء والمنهج في علم النفس والمنهج في المجتمع وأما القسم الثالث ، فهو في المجتمع العلمي ، ويتألف من المجتمعات التي تخلق صناعياً والفرد والمجموع والحكومة العلمية والتربية في المجتمع العلمي والتناسل العلمي والعلم والقِيَم

والكتاب خلاصة للأفكار الفلسفية العلمية ، فيها عرض لآراء العلماء في الطبيعة وفي الكون

وفي الدين ، ولصاحبه رأي خاص في الدين ، وفيه عرض للمذاهب السياسية ولأنواع الحكومات وقد كتبه بالطريقة الإنكليزية المركزة ، فهو يركز المسائل التي يريد عرضها في جمل قصيرة علمية مفهومة من غير لجوء الى أساليب الإنشاء البراقة التي يميل اليها العلماء الأمريكيون للتأثير في النفوس .

وقد وددت لو أن المترجم وضع فهرستاً في آخر الكتاب للمصطلحات العربية التي أستعملها في مقابل مصطلحات المؤلف بالانكليزية ، إذن لأفادنا بذلك فائدة كبيرة جداً . فمثل هذه الفهارس التي يضعها المتخصصون فى نهاية كل كتاب علمي يترجمونه أو يؤلفونه ، تفيد الباحثين فائدة كبيرة في التوصل الى تثبيت المصطلحات ، وتعرض أمام علماء اللغة العربية وأمام المتخصصين بالعلوم آراء متعددة تساعدهم على أختيار الأصلح وتثبيته ، ومن ثم يكتب له الذيوع ، وبهذه الطريقة يمكن تأليف معجم في المصطلحات

الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة

مجموعة محاضرات مؤتمر الثقافة الاسلامية ، أشرف عليها الدكتور محمد خلف الله ، عدد صفحاتها ٥٨٢ من القطع الوسط ، من مطبوعات مؤسسة فرنكلن للطباعة والنشر

تضمن هذا الكتاب بحوثاً باللغة العربية لعلماء شرقيين وأمريكيين ممن حضروا مؤتمر الثقافة الإسلامية الذي أنعقد في جامعة برنستن وفي مكتبة الكونكرس الأمريكي بواشنطن في سبتمبر ١٩٥٣ م . وبعض هذه البحوث مما ألقي في المؤتمر ، وبعضها مما كتب للمؤتمر ولم يحاضَر به ، ومنها ما كتب باللغة العربية ، ومنها ما كتب باللغة الانكليزية وتولى نقله الى اللغة العربية الدكتور محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية والدكتور محمود حسن السمران ، كما تولى الأول الإشراف على إخراج هذه المجموعة . وقد صدرت بمقدمتين : إحداهما للدكتور محمد خلف الله ، وهي في مهاجها وفي الطريقة التي سار عليها في إخراجها ، والأخرى كتبها الدكتور بايارد دو ج مدير الجامعة الأمريكية ببيروت سابقاً

وقد جاء في مقدمة الشرف اعتذار عن إغفال بحثين من بحوث أعضاء المؤتمر: بحث في نشأة التقويم الهجري في صدر الإسلام للدكتور أمير علي من علماء الهند، وبحث في «حيرة العقل الباكستاني المسلم في الزمن الحاضر بين أنصار السلطة الدينية وأشباه العلماء من الملاحدة وأتباع المادية الشيوعية» لمظهر الدين صديقي من الباكستان وكان عذره عن اغفال المقال الأول أن صاحبه طرق نواحي أثارت جدلاً ونقاشاً بين الأعضاء، كما كان عذره عن اغفال الموضوع الثاني أن صاحبه «من المتخصصين بدراسة الإسلام وعلاقته بالشيوعية كما يبدو ذلك في منشوراته ومؤلفاته، وكما وضح في مناقشاته أيام المؤتمر. وقد جاء بحثه المطول صورة من هذا التفكير، إذ تناول فيه حيرة العقل الباكستاني المسلم في هذا الزمن بين أنصار السلطة الدينية وأشباه العلماء من الإلحاديين وأتباع المادية الشيوعية [1]» واذا كان هذا عذراً مقبولاً في نظر الدكتور، أو في نظر اللجنة التي أشرفت على المؤتمر، فإنه عذر لا أعتقد أن أحداً سيقبله. فالمؤتمر مؤتمر علم وبحث، حضره رجالٌ المفروض فيهم أنهم من كبار المتخصصين والعلماء في الإسلاميات، وما يكتبونه هو عن علم واجتهاد، وفي كل اجتهاد صواب أو خطأ. ثم هو رأي، وكل رأي إما حق وإما باطل وهو معرض للمناقشة وللجدل، وظهور جدل حول رأي أو شذوذ صاحبه في رأيه لايسوغ إهماله ما دامت الخطة نشر كلّ ما أعد أو قيل في ذلك المؤتمر من آراء.

والكتاب في أربعة أقسام: الإسلام والحياة، والإسلام والغرب، والتأريخ والاجتماع الإسلامي، والإسلام في بلاده وقد تألف القسم الأول من تسعة فصول في: موقف الإسلام من التقدم الفكري والعلمي، والدين والعلم في الإسلام والمسيحية، ومذهب الإسلام في الانسان، والفلسفة الاسلامية الحديثة واتجاهات الفلسفة الإسلامية، وفلسفة الحرية في الإسلام، ونواح عامة: من الإسلام والشريعة الاسلامية، وحقوق الأسرة فيها، وملاءمة الشريعة لحاجات العصر الاجتماعية وهي بأقلام علماء مسلمين من مختلف الأقطار الإسلامية

---

(١) (ص ١٣)

ما عدا مقالين كتبهما أستاذان أمريكيان

أما القسم الثاني ، فيتكون من خمسة أبحاث هي : في تأثر الأمم الإسلامية بمدنية الغرب ، والتغيير الحضاري في المدنية الاسلامية ، ونواح مشتركة بين العالمين الاسلامي والغربي ، والتأثير الفكري للشيوعية في الإسلام المعاصر ، وأثر الإسلام الثقافي في المسيحية

وأما القسم الثالث ، فيتألف من تسعة مواد ، هي : العامل الريفي في الحضارة الإسلامية ، والموارد الإنسانية في العالم العربي ، وانثروبولوجيا العرب ، والعرب وتأريخهم ، ولهجات العرب قبل الاسلام ، والحضارة الإسلامية ، وعلم الآثار ، والفكر الرياضي في أدبنا ، ونظام الدراويش وبعض تعاليم الغزالي ذات القيمة الخالدة

وأما القسم الرابع ، فقد تألف من أحد عشر بحثاً ، هي : الخصائص الأساسية للسياسة الدينية في أندونسيا ، والقانون الإسلامي واللاهوت في الهند ، ودائرة المعارف العثمانية بحيدرأباد الدكن ، والإسلام عند الأتراك ، وأسس الثقافة الباكستانية ، ومشكلات الأرض في التأريخ التركي ، والبحث العلمي في البلاد العربية السعودية ، والصحافة اللبنانية في العصر الحاضر ، والإصلاح الاجتماعي في مصر ، والتطور الاجتماعي للمرأة في مصر ، والقيم الإسلامية والحياة الأدبية في مصر الحديثة

هذه هي المادة التي تكون منها هذا الكتاب ، وهي بحوث كما يظهر من عناوينها مختلفة تتناول نواحي شتى من حياة العالم الإسلامي ، كتبها أناس مختلفون في الجنس وفي الثقافة وفي المستوى العلمي ، بينهم الأستاذ المتفرغ في الجامعة ، وبينهم الهاوي والمحترف للكتابة في موضوعات إسلامية ، وبينهم الصحافي ، ولذلك تجد بوناً بين هذه المقالات في المادة وفي العمق ، ولكنها جميعها سجل مهم عن العالم الاسلامي في مختلف نواحي حياته في مختلف أقطاره ، إن كان منها ما تغلب عليه السطحية وما يتسم بطابع قلة التدقيق أو كثرة الخطأ ، فإن الكتاب بمجموعه مورد قيم وسجل نافع للباحثين وللقراء من جميع الطبقات

خريدة القصر وجريدة العصر (١)

للعماد الأصبهاني الكاتب

قام المجمع العلمي العراقي أخيراً — جرياً على عادته في إحياء تراث العرب ، في العلوم والفنون والآداب ، عن طريق بعث أمهات الكتب القديمة — بطبع كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) لمؤلفه العماد الأصبهاني القرشي الكاتب . وهو كتاب جليل القدر ، ومرجع وافٍ يعدّ بحق من الموسوعات الأدبية الجامعة ، وقد سجل فيه مؤلفه حياة عصر كامل من عصور الآداب العربية الفنية ، ذلك هو القرن السادس الهجري وشطر مهم من القرن الخامس .

وقد اقتصر المجمع الآن على طبع جزء من القسم العراقي الذي يتضمنه الكتاب ، فجاء في (٤٣٧) صفحة من القطع الكبير ، إذ يتوفّر على طبع القسم المصري والقسم الشامي منه الآن أساتذة آخرون في مصر والشام .

وقد قام بتحقيق هذا الجزء ، وضبط متنه ، وشرح ما فيه ، وكتابة مقدمته — الأستاذ المحقّق الفاضل محمد بهجة الأثري عضو المجامع العلمية الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد ، وشاركه في نواح من العمل مهمة الدكتور جميل سعيد رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب والعلوم . وقد جاء هذا الجزء ، بعد دأب طويل ، تحفةً رائعة في حسن طبعه ، وصحة ضبطه ، ودقة تعليقاته ، ولطف إشاراته ، وتنسيق فهارسه ، بما يكشف عن جهد بالغ ، ومراجعات كثيرة طويلة تشهد للأستاذ المحقق بطول الباع ، والقدم الراسخة في البحث ، والصبر على التنقيب ، وحبّ الاستيعاب وجمع أطراف الموضوع ، كما يكشف عن حاسّة مرهفة في النقد والاستدراك .

وقد جاءت مقدمة الكتاب المستفيضة مثالاً يحتذى في إحاطة البحث حول شخصية العماد الكاتب ، وتقلبه في حياته ، وتحقيق ما جاء في كتابه ، والتعقيب على من كتب في هذا

(١) عن مجلة « الأستاذ » التي تصدرها دار المعلمين العالية ببغداد (م ٥ ص ١٧٧) .

الموضوع . فإن الأستاذ المقدم ، لم يكتف بعرض ما توصل اليه من آراء ونظرات خلال بحثه ، بل جعل من نفسه محاسباً ومستدركاً على من تقدم من المؤلفين والكتاب ومن تأخر ، فأقر الحقائق في ميزانها ، ورد الأمور الى نصابها ، وأدلى بالحجج البينة ، وبدد الشكوك الساورة ، وأضاء في ذلك الطريق للكاتبين والباحثين

تناول بيحث مستفيض التعريف بعماد الدين الأصبهاني ، فتكلم على نسبه وبيته ، وبيأته الأولى أصبهان ، وبيأته الأخرى الشام والعراق ومصر ، وأثبت شيوخه الذين أخذ عنهم ، وتكلم على كل منهم ، فكان الكلام على تسعة وعشرين شخصاً ثم عرض لحياته في كنف الخلافة العباسية ببغداد . ثم الدولة الصلاحية الأيوبية وبعدها الى وفاته ثم تكلم على وفاته ، وعقبه ، وصفته ، وأخلاقه ، وثقافته ، ونثره وشعره ، وكتبه وجملة آثاره وأنتقل بعد ذلك الى التعريف بكتاب الخريدة هذا ، فوصف الكتاب ، وعرض للأصول التي نسج المؤلف على منوالها ، وصحح أغلاط بعض المؤرخين القدامى والمتأخرين ، وذكر بواعث المؤلف على تأليف كتابه وما كان له من الأثر فيما ألف وصنف بعد ذلك وبخاصة في بحوث المستشرقين وآثارهم . ثم تكلم على قسم شعراء العراق ، وقيمته الأدبية ، وسعي المجمع في إعداد أصوله ونسخه ، ومقابلة بعضها ببعض ، ثم المنهج الذي رسمه لنفسه في التحقيق

وفي الكتاب تعليقات شتى ، وشروح منتثرة كثيرة هنا وهناك لكثير مما ورد في متن الكتاب مما يستدعي تعقيباً أو توضيحاً

ولا ريب أن إصدار هذا الجزء قد سد فراغاً كبيراً في المكتبة الأدبية العربية ، وجلّى عصراً من عصور الأدب العراقي يكتنفه الغموض أحسن تجلية

ونحن نؤمل أن يكون هذا الجزء باكورة طيبة لما تبقى من الأجزاء ، فيوفق المجمع لاستكمال هذه السلسلة من غير أن يطول عليه الأمد ، تنفيذاً للمنهج الذي سار عليه ، واستكمالاً لأدب هذا العصر وتأريخه ، والله الموفق .

كمال إبراهيم

إنباه الرواة على أنباه النحاة

الجزء الثاني ، بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم أيضاً

تكلّمنا على الجزء الأول من هذا الكتاب النفيس في أحد الأجزاء الصادرة من المجلّة [1] ، وهذا الجزء قد تناول من أسماء النحاة حرف الدال فما بعده حتى الغين المعجمة ، وقد بذل فيه من العناية والتحقيق واختيار الورق مثل ما رأيناه في الجزء الأول ، ولنا ملحوظات يسيرة نذكرها بالترتيب :

١ — جاء في (ص ٥) في ترجمة أبي غسان دماذ اللغوي قوله يعني المازني :

وأتعبت بكراً وأصحابَهُ بطول المسائل في كلِّ فنْ

فعلّق الأستاذ المحقق في الحاشية : « روى القالي عن المازني أنه قال : والله ما أحب أنه سألني قطّ ، فكيف أتعبني ؟ » ونرى أن الصواب « ما أحسب » ، ومنه الحُسبان أي الظن ، ولا وجه للحبّ في مثل هذا الأمر .

٢ — وجاء في (ص ٢٧) اسم أبي الخطّاب الجَبَلي ، كذا بالتحريك ، والصواب « الجبُّلي » بفتح الجيم وضمّ الباء المشدّدة نسبة الى « جبُّل » قال ياقوت الحموي بعد ضبطها كما نقلنا : « بليدة بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي ،كانت مدينة وأما الآن ، فاني رأيتها مراراً ، وهي قرية كبيرة .. وينسب اليها جماعة من أهل العلم ، منهم ... وأبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن ابراهيم الجبُّلي الشاعر .كان من المجيدين ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعرّي مشاعرة ، وفيه قال أبو العلاء قصيدته :

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي نَوْحُ باكٍ ولا ترنّمُ شادي

ومات أبو الخطّاب في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة » .

وترجمه الخطيب في تاريخه (٣/١٠١) ، وابن الجوزي في المنتظم (٨/١٣٥) ، والسمعاني

(١) المجلد الثالث (ص ٤٣٢) ، سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م .

في الأنساب في « الجبلي »

٣ — وجاء في (ص ٢٩) في ترجمة « سليمان بن حبُّون النحوي الشاعر » قول القفطي : « وسألته : من لقيت من المشايخ ؟ فقال : اصطحبت أنا والمهذب بن العطار في الكلك الى بغداد » ... والصواب « أبن العصّار » ، وهو علي بن عبد الرحيم الأديب النحوي ، جاءت ترجمته في هذا الكتاب في (ص ٢٩١) منه ، ولا حاجة الى ذكر شيء منه لاشتهار الرجل في عالم الأدب والكتب

٤ — وجاء في (ص ٧٨) : « ولما أنا يعقوب بن الليث بسيب بني ماوان من أرض السواد » . قلت : الذي قرأناه « سيب بني كوما » كما جاء في التنبيه والاشراف (ص ٣١٩) من الطبعة المصرية ومروج الذهب (٢/٤٤٢)

٥ — وجاء في (ص ٧٩) قول شريح بن أحمد الشجري الأديب :

وقد عدمتُ صَريح الـ ... مُتقى فجئت بصبح

ولا وجه للصبح من الصريح وهو اللبن الخالص ، فالصواب « بضيح » ، فالضيح هو اللّبن الممزوج بالماء قال الجوهري في الصحاح : « الضيح والضياح بالفتح : اللبن الرقيق الممزوج ، قال الراجز : امتَحضَا وسَقّياني الضيحا [1] »

وقال الزمخشري في أساس البلاغة : « سقوه الضيح والضياح : المذق ، قال : جاؤوا بضيح هل رأيت الذئب قط »

ورواه المبرد في الكامل : « جاؤوا بمذق » ، قال : قال أحد الرجاز :

بتنا بحسّان ومِعزاه تئطّ ... ما زلت أسعى بينهم وألتبط
حتى إذا كاد الظلام يختلط ... جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط

قال المبرد : « يقول [هو أي المذق] في لون الذئب . واللبن إذا جُهد وخلط بالماء ضرب

(١) يعني أنهما شربا اللبن المحض وسقياه الممزوج

الى النبرة (١) » .

٦ — وجاء في (ص ٩١) : « فكان يُزرى على غيره » مضارع « أزرى » ، والصواب « يَزري على غيره » من الثلاثي « زرى » . وفي مختار الصحاح : « زرى عليه فعله : عابه يزري بالكسر زرايةً بوزن حكاية ... والإزراء : التهاون بالشيء ، يقال : أزرى به اذا قصّر به » وهذا شيء واضح .

٧ — وجاء في حاشية (ص ١٠٤) قول بعضهم : « أما كفاك تلافي في تلاقيكا ؟ » ، والصواب « تلافيكا » ؛ لأنّ الشاعر أراد الجناس ، والقاف تذهب به

٨ — وجاء في (ص ١٣٦) : « عبـــد الله بن محمد بن علي بن محمد أبو القاسم بن أبي عبد الله الأديب الراقطائي ، ويعرف بأُبن الخوارزمي ، وراقطا إحـدى بلاد البطائح » وفي هذا النص غلطان : أحدهما راقطا والراقطائي ، والآخر ضبط « الخوارزمي » بضم الخاء وفتح الواو ، فالصواب في الأول « زاوطا والزاوطائي » بالزاي والواو ، والصواب في الثاني فتح الخاء وإشمامها الضمّـة على نحو كلمة « الخواجه » . أما « زاوطا » ، فقد قال ياقوت الحموي فيها في معجم البلدان : « زاوَطا : بعد الواو المفتوحة طاء مهملة مقصورة ، لفظة نبطـيّة ، وهي بليدة قرب الطيب بين واسط وخوزستان والبصرة ، وقد نسب اليها قوم من الرواة ، وربمـا قيل زاوطة » .

وأما « خوارزم » ، فقـــد قال ياقوت أيضاً : « خوارزم : أوله بين الضمّـة والفتحة والألف مسـترقة مختلسـة ليست بألف صحيح ، هكذا يتلفظون به ، وهـكذا ينشد قول اللحام فيه :

ما أهل خوارزم سـلالة آدم ما هم وحقّ الله غير بهائم » .

ومنـه يعلم أن الواو تكتب للتنبيه على التلفظ بين الضمة والفتحة ، لا لأن الواو ملفوظة محركة ، ولو لفظنا « خوارزم » بضم الخاء وفتح الواو ما أُستطعنا أن نقرأ البيت المذكور ،

(١) الكامل (٣/٨١) من طبعة الدلجموني الأزهري

وذلك يدل على أن الشعراء أيضاً كانوا يتحاشون تشويه هذا الاسم .

٩ — وجاء في (ص ١٥٦) : « من أهل الحريم الطاهري يسكن شارع التوفيق من درب العوج » هكذا ، وأين شارع التوفيق ، وأين درب العوج ؟ الصواب « شارع دار الرقيق » ، قال ابن جبير في تعداد محال بغداد : « ثم محلة باب البصرة ، وهي أيضاً مدينة وبها جامع المنصور رحمه الله ، وهو جامع كبير عتيق البنيان حفيله ، ثم الشارع ، وهي مدينة أيضاً ... وبين الشارع ومحلة باب البصرة سوق المارستان » فالشارع الذي أشار اليه هو « شارع دار الرقيق » .

١٠ — وجاء في (ص ١٧١) : « ودفن يوم الجمعة بباب أبزر » ، والصواب « باب أبرز » كما في معجم البلدان ، وكرّر الخطأ في ص ٢٢١ بصورة « باب برز » .

١١ — وجاء في حاشية (ص ١٨١) : « أبو علي البصير كان أعمى ، ولقب بالبصير على العادة في التفاؤل . وهو الفضل بن جعفر بن الفضل أبو علي النخعي ، كان من أهل الكوفة ، وسكن بغداد .. » وفي هذا القول ما يؤخذ ، قال ابن النجار : « الفضل بن جعفر بن الفضل ابن يوسف النخعي أبو علي الشاعر المعروف بالبصير ، من أهل الكوفة ، سكن بغداد ، وكان قدم من سُرَّ مَنْ رأى في أول خلافة المعتصم ومدحه ومدح جماعة من أصحابه وقوّاده ، ومدح المتوكل والفتح بن خاقان . ذكر المرزباني أنه كان أديباً ظريفاً بليغاً مسترسلاً ، وكان يتشيع تشيعاً فيه بعض الغلو ، وله في ذلك أشعار وكان أعمى ، وإنما لقب بالبصير لأنه كان يجتمع مع إخوانه على النبيذ فيقوم من صدر المجلس ، يريد البول ، فيتخطى الزجاج وكلّ ما في المجلس من آلة ، ويعود الى مكانه ولم يؤخذ بيده ، وهو القائل :

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي ... ويقتادني في السير إذْ أنا راكب
لقد يستضيءُ القوم بي في أمورهم ... ويخبو ضياء العين والرأي ثاقب [1]

وبهذا عُلِم أنه سُمّي البصير لاهتدائه في قيامه وقعوده كالبصراء ، لا للتفاؤل ، فقد لما

(١) تاريخ بغداد تأليف ابن النجار « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ١٣٨ » .

كانت العرب تتفاءل للأعمى بالإبصار

١٢ — ونقل في حواشي (ص ١٩٣) : أنَّ أبا اسحاق البرازي وأصحابه صلَّوا على أبي القاسم القشيري . والصواب « أبا اسحاق الشيرازي » ، وهو الفقيه الشافعي المشهور ابراهيم ابن علي الفيروزأبادي ، وأُشهر بالشيرازي .

١٣ — وجاء في حاشية (ص ٢١٢) : « لأَبن القيّم الجوزية » والصواب « لأَبن قيّم الجوزية » ؛ لأن الأصل في التسمية « ابن قيّم المدرسة الجوزيّة »

١٤ — وجاء في رجمة أبي الفرج عبد الوهاب بن هبة الله بن عبد الله ابن السيّبي (ص ٢١٨) أنه « أدّب المقتفي وروى المقتفي عنه » . قال الذهبي في المشتبه (ص ٢٥١) عند الكلام على السيبي : « وأبو البركات أحمد بن عبد الوهاب السيبي عن الصريفيني ، وهو مؤدّب المقتفي ، وقد وهم من جعل شيخ المقتفي عبد الوهاب » وقال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٠٤ هـ : « عبد الوهاب بن هبة الله أبن السيبي أبو الفرج مؤدّب ولد الخليفة المقتفي ، روى عنه المقتفي الحديث[1] ... » . فأبن الجوزي جعله مؤدب ولد المقتفي ، فزاد الوهم .

١٥ — وجاء في (ص ٢٨١) في رجمة أبن دبابا علي بن سعيد بن عثمان السنجاري المتوفى في حدود سنة ستين وخمسمائة تقريباً : أنه « كان يتّجر ، ويختلف الى دمشق ، فباع في بعض سفراته على نُواب أسد الدين شيركوه متاعاً غلط أصحابه بمئتي دينار صورية ، فعمل حسابه فوجد الغلط ، فحمل الذهب اليهم ، فجزوه خيراً وشكروه » . وعلق محقق الكتاب أعني محمد أبا الفضل إبراهيم على أسم « أسد الدين شيركوه » قوله : « هو الملك المجاهد أسد الدين شيركوه بن محمد بن أسد الدين شيركوه بن شادي الأيوبي صاحب حمص ، أعطاه أبن عم أبيه صلاح الدين يوسف بن أيوب حمص بعد وفاة أبيه محمد بن شيركوه في سنة ٥٨١ هـ ، وحفظ المسلمين من الفرنج ، ومات بحمص سنة ٦٣٧ هـ . النجوم الزاهرة (٦/٣١٦) .

ولم أعلم الصارف الذي صرف المحقق الفاضل الى أختيار « أسد الدين شيركوه » الحفيد

(١) المنتظم (٩/١٦٧) .

ويترك « أسد الدين شيركوه » الجدّ ، وهو يقرأ أن العامِلَ له بوساطة نوابه توفّي في حدود سنة ٥٦٠ هـ تقريباً ، أفلم يختلج الشك في ذهنـه في إمكان صحة أن يتعامل تاجر قد توفي سنة ٥٦٠ هـ وأمير توفي سنة ٦٣٧ هـ ، فالفرق بين تاريخي الوفاتين هو ٧٧ سنة فقط !! وعلى هذا لوصح قول هذا الفاضل ، لوجب في الأقل أن يكون عمر أسـد الدين شيركوه ٩٧ سنة ، لتصحّ معاملته التجـار وهو في سن العشرين مثـلاً . ثم إن الخبر يذكر « دمشق » مكاناً للمعاملة ، لا « حمص » ، فهـذه كلها لوافت كانت جديرة أن تلفته عن ذلك القول ، ودلائل كان هو حقيقاً أن يستدل بها على أستحالة ما ذهب إليه . فالصواب أنّ المراد هو « أسد الدين شيركوه بن شادي » أخو أيوب بن شادي والد صلاح الدين الكبير

١٦ — وجاء في (ص ٢٩٨) في ترجمة أبي الحسن علي بن عسـاكر الضرير المقريْ :

« وحفظ القرآن الكريم بالقراءات الكثيرة على أبي العز القلانسي الواسـطيّ ... وعلى المزرقي » ، وقال محقق الكتاب في التعليق على المزرقي : « هو محمد بن الحسين بن علي أبو بكر الشيباني المزرقي ، عالم مقريْ فرضي ... توفي سنة ٥٢٧ . طبقات القراء لابن الجزري (٢/١٣١) وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (١/٢١٥)

قلنا : الصواب « المزرفي » بالفـاء لا بالقاف ، نسبةً الى « المزرفة » قال ياقوت الحمويّ في معجم البلدان : « المزرفة : بالفتح ثم السكون وراء مفتوحة وفاء ، قرية كبيرة فوق بغداد على دجلة ، بينها وبين بغدادثلاثة فراسخ ، واليها ينسب الرمان المزرفي ، كان فيها قديماً . فأما اليوم ، فليس بها بستان البتة ولا رُمّان ولا غيره ، وهي قريبة من قطربل ، ينسب اليهـا ... وأبو بكر محمد بن الحسن المزرفي المقريْ حدث عن أبي جعفر بن المسلمة وأبي الحسن بن النقور وأبي الغنائم بن المأمون وأبي الحسين بن المهتدي في آخرين ، وهو ثقة صالح ... وكان والده قد خرج الى المزرفة في الفتنـة ، ثم عاد فقيل له « المزرفي » . توفي في مسـهل المحرم سـنة ٥٢٧ هـ .. » . وذكره الذهبي في « المزرفي » من المشتبه (ص ٤٧٨) قال : « المزرفي أبو بكر محمد بن الحسين المقريْ مشهور ... » .

١٧ — وجاء في الصفحة نفسها : « وكانت له جماعة بجامع القصر » . والظاهر أن « جماعة » من تصحيف النساخ ، ولعل الصواب « حلقة » ، فهذا المألوف في التعبير عن هذا المعنى ، أو الظاهر أنه وضع « الجماعة » مكان الحلقة لقربها من معناها .

١٨ — وجاء في (ص ٢٩٩) في ترجمة أبي الحسن علي بن فضال المجاشعي هذه الجملة : « هجر مسقط رأسه » وفتح القاف من « مسقط » ، والصواب كسرها ، قال الجوهريّ في الصحاح : « والمسقط بالفتح : السقوط ... والمسقط مثال المسجد : الموضع ، يقال هذا مسقِط رأسي أي حيث ولدت ، وأنا في مسقِط النجم : حيثَ سقط » .

١٩ — وجاء في حاشيته (ص ٣٠١) : « قرأت على الأنجب أبي السعادات عن أبي العلاء وحية بن هبة الله بن المبارك السقطي » ، وجاء فيها : « وأبو الركاز هبة الله بن المبارك السقطي » . والصواب في الأول « وجيه » ، لا « وحية » ، قال شمس الدين الذهبي في المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي : « وجيه بن هبة الله بن المبارك بن عليّ السقطي أبو العلاء بن أبي البركات الأزجي من أبناء المحدثين ، سمع أباه وأبا الحسن العلاف وأبا القاسم بن بيان . سمع منه أبو سعد السمعاني وحدثنا عنه ابن الأخضر وسكن أوانا وأظنه ولي قضاءها قال عمر القرشي : سألت وجيه ابن السقطي عن مولده ، فقال : سنة خمس وتسعين وأربعمائة . وتوفي في ذي القعدة سنة سبع وستين وخمسمائة . قلت [أي الذهبي] : روى عنه الموفق بن قدامة »(١)

والصواب في الثاني « أبو البركات » كما جاء في نسب ابنه وجيه ، والرجل مشهور .

٢٠ — وجاء (ص ٣٢٤) : « وكان الأحمر حاداً حافظاً » ، ومقتضى الحال يوجب أن تكون الجملة : « وكان الأحمر فظّاً » من الفظاظة .

٢١ — وجاء في (ص ٣٢٣) : « وهو مبارك بن منقذ التبريزي » ، والصواب « الشيزري » نسبةً الى « شيزر » ، قال ياقوت في معجمه : « بتقديم الزاي على الراء وفتح

(١) المختصر المحتاج اليه « نسخة المجمع العلمي العراقي ، الورقة ٧٢ »

أوله : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرّة بينها وبين حماة ... ، وينسب اليها جماعة منهم الأمراء من بني منقذ وكانوا ملكوها ... » ، فالذي قدمنا ذكره هو « مبارك بن منقذ » من بني منقذ الذين ملكوا شيزر ، وله سيرة معروفة

٢٢ — وجاء في (ص ٣٢٧) : « أنبأنا أبو طالب السِّلفي ، في إجازته العامة لمن يقول : « لا إلَـه إلا الله ، محمد رسول الله » ، وذلك في سنة ست وتسعين وخمسمائة ، وكنت في ذلك الحين ابن ثماني سنين » وفي ذلك خطآن : أحدهما « أبو طالب » وهو « أبو طاهر » السِّلفي المحدث المشهور ، والآخر « وتسعين » والصواب « وسبعين » ؛ لأنَّ أبا طاهر السلفي لم يبلغ سنة ٥٩٦ هـ ، بل توفي سنة ٥٧٦ هـ كما في الوفيات (٣٢/١) من طبعة بلاد العجم ، واسمه « أحمد بن محمد بن أحمد »

٢٣ — وجاء في حاشية (ص ٣٣٤) : « وابن يللجنت » ؛ والصواب « ابن يللبخت » بتقديم الباء على الخاء المعجمة ، وهو عيسى بن يللبخت الجزُولي المغربي النحوي المترجم في هذا الجزء نفسه (ص ٣٧٨) ، فلا حاجة الى ايضاح أمره بالرجوع الى غيره

٢٤ — وجاء في (ص ٣٣٦) في وفاة أبي الفتح عثمان بن جني ما هذا نصه : « وكانت وفاته ببغداد على ما ذكره أحمد بن علي التوزي في يوم الجمعة لليلتين بقيتا من صفر سنة أثنتين وسبعين وثلاثمائة » ، والصواب سنة « أثنتين وتسعين وثلاثمائة » ، وكذلك قال ياقوت الحموي في معجم الأدباء (١٥/٥) وغيره من المؤرخين ، والأصل في هذا الغلط أنَّ « تسعين » تصحفت الى « سبعين » كما تصحفت « سبعين » الى « تسعين » في إجازة أبي طاهر السلفي

٢٥ — وورد في (ص ٣٤٩) : « أخبرني الشريف النقيب النسابة محمد بن أبي البركات الحسين بن أسعد الحسيني إجازة شافهني بها بداره ... » ، والذي حفظناه : « محمد بن أسعد بن علي بن معمر » ، قال أبو شامة في الروضتين مثلاً (١٠٥/٢) : « وللشريف النسابة المصري محمد بن أسعد بن علي بن معمر الحلبي المعروف بالجواني نقيب الأشراف بالديار المصرية من قصيدة ... » ، وقال ياقوت في « الجوانية » من معجم البلدان : « ينسب اليها بنو الجوّاني العلويّون ، منهم أسعد بن علي يعرف بالنحوي كان بمصر ، وابنه محمد بن أسعد النسابة ،

ذكرتها في أخبار الأدباء » ، والحقيقة أنه لم يذكرها

٢٦ — وسقطت كلمة « منذ » عند الكلام عليها في (ص ٣٧٣) قال المازني : « أقول إنّه [أي منذ] لا يشبه الأسماء ، وذلك لأني لم أر الأسماء على هذه الهيئة فقد رأينا الأسماء المبتدأة تزول عما هي عليه ولا تلزم موضعاً واحداً لا يُغير مكانه الذي هو فيه ، « والصواب » : موضعاً واحداً [ومنذ] لا يغير مكانه الذي هو فيه » .

٢٧ — وجاء في (٣٨٠) في ترجمة عيسى المعلّى النحوي اللغوي الشاعر : « ومدح مظفر الدين بن زين الدين » ، قال محقق الكتاب في الحاشية : « صاحب إرقيم » . قلنا : مظفر الدين لم يكن صاحب إرقيم ، بل صاحب « إربل » المدينة المشهورة .

٣٠ — وجاء في ترجمة العماد المغربيّ في (ص ٣٨٦) : « واجتمع بيَـمـَر الفرغاني النحوي المنطيقي » ، والصواب : « واجتمع بعمر الفرغاني » ، وهو أبو حفص عمر بن محمد بن عمر الفرغاني الحنفي المترجم في هذا الجزء عينه (ص ٣٣١) ، وسيرته مشهورة ، رجمه كثير من المؤرخين كابن النجار في تأريخ بغداد والذهبي في تأريخ الإسلام وابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب والخزرجي في تأريخه وغيرهم مثل مؤلف كتاب الحوادث الذي سميناه « الحوادث الجامعة » .

٢٩ — وجاء في (ص ٣٨٩) : « الغَوري . منسوب الى الغَور ، وهو عمل الى جانب مدينة غزنة فيه عدّة مُدُن و قُرىً » ، وقد فتح محقق الكتاب الغين من « الغوري » و « الغور » ، والصواب « فتحهما » ، قال ياقوت في معجم البلدان : « غور : بضمّ أوله وسكون ثانيه وآخره راء ، جبال وولاية بين هراة وغزنة ، وهي بلاد باردة ... » ، وضبطه الذهبي في المشتبه (ص ٣٨٩) بضمّ الغين ضبط القلم ، ثم قال : « وبالفتح نسبته الى الغور وقصبته بيسان » .

هذا ما استوقف نظرنا في أثناء المطالعة ، وهو شيء يسير بالنسبة الى محاسن الكتاب في اخراجه وطبعه وتحقيقه والتعليق عليه بفوائد شتى .

مصطفى جواد

تاريخ مدينة دمشق

وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اُجتاز بنواحيها من واردها وأهلها

تصنيف الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن المعروف بابن عساكر

المجلدة الأولى — تحقيق صلاح الدين المنجد — (٨٥٩ صفحة من القطع الكبير) عدا المقدمة — مطبعة الترقي بدمشق ، ١٩٥١م — ١٣٧١ هـ

المجلدة الثانية — القسم الأول ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد (٣٥٣ ص) — المطبعة الهاشمية بدمشق — ١٩٥٤ م

إذا عُدّ أعاظم المؤلفين في الإسلام ، كان مؤلف هذا الكتاب الإمام الحافظ أبو القاسم ابن عساكر ، المتوفى بدمشق سنة ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م ، من الأوائل المذكورين . واذا وصفت الكتب الكبار في تواريخ المدن وتراجم الرجال ، برز في طليعها كتابه « تاريخ مدينة دمشق »

وليست مزية هذا الكتاب أنه أوسع تاريخ كتب لمدينة إسلامية ، حتى بلغت مجلداته الضخام ثمانين مجلدة ، ولكنها شيء آخر أهمّ وأجلّ هو تحرّي مؤلفه وصدق روايته .

وقد ألف الحافظ ، وهو من أئمة الحديث ، كتابه هذا على طريقة المحدّثين في التاريخ ، وهي الترجمة لمن ورد المدينة أو الصقع وذكرُ ما روي عنهم من حديث . وهي طريقة سلكها المحدثون قبله بقرون ، كالقشيري في تاريخ الرَّقّة ، والحاكم في تاريخ نيسابور ، وأبي نعيم في تاريخ أصبهان ، وحمزة السهمي في تاريخ جرجان ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد .

وقد كان الخطيب البغدادي من أقربهم الى الحافظ ابن عساكر زماناً ، وهو قد جعل مفتتح تاريخه خطط بغداد ، وساق بعد ذلك التراجم فألف الحافظ كتابه على نَسَقه ، لكنه أبرّ عليه في توسعه في خطط دمشق وما اليها ، وفاقه في ترتيب التراجم وقد اُستغرق بحثه في خطط دمشق المجلدتين الأولى والثانية ، وترجم في بقية المجلدات لكل من تصح ترجمته له من أهل دمشق وخلفائها وأمرائها وحكامها وقضاتها وعلمائها وقرائها ونُحاتها وشعرائها ورواتها

ممن ولد بها ، أو أقام بها ، أو زارها واجتاز بها أو بأعمالها من الأماثل منذ الفتح الإسلامي الى سنة ٥٥٩ هـ ، ولم يَفُتْهُ أن يترجم للنسوة المذكورات والإماء الشواعر المشهورات ، وربما ترجم لمن كان قبل الإسلام وورد الشام ، حتى الأنبياء الذين كان متبهم أرض الشام . وبذلك « جمع أعظم عدد من — رجال التاريخ العام — ومن رجال الثقافة الإسلامية وأعلام حضارة العرب ، فجاء كتابه أشبه بمعلمة إسلامية مطوّلة » كما قال العلّامة محمد كرد علي – رحمه الله – في مقدمته في بيان دواعي نشر هذا التاريخ وقد قُدرت المدة التي سلخها الحافظ في تأليف هذا الكتاب العظيم بنحو ثلاثين عاماً

ومن هنا كان هذا الكتاب ، منذ شاع عمل المؤلف فيه في صدر شبابه ، أمنية المتمنين من الملوك الصالحين ، كالسلطان محمود بن زنكي الذي بلغ المؤلفَ اهتمامه بكتابه فحمله ذلك على المُضي في إنجازه كما كان موضع عناية أهل الفضل ، فقرأه عليه ناس كما فعل العماد الأصبهاني الكاتب ، وذيّل عليه ناس ، واختصره أو انتقى منه آخرون . ولكن بقي كل ذلك مخطوطاً رهن خزائن الكتب الشرقية والغربية ، ماعدا سبعة أجزاء من تهذيب الشيخ عبد القادر بدران (– ١٩٢٧ م) طبعت بدمشق ، وأظنه اعتمد في تهذيبه على النسختين المحفوظتين في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وهما ناقصتان ويغلب عليهما التحريف وعهدهما بالنسخ حديث ، الى أن قيّض الله له المجمع العلمي العربي بدمشق ، فصور ما تفرق من أجزائه في الخزائن الشرقية والغربية، حتى كان له من هذه الأجزاء القليلة ما يمكن من معارضة النسخ عليه ، أو الرجوع عند التصحيح اليه ؛ ومن هذه الأجزاء ما قرئ على المؤلف وحمل سماعات أولاده ، فقرر حينئذٍ نشره ، وناط تحقيق المجلدتين الأولى والثانية منه ، وهما في خطط دمشق وتأريخها ، بالدكتور صلاح الدين المنجِّد وهو من طلائع شباب دمشق الطامحين الى المجد العلمي ، وله من بصره بخطط الشام وتأريخها ومن جلده وصبره على ممارسة الخطوط الغامضة ومقارناتها ما يؤهله لهذه الثقة .

وها هو ذا قد اضطلع بهذا العبء الثقيل ، وأخرج هاتين المجلدتين العظيمتين في حلة رائعة ، وقد استوفى فيهما كل ما شرطه المجمع في تحقيق الكتاب ، ولم يبعد عما نهجه له من النهج

العلمي الحديث : من العناية بأختلاف الروايات في النسخ وإثبات ما يرجح صحته منها ، والتعليق على ما لا بُدَّ منه ، وتفسير بعض الألفاظ الغامضة ، ورَجْعِ الأعلام الى أصولها . وزاد على ذلك فكتب مقدمة مستفيضة في المؤلف والكتاب في ٥٥ صفحة ، وألحق بالكتاب السماعات على مصنّفه مما وجده في أجزاء المجلدتين ، وصنع له فهارس متنوعة وخوارط للعالم الإسلامي في القرن السادس أثبت فيها المدن الكبيرة وأشار الى المدن التي زارها المؤلف ، وأخرى لدمشق القديمة في القرن السادس أسوارِها وأبوابِها وبعض محالّها الأثرية وأنهارها وما كان خارج سورها من المنازل والقرى ، مستنداً في وضعها الى مصادر التاريخ ومخططات المساحة الرسمية وأنفق مجهوداً ظاهراً في تحقيق الكتاب وضبطه ، وأفتنَّ في طبعه فجعل للأسانيد حروفاً دِقاقاً وللأخبار والمرويّات التاريخية حروفاً من حجم أكبر وهي طريقة جميلة يحسن أتّباعها في طبع الكتب المبنية على الأسانيد ، لينصرف المطالع الى المسائل دون الوسائل ، وليسهل عليه أستيعاب المطالب في وقت قصير

وكل هذه الأعمال المجيدة ، قد تبدو يسيرة بالقياس الى عمل المحقق في أستجلاء خطوط النسخ التي أعتمد عليها وأثبت أنموذجات منها في مقدمة المجلدة الأولى ، فإنّه قلّما يبلغ خطٌّ مبلغها في الرداءة والعسر والأنبهام ، كما يندر في الرجال من يصبر على قراءتها أو يستطيع أن يُخرج منها كتاباً تغلب عليه الصحة ويقلّ فيه التحريف والتصحيف . فلو لم يكن للمحقق في هذا الكتاب الا هذا الصنيع وحده ، لكفاه ذلك فضلاً باقياً مدى الزمان .

على أنه مع هذا كله لم يزعم لصنيعه الكمال ، بل تواضعَ فأشار في المقدمة الى أن ما أستعسر عليه كثير ، وأنه وجد العلماء الذين لجأ اليهم يحارون حيرته أو يتوقفون ولم أنس — إذ لقيته في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥١ مكباً على حلّ ألغاز خطوط الكتاب — أنْ عرض عليّ بعض نصوصه وسألني إزالة لبسها ، فعييت بها كما عيي غيري ممن كان حاضراً وقد كان في كل لحظة من لحظاته يعترضه شيء من ذلك ، ولكنه صبر وثبت ولم ينكل ، حتى أشرف على الغاية ، وخرج من المعركة ظافراً معقوداً على ناصيته إكليل الفوز

واذا حمدنا للمحقق الفاضل هذا الخلق وأطريناه ، فان ما تحلّى به من خلق التواضع ، بعد كل هذا المجهود المظيم ، فيما أعلنه من لجوئه الى العلماء وفيما طالب به الناس — من بعدُ — من تصحيح ما يجدونه خليقاً بالتصحيح ، ليستحق منا مضاعفة هذا الإطراء والثناء ، ولن ينال من فضل الفاضل أن يستدرك عليه أو ينقد ، لأن السلامة من مثل ذلك مطلب وراء الغاية

وقد أستدرك المحقق على نفسه أشياء مما فاته ، أثبتها في آخر المجلدة الأولى (٣٤٣ـ٣٥٨) ، وأثبت أيضاً ما أستدركه غيره عليه ، وسمّاهم وقد أتيح لي — في بعض أوقات الفراغ — تصفح هاتين المجلدتين تصفحاً سريعاً تهيأ لي في أثنائه أن أستدرك عليها أشياء من جنس ما أستدركه ، لعلّي لم أجانب الصواب فيها كثيراً ، وأعترف أنني وقفت عند كثير من النصوص وقفات طويلة ثم فارقتها ولم أشف منها الغليل

ولعل فيما أثبته هنا ما هو خليق بالتنبيه عليه ، ومنه ما يهون الخطب فيه ، ولكنني أثبته لأن المحقق أثبت في مستدركاته أشياء من جنسه ، والتشدّد في الضبط يستلزمه ولا يتسامح فيه .

المستدركات على المجلدة الأولى :

ص ١١ : « أخلا » و « أجلا » ، وصحة الرسم المتّبع في مثلها « أخلى » و « أجلى » . وقد تكرر ذلك في مواضع أخرى ، كما خولف في مواضع غيرها فكتب بحسب القاعدة

ص ٧ : « والجَدْي » ، والشدة على الجيم مقحمة ، لأن الجيم حرف قوي .

ص ٨ : « بصرّ » هكذا بوضع الشدة على الراء ، وهو « بَصَّرَ »

ص ١١ : « خرداذبة » بنقطتين على الهاء ، والصواب حذفهما

ص ٨٩ : « البنات زغر والربة » ، وإنما هو : « البنتان : زغر ، والربة » .

ص ٤٠ : « فاطمة بنت محمد بن البغدادي » ، وقد تقدمت في ص ٣٤ « فاطمة بنت محمد ابن أحمد ابن البغدادي » .

ص ٤٣ : « السبت سيار » ، وإنما هو « شيار » بالشين المعجمة .

ص ٤٧ : « ذكر وحث المصطفى » ، والواو مقحمة يجب حذفها .

ص ٢٦٢ : « بدؤا » ، ومثلها في ص ٢٧٦ « جاؤا » ، وأمثال ذلك كثير في الكتاب ، والرسم الصحيح « بدؤوا » و « جاؤوا »

ص ٣٠٩ : « وأهل الهند حكماء أستغنوا ببلادهم فاُكتفوا بها على سواها » ، والصواب « عن سواها »

ص ٣٢١ وغيرها : « ابن لَهْيَمَة » ، وصوابه « ابن لَهِيعَةَ » بفتح اللام وكسر الهاء .

ص ٣٢٢ : « رد الله الى المسلمين إلفهم ونعمهم وقاصيهم وبراريهم » ، والصواب « .. أُلفهم » أما « براريهم » ، فلعلّها « دانيهم » أو « ذراريهم »

ص ٣٤٥ : « وسئل عن أهل الموصل فقال : قلادة أصمد جمت (كذا) » . والصحيح « قلادة أَمَةٍ » كما ذُكر في رواية أبي عبيدة في ص ٣٤٤ وما بعد كلمة « جمت » يشبه أن يكون فراغاً ، ويمكن ملؤه بجملة « كلَّ خرزة » كما في رواية أبي عبيدة أيضاً ، فيكون النص : « قلادة أَمَةٍ جمعتْ كلَّ خرزة »

ص ٣٦٤ : « فيتحملون بأهاليهم » ، وقد تكرر في مواضع متعددة ، والصواب « بأهليهم » كما ورد في ص ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٧٧ و ٣٦٨

ص ٣٨٣ : « تأخِذونها » كذا بضبط عين الفعل بالكسر ، ولا يعرف فيه غير الضم

ص ٣٨٥ : « يدعى مارد » ، وصوابه « .. مارداً »

ص ٣٨٨ : « عروة بن زبير » ، ولم يعرف تجريد « الزبير » هذا من (ال) ، وهو وأبنه أشهر من أن يدل على مكانتها في الإسلام

ص ٣٨٩ : « ثبّت الله ما أتاك من حَسَنٍ ... » ، وهذا شطر من بيت لا يستقيم وزنه بهذه الصورة ، فلا بدَّ من مد « آتاك » واثبات واو العطف قبل « ثبّت » الا إذا وردت الرواية بـ « حَزْمِهِ » وقد وقع في قافية الشطر الثاني من هذا البيت إقواء ، ولم ينبَّهْ عليه

ص ٣٩١ : « رؤسهم » ، وقد تكررت بهذه الصورة في مواضع أخرى ، كما تكررت على

الصحة « رؤوسهم » في مواضع غيرها

ص ٣٩٩ : ورد في هذه الصفحة بيتان فيهما إقواء كان ينبغي التنبيه عليه

ص ٣٩٩ : « يعلى بن منبّه » ، والصحيح « ... مُنْيَة » بالياء المثنّاة .

ص ٤٠٠ : « وَهَمٍّ ذا ما نوم الناس مُسْهِرُ » ، وهو : « وَهَمٌّ اذا ما نَوَّمَ الناسُ مُسْهِرُ »

ص ٤٠٢ : « لا يطلقون الى السفاه حَبَاهم » كذا بفتح الحاء المهملة ، وهذا اللفظ يحتمل أن يكون جمعاً لحبوة ، وأن يكون أسماً ممدوداً « حِباء » فأما الحُبا جمع الحبوة ، فهو بالضم وبالكسر ، ذكرها أبن السكّيت في إصلاح المنطق ، قال : « وروى بيت الفرزدق : وما حلَّ من جهل حُبا حُلَمائنا ... بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان كسِدْرَةٍ وسِدَرٍ ، ومن ضمّ فمثل غُرْفَةٍ وغُرَف » (أنظر تاج العروس ٨٢/١٠) وأما اللفظ الآخر ، فلم يعرف فيه كذلك إلا الكسر والضم مع المدّ ، ومنه قولهم « الحِباء حيطان العرب » ، وفي حديث الأحنف : وقيل له في الحرب : أين الحلم ؟ فقال : عند الحباء ، أراد أن الحلم يحسن في السلم لا في الحرب

وفي هذه الصفحة : « شعوباً ــ وخُلّف بعدهم متأخرُ » ، والصحيح : « .. وخَلْفٌ » .

ص ٤٠٩ : « وخلف رجال غير مسمس ولا ذوي علة » ، وقد أُبهمت هذه الكلمة المهملة على المحقق ، وروى عن بعض النسخ مكانها « مستيقنين » ولكنه لم يرتضها ولا أراها إلّا « مُسْنِتِينَ » ، يقال : أَسْنَتَ القوم ، اذا أجدبوا ، وأصله من السَّنَة وهي الجدب

ص ٤١١ : « فكان قلّ ما أراد غزوة .. » ، وقد تكرر في ص ٤١٢ وغيرها الفصل بين « قلّ » و « ما » ، وانما هما موصولان « قلّما »

ص ٤١٢ : « ثم أمر بالتهيء » ، والصواب « بالتهيّؤ »

ص ٤١٣ (الحاشية) : « والضافطة فى القاموس رذال الناس » ، كذا بتشديد ذال « رُذال » وهو جمع الرّذْل ، ولم يرد في القاموس المحيط ، في (رذل) وفي (ض ف ط) ، إلّا

الضم والتخفيف وليس التشديد في القاموس المحيط ، في (ض ف ط) ، لرُذال ، ولـكن للضُـفّاط ، قال : « والضَّـفّاطة .. الرفقة العظيمة كالرَّجّالة ، وكرُمّان (أي وضُـفّاط بوزن رمّان) : رُذال الناس كالضافطة »

وفي هذه الصفحة في الحاشية أيضاً : « الدرمك .. دقيق الحواري » ، وإنما هوا لحُوّارَى بالقصر

ص ٤١٨ : « كرهـ أن أفتات دونكم بأمر » ، وصواب الفعل أفتئت أي أستبدّ

ص ٤١٩ : « كان رسول قيصراً جاراً لي في .. » ، وصحة الجملة : « كان رسـول قيصَرَ جاراً لي » بمنع « قيصر » من التنوين وحذف الحرف « في » .

ص ٤٢٥ : « مالذي » ، وصحته « ما الّذي »

ص ٤٢٧ : « كقولهم أحمد ومحمد ، وأساف ويساف » ، والصواب « أحمد ويحمد ... »

وفيها : « وعبد الرحمن بن عوف يقود راية أبي بكر » ، صوابه « يقود دابة أبي بكر »

ص ٤٣٢ : « معاوية المدوي » ، والصحيح « العذري » كما في رواية ظ ، ك والطبري ، ومثله في الإصابة (٢/٤١٧) من طبعـة مصطفى محمد أما رواية « العدوي » في الإصابـة المطبوعة بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٢٥ ـ ١٩٠٧ ، فهي محرفة ، وما أكثرالغلط في هذه الطبعة !

ص ٤٣٤ « ومسكت طي بالإسلام » ، وإنما هي « طَيِّءٌ » بالهمز

وفيها : « حين خرج أسامة حتى بلغ نَـقْـماً حذاء نجد » وقد علّـق المحقق على نقم فنقـل عن معجم البلدان أنه « موضع قرب مكة في جنبات الطائف » ، وأين جنبات الطائف وأين نجد ؟ وإنما الموضع الذي أرادته الرواية هو « بقعاء » ، قال ياقوت في معجم البلدان ٢/٢٥١ : « وبقعاء : الموضع الذي خرج اليه أبو بـكر الصديق — رضي الله عنـه — لتجهيز المسلمين لقتال أهل الرِدّة ، وهو تلقاء نجد على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة » .

ص ٤٤٣ : « وأصاب الله بك سبلِ الرشاد » كذا بخفض المفعول به ، وهو ظاهر

ص ٤٤٤ : « ومن أداني أراضيهم ... ثم تبعث الى أراضي أهل اليمن » والمعهود في جمع

الأرض في كلام الفصحاء الأقدمين « الأرضون » لا « الأراضي » ، وبه جاءت الرواية في مواضع أخرى من الكتاب .

وفيها : « لقد سـرتني به سرّك الله » ، وواضح أن هذا السهو في ضبط بناء الفعل « سَرّك » بالخفض هو من قبيل ضبط المفعول به المتقدم عليه

ص ٤٥٤ : في وصية أبي بكر الصديق — رضي الله عنه — « ولا تحشروا بهيمة » ، وإنما هي « ولا تعقروا بهيمة » كما في الرواية عن عبد الرحمان بن جبير في ص ٤٥٥ •

ص ٤٦٠ : « ألا يا صبيحنا قبل خيل أبي بكر » و « يا » في البيت زائدة

ص ٤٦٥ : « فأمرهم خالد ، فتزوّدوا للشقّة لخمس » ، وفسر المحقق الشقة بالسفر البعيد ، والصحيح أنها « الشَّفَةُ » ، أي فتزودوا [الماء] للشفة لخمس [ليال] كما يدل عليه سياق الرواية هنا وفي كتب أخرى ، منها تاريخ ابن الأثير ١٧١/٢ من طبعة بولاق ، لكن حرفت فيه « للشفة » الى « للشعبة » والمراد بالشفة العطاش ، ويقال للعطشان لا يجد من الماء ما يبلّ به شفته : « شافه »

وفي هذه الصفحة : « فأخذ من قراقر الى سوكة » ، وقد علق المحقق على سوكة بنقل أختلافات النسخ ولم يجزم بشيء ، وصحة الكلمة (سُوى) وهو ماء لبهراء ، وقراقر ماء لكلب ، وبينهما خمس ليال

ص ٤٦٦ : « ثم نزل الحقار ثم نزل العرير » ، قال محقق الكتاب معلقاً عليها : « كذا ولم أهتـد الى مكانها » ولما أثبت الحقـار في الفهرست (ص ٤٧٥) ، أورده في الحاء بصورة « الحفار » ، وإنما هما « الجفار » و « الغُوَيْر »

ص ٤٧٢ : « وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها » ، لعله « في نسب من قومها » .

ص ٤٧٥ : « المولود المشئوم » ، ورسمها الصحيح « المشـؤوم » . أنظر كلتي في « الموفي في النحو الكوفي » في باب الأنباء والآراء[1] .

(١) ص ٣٣٠

ص ٤٧٧ : « لما قدمت مهزمةً الروم » ، والصواب « مهزمةُ الروم »

وفيها : « وننهي عما يرضي الله » ، واعا الفعل « ننهى » »

ص ٤٨٥ : روى المؤلف الخلاف في ضبط « فحل » من أسماء الأماكن ، ثم صوب فيه فتح الفاء وسكون الحاء ، ولكن محقق الكتاب لم يعره اهتماماً ومضى يضبطه بكسر الفاء حيث ورد

ص ٤٨٨ : « حتى فضضنا جمعهم عردس .. » البيت ، قال محقق الكتاب تعليقاً على « مردس » : « كذا وفي ظ ، ك « بتردس » ، ولم أهتد الى صوابها » والظاهر أنه أراد بالمردّس الرجل المرامي الشجاع ، اسم فاعل من مضعّف ردَس ، يقال ردَس القوم رماهم بحجر ، وردس الحائط والأرض دكه بشيء صلب عريض يقال له المِرْدَس والمِرداس ، كما في القاموس المحيط .

وفيها : « الميسر والقدح » ، والصواب « .. والقِداح »

أما المستدركات على المجلدة الثانية ، فوضعها الجزء الآتي ؟

محمد بهجة الأثري

أنباء وآراء

❊ رأي في اصلاح قواعد الاملاء العربي [1] ❊

حضرة صاحب المعالي السيد العلامة الجليل رئيس مجمع اللغة العربية

حضرات أصحاب السيادة والفضل أعلام الفكر والأئمة الأعضاء العاملين

أذكرني ما تفضّل فأنهاه اليّ العلّامة الدكتور منصور فهمي كاتب سرّ المجمع من عزم بعض زملائنا الأعلام على إلقاء محاضرة عامة في المؤتمر الثاني والعشرين ١٩٥٥ — ١٩٥٦ م ، في تيسير قواعد الإملاء ، ورغبتهم في أن يشاركهم الأعضاء الراسلون بإبداء الرأي في شأن هذا التيسير ... مشاركتي القديمةَ في درس هذا الموضوع في المؤتمر الثقافي العربيّ الأول الذي عقدته جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٧ م في لبنان ، ثم في اللجنة التي ألفها المجمع العلمي العراقي من بعض أعضائه العاملين وعهد اليها أن تدرس ما بعث به مجمع اللغة العربية من مقرراته أو مقترحاته في ذلك ...

وأذكر أن رئاسة مكتب المؤتمر الثقافي العربي هذا كانت قد عرضت على « لجنة القواعد واللغة » التي تشرفتُ برئاستها يومئذٍ لائحةً وضعها لجنة وزاريّة بالقاهرة في وسائل تيسير قواعد الإملاء العربي ، لترى رأيها فيها ، فناقشتُها طويلاً ، ثمّ أمضتْها بعد أن اطمأنّت الى أن ما تضمنته من قواعد سليمة يحقق التطابق بين الكتابة والنطق بطريقة مُطَّردة خالية من الخلاف بريئة من التعقيد .

ومع أن بعض ما أقرّته اللجنة من هذه القواعد الجديدة ، وهو موضوع رسم الهمزة ، كان

---

(١) كتب الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع العلمي العراقي الأول ، وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ، هذا البحث استجابة لرغبة مجمع اللغة العربية اليه في إبداء رأيه في هذا الموضوع

دون ما أطمح اليه من التيسير ، فقد وقفت « اللجنة الثقافية » بأمانة جامعة الدول العربية منها موقف الحَذِر المستأني ، واتّخذت قراراً بأنّها مجرّدُ عرض ، وأنّها ترى أنّ الزمن غير صالح لتنفيذها حتّى تعرض على الهيآت الرسمية ، كالمجامع العلمية واللغوية ونحوها ، لإبداء الرأي فيها ، وذلك أخذاً بالحيطة ومراعاةً لبعض الأحوال في الظاهر

وإنّي لأحمد لمجمع اللغة العربية أنْ عاد فأولى هذه المسألة الخطيرة عنايته ورعايته ، بعد أنْ تخلّت عنها « اللجنة الثقافية » المذكورة « للهيآت الرسمية » التي هو طليعها في الناحية اللغوية ، من غير شكّ ، ذلك بأنّها مقدَّمةٌ عندي على جميع مسائل الإصلاح اللغويّ ؛ لأنها الدرجة الأولى في سُلَّم وسائل المعرفة ، وهي على ما نعلم جميعاً من التصعيب والتعقيد ، فهي أولى أن تقدَّم على غيرها من المسائل التي تتطلّب الإصلاح والتجديد ، والإصلاحُ إنّما يجب أن يُبْدَأ فيه — من تحت — بدرجة السلَّم الأولى ، ويرتقى منها صُعُداً الى الذروة

وفي عقيدتي أن الزمن كان ولا يزال صالحاً لتنفيذ كل إصلاح يحفظ الأصول ، ويقرّب الغاية ، ويحقّق النهضة ومن الإخلال بحقّ الأمّة العربية وحقّ نهضتها العتيدة أن تكون أولى وسائل المعرفة عندها أداةً كثيرة التكاليف ، ثقيلة الوطأة ، عقيمة ، معوّقة ، يشكو منها العالم كما يشكو منها المتعلم ، وتستنفد من الأوقات الثمينة في غير طائل ما ينبغي أن يستنفَدَ في غيرها من المطالب العالية والدراسات المجدية وليس أدلّ على ذلك من هذه الاختلافات الكثيرة والصور المعقَّدة في رسم الإملاء العربي ، ومن تخطئة الناس بعضهم لبعض منذ وضع علماء المصرَيْن البصرةِ والكوفة هذه القواعدَ وبنوها على أصولهم النحوية وأقيستهم الصرفية المختلفة المتعارضة

وها قد خلت القرون ونحن جميعاً نخضع لحذلقات توصف بأنّها « علم بأصول » ، تأمر أن نكتب ما لا نلفظ فنطيع ، وألّا نكتب ما نلفظ فنمتثل ، وأن نرسم الصوت بغير صورته فنفعل ، وأن نكتب الحرف بصور متعددة — وكان يجب ألّا تكون له إلّا صورة واحدة — فلا نعصي لها أمراً وهي كلّها — كما هو ظاهر — رسوم معقَّدة مستَمَدَّة مما أشرت اليه

من أصول نحاة المصريَين المتضاربة ، ومن خطوط بدائية غير قياسيّة الأصول .

ولست أدري كيف يصح في العقل الرشيد أن تُسْقَطَ صورة الصوت الملفوظ ، كالألف في مثل « هاذا » و « ذالك » و « هاألاء » و « لاكِنْ » ونحوها من كلمات ، وتكتب « هذا » و « ذلك » و « هؤلاء » و « لكن » بغير الألف الملفوظ ؟

وكيف يصح في المنطق السليم أن يرسم ما لا يلفظ من الحروف بصورة الملفوظ منها ، كالألف التي تزاد بعد واو الجماعة المتطرفة في الفعل ، وفي الأسماء المجموعة المضافة عند بعض النحاة ، وفي « المائة » إفراداً وتثنيةً وتركيباً (دون جمعها !) وهي لا تلفظ ، والواو في مثل « أولئك » و « أولاء » و « أولي » ونحوها وهي لا وجود لها في النطق ؟

وفيمَ يشغل الناس أنفسهم ، منذ عصور ، بكيفية كتابة الهمزة ، وينفقون أجزاء ثمينة من أعمارهم في تأمل حركاتها وسكونها وما يحيط بها من أحوال الحركة والسكون من عن يمينها ومن عن شمالها ؟ أمن أجل أن يجلسوها على « الكرسي » الذي يليق بها من كراسي الألف والياء والواو ، أو لينزعوا هذه الكراسيّ جميعاً من تحتها ويلقوها في العراء لتفترش الأرض متواضعةً ذليلةً بجانب بقية الحروف ؟

لقد نوّعوا رسم هذه « الهمزة » بحسب مواقعها في الكلمة ، وقسموها أقساماً أربعة ، وعمدوا الى الهمزة المتوسطة فقسموها الى همزة متوسطة بالأصالة ، وهمزة متوسطة تنزيلاً أو عارضاً ؛ ثم اذا الهمزة المتوسطة بالأصالة لها وحدَها ستّ عشرة صورة عقلية حاصلة من ضرب حركاتها الثلاث وسكونها في حركات ما قبلها أو سكونها ، الى آخر ما يقال في شرح ذلك . ثم نجدهم — بعد تأصيل كل هذه الأصول للهمزة — يختلفون في رسمها في بعض الكلمات « كالمئة » اختلافاً شديداً ، فكتبها بعض النحاة « مئة » بصورة فئة ، وكتبها آخرون « مأة » بألف عليها همزة ، ورسمها آخرون « مائة » بألف زائدة ثم همزة على الياء ، وقد زادوا هذه الألف في إفرادها وتثنيتها وتركيبها وأسقطوها في جمعها كما في مِئين ومِئات ، وكلّ فريق علّل رسمه لها بنوع من التعليل ، وعلّل البصريّون الزيادة بتعليل ، وعلّلها الكوفيون بتعليل آخر

يطول ايراده بما فيه من المناقشات والمناقضات !

ثمَّ فيمَ هذا التنويع لكتابة الألف المتطرِّفة في آلاف من الكلمات من أسماء وأفعال ثلاثية وغير ثلاثية ، تنطق ولكنها لا ترسم بصورتها المخصوصة بها دائماً ، بل ترسم بها حيناً وبالياء حيناً آخر ؟ ولأجل أن يرسم الكاتب هذا الحرف صحيحاً ولا يعدّ جاهلاً ، يجب أن يلاحظ أشياء عدة : أن يعلم أول ما يعلم ما أصل الكلمة : أواوي هو أم يائي ؟ وأن يحسب بعدُ حروفها ما عددها ؟ وأن يلاحظ بعد هذا وذاك كونها اسماً أو فعلاً ، ثم يمعن في ملاحظة حركة الاسم هل هو مكسور الأول أو مضمومه ، ثم في أصله هل هو عربيّ أو أعجمي ، ثم في نوعه هل هو من أسماء الناس أو من أسماء البلدان أو من أسماء الحيوان أو من أسماء المشروبات أو من أسماء الفنون والصناعات .. كلّ هذه الحذلقات لأجل أن يتسنّى له كتابة هذا الحرف إما بصورته وهي الألف ، وإما بغير صورته وهي الياء !

قد يصحّ أن تكون أمثال هذه الحذلقات التي تحرج بها الصدور ، ومنها كثيرٌ في كتب القوم ، مقبولةً سائغةً في عهود التأخر والجمود ، أيامَ ضُيِّق نطاق المعرفة وقُصِر العلمُ على الخاصّة ومن اليهم ممن يخدم السلطان ، وأيامَ صار (العلماء !) يرون في الكتابة وعلمها أنها من فروض الكفاية كسائر العلوم والصناعات في نظرهم

على أن تلك العصور التي حدث فيها كل هذا ، لم تخل مع كل ذلك من عبقريّات ضاقت بهذه الحذلقات ذرعاً ، فضربت بها عرض الحائط ، ورسمت للإصلاح خطوطاً أصيلة ، ولكنها رسمتها عَرَضاً لا قصداً وعلى سبيل الانفراد لا على سبيل التجمع كما نحاول (نحن) اليوم وإن لازم محاولتنا شيء غير يسير من التردّد والحذر

و (نحن) أولى بأن نتبنّى مثل هذا الإصلاح ، وأن نزيد عليه ؛ لأن عصرنا يتطلّب منا ذلك ، إذ كانت طبيعته تختلف كل الاختلاف عن طبيعة تلك العصور القديمة ، وأهونُ ما نفكر فيه ونطلبه ونلحّ في طلبه هو أن نجعل هذا العلم غَرَضاً عاماً مشاعاً بين الناس كالهواء والماء ، لا يجوز أن يمنع منه مانع ، ولا أن يُحْرَمَهُ إنسان له حق الحياة . ولعلّ التمثيل بالماء

لا يستقيم لنا ، إذ أصبح الماء يباع ويشرى بالمقاييس والمقادير حيث يسيل أنهاراً وحيث يفيض فيطمّ على القَرِيّ ، ولن نرضى أن يكون شأن العلم كذلك ، ويأبى المخلصون الا أن يذيعوه في الشعوب وأن يفرضوه عليها فرضاً ، والكتابة هي وسيلة اذاعة هذا العلم وفرضه على الناس ، والوسيلة ينبغي أن تكون سهلة خفيفة المؤنة لا تثقيل فيها ولا تعقيد ، ليفيد منها الناس في يسر وسهولة ، وليفرغوا للإفادة من الغايات ولا يشغلوا عن المنافع بوسائلها

والطريقة المثلى — كما أراها — تتلخص في أصل عام يسير كلّ اليسر ، قريب التناول ، سهل التعلّم ، لا يستنزف جهداً عقلياً ولا يستنفد وقتاً ذلك هو أن نقطع صلة الكتابة بأقيسة النحاة وأصول الصرفيين من علماء المصرَيْن جميعاً ولهجات القبائل قطعاً تامّاً ، فلا نفكر فيها أبداً ، ولا نلقي اليها بالاً ؛ وأن نقيمها بعد ذلك على أساس التطابق بين الأصوات ورسم صورها أو رموزها المخصوصة بها ، فنرسم كل صوت بنقشه الدالّ عليه ، ونستعين بالشكل أحياناً حين لا تستبين القرينة ، مع « تحفّظات » قليلة تقتضيها أصول اللغة وطبيعة النطق بها ، وأن نتّخذ للهمزة رمزاً مستقلاً يلزم صورة واحدة في كل موضع رد فيه كسائر الحروف ، وسأذكر رأيي في رسم هذه الصورة من بعدُ

هذا الأصل العام ، هو شيء منطقي تقتضيه طبيعة المطابقة بين الصوت وصورته المتعارفة ، وهو ، كما أريده ، خالٍ من الخلاف ، وكفيل بأن يسقط عن الناس عالمهم ومتعلّمهم تكاليفَ هذه القواعد المتعارضة الثقيلة المتكلفة الشاقة جملةً ، ويجعل الكتابة صورة سليمة واضحة لما ننطق به ، وأداة رفيقة صالحة للإبانة والاستفادة والإفادة في أيسر وقت وأهون جهد .

لقد وقع الناس عصوراً طوالاً تحت سلطان قواعد هذا الإملاء القديم ، ووقعنا مثلهم تحت هذا السلطان ، فخضعنا له خضوع « الوسطاء » « للمنوّمين » وقد آن أوان أن نتحرر منه ومن قيوده ، ولا خيرَ في التلبّث والتردّد والحذر ما دمنا نريد أن نحقق منفعة أيّ منفعة ، وأن ندرأ مفسدة ، وأن نحفظ هذا الميراث العربي : لا نبطل نظاماً عاماً من أنظمته ، ولا نغير أصلاً من أصوله .

أما ما اتخذته « اللجنة الثقافية » بأمانة جامعة الدول العربية من قرار بحق هذا الاصلاح ، على ما فيه من نقص يسير ، وأنه مجرَّد عرض ، وما ذهبت اليه من الرأي في الزمن وأنه غير صالح لتنفيذه ... فهو يدعوني الى أن أضع بين يديها صورة مصغَّرة لإصلاح قواعد الكتابة الذي أراده أحرار العلماء ومفكروهم من القُدامى خاصةً ، لتستظهر بها في موقف التنفيذ اذا شاءت ، ولتكون هذه الصورة جُنَّةً لها ولغيرها تقي بها نفسها من سهام من لا يحملون أنفسهم على عناء التفكير والتأمل فيما ينبغي أن يأخذوا ويدعوا ، وفيما ينبغي أن يُدرَأ به العيب عن لغتنا ووسائل تعليمها وتيسير هذا التعليم من شؤون الإصلاح ووسائله مما يتحقق به أكبر الخير والنفع للناس

وفي كتب هؤلاء العلماء الأحرار المفكرين من القدامى آراء خطيرة في إصلاح هذا الإملاء العربي في أهمّ أبوابه وأكثرها تعقيداً وبلبلة ، جهر بها نفر منهم مخالفين بها الجمهور المقلِّد ، وهم فيما خالفوهم به من ذلك على حقّ لا شِبهَةَ فيه ولكنّ الناس صَمُّوا آذانهم عن سماعها ، وأغلقوا منافذ عقولهم دونها ، ومضوا في سبيلهم من التقليد في التعقيد

ففي مسألة كتابة الهمزة ، وهي مسألة شائكة ومعقدة جداً ، نجد أبا زكريا يحيى بن زياد المعروف بالفَرّاء إمام العربية في عصره وأعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي ، وكانت وفاته سنة ٢٠٧ للهجرة .. يضرب بقواعدها كلها عرض الحائط جملةً ، ويختار لها شكلاً واحداً لا ثاني له في جميع مواضعها ، هو شكل الألف ، ويقول : « يجوز أن تكتب ألفاً في كل موضع » . وهذا هو الرأي عندي من حيث الأصل ، أعني الاستقلال بالصورة الواحدة ، فهو المخرج الوحيد الذي ننجو به من شدائد الهمزة وتنويع رسمها ، ولا بأس بهذه الصورة التي يختارها الفرّاء ، فاذا تمّ الاتفاق عليها — ويجب أن يتمّ على شكلٍ ما — كتبناها بصورة الألف (أ) مثلاً حيث وردت ، وما أشكلت قراءته أو خفيت قرينته أستعنّا عليه بالحركات ، وأرجو ألّا يكون عامل الألفة للقواعد القديمة مثبطاً عن الإقدام على حسم مادة هذه المشكلة المزمنة .

وفي مسألة كتابة الألف المتطرّفة بصورها حيناً وبغير صورها حيناً آخر، ومشكلتها تلي مشكلة الهمزة في الخطورة، أصبت في « الشافية » نصاً بأن جماعة من النحاة قالوا « بكتابة الباب كلّه بالألف حملاً للخطّ على اللفظ، ثالثة كانت أو فوقها، منقلبة عن ياء أو عن غيرها، في عَلَم أوغيره » . ووجهه شيخ الإسلام زكريّا الأنصاري، المتوفى سنة ٩٢٦ هـ، في شرحه « مناهج الكافية » بأنه القياس، وبأنه أنفى للغلط وقال البطليوسي الأندلسي في « الاقتضاب شرح أدب الكُتّاب » : إنه هو الذي اختاره أبو علي الفارسيّ في مسائله الحلبية، وكفى بهؤلاء جميعاً من أئمة مشهود لهم بسعة العلم ونفاذ البصر

هذه الآراء العالية، قد احتوت على بذرة الإصلاح الأولى للإملاء العربي، وهي حجج رائعة من القديم يصحّ أن يُستَظهَرَ بها على من يتمسك بالقديم، وأصحابُها من أئمة العربية وحرّاس لغة القرآن، وفيهم ناس من أهل القرن الثاني الهجري، وآخرون من أهل القرن الرابع، ومن أهل القرن العاشر، أفلا يُحقق أهل القرن الرابع عشر الإصلاح الذي فكر فيه أهل تلك القرون؟ ومتى إذن نحيا الحياة العقلية السليمة الطيبة ونحن نتلكأ عن أهون الأشياء؟

تكاد تنحصر مشكلات الإملاء العربي في رسم الهمزة وفي رسم الألف زيادة ونقصاً وتغييراً، فمن المفيد حقاً أن ترسم الهمزة بشكل مستقلّ واحد كما أجازه الفرّاء، وأن نحمل الخط على اللفظ ـ لأنه القياس ولأنه أنفى للغلط كما رأى أبو علي الفارسي والبطليوسي وصاحب الشافية وزكريا الأنصاري وغيرهم ـ لا في كتابة الألف وحدها، بل في أبواب الإملاء العربي كله، مع التزام « التحفّظات » التي أشرت اليها من قبل؛ لأن ذلك هو الشيء الطبيعي المعقول، ولن يتسنّى الإصلاح المنشود بغيره .

وتحياتي الطيبّات للزملاء الأعلام المؤتمرين لتحقيق أمثل إصلاح مرجوّ للغة العربية، وأجل نفع أدبيّ مرتقب للعرب

١٩٥٥/١٢/١١ محمد بهجة الأثري

قرار مؤتمر مجمع اللغة العربية :

الزميل المحترم الأستاذ محمد بهجة الأثري

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد ، فانه ليسرني إخباركم بأن المجمع قد تلقى بحثكم في تيسير الإملاء العربي ، وأنه فسح له في إحدى جلسات المؤتمر وهي الجلسة المنعقدة في الخامس من يناير سنة ١٩٥٦ ، فاستمع الأعضاء اليه مع غيره من مختلف البحوث التي تقدم بها العلماء المهتمون بهذا الموضوع الذي ما زال البحث فيه مستمراً لم يستقر في ناحية ، وإنّ في تبادل الآراء وإن اختلفت ما يعين على الانتهاء الى قرار

وإنّي إذْ أبلغكم قرار المؤتمر توجيه الشكر اليكم على بحثكم ، أنتهز هذه الفرصة لأحمد لكم كريم مؤازرتكم للمجمع ولأرجو منكم أن تتصل هذه المؤازرة وأن تتضاعف ، فليس أحبّ الى المجمع من أن تقوى الصلات بين أعضائه العاملين وأعضائه المراسلين لخير اللغة ولتحقيق أغراض المجمع في النهوض بها في مختلف بلاد العروبة

وأقدم لكم أطيب التمنيات مشفوعةً بأصدق الاحترام ؟

كاتب سر المجمع

١٩٥٦/٢/٤ منصور فهمي

« الموفي في النحو الكوفي » أيضاً

كنت أحصيت في كلامي على هذا الكتاب ، في هذه المجلة (٣/٤٤٧) ، أشياء يسيرة من الهنات المطبعية لم يُنَبِّهْ عليها في فهرست تصويباته فكتب اليّ شارحه صديقي العالم الجليل الأستاذ محمد بهجة البيطار الدمشقي رسالة خاصة ، عقب فيها على أربعة مواضع من تنبيهاتي . فوعدته أنْ أقدم للنشر ما أراد توجيه النظر اليه من ذلك ، وأنه اذا عنّ لي خاطر في شأنه رفعته اليه ، ليرى رأيه فيه ، فاذا وافق عليه نشرته ، والا طويته على غرّه ، واكتفيت بنشر كلامه وحده ، معتمداً على ما يراه الناس من مجال الكلام الواسع والآراء المضطربة في قضايا

اللغة والنحو ورسم الإملاء ، إذ هي قلّما تخلو مسألة من مسائلها من النقائض والاختلافات ، وقلت له — فيما قلت — إنه اذا انساق المرء في تيّار القوم ، استطاع أن يجد لكل غلط وجهاً من الرأي يجعله صحيحاً وسليماً ، ومثل الأستاذ أكبر من أن يقال له إن العبرة عند أمثالنا — في مجال التحقيق — بالأشهر والأفصح ، وإنه لامندوحة لنا من اصطناع هذا المذهب واتباعه ، لنعيّن الوجهة المثلى للناس ، ولنتجنّب بهم سلوك بُنيّات الطرق .

ويؤسفني أنني لم أستطع تحقيق الشطر الثاني من وعدي إيّاه باطلاعه على ما يعنّ لي من خواطر في تعقيباته ؛ إذ كان الى عهد قريب جداً في رحلة شطُون في « العالم الجديد » ، وقد قضت ضرورات الطبع بنشر ما كتبه وأكتبه من غير أن أجد نُهزَةً لاطلاعه واذا فاتني البر بوعد لم أملك تحقيقه ، فللأستاذ وللعلم حق المراجعة والنشر ، لإقرار الحقائق العلمية ـ مهما كانت تبدو صغيرة ـ في نصابها المقرَّر . ولقد أجهدت فيما كتبت ، وكل اجتهاد عرضة للقبول وللرفض ، وليس من شيمي التعنّت في قضايا العلم ولا سيما مع مثل الأستاذ الجليل .

قال الأستاذ البيطار في رسالته :

« وقد أعدت النظر الآن على ملاحظات أخي (ص ٤٤٩ ج ٢ م ٣ من المجلة) ، فرأيت أن أوجّه نظره الكريم الى ما جاء في نقده سهواً :

١) عبارتي : « (وكان) ثانية » ، فصححت بـ « الثانية » ، وما هناك (كان) أولى فتكون (الثانية)

٢) و « إما لإبهامه على المخاطب ، أو لنسيان ... » : والصحيح « ... وإما لنسيان »[1] .

أقول : في مغني ابن هشام (١/٥٤) : « وقد يستغنَى عن إما الثانية بذكر ما يغني عنها » ، وأورد شاهدين نثراً ونظماً

٣) و « أ إن أرعشت » : ولا يصحّ كسرها[2] ؛ لأن الكسر يجعلها شرطية ، وليس الشرط مراداً هنا كما لا يخفى[1]

---

(١) هذا كلامي (٢) أي كسر همزة « أن » .

أقول : هذا صحيح ، ولكنّه غير متعين ، ففي المغني (٢٢/١) : « وزعم الكوفيون أنها (أي إنْ) تكون بمعنى (إذْ) ، وجعلوا منه : (وأتّقُوا الله إنْ كنتم مؤمنين) .. قالوا : وليست شرطية ؛ لأن الشرط مستقبل » .

٤) و « مسئول » في (١٥١) : وصحة رسمها « مسؤول » [1]

أقول : في (المفرد العلم في رسم القلم) بعنوان (تنبيهات) ما نصه : « كل همزة مضمومة غير مكسور ما قبلها ، وبعدها واو ساكنة ، تحذف صورتها ، مثل « رءوس » و « مسئول » ومثله في (قاموس الإملاء) في الهمزات والألف الليّنة (ص ١٦) ... بين ساكنين على ياء ، وفي (ص ١٩) — في آخر الجدول الثاني — « مسئول » .

انتهى كلام الأستاذ البيطار ، وأقول في التعقيب عليه مستأذناً :

١) أما قوله : « فتكون (الثانية) » ، فكذا وردت (الثانية) بخطه ، وهو يريد (الثانيـة) ، فوقع السهو في الخطّ ، ولا كلام لي على هذا

٢) وأما تكرار « إمّا » كما صححتُ الجملة ، فلا أعرف في الكلام الفصيح غيره على أختلاف معاني « إمّا » الخمسة المذكورة في مغني اللبيب (٦٣/١) ، وظهيري في ذلك آيات القرآن الكريم : (إمّا يعذبهم وإمّا يتوب عليهم) ، و (إمّا أن تعذب وإما أن تتّخذ فيهم حسناً) ، و (إمّا شاكراً وإما كفوراً) ، وغيرها

وأما ما أورده الأستاذ من كلام المغني ، فهو ـ على ما تشير اليه قولهُ « قد يُستغنَى .. » من ندرة هذا الأستعمال وقلّته ـ من وادٍ آخرَ من الأستعمالات ، وهو الأستغناء عن « إمّا » الثانية نهائياً ، لا تبديلها بـ « أو » كما في الجملة التي أعترضتُ عليها وهذا الأستغناء عن « إمّا » إنما يكون اذا ذُكرَ ما يغني عنها من كلام يقع موقعها مع المعطوف الذي تدخل عليه ، نحو : إمّا أن تتكلّم بخير وإلّا فأسكت ، أي « وإمّا أن تسكت » على ما قاله الدسوقي . فهذا أستعمال من نوع آخر كما لا يخفى

---

(١) هذا كلامي

٣) وأما الموضع الثالث ، فقد أقرّ الأستاذ صحة توجيه الملاحظة في ضبط « أنْ » فيه ، وإنْ دفعه بعدم كونه متعيّناً ، واُحتجَّ له بما عدّه العلّامة ابن هشام زعماً من مزاعم الكوفيين ، ومذهبي — كما قدمت في مطلع كلامي — الأخذ بالأشهر والأفصح ، واُطّراح الآراء الشاذّة والمرجوحة

٤) وأما ترجيح رسم « مسؤول » بهمزة على نبرة الياء ، أي بهذه الصورة « مسئول » ، وذلك بناءً على حذف صورها ... فهذا غير القياس المقرر في كتب رسم الإملاء ، وهو: أن همزة الوسط اذا كانت مضمومة بعد ضم ، أو مضمومة بعد سكون ، تكتب واواً من غير نزاع أما حذف صورها ، فأمر جوازي عند بعضهم ، وليس بالقاعدة ، كما نُصّ عليه في الشافية وغيرها . وقد فات جامعي هذين الكتابين ـ المفرد العلم وقاموس الإملاء ـ ذكر مسألة الجواز في هذه المسألة على ما يفهم من كلام الأستاذ البيطار . على أننا اذا أخذنا بهذا الجواز من الحذف في رسم « مسؤول » وكتبناها « مسئول » ، أحلنا حينئذٍ صورة الواو التي تقتضيها هذه القاعدة القياسية الى ياء ، من غير ضرورة ملجئة . ولئن جاز اللجوء الى هذا الحذف الجوازي في الكلمات المنفصلة الحروف مثل « مرءود » ، إنه لن يجوز في الكلمات المتصلة الحروف مثل كلمتنا هذه ، لأنه يَعْرِضُها في شكل يغاير القاعدة

وإني أقرّر هذا مجاراةً للأصول العامة المقررة في كتب القوم ، وإن كان لي في جملتها رأي آخر أجملته في البحث المنشور قبل هذا في هذا الجزء

محمد بهجة الأثري

معجم مصطلحات المجمع العلمي العراقي

تواردت على المجمع ، بعد نشر القسم السابق من مصطلحاته [1] ، قوائم جديدة من دوائر حكومية ومن هيآت دولية ، لتدقيق مصطلحات عربية وضعها ، أو لوضع كلمات عربية لمصطلحات أعجمية علمية وفنية فجاء من مديرية الصناعة العامة في وزارة الاقتصاد كتاب رقمه ٣٤٨٠ وتأريخه ١٩٥٥/١٠/٢ تطلب فيه من المجمع رأيه في مصطلح « Salinity » وقد أختارت له لفظة « الملحية » ، وفي مصطلح « Tracers » ومعناه العلمي « ذرات مشعة تستخدم في البحوث والصناعة وغيرها ويقوم أستخدامه على أقتفاء أثرها وتتبع سيرها في وسيط البحث » وقد وضعت له لفظة « مقتفيات » [2] وجاء كتاب من وزارة المعارف رقمه ٤ ث / ن / ١٥٤٠٠ وتأريخه ١٩٥٥/٤/١٠ مرفق بقائمة تتضمن مصطلحات عربية وضعها المكتب العربي في الأمم المتحدة لـ « ٥٩ » مصطلحاً علمياً انكليزياً في موضوع « الذرة » وما يتفرع منها ، وكتاب آخر رقمه ٤ ث / ١٣ / ٤ /٢٤٧٣٨ وتأريخه ١٩٥٥/٧/٢٤ ومعه قائمة بمصطلحات عربية وضعها المركز الدولي لتعليم الإحصاء في بيروت لمصطلحات إنكليزية تتألف من « ٦١٩ » مصطلحاً ، وقد رغبت الوزارة في هذين الكتابين الى المجمع في درس هذه المصطلحات وإبداء رأيه فيها

فعكف المجمع في جلساته الأعتيادية على دراسة هذه المصطلحات والمصطلحات التي سبق أن أرسلت اليه من دوائر أشرت اليها من قبل ، وناقشها نقاشاً طويلاً ، فوضع لكثير منها ألفاظاً عربية جديدة ، وصحح ما أحتاج منها الى تصحيح ، وأقر ما رآه عربياً سالماً سائغاً . وقد أستغرقت دراساته هذه ٣٧ جلسة من جلساته الأعتيادية في هذه السنة

---

(١) أنظر م ٣ ج ٢/ ٣٦٨ وما بعدها

(٢) الفقرة الثانية من الكتاب المذكور

وقد نظر في جلسته الثالثة المنعقدة في ١٩٥٥/١٠/٢٢ في طلب مديرية المباحث الصناعية العامة ، فوافق على أستعمالها « الملحية » لـ « Salinity » ، ووضع « السارية » و « السوراب » لـ « Tracer » و « Tracers » ، وأبلغها قراره هذا ، كما أبلغه وزارة المعارف بكتابه المرقم ٦١٩ والمؤرخ في ١٩٥٥/١٠/٢٦ لتعميم ذلك على الدوائر والمعنيين بالبحوث العلمية

ودأب على دراسة مصطلحات معهد الإحصاء الدولي لتعليم الاحصاء في بيروت ، منذ جلسته الثانية المنعقدة في ١٩٥٥/١٠/١٥ حتى الآن ، وسيستمر في ذلك حتى ينجزها

وقد فرغ خلال هذه المدة من دراسة ما ينيف على (٢٣٠) مصطلحاً من هذه القائمة وما أورده منها الآن ، هو جزء من كل ، وبعض مما لم يُنْشَرْ حتى الآن ، رتبته على حسب الحروف بالانكليزية ، ليكون في الإمكان مراجعتها في يسر وسهولة

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Absolute Deviation	الانحراف المطلق	الانحراف المطلق
Absolute Error	الخطأ المطلق	الخطأ المطلق
Absolute Value	القيمة المطلقة	القيمة المطلقة
Adjustment of Data	تعديل البيانات	تسوية المُسْتَقْرَيات
Age Distribution	توزيع الأعمار	التوزيع العمري
Age-Sex Standardised Rate	المعدل الصحيح بالنسبة للعمر والنوع	المعدل العمري النوعي السياسي
Aggregate	مجموعة (مجموع)	مجموعة (مجموع)
Aging of the Population	تقدم السكان في العمر	تعمير السكان
Amplitude	السعة	المَدى
Amplitude Ratio	نسبة السعة	نسبة المَدَى
Analysis of Variance	تحليل التباين	تحليل التغاير
Angle Iron	حديد زاوية	الحديد المُزَوَّى

المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	
الإحصاء التطبيقي	الإحصاء التطبيقي	Applied Statistics
الثابت الإرادي	الثابت الاختياري	Arbitrary Constant
الأصل الإرادي	نقطة أصل أختيارية	Arbitrary Origin
النمذجة المساحية	المعاينة المساحية	Area Sampling
الوسط الحسابي أو المعدل الحسابي	الوسط الحسابي	Arithmetic Mean or Average
المتوالية الحسابية	متوالية حسابية	Arithmetic Progression
نظيمة	مصفوفة (صف)	Array
مُسْتَقْرَيات	تجميع البيانات	Assembling Data
ربط	اقتران	Association
مفترض	نقطة الأصل المفروضة	Assumed Origin
افتراض	فرض	Assumption
اللا تماثل	عدم التماثل	Asymmetry
معدل الانحراف	الانحراف المتوسط	Average Deviation
محور	محور	Axis
المحور السيني أو الإحداثي السيني	المحور السيني	Axis of Abscissa
المحور الصادي أو الإحداثي الصادي	المحور الصادي	Axis of Ordinates
قضيب	عمود	Bar
مستطيلات بيانية	عمود	Bar (Chart)
أســاس أو قاعدة	الأساس	Base
الخط الأساسي	الخط الأساسي	Base Line

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Base Period	فترة الأساس	الدور الأساسي
Battery of Tests	مجموعة الاختبارات	مَجالي الاختبار
Bed Plate	— (١)	صَبدة
Bell-shaped Curve	منحني بشكل جرس	مُنْحَنٍ ناقوسي
Bias	تحيز	انحياز
Bimodal	ذو منوالين	ذو نمطين
Binomial Distribution	توزيع ذات الحدين	توزيع ذات الحدين
Birth	ميلاد	ولادة
Birth Rate	معدل المواليد	نسبة الولادة
Bivariate	مزدوج	ثُنائيُّ التغاير
Bivariate Table	جدول مزدوج	جدول ثنائي
Block Diagram	تكتل الأعمدة	رِسْمة مجملة
Boom	—	رافد
Bracket	—	كُتَيِّفة
Breakdown	تقسيم	تقسيم
Buckling	—	اللَّيُّ
Cable	—	الكابل
Calculation	حساب	حساب
Calculus of Probability	حساب الاحتمالات	حساب الاحتمالات
Calendar Variation	تغير	الاختلاف الفصلي
Calendar Month	شهر تقويمي	شهر تقويمي
Cap	—	قبعة

(١) هذا الخط رمز الى الفراغ في القوائم الواردة على المجمع

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Caption	عنوان الخانة (في الجدول)	عنوان الجدول
Card Counter	عدّاد للبطاقات	عدّادالبطاقات
Cargo Ton - kilometres	كيلو متر الطن للحمولة	حمولة طن كيلومتري
Cargo Tons - carried	الحمولة المنقولة	الحمولة بحساب الطن
Cartesian Coordinates	الاحداث الكارتيزية	الاحداث الديكارتية أو المحاور الديكارتية
Case Mortality Rate	معدل الوفاة بين الحالات	نسبة وفيات الحالات المرضية .
Census	تعداد	تعداد
Census Enumerator	عدّاد ـ مندوب ـ تعداد	عادّة
Census Schedule	استمارة التعداد	إستِشمارة التعداد
Central Tendency	الاتجاه المركزي	الاتجاه المركزي
Chain Indexes	الأرقام القياسية المسلسلة	النسب القياسية المتسلسلة
Chain Relatives	منسوبات	منسوبات
Chart	رسم بياني	مخطط بياني
Chart Cumulative	رسم تجميعي	مخطط بياني تراكمي
Check	راجعة	مراجعة
Chi - squared Test	اختبار كاي	اختبار كاي
Class Frequencies	تكرارات الفئات	تكرارات الصنف
Class Interval	مدى « فترة » الفئة	فترة الصنف
Class Limits	حدود الفئة	حدود الصنف
Classification	فصل	تصنيف
Cluster Sampling	معاينة التجمع	نمذجة المجاميع

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Code	دليل	دستور
Coder	واضع الدليل	مُدَسْتَر
Coefficient of Dispersion	معامل التشتت	مُعامل التشتت
Coefficient of Multiple Correlation	معامل الارتباط المتعدد	مُعامل المشاكلة المتعددة
Coefficient of Partial Correlation	معامل الارتباط الجزئي	مُعامل المشاكلة الجزئية
Coefficient of Regression	معامل الانحدار (معامل الارتداد)	مُعامل الارتداد
Coefficient of Skewness	معامل الالتواء	مُعامل التحرف
Coefficient of Variation	معامل الاختلاف	مُعامل التغير
Collect	يجمع	يجمع
Column	عمود الجدول	عمود
Column Diagram	شكل مكون من أعمدة	رِسْمَةُ الأعمدة
Commodity Price Index	رقم قياسي لسعر السلعة	النسب القياسية لأسعار السلع
Compilation	تجميع	جمع
Component Part Chart	خرائط جزئية	مخطط المركبة البياني
Compression	—	الكبس
Compute	يحسب	يحسب
Confidence Intervals	فترات الثقة	فترات الثقة
Confidence Limits	حدود الثقة	حدود الثقة
Constant	ثابت	ثابت
Constant Error	خطأ ثابت	خطأ ثابت
Contingency	توافق	طوارىء
Contingency Coefficient	معامل التوافق	مُعامل الطوارىء

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Continuous	متصل	متصل
Continuous Series	سلسلة متصلة	سلسلة متصلة
Control Chart	خريطة المراقبة	مخطط المراقبة
Conversion Factor	معامل التحويل	عامل التحويل
Coordinate	احداثي	إحداثي
Coordinate Axis	محور الاحداثيات	محوران إحداثيان أو محاور إحداثية
Corrected Rate	معدل مصحح	نسبة مصححة
Correction Factor	عامل التصحيح	عامل التصحيح
Correlation	ارتباط	ترابط
Correlation Coefficient	معامل الارتباط	مُعامل الترابط
Correlation Ratio	نسبة الارتباط	نسبة الترابط
Correlation Surface	سطح الارتباط	سطح الترابط
Correlation Table	جدول الارتباط	جدول الترابط
Cost of Living	نفقة المعيشة	كلفة المعيشة
Count	يعد	عدّ
Covariance	تغاير	التغاير الترافق
Coverage	مشمول	تغطية
Crane	—	رافعة
Cross Classification	تفصيل متقاطع	تصنيف تقاطعي أو تصنيف ذو مدخلين
Cross Tabulation	تبويب متقاطع	جدولة تقاطعية
Crude Rate	معدل خام	النسبة الخام

المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	
متراكمات	متراكمات	Cumulants
تصنيف تراكمي	تقيم راكمي	Cumulative Classification
تكرارات تراكمية	تكررات تجمعية	Cumulative Frequencies
منحني التكرر التراكمي	منحني تكراري متجمع	Cumulative Frequency Curve
إحصاءات جارية	احصاءات جارية	Current Statistics
توفيق المنحنيات	توفيق المنحنيات	Curve Fitting
انحنائي	منحني غير مستقيم	Curvilinear
ترابط انحنائي	ارتباط غير مستقيم	Curvilinear Correlation
إرتباط منحنٍ	ارتباط منحني	Curvilinear Regression
اتجاه انحنائي	اتجاه منحني	Curvilinear Trend
دورة	دورة	Cycle
تغيرات دورية	تغيرات دورية	Cyclical Variations
مُسْتَقَرَيات	بيانات	Data
استنتاج	استنباط	Deduction
عدد السكان الواقعي	عدد السكان الفعلي	De facto Population
عدد السكان الشرعي	عدد السكان الحقيقي	De jure Population
وفاة (ج وَفَيات)	وفاة	Death
نسبة الوفيات	نسبة الوفيات	Death Rate
معشار (ج معاشير)	عشيرات	Décil
انحطاط	بهبط	Decline
درجات الحرية	درجات الحرية	Degrees of Freedom
السكّانيات	ديموجرافيا (علم السكان)	Demography
متغير تابع	متغير تابع	Dependent Variable

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وفق عليه
Derivative	دالة مشتقة	مشتقة
Design (of Experiments)	تصميم التجارب	خطة (تصميم)
Deviation	انحراف	انحراف
Diagnosis	تشخيص	تشخيص
Diagram	شكل	رِسْمَةٌ
Differential	تفاضلي	تفاضلي
Differential Calculus	حساب التفاضل	حساب التفاضل
Differential Equation	معادلة تفاضلية	معادلة تفاضلية
Differential Fertility	الخصوبة	الخصب التفاضلي
Differentiation	تفاضل	تفاضل
Digit	خانة رقمية	رقم
Discontinuous	منفصل	منقطع
Discontinuous Series	سلسلة منفصلة	سلسلة منقطعة
Discrete	متقطع	متقطع
Discrete Series	سلسلة متقطعة	سلسلة متقطعة
Disease	مرض	مرض
Dispersion	تشتت	تفرق وتفريق
Distribution	توزيع	توزيع
Distribution Function	دالة التوزيع	دالة التوزيع
Distributive Percentage	نسبة التوزيع المئوية	نسبة التوزيع المئوية
Dolley	—	قموة (في الهندسة المدنية)
Dot Chart	خريطة النقط	مخطط النقط
Dot Map	خريطة النقط	خارطة النقط

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Double Frequency Table	جدول تكراري مزدوج	جدول التكرر المزدوج
Double Sampling	معاينة مزدوجة	نمذجة مزدوجة
Dowel Bar	—	لسان
Downward Bias	تحيز الى أسفل	الجنوح الى أسفل
Downward Trend	اتجاه نزولي	الاتجاه الى أسفل
Drop Hammer	—	صاخة
Duplication	تكرار	مضاعفة أو تضميف
Edit	يراجع	تحرير
Efficiency of Estimate	كفاءة التقدير	مدى التقدير
Elimination	حذف	حذف
Emigrant	مهاجر	مهاجر
Employment	توظيف	استخدام
Enquiry	بحث	تحقيق
Enumerator	عداد	عدّاد
Enumeration Area	منطقة التعداد	منطقة التعداد
Equation	معادلة	معادلة
Error	خطأ	خطأ
Error of Estimates	خطأ التقدير	خطأ التقدير
Estimate	التقدير	تقدير
Estimated Population	عدد السكان التقديري	السكّان المقدرون
Estimating Equation	معادلة التقدير	معادلة التقدير
Evaluate	تقسيم	تقويم
Excess Profits Tax	ضريبة الأرباح الاستثنائية	ضريبة الأرباح المفرطة

المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	
رقابة الصرف	رقابة النقد	Exchange Control
سعر الصرف	سعر الصرف	Exohange Rate
القيمة المأمولة	القيمة التوقعية	Expected Value
العمر المأمول	توقع الحياة	Expectation of Life
خطأ تجريبي	خطأ تجريبي	Experimental Error
موازنة تصريحية	موازنة صريحة	Explicit Weighing
مُنحَنٍ أسي	منحني أسس	Exponential Curve
جدول الفاء	جدول ف	F Table
القيمة المسماة	القيمة الاسمية	Face Value
عامل	معامل	Factor
تحليل عاملي	تحليل معاملي	Factor Analysis
كلفة العوامل	التكلفة العاملية	Factor Cost
اختبار تعاكس العوامل	اختبار الانعكاس في العامل	Factor Reversal Test
موازنة الأسرة	ميزانية الأسرة	Family Budget
عمل الفلاحة	العمل المزرعي	Farm Labour
السكان الزراعيون	السكان الزراعيين	Farm Population
فلاح	مزارع	Farmer
نسبة الوفيات	نسبة معدلات الوفاة	Fatality Rate
خصب	خصوبة	Fertility
نسبة الخصب	معدل الخصوبة	Fertility Rate
مدى الوثوق	حدود الاطمئنان	Fiducial Limits
الوثوق المحتمل	الاحتمال الاطمئناني	Fiducial Probability
ميدان	ميدان	Field

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Field of Enquiry	مجال البحث	ميدان التحقيق
Field Staff	موظفو الميدان	المُحْصُونَ
Field Work	عمل الميدان	عمل إحصائي
First Quartile	الربع الأول	الربع الأول أو الربعية الأولى
Fishplate	—	آصرة
Flange	—	شفير
Flexibility	مرونة	مرونة
Flow Chart	رسم توضيحي للحركة	مخطط الجريان البياني
Fluctuations	تقلبات	تذبذب
Forcasting Services	خدمات التنبؤ	مصلحة التنبؤ
Foreign Exchange	تبادل النقد الأجنبي	الصرف الخارجي أو التحويل الخارجي
Forms	استمارة	استمارة
Fourfold Table	جدول رباعي	جدول رباعي
Frame	—	إطار
Frame (Sampling)		اطار (المعاينة)
Frequency	تكرار	تكرار
Frequency Curve	منحني تكراري	منحنٍ تكراري
Frequency Density		كثافة التكرار
Frequency Distribution		توزيع تكراري
Frequency Polygon	مضلع تكراري	مضلع تكراري
Frequency Surface	سطح التكرار	سطح التكرار

	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه
Frequency Table	جدول تكراري	جدول تكراري
Function	دالة	دالة
Functional Relationship	علاقة دالية	علاقة دالية
Grillage	—	شَبيكة
Gutter	—	مجراة
Handrail	—	مستند
Helmet		درقة
Jack	—	إفريز
Jetty	—	فرضة ، كلاُ
Margin	—	حرف
Packing	—	حشو
Pig Iron	—	حديد مسبوك
Pile	—	ركيزة
Pin	—	دِسار
Pitch	—	حنو
Plate Girder	—	عارضة مصفحة
Precast Pile	—	ركيزة معدة
Punching	—	ثقب
Railing	—	حاجر
Set	—	ملاس (بوزن كتاب)
Shoreing	—	مسند
Shuttering	—	محابس
Splice	—	قارنة

المصطلح الذي وضعه المجمع أو وافق عليه	المصطلح المقترح الوارد على المجمع	
نافخة	—	Steam Hammer
مقوى	—	Stiffener
ركاب	—	Stirrup
جسر معلق	—	Suspension Bridge
شدّ	—	Tension
زَبْن	—	Thrust
مُسَنَّم	—	Truss
برم	—	Twist
كافة	—	Washer
وَتِيرة	—	Web
لحم	—	Welding

جواد علي

خلاصة عن أعمال المجمع العلمي العراقي

هذه تذكرة لأعمال المجمع في غضون المدة التي أنصرمت بين صدور الجزء الثاني من المجلد الثالث وهذا الجزء ، تحوي الأمور التي قد تفيد من يريد الوقوف على سيرة المجمع وتطوّره

الموازنة : كانت موازنة المجمع للسنة المالية المنصرمة (١٣٫٠٠٠) دينار ، جعل منها ٥٫٢٥٠ ديناراً مخصّصات للأعضاء ورواتب للموظفين والمستخدمين ، والباقي ، وهو (٧٫٧٥٠) ديناراً ، ينفق لطبع الكتب والمجلة ، ولتملك حقوق التأليف والترجمة والتحقيق ، وشراء كتب مطبوعة ومخطوطة لخزانة كتب المجمع ، وامداد الشعبة الفنية بما تحتاج اليه من لوازم لتصوير ما يطلب اليها تصويره من مخطوطات و « أفلام » أو تكبيرها للهيآت الرسمية وللباحثين ، وغير ذلك من نفقات يراعى في انفاقها جانب الأقتصاد جهد الطاقة

المطبعة : أضاف المجمع الى المطبعة آلات تكميلية ، سداً للنقص ، وتنفيذاً لمنهج عملي تدريجي يسير عليه في كل سنة لتوسيع أعماله ، فأبتاع جهازاً لقصّ الورق ، ومجموعات من حروف عربية جديدة ، وإفرنجية : فرنسية وألمانية ، وحروف لاتينية لطبع الألفاظ العربية التي رد في متون آثار المستشرقين على طريقتهم المقررة في مؤتمر « روما » الأستشراقي في كتابة الحروف العربية في اللغات التي تعتمد كتابتها على الأبجدية اللاتينية وبحصول المجمع على هذه الحروف ، وتمكنه من تلافي هذا النقص ، أصبحت مطبعته المطبعة الوحيدة في العراق في ميسورها طبع ما يحتاج اليه بالأبجدية اللاتينية على طريقة المستشرقين ، وهو عازم على أستكمال هذه المجموعة بشراء حروف يونانية قديمة وسريانية وحروف بالأقلام العربية الجاهلية لأستعمالها في كتبه ومجلته

وقد قرر شراء آلة « لاينوتايب » كاملة في هذه السنة المالية .

أما ملاك المطبعة ، فما زال على ما كان عليه : طباع واحد وثلاثة مرتبين

مطبوعاته : أنجز المجمع خلال هـذه المدة طبع الجزء الأول من القسم العراقي من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصبهاني ، والجزء الخامس من كتاب تأريخ العرب قبل الإسلام وشرع في طبع الجزء السادس منه ، وأشرفت المطبعة على اخراج الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور لنصر الله ابن الأثير ، وكتاب منازع الفكر الحديث تأليف جود .

وقد قدمت اليـه خلال هذه المدة جملة طلبات للمساعدة أو لشراء حقوق التملك ، أحالها — كعادته — على لجان فرعية أختصاصية لدرسـها ، منها كتاب الفرات الأوسط للويس موسل ، وكتاب تأريخ الموسيقى العربية لفارمر ترجمة المحامي السيد جرجيس فتح الله ، وهو كتاب مهم جداً في الموسيقى العربيـة ، وقد أسف المجمع أن علم بأخرة بسبق وزارة التربيـة والتعليم المصرية الى الشروع في طبعـه مترجماً بقلم الدكتور حسين نصّار الأستاذ في كلية الآداب بجامعة القاهرة والمجمع حين يعتزم ترجمة كتاب من الـكتب ، أو حين ينظر في طلب يقدم اليه في هذا الباب ، يبادر فيخبر الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية بما عنّ له من أمر ترجمة هذه الـكتب ونشرها ، ويستفسر منها عما تعلمه من ذلك ، ويرجو منها أن تذيع ذلك على دور النشر العربية ، ليتفادى تعدد الترجمات لـكتاب واحد

أعماله العلمية : واصل المجمع عمله في دراسة المصطلحات العلمية التي قدمها اليه الدوائر الحكومية ، وهو مستمر في دراسة قائمة مصطلحات معهد الأبحاث الدولي ببيروت ، وعددهـا (٦١٩) مصطلحاً ، بعث بها المعهـد الى وزارة المعارف لبيان رأيها فيها ، ووضع ما يقابلها في العربية ان لم تقرّ مقترحاته فأنجز خلال هذه الدورة دراسة (٢٢٠) مصطلحاً منها ، ولا يزال دائباً على دراسة ما بقي منها في الاجتماعات المقبلة من هذه الدورة

هذا وقد طبع خلال هذه المدة كراسة بالمصطلحات التي أقرها في هندسـة السكك الحديد والري والأشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران ، وذلك بمناسبة أنعقاد المؤتمر الهندسي العربي ببغداد ، ووزعها بالمجّان على الدوائر الرسمية وعلى المشتغلين بالعلوم ومن رغب فيها من شركات أهلية وأجنبية وهيآت سياسية وغيرها .

المحاضرات : وواصل محاضراته ، فأُفتتح الموسم الجديد الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب الرئيس الأول بمحاضرة عنوانها « كاتب الدولتين النورية والصلاحية » ، وألقى المحاضرة الثانية الرئيس الأستاذ السيد منير القاضي في « أهمية المنطق » ، وحاضر السيد ايرل بنتنك نائب رئيس مجلس الإنتاج القومي في الولايات المتحدة في موضوع « العلوم والهندسة والفنون الحرة » باللغة الانكليزية ، والدكتور مصطفى جواد في « الخليفة الناصر لدين الله العباسي » ، والدكتور أحمد سوسة في « وادي الثرثار قديماً وحديثاً » وقد وافق إلقاء هذه المحاضرة ليلة أحتفال الحكومة في ٤ نيسان ١٩٥٦ بالعمل العظيم الذي أنجزته في هذا الوادي وتحويلها مياه دجلة اليه أيام الفيضان لحماية بغداد وجنوب المملكة من الغرق ، وحاضر الدكتور هاشم الوتري في « مميزات طب الرازي » وقد كان إقبال الطبقة المثقفة من أعيان البلد وعلمائه ونشئه على سماع هذه المحاضرات كبيراً دلّ على جميل الأثر الذي أحدثه المجمع وحسن الانطباعات عنه في النفوس وقد نشرت المحاضرتان الأولى والثانية من هذه المحاضرات في هذا الجزء من المجلة ، وسيوالى نشر مالم ينشر تباعاً في الأجزاء الآتية

تصوير المخطوطات : قامت الشعبة الفنية في المجمع بتصوير طائفة من المخطوطات لخزانة كتبه تمهيداً لتحقيقها أو للمحافظة عليها من التلف لما لها من خطورة الشأن ، ومن هذه المصورات كتاب شرح الجوهر الفريد ، وكتاب الملوك الأولون ، وإتحاف الأمجاد فيما يصح به الأستشهاد ، وكتاب الجوهر الثمين فى بيان حقيقة التضمين ، وكتاب ما أشتمل عليه حروف المعجم من الدقائق والحكم ، وكتاب الجواب عما أُستبهم من الأسئلة المتعلقة بحروف المعجم ، وخريدة القصر وجريدة أهل العصر للعماد الأصبهاني قسم العجم ، وديوان الصاحب بن مكانس ، وكتاب حكاية أبي القاسم البغدادي وصورت الشعبة المذكورة للمعاهد الرسمية ربيع الأبرار للزمخشري ، صورته لكلية الشريعة ، وعلم الوسيقى لمحمد بن عبد الحميد اللاذقي وكتاب الشفاء في علم الموسيقى لمعهد الفنون الجيلة ، وجملة مخططات وخوارط فنية لمديرية الآثار القديمة العامة وصورت للأفراد الباحثين كتاب الزينة ، وديوان أبن أبي حصينة ، وملخص

الاعتقاد ، ونسب آل السعدون ، ووثائق عن الثورة العراقية ، ونماذج من الزخارف الاندلسية

هذا وقد كتب المجمع الى السفارة الملكية العراقية بدهلي ، راجياً منها الاتصال بالمراجع المسؤولة بالهند لإرسال صورة « فوطغرافية » لديوان الصاحب بن عبّاد المحفوظ بالمكتبة الآصفية في مدينة حيدر أباد كما كتب الى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية لتصوير رسائل ابن الاثير الجزري تمهيداً لتحقيقها ونشرها ، وقد صورها وبعث بها اليه في جزءين وكتب كذلك الى خزائن دور الكتب في انكلترة وفرنسة وألمانية وغيرها لتصوير نسخ كتاب الأوائل للعسكري ، تمهيداً لتحقيقه ونشره بنفقة المجمع وقرر — بناءً على اقتراح الأستاذ محمد بهجة الأثري — تصوير كل ما وجد في خزائن استنبول والقاهرة من خطوط الكاتب المشهور علي بن هلال المعروف بابن البوّاب ، لنفاستها وكونها تمدّ النقلة العالية للخط العربي من الكوفي الى النسخ بعد خط الوزير ابن مقلة ، وما زالت هذه الخطوط سراً مكنوناً في بعض الخزائن ، وقد كشف البحث عن وجود طائفة حسنة منها ، استحسن المجمع نشرها بأشكالها كما صدرت من قلم ابن البواب ، استكمالاً لآثاره التي تضمن بعضها كتاب الدكتور سهيل أنور في ابن البواب المذكور الذي عهد المجمع رجمته من التركية الى العربية الى الأستاذ صاحب هذا الاقتراح والأستاذ عزيز سامي وقد قدمت هذه الترجمة الى المطبعة ، وأخذ ما طلبه المجمع من خطوط ابن البواب يرد عليه تباعاً . كذلك قرر تصوير كل ما يوجد من خطوط أستاذه محمد بن علي بن أسد الكوفي لنشرها أيضاً وساعد بعض الباحثين على تحقيق أمنياتهم في الحصول على ما يبتغونه من نفائس الكتب التي حوتها خزائن كتب الغرب بوساطته ، وهي خطة اختطّها المجمع لتيسير أعمال الباحثين

المهاداة : وقد وردت خلال هذه المدة طلبات عديدة من دور الكتب في الداخل والخارج تستهدي مطبوعات المجمع ، فدرس كل طلب دراسة وافية للتأكد من أن تلك الدور هي من دور الكتب العامة التي تخدم المتعطشين الى العلم والباحثين فأهدى كتبه الى

عدد من دور الكتب الأهلية العامة في العراق ، كما أهداها الى دور الكتب في الخارج مثل دار كتب بلدية حماة ، ودار الكتب العامة في حلب ، ودار الكتب الزيتونية بتونس ، وخزانة كتب جامعة طهران ، وخزانة كتب مجلس الشيوخ « مجلس سنا » في ايران

ووافق على أن يتبادل المطبوعات مع جمعية البحوث الألمانية للمشرقيات ، ومع مكتبة « الكونكرس » بواشنطن ، وخزانة كتب جامعة كاليفورنيا بأمريكة ، ومع دار الكتب الوطنية ببيروت . وقد وصلت اليه مجموعة ثمينة قيمة من الكتب الألمانية في تأريخ العرب والإسلام ، أهدتها اليه جمعية البحوث الألمانية للمشرقيات على سبيل المبادلة مع مطبوعاته ، ومجموعة مطبوعات مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر في القاهرة ، هديةً منها اليه .

وإذ كان المجمع حريصاً كل الحرص على تيسير مطبوعاته لأساتذة الكليات وطلابها ، فقد زوّد خزائن كتبها بنسخ من مطبوعاته ، كما زود مكتبتي مديرية الآثار القديمة العامة ببغداد والموصل بمثل ذلك ، استجابة لطلب مديرية الآثار ، كما قرر إهداء ما لا يقل عن عشر نسخ من كل ما طبعه وما سيطبعه إلى الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية لتوزيعه على الجامعات والمعاهد الغربية تحقيقاً لرغبة أبدتها لوزارة المعارف العراقية

جوائز المجمع : وكان في جملة ما قرره المجمع لتشجيع العلوم والآداب والفنون وضع جوائز مالية للمتفوقين الأوائل في هذه الفروع في الكليات العراقية

مؤتمر المجامع العلمية العربية : وكان مجمعنا أول من نادى بضرورة ايجاد صلة بين المجامع العلميه العربية تحقق توحيد الخطط وتنسيق الجهود ، وقد نادى أيضاً بضرورة توزيع منشورات بأسماء الكتب التي تقرر دور النشر أو يقرر المترجمون نقلها من اللغات الأعجمية الى اللغة العربية لئلا تتعدد الترجمات ، مقترحاً أن يكون ذلك بإشراف الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية وبمعرفتها وإنه ليسر المجمع الآن أن يرى الجامعة العربية قد دعت المجامع العلمية العربية الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد الى عقد أجتماع في دمشق في اليوم التاسع والعشرين من شهر أيلول من هذه السنة ، للتداول في تنسيق خططها والنظر في المصطلحات العلمية ،

وفى مشكلات الكتابة العربية ، وفى المعجمات ، وأمثـال ذلك ومن الطبيعى أن يستجيب مجمعنا لهذه الدعوة الكريمة ، فقرر تمثيله في هذا المؤتمر بثلاثة من أعضائه العاملين ، وهم السادة : الأستاذ محمد بهجـة الأثري نائب الرئيس الأول ، والدكتور مصطفى جـواد نائب الرئيس الثاني ، والدكتور جواد علي سكرتير المجمع ، وقد عرض هذا القرار على مجلس الوزراء فأقرّه

ارسال البعوث : وبدأ المجمع مسعى جديداً يحقق به أغراضه الكثيرة ، فقرر ايفـاد طالبين الى استنبول وأوربة ، ليتخصص أحدهما بالخط العربي وزخرفة الكتب ، وليتخصص الثاني بفن الطباعة ، لحاجة المجمع الى هذين الفرعين ، وكتب بذلك الى وزارة المعـارف لترى رأيها في إمضائه وتنفيذه

بناية المجمع : ما زال المجمع في داره الضيقة بشـارع الزهاوي ، بعيـداً عن مطبعته . ولكنه قرر انشاء جناح جديد يضاف الى أقسام المطبعة التي أنشأها من قبل ، ليكون في امكانه الانتقال اليها في هذه السنة ، ريثما يهيأ له إنشاء بنايته التي ما زالت في عالم الراسلات والمداولات ، وقد مضى عليها زمن طويل ، نرجو أن ينتهي بالموافقة على الشروع في اعداد الخوارط تمهيـداً لإدخال « المشروع » في جملة « المشروعات » التي ستقوم بها وزارة المعارف في هذه السنة

ديوان الرئاسة : يتكون ديوان الرئاسة في هذه السنة من الرئيس الأستاذ منير القاضي ، ونائب الرئيس الأول الأسـتاذ محمد بهجة الأثري ، ونائبه الثاني الدكتور مصطفى جواد ، « والسكرتير » الدكتور جواد علي . وواجبه النظر في المسائل الإدارية والمالية للمجمع ، واتخاذ قرارات بشأنها ، لتيسير أعمـاله ، وللاقتصاد في الوقت ، وليتسنّى لمجلس المجمع الانصراف التام الى واجباته العلمية المعينة في نظامه

لجنة المجلة : تتولى الإشراف على المجلة لجنة مؤلفة من السادة : الأستاذ محمد بهجة الأثري، والأستاذ محي الدين يوسف ، والدكتور مصطفى جواد ، والدكتور جواد علي والأستاذ محمد بهجة الأثري هو المشرف على الطبع والإخراج ، وتدقيق لغة المقالات

وفاة عضوين مراسلين : فجع المجمع ، بوفاة عضوين مراسلين من أعضائه ، كانت خسارته بفقدها فادحة ، وهما العالمان الكبيران أحمد أمين (القاهرة) والشيخ عبد القادر المغربي (دمشق) ، وهما عضوان في مجمع اللغة العربية والمجمع العلمي العربي كذلك ، وآثارهما ذائعة في العالمين العربي والاسلامي ، رحمها الله رحمةً واسعة ، وعوض الأمة العربية عنهما بمن يسد الفراغ الكبير الذي تركه موتهما

جواد علي

﴿ فهرست الجزء الأول من المجلد الرابع ﴾

المقالات

الكتب

باب الأنباء والآراء

